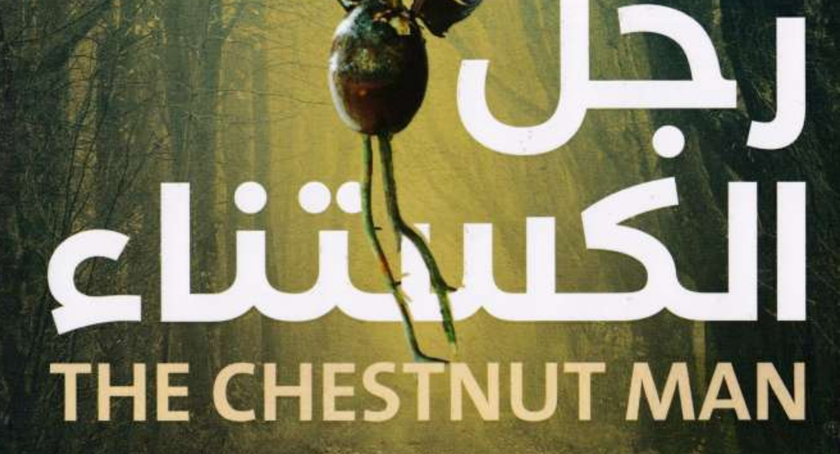
SØREN SVEISTRUP

سورين سفيستروب





رجل الكستناء

THE CHESTNUT MAN

رواية

ترجمة: وسام حسن



تليجرام

غواص في بحر الكتب



لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: KASTANJEMANDEN
- العنوان العربي: رجل الكستناء
- حُقوق النشر:
copyrights © by Søren Sveistrup and JP/Politikens Hus A/S 2018 in agreement with Politiken Literary Agency
- الطبعة الأولى: يناير / 2024م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: وسام حسن
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: كارم أحمد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 13306/2023م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-279-9

SØREN SVEISTRUP

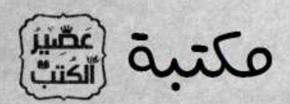
سورين سفيستروب

رجل الكستناء

THE CHESTNUT MAN

رواية

ترجمة: وسام حسن





إهداء إلى طفليَّ العزيزين: سيلاس وسيلفستر.


تليجرام : هنا سور الأزبكية



الثلاثاء 31 أكتوبر 1989







1

تطايرت أوراق الخريف بألوانها الحمراء والصفراء ليداعب الهواء بها جدائل الشمس على الأسفلت الرطب الذي يخترق الغابة مثل نهرٍ زجاجيٍّ مظلم. وبينما شقَّت الطريق سيارة شرطة بيضاء، حلَّقت الأوراق في رقصات مغزليَّة قصيرة، قبل أن تتهادى فوق تجمُّعات طينية لزجة على طول حافة الطريق. رفع ماريوس لارسن قدمه عن دوَّاسة الوقود لتخفيف السرعة قبل المنعطف، ودوَّن ملاحظة ذهنية بضرورة إخبار المجلس عن حاجتهم إلى تنظيف المكان. من الخطر أن تتجمَّع تلك الأوراق طويلًا، لأنها ستجعل الطريق زلقًا يُودي بحياة الكثيرين. شاهد ماريوس وقوع الكثير من الحوادث المشابهة. كيف لا، وهو الذي يتمتع بخبرة بلغت واحدًا وأربعين عامًا في السلك، من بينها سبعة عشر عامًا قضاها ضابطًا كبيرًا في مركز الشرطة. لقد اعتاد حملهم على فعل ذلك كل خريف. لكن ليس اليوم– عليه أن يصبَّ جُلَّ تركيزه اليوم على النقاش المرتقب.

وبأصابع منفعلة، حاول ماريوس الانتقال بين تردُّدات الراديو في سيارته، لكنه لم يستطع العثور على ما يبحث عنه. كانت كل الأخبار مُسلَّطة على جورباتشوف وريجان، والتكهُّنات حول السقوط الوشيك لجدار برلين، وأن العالم يقف على أعتاب حقبة جديدة كليًّا.

يعرف تمامًا أن نقاشه المرتقب لا مفرَّ منه، وهو الذي لم تظهر عليه إلا سمات الشجاعة. تعتقد زوجته أنه على بُعد أسبوعٍ فقط من التقاعد، وقد حان الوقت لإخبارها بالحقيقة: أنه لا يستطيع الحياة بعيدًا عن وظيفته. أنه عاجزٌ عن التعامل مع الجانب العمليِّ للأشياء، والمماطلة في اتخاذ القرارات. أنه غير مستعدٍّ بعد للاستلقاء على الأريكة لمشاهدة التلفاز، أو تنظيف الحديقة من أوراق الشجر، أو اللهو مع الأحفاد.

بدا الخوض في هذه المحادثة المرتقبة أمرًا سهلًا في ذهنه، ولكنه يدرك أن زوجته ستكون منزعجة. ستشعر بالإحباط. ستنهض عن الطاولة، وتبدأ تنظيف الموقد، وستخبره –وظهرها تجاهه– أنها تتفهَّم. لكنها لن تفعل. وهكذا، عندما وصل التقرير خلال المذياع قبل عشر دقائق، أخبر مركز الشرطة أنه سيتعامل مع الأمر بنفسه، ليكسب مزيدًا من الوقت قبل الخوض في النقاش. اعتاد ماريوس الانزعاج من القيادة وصولًا إلى مزرعة أورَم خلال الحقول والغابات لمجرد إخبارهم بضرورة مراقبة حيواناتهم بشكل أفضل. في أكثر من مرَّة، استطاعت الخنازير أو البقر تجاوز السياج، والتجوُّل في حقول الجيران، إلى أن يحضر ماريوس أو واحد من رجاله، لحمل أورَم على حلِّ المشكلة. لكنه ليس منزعجًا اليوم. لقد طلب منهم الاتصال أولًا. اتصلوا بمنزل أورَم ومحطة العبَّارات حيث كان يعمل بدوام جزئي. لكن عندما لم يُجِبْ أحد في أي من الوجهتين، اتخذ الطريق الرئيسي نحو المزرعة.

عثر ماريوس على قناة تذيع موسيقى دنماركية قديمة. وملأت أنغام أغنية «الزورق المطاطي الأحمر اللامع» أرجاء سيارة الفورد إسكورت القديمة، بعد أن رفع ماريوس مستوى الصوت. اغتنم وقته للاستمتاع بالخريف والقيادة، وبالمزيج المذهل بين خضرة الغابة، والأوراق المترامية بألوانها الصفراء والحمراء والبنية. توقَّع موسمَ صيدٍ حافلًا. فتح زجاج النافذة ليستمتع أكثر بمنظر أشعة الشمس الخافتة المتسللة إلى الطريق خلال قمم الأشجار. بدا ماريوس لوهلة، وقد نسي عمره.

كان الصمت مُطبقًا على المزرعة. خرج ماريوس وأغلق باب سيارته. لقد مرَّ وقت طويل منذ آخر زيارة له إلى المكان. بدت الساحة الواسعة خرِبة ومتداعية. لاحظ بعض الثقوب في نوافذ الإصطبل، في حين تقشَّر الطلاء عن جدران المنزل، وظهرت الأرجوحة فارغة على العشب النامي، وقد ابتلعتها أشجار الكستناء الطويلة التي تملأ أرجاء المكان. تناثرت الأوراق وثمار الكستناء المتساقطة خلال ساحة الحصى، وسمع صوت سحقها تحت قدميه وهو يمشي تجاه الباب الأمامي.

طرق ماريوس الباب ثلاث مرات، ونادى باسم أورَم لكن لم يجبه أحد. لم يلاحظ أي علامة على وجود حياة، فأخرج دفترًا وكتب ملاحظة ووضعها في صندوق الرسائل، في حين طارت عدَّة غربان في الفناء واختفت خلف جرار فيرجاسون المركون أمام الحظيرة. شعر ماريوس أنه قطع المسافة إلى هنا

في مهمة حمقاء، وسيضطر الآن إلى التوقف في محطة العبَّارات للسؤال عن أورَم. لكن انزعاجه لم يدُم طويلًا. وبينما قفل عائدًا إلى سيارته، خطرت على باله فكرة. لم يعتدْ ماريوس هذا الأمر، لذلك لا بدَّ من أنها كانت ضربة حظ، إذ قاد سيارته إلى هنا بدلًا من التوجُّه مباشرة نحو المنزل للخوض في النقاش. في محاولة لإرضائها، سيقترح ماريوس على زوجته الذهاب في رحلة إلى برلين. يمكنهما قضاء أسبوع كامل هناك– حسنًا، على الأقل حتى عطلة نهاية الأسبوع، بمجرَّد أن يتمكن من أخذ إجازة. سيقودان السيارة إلى هناك، ويشهدان تلك النقلة التاريخية –تلك الحقبة الجديدة– ويتناولان الزلابية ومخلل الملفوف كما فعلا من قبل في هارزن عندما شاركا في رحلة تخييم مع الأطفال منذ مدة طويلة جدًّا. وقبل أن يصل إلى سيارته، أدرك سبب وجود الغربان خلف الجرار. كانت الغربان تقفز على شيء شاحب وبلا شكل بدا كأنه خنزير. كانت عيناه ميتتين، لكنَّ جسده يرتجف كأنه يحاول تخويف الغربان التي تتغذى من طلق ناري في مؤخرة رأسه.

عاد ماريوس إلى المنزل وفتح الباب الأمامي. كان المدخل معتمًا، ولاحظ رائحة الرطوبة والعفن وشيئًا آخر لم يستطع تمييزه.

– «أورَم، الشرطة».

لم يُجبْه أحد، لكنه سمع صوت مياه تتدفق في مكان ما في المنزل، فدخل إلى المطبخ. شاهد فتاة مراهقة في السادسة عشرة من عمرها تقريبًا. كان جثمانها على الكرسي إلى جوار الطاولة، وما تبقى من وجهها المهشَّم يطفو في وعاء العصيدة. وعلى المشمع في الجانب الآخر من الطاولة جثة هامدة أخرى. إنها لمراهق أيضًا –أكبر منها سنًّا– مصاب برصاصة في صدره وتميل مؤخرة رأسه نحو الموقد. تسمَّر ماريوس في مكانه من الدهشة. لقد شاهد طبعًا قتلى من قبل، لكنه لم يرَ مثل هذا المنظر قطُّ. وللحظة وجيزة، أصيب بالشلل، حتى أخرج مسدس الخدمة من الحافظة الموضوعة على حزامه.

– «أورَم؟»

تنقَّل ماريوس بين غرف المنزل وهو ينادي أورَم، ومسدَّسه مرفوع بيديه، ولم يُجبْه أحد. كانت الجثة الثالثة في الحمام، وقد اضطُرَّ إلى وضع يديه على

فمه كي لا يتقيَّأ. كان الماء ينزل من الصنبور إلى حوض الاستحمام الذي امتلأ حتى حافته منذ مدة طويلة، ثم ينسكب على أرضية بلاط التيرازو ليختلط بالدماء قبل وصوله إلى مصرف المياه. كانت المرأة عاريةً وملقاةً على الأرض. لا بدَّ أنها والدة المراهقين. كانت ذراعها وقدمها مبتورتين عن الجذع. وفي تقرير التشريح الطبي اللاحق، سيتبيَّن أنها تعرَّضت لعدة ضربات متكررة بالفأس. في البداية، عندما كانت مستلقية في حوض الاستحمام، ومن ثم بعد محاولاتها الهربَ بالزحف على الأرض. سيُظهِر التقرير الطبي أيضًا أنها حاولت الدفاع عن نفسها بيديها وقدميها، ما تسبَّب في جروح عميقة شطرت أوصالها. لقد تعرَّض وجهها ورأسها لضربات عنيفة من الفأس أفقدتها ملامحه.

صُدِمَ ماريوس عندما لمح بطرف عينه حركة خفيَّة من جسم مختبئ في الزاوية تحت ستارة الدش. وبحذر شديد، سحب ماريوس الستارة قليلًا ليرى صبيًّا أشعث الشعر في العاشرة أو الحادية عشرة من عمره. كان يرقد في مكانه ساكنًا ومضرَّجًا بالدماء، وطرف الستارة يغطي فمه. كان نبض قلبه ضعيفًا جدًّا. سارع ماريوس تجاه الصبي، وأزال الستارة وتحسَّس ذراعه الضعيفة للتأكد من النبض. كان الصبي يعاني جروحًا وخدوشًا في ذراعيه وساقيه، وهو يرتدي قميصًا وملابس داخلية ملطخة بالدماء، وأُسقِطَتْ فأس بالقرب من رأسه. بعد أن استشعر ماريوس نبض الصغير، قفز على قدميه.

عاد إلى غرفة المعيشة، وأمسكت يداه المتوتِّرتان سماعةَ الهاتف بجوار منفضة سجائر ممتلئة، فسقطت على الأرض. واستجمع قوته وأفكاره ريثما اتصل بمركز الشرطة لإبلاغهم برسالة واضحة. سيارة إسعاف، وضباط شرطة بأسرع وقت. لا يوجد أي أثر لأورَم. أسرعوا، الآن! حالما أغلق سماعة الهاتف، تذكَّر فجأة أنه لا بدَّ من وجود طفل آخر: فالصبي لديه أخت توأم.

عاد ماريوس إلى الصالة الأمامية، وصعد الدرج إلى الطابق الأول. وبينما مرَّ بالمطبخ وباب القبو المفتوح، توقف. لقد سمع صوتًا. وقعُ أقدامٍ أو صوت خدْش، وساد الصمت مجددًا. سحب ماريوس مسدسه، وفتح الباب على مصراعيه، وتحرَّك بحذر أسفل الدرجات الخرسانية الضيِّقة. انتظر قليلًا ريثما اعتادت عيناه الظلام، فرأى باب القبو مفتوحًا في نهاية الممر. تردَّد وأحسَّ بأن عليه التوقف هنا وانتظار سيارة الإسعاف ورفاقه، ولكنه فكَّر في الفتاة. اقترب من الباب الذي يبدو وقد فُتِحَ بالقوة. فالقفل والمزلاج

على الأرض. دخل ماريوس الغرفة المضاءة بضوء خافت يتسلل من النوافذ الملطَّخة بالتراب في الأعلى. ومع ذلك، استطاع إدراك جسم صغير مختبئ جيدًا في الخلف تحت طاولة في الزاوية. أسرع ماريوس وخفض سلاحه، وانحنى نحوها.

- لا عليك. انتهى الأمر الآن.

لم يستطِع تمييز ملامح الفتاة. كانت ترتجف مكوَّمة في الزاوية، ولم تنظر إليه.

- اسمي ماريوس. أنا من الشرطة، وقد أتيت لمساعدتكِ.

***

ظلَّت الفتاة ساكنة كما لو أنها عاجزة عن سماعه. وفجأة، أصبح ماريوس أكثر قدرة على تمييز محتويات الغرفة. ألقى نظرة خاطفة على أرجائها، فعرف الغرض منها، وشعر بالقرف. لمح الرفوف الخشبية الملتوية خلال باب الغرفة المجاورة، ورأى منظرًا جعله ينسى الفتاة، ويجتاز العتبة. لم يستطع تحديد العدد، إذ يوجد أكثر ما تستطيع العين المجرَّدة إحصاءه. عدد كبير من دمى الكستناء على هيئة رجال ونساء، وحيوانات أيضًا. وبأحجام كبيرة وصغيرة. بعضها صبيانيٌّ، وبعضها الآخر غريب. كانت بعض تلك الدمى غير مكتملة، ومشوَّهة. حدَّق ماريوس إليها، وفكَّر في عددها ومدى تنوُّعها، وقد ملأته الدمى الصغيرة على الرفوف بالقلق، في حين خطا الصبي من الباب خلفه.

وفي جزء من الثانية، أدرك ماريوس أن عليه سؤال الطبيب الشرعي أكان باب القبو قد فُتِحَ عَنوة من الداخل أم الخارج. في جزء من الثانية، فكَّر باحتمال هروب حيوان وحشيٍّ من الحظيرة. لكن عندما استدار نحو الصبي، سبحت أفكاره بعيدًا كسحبٍ صغيرة مُحيِّرة في السماء. وتلقَّى ضربة بالفأس على فكِّه، فأظلمت الدنيا في عينيه.





الاثنين 5 أكتوبر



2

يتردَّد الصوت فِي كل أرجاء الظلام. يهمس بهدوءٍ، ويسخر منها- يرفعها عندما تسقط، ويلفُّ حولها في الرياح. لم تعد لورا كيار قادرة على الرؤية. لا تستطيع سماع صفير أوراق الشجر، أو الشعور بالعشب البارد تحت قدميها. كل ما تبقى هو الصوت الذي يواصل همساته بين ضربات الهراوة. اعتقدت أنَّ الصوت سيهدأ إذا توقفتْ عن المقاومة، لكنه لم يفعل. استمرَّ الصوت، وكذلك الضربات، حتى عجزت عن الحركة في النهاية. وبعد فوات الأوان، شعرت بأسنان المنشار الحادة على معصمها، وقبل أن تفقد وعيها، سمعت الضوضاء الميكانيكية لشفرة المنشار وهي تقطِّع عظامها.

لم تعِ بعدئذ كم مضى من الوقت. ما زال الظلام حالكًا. وكذلك الصوت. كما لو أنه انتظر عودتها.

- هل أنتِ بخيرٍ يا لورا؟

كانت نبرة الصوت ناعمةً وحنونةً، وقريبة جدًّا من أذنها. لكن الصوت لم ينتظر الإجابة. للحظة يزيل الشيء الذي كان عالقًا في فمها، وتسمع لورا صوت توسلاتها. هي لا تعي الأمر. ستفعل أي شيء. لماذا هي- ماذا فعلَت؟ يقول الصوت إنها تعرف جيدًا. ينحني الصوت ويقترب هامسًا في أذنها، وتكاد تجزم أن صاحب الصوت كان في انتظار هذه اللحظة بالضبط. يجب أن تركِّز لسماع الكلمات. إنها تفهم ما يقوله الصوت، لكنها لا تصدقه. الألم أكبر من كل إصاباتها الأخرى. لا يمكن أن يكون. يجب ألا يكون. دفعت بالكلمات بعيدًا كما لو أنها جزء من الجنون الذي يبتلعها في الظلام. إنها تريد الوقوف ومواصلة القتال، لكن جسدها يستسلم، فتبدأ بالنواح بهستيرية. عرَفت ذلك منذ مدة، ولكنها لم تصدِّق. الآن فقط، ومع همسات الصوت، أدركت الحقيقة. أرادت الصراخ بأعلى صوتها، لكنَّ أحشاءها كانت فعلًا قريبة من حلقها. شعرَت بالهراوة تضرب خدَّها، فقذفت نفسها بكل قوَّتها وترنَّحت أكثر عمقًا في الظلمة.



الثلاثاء 6 أكتوبر



3

مع الخيوط الأولى لشمس الصباح، كانت نايا تولين مستيقظة. كانت شبقةً لدرجة أنها لم تنتظر استيقاظه قبل أن تبدأ علاقتها الحميمة معه.

- مهلًا، رويدكِ.

ما زال نَعِسًا، ولكن نايا لم تنتظره. إنها تعلم أنه مستلقٍ بشكل محرج، وأن رأسه يضرب بالعارضة الرأسية للسرير. يمكنها سماع صوت العارضة الخشبية وهي تضرب الحائط، ولكنها غير مهتمَّة.

بعد لحظة، استلقَت إلى جانبه لاهثةً وهي تسمع صوت شاحنة القمامة في الفناء خلف المبنى الذي تقيم فيه. تدحرجت بعيدًا، ونهضت من السرير قبل أن يزيح يده عنها.

- الأفضل أن تغادر قبل استيقاظها.

- لماذا؟ إنها تحب وجودي هنا.

- هيا، انهض.

- لو تنتقلان للعيش معي.

قذفت قميصه على رأسه، واختفت في الحمام، وعاد إلى وسادته بابتسامة.

4

أول يوم ثلاثاء في أكتوبر. جاء الخريف متأخرًا، لكنَّ سماء المدينة اليوم أشبه بسقفٍ منخفض من السحب الرمادية الداكنة. اندفعت نايا تولين من السيارة إلى زحمة المرور في الشارع تحت المطر. يمكنها سماع رنين هاتفها المحمول، لكنها لم تمدَّ يدها إلى جيب معطفها. وضعت يدها على ظهر ابنتها لتتمكَّنا من المرور معًا خلال الفجوات الصغيرة في ازدحام ساعة الذروة. كان صباحًا مزدحمًا. انصبَّ جلُّ حديث لو على لعبة صراع الأساطير (League of Legends). بالرغم من صغر سنِّها على مثل هذه الألعاب، فإنها تعرف كل شيء عنها، حتى إنها ذكرت اسم بارك سو، أحد المحترفين الكوريين لهذه اللعبة، ووصفته ببطلها الخارق.

- لديك حذاء المطر في حال أردتِ الذهاب إلى الحديقة. وتذكَّري أن جدكِ سيأتي لاصطحابك، لكنْ عليكِ عبور الشارع بمفردكِ. انظري يسارًا، ثم يمينًا، ثم...
- ثم أنظرُ إلى اليسار مجددًا. ويجب أن أتذكر ارتداء سترتي ليتمكن السائقون من رؤية القطع العاكسة.
- قفي بلا حَراك لأتمكن من ربط شريط حذائك.

وصلتا قبالة المدرسة، ووقفتا تحت سقف موقف دراجات، وانحنت تولين في حين حاولت لو الوقوف بثبات، وحذاؤها في البِركة الموحلة.

- متى سننتقل للعيش مع سيباستيان؟
- لم أقل إننا سننتقل للعيش مع سيباستيان.
- ولمَ لا؟ ألا يكون موجودًا في الصباح، عندما يزورنا في المساء؟
- الكبار مشغولون في الصباح، وعلى سيباستيان أن يهتمَّ بعمله.

- رمضان لديه أخٌ صغيرٌ، وخمس عشرة صورة معلَّقة على شجرة الأسرة، وأنا لا أملك سوى ثلاث.

رمت تولين نظرة مقتضبة إلى ابنتها، وأطلقت لَعَناتٍ بحق الملصقات الصغيرة عن أشجار الأسرة التي زيَّنتها المعلمة بأوراق الخريف، وألصقتها على جدار الفصل ليتمكن الآباء والأطفال من التوقف ومشاهدتها. ومن ناحيةٍ أخرى، تشعر بالامتنان دائمًا عندما تدرك أن لو اعتبرت الجدَّ فردًا من الأسرة، بالرغم من أنه ليس جدها حقًّا.

- لا يتعلق الأمر بهذا. ثم إنك تملكين خمس صور على شجرة الأسرة، إذا أحصيتِ الببغاء والهامستر.
- ليس للآخرين صور مع حيوانات على أشجارهم.
- لا، الأطفال الآخرون ليسوا محظوظين لهذه الدرجة.

لم ترغب لو في الإجابة، ووقفت تولين.

- أعرف أن أسرتنا صغيرة، ولكننا بخير، وهذا هو الشيء المهم، اتفقنا؟
- إذن، هل يمكنني الحصول على ببغاء آخر؟

نظرت تولين إليها وتساءلت كيف بدأت هذه المحادثة أصلًا، أوكانت ابنتها أكثر ذكاءً مما تعتقد؟

- سنناقش الأمر لاحقًا. انتظري قليلًا.

بدأ هاتفها المحمول في الرنين مجددًا، وأدركت أنها مضطرَّة إلى الإجابة في هذه المرة.

- سأكون هناك خلال خمس عشرة دقيقة.

«لا داعي للعجَلة»، أجابها الصوت على الجانب الآخر من الخط، وبدا أنه لأحد موظفي السكرتاريا في مكتب نيلاندر؛ وأضاف:

- لا يستطيع نيلاندر لقاءكِ هذا الصباح، ولذلك أصبح الموعد هو الثلاثاء المقبل بدلًا من اليوم. وطلب مني إخبارك أنه يريد منك اصطحاب الرجل الجديد معك اليوم، علَّه يفعل شيئًا مفيدًا خلال وجوده هنا.
- أمي، أنا ذاهبة مع رمضان!

راقبت تولين ابنتها تتجه نحو الصبي المدعو رمضان. تنضمُّ بشكل طبيعي إلى بقية أفراد الأسرة السورية، امرأة ورجل، والرجل يحمل بين ذراعيه طفلًا رضيعًا، ويوجد طفلان آخران. بالنسبة إلى تولين، بدا المشهد كأنهم خارجون للتو من مقالٍ في مجلَّة نسائية عن الأسرة المثالية.

- ولكنها المرَّة الثانية التي يلغي فيها نيلاندر موعده، وكل ما يتطلبه الأمر هو خمس دقائق فقط. أين هو الآن؟
- أخشى أنه في طريقه إلى اجتماع الميزانية. ويودُّ أن يعرف موضوع الحديث؟

للحظة، فكرت تولين في إخبارها أن الأمر سيرتبط بالأشهر التسعة التي قضتها في قسم الجرائم الكبرى، المعروف باسم فرقة القتل، وأنها كانت بمثل تشويق زيارة متحف للشرطة. وأن المهمات مملة، وأن معايير التكنولوجيا في القسم بالكاد تفوق الإثارة الكامنة مع جهاز «كومودور 64»، وأنها تتطلع بشدة إلى المُضيِّ قُدُمًا.

- لا شيء مهم، شكرًا.

أغلقت الهاتف ولوَّحت مودِّعة ابنتها وهي تدخل إلى المدرسة. بدأت تشعر بالمطر يتسرَّب خلال معطفها. وبينما اتجهت نحو الطريق، أدركت أنها لا تستطيع الانتظار حتى يوم الثلاثاء لحضور الاجتماع. تفادت زحمة السير. وعندما وصلت إلى السيارة وفتحت الباب، أحسَّت فجأة أنها مُراقَبة. على الجانب الآخر من المعبر، وخلال الصفوف التي لا نهاية لها من السيارات والشاحنات، لمحت ملامح شخصٍ ما، ولكنه اختفى بمجرَّد سير الطابور، غنفضت تولين عن رأسها هذا الشعور، وركبت سيارتها.

5

ضجَّت الممرات الفسيحة لمركز الشرطة بصدى خطوات الرجلين في أثناء مرورهما بمجموعة من المحققين الذين يسيرون في اتجاهٍ معاكس. نيلاندر، رئيس قسم الجرائم الكبرى، يكره إجراء محادثات مثل هذه، لكنه يعلم بأنها ستكون على الأرجح الفرصة الوحيدة التي سيحصل عليها طوال اليوم، لذلك يبتلع كبرياءه ويواكب نائب المفوَّض متتبِّعًا عباراته المملَّة الواحدة بعد الأخرى.

- نيلاندر، نحن في حاجة إلى شدِّ الأحزمة. والأمر نفسه ينطبق على جميع أقسامنا.
- اعتقدتُ أننا سنحظى بمزيد من الضباط.
- إنها مسألة وقت. في الوقت الحالي، تُولِّي وزارة العدل أهمية أكبر لأقسام أخرى لستم من بينها. لديهم طموحات في أن يصبح المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية القسم الأفضل من نوعه في أوروبا، ما يدفعها إلى تخفيض الموارد في أماكن أخرى.
- هذا لا يعني أن قسمي يجب أن يعاني. كنا في حاجة إلى مضاعفة قوتنا البشرية في الماضي.
- لم أستسلم، لكنكَ كما تعلم أزحتُ عن كاهلكَ بعض الضغط.
- لم يُزَحْ عن كاهلي أي ضغط. ولا أهمية حقيقية لمجيء محققٍ واحدٍ بعد بضعة أيام لأن يوروبول طردته.
- سيقضي هنا مدة طويلة، تبعًا للظروف. كانت الوزارة قادرة على تخفيض عدد الموظفين، كما تعلم، لذا فالأمر الآن يتعلق بتحقيق أقصى استفادة ممكنة من عمل سيئ. اتفقنا؟

توقف نائب المفوض مؤقتًا واتجه صوب نيلاندر لتأكيد كلماته، وأوشك نيلاندر أن يرفض، ويقول إن الأمور ليست على ما يرام. إنه في حاجة إلى المزيد من القوى العاملة كما وُعِدَ، لكنْ بدلًا من ذلك، يُتجاهَل لمصلحة الأغبياء المتأنِّقين في المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية. وفوق كل ذلك، شعر أن اضطراره إلى العمل مع محقق مغمور لفَظَته لاهاي أشبه بصفعةٍ بيروقراطية موجعة.

اقتربت تولين منهما وقالت: «هل لديكَ لحظة؟» استغلَّ نائب المفوَّض هذه المقاطَعة ليتسلَّل خلال باب غرفة الاجتماعات ويُغلِقه خلفه. رمقه نيلاندر بنظرة قصيرة، قبل أن يعود في الطريق التي جاء منها.

- ليس الآن، لست مُتفرِّغًا لكِ. تحققي من الضابط المناوب بشأن التقرير من هوسوم. أريدكِ أن تأخذي رجل يوروبول وتبدآ العمل معًا.
- لكنَّ الأمر يخصُّ...
- لا وقتَ لديَّ لهذه المحادثة. لستُ غافلًا عن قدراتكِ، لكنكِ أصغر محققة تطأ قدمها هذا القسم، ولا أريدكِ أن تفكِّري في تسلُّم قيادة فريق أو أيًّا كان ما تودين قوله لي.
- لا أريد أن أكون قائدة فريق. أنا فقط في حاجة إلى كتاب توصية لـ«إن سي ثري».

توقَّف نيلاندر.

- «إن سي ثري»، مركز مكافحة الجرائم الإلكترونية.
- نعم، أعرف معنى الاسم المختصر، لماذا؟
- أعتقد أن مهمات المركز مثيرة للاهتمام.
- وما المقابل؟
- مقابل لا شيء... أنا فقط أريد...
- لقد بدأتِ مسيرتك للتوِّ. ولا يوظف المركز الأشخاصَ الذين يتقدمون بطلبات في فرص غير مناسبة، لذلك لا فائدة من المحاولة.
- لقد طلبوا مني تقديم الطلب بصفة شخصية.

حاول نيلاندر إخفاء دهشته، لكنه أدرك على الفور أنها تقول الحقيقة. نظر إلى المرأة النحيلة الواقفة أمامه. كم عمرها؟ تسعة وعشرون عامًا،

ثلاثون عامًا، أو شيء من هذا القبيل؟ يا لها من شيء صغير وغريب لا تملك الكثير للنظر إليه. لا بدَّ أنه استخفَّ بها- قبل أن يعرفها بشكل أفضل. في تقييم فريق عمله، قسَّم المحققين إلى فريقين (أ) و(ب)، وكانت تولين -بالرغم من عمرها- من أوائل الأسماء التي وضعها في الفريق (أ) إلى جانب محققين مخضرمين مثل يانسن وريكس اللذين يُفترَض أنهما من ألمع المحققين في القسم، وقد اعتبرها نيلاندر في الحقيقة قائدة الفريق. لم يكن مغرمًا بالمحققين الإناث، ويبدو أنه خُدِعَ بطابعها المنطوي. لكنها ذكية للغاية، وتعاملت مع قضاياها بوتيرة جعلت المحققين الأكثر خبرة يقفون عاجزين. ربما اعتقدت تولين أن مستوى التكنولوجيا في القسم متخلِّف من العصر الحجري، وهو يتفق معها في الرأي، ويدرك مدى حاجته إلى خبراء التكنولوجيا مثلها. القسم يجب أن يواكب العصر. ولهذا السبب، استغلَّ عدة محادثات جرت بينهما ليذكِّرها بأنها لا تزال في أول الطريق، ويحرص على أنها لن تفرَّ من القسم.

- مَن طلب منكِ ذلك؟

- الرئيس، اسمه آيزاك فينجر.

شعر نيلاندر أن وجهه اكفهرَّ.

- كنت سعيدةً هنا، لكنني أودُّ إرسال طلبي بحلول نهاية الأسبوع على أبعد تقدير.

- سأفكر أكثر في الأمر.

- هل يناسبكَ يوم الجمعة؟

شعر نيلاندر أنه مطارد. وللحظة، أحسَّ بعينيها على مؤخِّرة رقبته، وأدرك أنها ستطارده حتى يوم الجمعة للحصول على التوصية. لذا، فقد وصل الأمر إلى هذا الحدِّ. أصبح قسمه منبتًا للنخبة الذين تُوفِدهم الوزارة إلى قسمها المدلَّل: مركز مكافحة الجرائم الإلكترونية. وعندما سيدخل إلى اجتماع الميزانية بعد بضع دقائق، ستعود إليه تلك الأولوية مجددًا على شكل أرقام ورأس مال. سيصادف عيد الميلاد المقبل مرور ثلاث سنوات على تسلُّم نيلاندر منصبَه رئيسًا لقسم جرائم القتل. ولكنَّ الأمور وصلت إلى حالة من التوقف. وفي حال لم يطرأ أي تغيير، لن تكون الترقية هي الفرصة المهنية التي تخيَّلها ذات يوم.

6

كانت ماسحات الزجاج الأمامي للسيارة منهمكةً في إزاحة مياه الأمطار الغزيرة. تغيَّر لون إشارة المرور إلى الأخضر، فخرجت سيارة الشرطة عن رتل الانتظار -بعيدًا عن الإعلان المُلصَق على جانب الحافلة لمستشفى خاص يُجري عمليات تكبير الصدر والبوتوكس وشفط الدهون- وانطلقت نحو الضواحي. كان المذيعون على الراديو يتحدثون ويبثُّون أحدث أغاني البوب حول الجنس والمفاتن والشهوة، قبل أن تقاطعهم الأخبار المُوجَزة. أعلن مذيع الأخبار أن اليوم هو أول ثلاثاء في أكتوبر: الجلسة الافتتاحية للبرلمان. الخبر الرئيسي، وبشكل غير مفاجئ، يدور حول عودة روزا هارتونج، وزيرة الشؤون الاجتماعية، إلى منصبها بعد الحادث المأسَوي الذي تعرضت له ابنتها قبل عام تقريبًا، والذي تتبَّعه الجميع في البلاد بشوق. ولكن قبل أن ينتهي المذيع من قراءة الأخبار، خفَّض الشخص الغريب إلى جانب تولين الصوت.

- هل لديكِ مقصٌّ أو أي شيء آخر؟
- لا، لا أملك مقصًّا.

للحظة، أزاحت تولين عينيها عن زحمة السير تجاه الرجل الجالس إلى جانبها الذي يعمل باهتمام على فتح علبة هاتف محمول جديد. كان يقف وهو يدخن سيجارة على مقربة من السيارة عندما وصلت إلى المرأب المقابل للمحطة. كان رجلًا طويلًا ومنتصبَ القامة، مع هيئة مُزرية نوعًا ما. شعرٌ أشعث، وغارق في المطر، وينتعل حذاء «نايكي» مع بنطال رقيق فضفاض، وسترة سوداء قصيرة ومبطَّنة بدت كأنها قد تلطَّخت. لم تكن ملابس الرجل مناسبة للجوِّ، فخمَّنت تولين أنه جاء مباشرة من لاهاي. وتضفي الحقيبة الصغيرة المتهالكة إلى جانبه ثقلًا أكبر إلى هذا الانطباع. علمت تولين أنه وصل إلى المحطة قبل أقل من ثمانية وأربعين ساعة، لأنها سمعت زملاءها

يتحدثون عنه وهي تُحضِر قهوتها الصباحية من البوفيه. «ضابط الاتصال» في مقر يوروبول بلاهاي، الذي أُعفِيَ فجأة من منصبه، وأُمِرَ بالتوجه نحو كوبنهاجن تكفيرًا عن خطأ فادح اقترفه. أثار ذلك بعض الملاحظات الساخرة من زملائها. كانت العلاقة بين الشرطة الدنماركية ويوروبول متوترة منذ أن رفض الدنماركيون التخلي عن المنسحبين من الاتحاد الأوروبي في استفتاء قبل بضع سنوات.

عندما التقته تولين في مرآب السيارات كان سارحًا في أفكاره، وعندما قدَّمت نفسها، صافحها ببساطة وقال: «هيس». لم يكن محبًّا للثرثرة، كذلك الأمر بالنسبة إليها في العادة. لكنَّ حديثها مع نيلاندر جرى كما خططت له. كانت متيقِّنة أن أيامها في القسم معدودة، فما الضير من إظهار بعض الودِّ لزميل محاصر. بعد صعودهما إلى السيارة، أخبرته بكل ما تعرفه عن المهمة، لكنَّ الرجل أومأ برأسه بأقل قدر من الاهتمام. خمَّنت عمره بين السابعة والثلاثين والواحد والأربعين، ومظهره الباهت يذكِّرها بأحد الممثلين، ولكنها لم تستطعْ تحديده. كان يرتدي خاتمًا في إصبعه، ربما يكون خاتم زواج، لكنَّ غريزتها تخبرها أن الرجل مُطلَّق منذ مدة طويلة- أو أنه على الأقل يسير في معاملة الطلاق. كان لقاؤه أشبه بركل كرةٍ نحو جدار خرساني، لكنه لم يُفسِد مزاجها الجيد، واهتمامها الحقيقي بالتعاون بين الشرطة الدولية.

- إذن، إلى متى ستبقى في البلاد؟
- بضعة أيام ربما. إنهم يدرسون الأمر.
- هل تحبُّ عملكَ في يوروبول؟
- نعم، لا بأس به. الجوُّ أفضل.
- يقولون إن مركزهم الخاص بمكافحة الجرائم الإلكترونية بدأ تجنيد قراصنة تتبَّعوهم بأنفسهم؟
- لا فكرة لديَّ، فهذا ليس قسمي. هل تمانعين إذا غبتُ دقيقةً بعد انتهاء عملنا في مشهد الجريمة؟
- تغيب؟
- لمدة ساعة فقط. ينبغي لي تسلُّم مفاتيح شقتي.
- طبعًا.
- شكرًا.

- لكنكَ مقيمٌ في لاهاي، أليس كذلك؟

- بلى، وفي أي مكان آخر يحتاجون إليَّ فيه.

- أين ذلك؟

- أماكن مختلفة: مرسيليا، جنيف، أمستردام، لشبونة.

عاد الرجل إلى التركيز على علبة هاتفه المحمول، لكنَّ تولين متأكدة أن قائمته من أسماء المدن طويلة حقًّا. فيه شيء عالمي. كما لو أنه نوع من المسافرين دون أمتعة، على الرغم من ذبول لمعان المدينة الكبيرة والسماء البعيدة منذ مدة طويلة. إذا كان مثل هذا اللمعان موجودًا في الأصل.

- منذ متى وأنت هناك؟

- خمس سنوات تقريبًا. سأستعير هذا.

انتزع هيس قلمًا جافًّا من حامل الأكواب بين المقاعد، وبدأ بفتح العلبة.

- خمس سنوات؟

كانت تولين مدهوشة، فمعظم ضباط الاتصال الذين سمعت بهم يُتعاقَد معهم لمدة عامين متواصلين. وقد يمتدُّ عقد بعضهم إلى أربع سنوات، لكنها لم تسمع قطُّ عن ضابط اتصال بقي خمس سنوات.

- الوقت يمرُّ بسرعة.

- هل السبب هو إصلاح الشرطة.

- ما قصدكِ؟

- أتحدث عن مغادرتك. سمعتُ أن الكثيرين غادروا القسم لأنهم لم يكونوا سعداء مع...

- لا، لم يكن هذا هو السبب.

- ما السبب إذن؟

- لأنني فعلتُ ذلك.

نظرت إليه، وألقى عليها نظرة عابرة. للمرة الأولى، لاحظت اختلاف اللون في عينيه، فاليسرى خضراء، واليمنى زرقاء. لم يتحدث بطريقة فظَّة، لكن إجابته كانت مبهمةً، ولم يعلِّق أكثر. وفي أثناء دخولهما إلى منطقة سكنية، قالت تولين في نفسها إنه إذا كان يودُّ أداء دور الشرطيِّ مفتول العضلات مع

ماضٍ غامض، فليكن. يوجد الكثير من هؤلاء الرجال في المحطة بما يكفي لتشكيل فريق كرة قدم خاص بهم.

كان المنزل مَسكنًا أبيض عصريًّا مع مرأب خاص به، ويقع في وسط حي عائلي في هوسوم، بين شجيرات تكفل الخصوصية، وصفوفٍ مرتّبة من صناديق الرسائل التي تُواجه الطريق. إنه المكان الذي ينتقل إليه ذوو الدخل المتوسط بعد أن يصبحوا أسرة، وتتيح لهم إمكاناتهم فعل ذلك. حيٌّ آمن يكفل فيه رجال الشرطة النائمون عدم تجاوز أحد حدودَ السرعة البالغة 30 ميلًا في الساعة. توجد منصَّات ترامبولين في الحدائق، وآثار الطباشير على الأسفلت الرطب. وعلى درَّاجاتهم الهوائية، يمرُّ عدد قليل من تلاميذ المدارس مرتدين الخوذات والسترات العاكسة تحت المطر، في حين وقفت تولين إلى جانب سيارات الدورية ومركبات الطبِّ الشرعي. وقف بعض السكان متفرِّقين وهم يتذمَّرون تحت المظلات بعيدًا عن الحاجز.

قبل أقل من دقيقتين، وضع هيس بطاقة اتصال في هاتفه المحمول، وأرسل رسالة نصيَّة، وها هو هاتفه يرنُّ.

- يجب أن أردَّ على الاتصال.

- لا بأس، خذ وقتك.

خرجت تولين تحت المطر، وبقي هيس جالسًا في السيارة ليبدأ حديثه باللغة الفرنسية. وبينما هرولت في الممر الصغير للحديقة فوق أحجار الرصف الخرسانية التقليدية، خطر على بالها أنها ربما وجدت سببًا آخر لسعيها إلى مغادرة القسم.

7

تردَّدت أصوات مذيعي برنامج الصباح التلفزيوني في الفيلا الكبيرة العصرية في آوتر أوستريو، في حين استعدُّوا لإجراء حوار آخر مع فنجان قهوة على أريكة الزاوية المريحة في الاستوديو.

- يفتتح البرلمان أعماله اليوم مع بداية العام الجديد. لطالما كان هذا اليوم مميزًا، ويكتسب سمةً خاصةً اليوم بالنسبة إلى شخصية سياسية محدَّدة، وأعني بها وزيرة الشؤون الاجتماعية روزا هارتونج التي فقدت ابنتها البالغة من العمر اثني عشر عامًا في 18 أكتوبر من العام الماضي. كانت روزا هارتونج في إجازة منذ أن كانت ابنتها...

مدَّ ستين هارتونج يده وأغلق الشاشة المسطَّحة والمعلَّقة على الحائط إلى جانب الثلاجة. التقط رسومه المعمارية وأدوات الكتابة عن الأرضية الخشبية في المطبخ الريفي الفسيح المستوحى من الطراز الفرنسي حيث أسقطها للتو.

- هيا، استعدَّ. سننطلق بمجرَّد أن تغادر والدتكَ.

بقي ابنه جالسًا إلى الطاولة الكبيرة يخربش في كتاب الرياضيات الخاص به، محاطًا ببقايا طعام الإفطار. في صباح كل يوم ثلاثاء، يتأخر جوستاف عن حضور اجتماع المدرسة ساعة عن المعتاد، ويتعيَّن على ستين إخباره في كل يوم ثلاثاء أن الوقت غير مناسب لأداء واجباته المدرسيَّة.

- لكن، لمَ لا أستطيع ركوب دراجتي؟

- إنه يوم الثلاثاء، ولديك حصَّة كرة المضرب بعد المدرسة، لذلك سأقلُّك. هل جهَّزت ملابسك؟

- إنها معي.

دخلت المربِّية الفلبينيَّة ضئيلة الحجم إلى الغرفة، ووضعت حقيبة الأدوات الرياضية، في حين راقبها ستين بامتنان وهي تبدأ التنظيف.

- شكرًا أليس. هيا يا جوستاف.

- جميع الأطفال الآخرين يركبون دراجاتهم.

من خلال النافذة رأى ستين سيارة سوداء كبيرة تسير على الممر، وتتوقف في بركة الطين بالخارج.

- أبي، اليوم فقط؟

- لا، سنفعل ما اعتدناه. وصلت السيارة. أين والدتك؟

8

صعد ستين الدرجات المُوصِلة إلى الطابق الأول عندما ناداها. يرجع تاريخ هذه الفيلا الأرستقراطية إلى مئة عام، وتبلغ مساحتها نحو أربعمائة متر مربع، وهو يعرف كل زاوية وركن فيها، لأنه جدَّدها بنفسه. عندما اشترت الأسرة الفيلا وانتقلت للعيش فيها، كان اهتمامهم هو امتلاك مساحة كبيرة، لكنها الآن كبيرة جدًّا. شاسعة. بحث عنها في غرفة النوم والحمام قبل أن يدرك أن الباب المقابل له مفتوح. وبعد تردُّد، فتح الباب ونظر في الغرفة التي كانت يومًا ما لابنته.

كانت زوجته مرتدية معطفها ووشاحها، وتجلس على مرتبةٍ إلى جانب الحائط. دارت عيناه في أرجاء الغرفة، وعلى الجدران الفارغة، وصناديق الكرتون المكدَّسة في الزاوية. ثم عاد للنظر إليها.

- وصلت السيارة.

- شكرًا.

أومأت سريعًا برأسها وهي لا تزال جالسة. خطا ستين خطوة أخرى نحو الأمام وأحسَّ بالبرودة في الغرفة. لاحظَ أنها تكوِّم قميصًا أصفر بين يديها.

- هل أنتِ بخير؟

يا له من سؤال غبي، هي لا تبدو بخير.

- فتحتُ النافذة بالأمس ثم نسيتُ إغلاقها، وأدركتُ ذلك للتو.

أومأ برأسه متعاطفًا، مع أن كلماتها لم تجب عن السؤال. ومن بعيد في القاعة، استطاعا سماع ابنهما وهو ينادي بأن فوجل وصل، لكن لم يودَّ أي منهما الرد.

- لن أستطيع تذكُّر رائحتها بعد الآن.

داعبت يداها القماش الأصفر، ونظرتْ إليه كما لو أنها تبحث عن شيء مخبَّأ بين خيوطه المنسوجة.

- كان عليَّ المحاولة. لكنَّ رائحتها ليست موجودة. ولا حتى في أي من أشيائها الأخرى.

جلس إلى جانبها.

- ربما هذا جيد. ربما يكون الأمر أفضل بهذه الطريقة.

- كيف يمكن أن يكون أفضل... ليس أفضل.

لم يردَّ. أدركَ أنها ندمت على انفعالها لأن صوتها أصبح أكثر رقَّة.

- لا أعرف أكنت قادرة على فعل ذلك... يبدو الأمر خاطئًا.

- هذا ليس خطأً. إنه الشيء الوحيد الصحيح الذي ينبغي فعله. لقد أخبرتني ذلك بنفسك.

ناداهما ابنهما مجددًا.

- كانت ستقول لكِ اذهبي. كانت ستقول لكِ إن كل شيء سيسير على خير ما يرام. كانت ستخبركِ أنكِ رائعة.

لم تُجبْ روزا. وللحظة، جلست هناك مع القميص، ومن ثَمَّ أمسكت يده وضغطتها، قبل أن تحاول رسم ابتسامة.

- حسنًا، هذا رائع، أراك قريبًا.

أغلق مستشار روزا هارتونج الشخصي الهاتف، وهو يراها تنزل على الدرج متجهة نحو القاعة.

- هل جئتُ مبكرًا جدًّا؟ هل أطلب من الأسرة المالكة تأجيل الجلسة الافتتاحية حتى الغد؟

- لا، أنا جاهزة الآن.

ابتسمت روزا للنشاط الواضح على فريدريك فوجل الذي من شأنه إحداث تغيير لطيف. لا مكان للعاطفة مع وجود فوجل.

- جيِّد. لنراجع جدول الأعمال. ستُطرَح الكثير من الأسئلة– بعضها جيِّد، وبعضها الآخر نمطيٌّ ويمكن توقُّعه.

- سنفعل ذلك في السيارة. جوستاف، تذكَّر أن اليوم هو الثلاثاء، وسيقلُّك والدكَ. اتصل بي إن كنت في حاجة إلى أي شيء. اتفقنا حبيبي؟

- أعرف ذلك.

أومأ الصبي برأسه، وبالكاد امتلكتْ روزا الوقت الكافي لمداعبة شعره قبل أن يفتح فوجل لها الباب.

- يجب أن تلقي التحيَّة على السائق الجديد. نحن في حاجة ماسَّة إلى مناقشة كيفية ترتيب هذه المفاوضات.

راقبهم ستين من نافذة المطبخ، محاولًا رسم ابتسامة مشجِّعة لزوجته وهي تحيي السائق الجديد، وتصعد للجلوس في الجزء الخلفي من السيارة. أحسَّ ستين بالارتياح عندما غادروا الممر.

- أسنذهب أم لن نذهب؟

طرح الابن سؤاله الذي سمعه ستين، في حين انهمك في ارتداء معطفه وانتعال حذائه في القاعة.

- نعم، أنا قادم الآن.

فتح ستين الثلاجة، وأخرج مجموعة من زجاجات المشروب الصغيرة، وأزال غطاء إحداها وأفرغ محتوياتها في فمه. أحسَّ بالسائل الروحيِّ يشقّ طريقه في المريء وصولًا إلى المعدة. وضع الزجاجات المتبقية في حقيبته، وأغلق الثلاجة، وتذكَّر تناول مفاتيح السيارة من على طاولة المطبخ.

9

في المنزل شيء لم تحبَّه تولين. بدأ إحساسها فور دخولها إلى المنزل، وارتدَت قفَّازات وانتعلت أحذية بلاستيكية زرقاء، واتَّجهت نحو القاعة الأمامية المظلمة، حيث رُتِّبَتْ أحذية الأسرة بأناقة أسفل المعطف. وعلى الجدران في الممرِّ، عُلِّقَتْ رسوم أنيقة ومؤطَّرة لأزهار. وعندما دخلت إلى غرفة النوم، صدمها التصميم شديد البراءة والأنثوية. كل شيء كان باللون الأبيض، باستثناء الستائر ذات الطيَّات الوردية التي لا تزال منسدلة.

- اسم الضحيَّة لورا كيار في السابعة والثلاثين من عمرها. ممرِّضة في عيادة لطب الأسنان وسط كوبنهاجن. يبدو أنها تفاجأت بعد ذهابها إلى السرير. ابنها في التاسعة من عمره كان نائمًا في الغرفة عند نهاية الصالة، لكنْ يبدو أنه لم يرَ أو يسمع أي شيء.

حدَّقت تولين إلى السرير المزدوج الذي استُخدِمَ من جانب واحد فقط كما أخبرها الضابط الأقدم، المصباح إلى جانب السرير انقلب عن المنضدة إلى السجادة البيضاء السميكة.

- استيقظ الصبي ليجد المنزل فارغًا، ولا أحد بقربه. أعدَّ وجبة الفَطور لنفسه، وارتدى ملابسه وانتظر والدته. وعندما لم تحضر، ذهب إلى الجيران. عادت الجارة إلى المنزل فوجدته خاليًا، ثم سمعتْ كلبًا ينبح في منطقة اللعب حيث عثرت على الضحيَّة، واتصلت بنا.

- هل جرى الاتصال بوالد الطفل؟

مرَّت تولين أمام الضابط، وألقت نظرةً خاطفةً على غرفة الطفل قبل أن تعود إلى الممر وخلفها الضابط.

- أفادت الجارة أن الأب متوفٍّ منذ عامين جراء إصابته بالسرطان. ارتبطت الضحية برجل جديد بعد ستة أشهر، وانتقلا معًا إلى هنا. يعمل الرجل في أحد المعارض التجارية بنيوزيلندا. اتصلنا به عند وصولنا، وسيكون حاضرًا هنا قريبًا.

من خلال باب الحمام المفتوح، استطاعت تولين أن ترى ثلاث فَراشٍ كهربائية للأسنان مرتَّبة في صف، وزوجي نعال جاهزين على الأرضية المكسوَّة بالبلاط، وعباءتي نوم متدليتين من العلَّاقة. غادرت الممر، ودخلت المطبخ المفتوح، حيث شُغِلَ فنيُّو الطب الشرعي بملابسهم البيضاء في البحث عن الأدلة وبصمات الأصابع. وكانت المفروشات عادية مثل الحي. تصميم اسكندنافي، غالبًا من شركة أيكيا وألفا، وثلاثة مفارش فارغة على الطاولة، وباقة خريفية صغيرة من الأغصان المزخرفة في إناء، ووسائد على الأريكة، وعلى منضدة إعداد الطعام في المطبخ وعاء عميق واحد يحتوي على بقايا الحليب ورقائق الذرة التي لا بدَّ أنها كانت وجبة إفطار الصبي. وفي غرفة المعيشة، يوجد إطار صورة رقميَّة تستعرض تدفقًا مستمرًّا لصور الأسرة الصغيرة مع كرسي فارغ بذراعين إلى جوار الإطار. الأم والابن والصديق الحميم المفترض. إنهم يبتسمون وتبدو عليهم السعادة. لورا كيار امرأة جميلة ونحيلة بشعر أحمر طويل، مع لمسة ضعف في عينيها الدافئتين والمفعمتين بالعطف. إنه منزل جميل، لكنْ يوجد بالتأكيد شيء لم تحبه تولين.

- هل توجد أيُّ علامات على الدخول عَنوة؟
- لا. تفحَّصنا النوافذ والأبواب. يبدو أنها كانت تشاهد التلفاز، وشربت كوبًا من الشاي قبل أن تذهب إلى الفراش.

تصفَّحت تولين لوح الملاحظات في المطبخ. كلُّ ما عليه كان برامج أسبوعية للمدرسة، وتقويمات، وجدول المسبح المحلي، ونشرة إعلانية لإحدى شركات البستنة، ودعوة إلى حفل الهالوين من جمعية السكان، ورسالة تذكير عن إجراء فحص في عيادة طب الأطفال في مستشفى ريجز. في العادة،

تتفوَّق تولين في هذا المجال: في ملاحظة الأشياء الصغيرة التي تثبت أهميَّتها فيما بعد. كانت معتادة ذلك فيما مضى. اعتادت العودة إلى المنزل، وإغلاق الباب الأمامي، وقراءة الإشارات التي تتنبأ أكان يومها جيدًا أو لا. على أي حال، لم تجدْ شيئًا تلاحظه في هذه القضية. إنهم مجرَّد أسرة عادية وحياتهم اليومية مثالية. هذا النوع من الأشياء التي لن تتمكن أبدًا من قبولها. وحاولت إقناع نفسها لحظةً أنه ربما هذا هو كل ما تكرهه في المنزل.

- ماذا بشأن أجهزة الكمبيوتر والأجهزة اللوحية والهواتف المحمولة؟

- بقدر ما يمكننا أن نرى، لم تقع أي سرقة. وقد عبَّأ فريق العمل التابع لجينز الأدوات وأرسلها.

أومأت تولين برأسها. يمكن حل معظم الاعتداءات وجرائم القتل بهذه الطريقة. كقاعدة عامة، توجد دومًا نصوص أو مكالمات أو رسائل بريد إلكتروني أو رسائل على فيسبوك تشير إلى سبب انتهاء الأشياء على هذا النحو، وهي متحمسة فعلًا لوضع يديها على المواد.

- ما هذه الرائحة هنا؟ هل هو قيء؟

أدركت تولين فجأة الرائحة الكريهة التي تلاحقها في أنحاء المنزل. بدا الضابط الأقدم خجلًا، ولاحظت تولين وجهه الشاحب.

- أعتذر. لقد جئتُ للتو من مكان الحادث. اعتقدتُ بأني معتادٌ ذلك، لكنني سأريكِ الطريق.

- سأتدبر الأمر. فقط أعلمني عندما يظهر صديق الضحيَّة.

فتحَت باب الشرفة المُفضي إلى الحديقة الخلفية، في حين أومأ الضابط بامتنان.

10

شهد الترامبولين أيامًا أفضل، كما هي الحال مع الدفيئة الصغيرة الغنية بالنباتات على يسار باب الشرفة. وإلى اليمين، يمتد العشب الرطب إلى الجدار الخلفي لمرأب معدني لامع؛ على الرغم من فائدته العملية، فإنه لا يتناسب مع المنزل الأبيض العصري. سارت تولين نحو أقصى نهاية الحديقة. وعلى الجانب الآخر من السياج، استطاعت مشاهدة الأضواء الكاشفة والضباط بالزي الرسمي، وخبراء الطب الشرعي بملابسهم البيضاء. راحت تتجوَّل بين الأشجار والشجيرات ذات الأوراق الحمراء القانية والصفراء حتى وصلت إلى الملعب. أومض مصباح مرارًا وتكرارًا تحت المطر بالقرب من غرفة لعب محطَّمة. ومن على بُعد، شاهدت جينز وهو يوجِّه فريقه، ويصوِّر بنشاط تفاصيل مسرح الجريمة.

- هل توصَّلتَ إلى شيء؟

رفع سايمون جينز ناظريه عن شاشة الكاميرا. كان وجهه جادًّا، لكنه رسم ابتسامة قصيرة فور مشاهدة تولين. قد يكون جينز في منتصف الثلاثينيات من عمره، ورجلًا نشطًا: تقول الشائعات إنه شارك في خمسة سباقات ماراثون هذا العام وحده. إنه أيضًا أصغر مدير في قسم الطب الشرعي على الإطلاق، وتعتبره تولين من القلائل الذين يستحقون الإصغاء إلى آرائهم. حادُّ الذكاء، ومهووس– إنها تثق برأيه. أبقتْه قريبًا منها فقط لأنه سألها أكانت تودُّ ممارسة الجري معه يومًا ما، ولم تفعل ذلك. وخلال الأشهر التسعة التي قضتها في فرقة جرائم القتل، كان جينز هو الشخص الوحيد الذي طوَّرت معه شكلًا من أشكال العلاقة، ولكنها لا تستطيع تخيُّل أي نوع من الرومانسية مع زميلٍ لها.

- مرحبًا تولين. لم أتوصَّل إلى شيء بعد. والمطر يزيد الطين بلَّة. لقد مرَّت عدَّة ساعات منذ وقوع الجريمة.

- هل قالوا أي شيء عن توقيت الوفاة؟

- ليس بعد. يكاد الطبيب الشرعي يفرغ من عمله. لكن المطر بدأ الهطول في منتصف الليل تقريبًا، وأتوقع أنه وقت وقوع الجريمة. لا بدَّ أن المطر قد جرف أي آثار واضحة في التربة، لو وُجِدَتْ. لكننا لن نستسلم. هل تودِّين رؤيتها؟

- نعم من فضلك.

غُطِّيَتِ الجثة الهامدة على العشب بقماش أبيض من قسم الطب الشرعي، وهي تتكئ على أحد الأعمدة الداعمة للسقف فوق الشرفة الأمامية لغرفة اللعب. يبدو المشهد هادئًا تقريبًا: في الخلفية، تنفجر ألوان النباتات المتسلِّقة بأزهارها الحمراء والصفراء في الشجيرات الكثيفة. سحب جينز الغطاء الأبيض بعناية ليكشف عن المرأة. سقطت مثل دمية قماشية، عارية إلا من ملابسها الداخلية وقميص كان لونه بنيًّا ناصعًا في السابق، ولكنه الآن غارق في المطر وبقع من الدم الداكن. اقتربت تولين وجلست القرفصاء لتلقي نظرة أفضل. رأس لورا كيار ملفوفٌ بشريط لاصقٍ أسود ممزَّق عند فمها المفتوح والمتصلِّب. توجد عدَّة جروح حول مؤخرة جمجمتها وشعرها الأحمر المبلل. قُلِعَتْ إحدى عينيها، وظهر عمق التجويف وراءها، في حين حدَّقت عينها الأخرى إلى الفراغ. يشوب جلدَها المزرقّ عددٌ لا يُحصى من الخدوش والقطرات والكدمات، وقدماها العاريتان غارقتان بالدماء. كانت يداها مدفونتين في كومة صغيرة من الأوراق في حِضنها، ومربوطتين بإحكام عند الرسغين بشرائط بلاستيكية عريضة. نظرة واحدة فقط كانت كافية لتدرك تولين سبب توعُّك الضابط الأقدم. لم تعتد مواجهة مشكلات في تفحُّص الموتى، فالعمل على جرائم القتل يتطلب نهجًا غير عاطفي تجاه الموت، وأي شخص لا يستطيع فحص الجثة يكون أفضل حالًا في مكان آخر. لكنَّ تولين لم تر قطُّ أي شخص تعرَّض لمعاملة وحشية مثل هذه المرأة المتكئة على عمود غرفة اللعب.

- ستسمعين هذا الكلام من الطبيب الشرعي طبعًا، لكنْ في رأيي، تشير بعض الإصابات إلى أنها حاولت الهرب بين الأشجار في وقت ما. إما

بعيدًا عن المنزل، وإما عائدة إليه. ولكنَّ الظلام حالك. ولا بدَّ أنها ضعفت بشدة بعد البتر الذي وقع بالتأكيد قبل أن تُوضع على هذا النحو.

- بتر؟

- أمسكي هذه.

بذهنٍ شارد، سلَّم جينز الكاميرا الثقيلة والفلاش. اقترب من الجثمان، وانحنى على ركبتيه، واستخدم مصباح الجيب ليرفع بحذرٍ معصمي المرأة المقيدين. كانت جثة متيبِّسة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ذراعيها. استطاعت تولين أن تدرك الآن أن لورا كيار فقدت يدها اليمنى. لم تكن مدفونة في الأوراق كما اعتقدت. توقَّفت الذراع بغرابة تحت الرسغ مباشرة، حيث تتكشَّف العظام والأوتار من خلال قطع مائل ومسنَّن.

- في الوقت الحالي، نفترض أن الجريمة وقعت هنا، لأننا لم نعثر على قطرة دم في المرأب أو المنزل. لقد طلبتُ من فريقي فحص المرأب بدقة، ولا سيَّما الأشرطة وأدوات البستنة وأربطة الكابلات، لكننا لم نتوصل حتى الآن إلى شيء واضح. وغنيٌّ عن القول أننا نتساءل عن أسباب عدم عثورنا على اليد حتى الآن، لكننا ما زلنا نبحث.

- ربما التقطها كلب، وهرب بها.

تناهى إلى سمعهما صوت هيس الذي ظهر من الحديقة من خلال السياج. نظر حوله لمدة وجيزة، وارتجفت كتفاه تحت المطر، في حين حدَّق جينز إليه في دهشة. لسببٍ ما، أزعجت هذه الملاحظة تولين رغم علمها أنه قد يكون على حق.

- جينز، أعرِّفك بهيس، لقد انضمَّ إلينا لبضعة أيام.

- صباح الخير. مرحبًا بك.

تحرَّك جينز لمصافحة هيس، ولكن الأخير اكتفى بهزِّ رأسه فقط نحو المنزل المجاور.

- هل سمعوا أي شيء؟ أعني الجيران.

صدَرت أصوات قعقعةٍ مُدوِّية، ومرَّ قطارٌ مسرعًا على طول سكَّته الرطبة على الجانب الآخر من باحة اللعب، ما اضطُرَّ جينز إلى الإجابة بصوت عالٍ أشبه بالصراخ.

- لا، على حدِّ علمنا لم يسمع أحد أي شيء! لا تعمل قطارات «إس» كثيرًا في الليل، لكنْ من ناحية أخرى، يسير على هذا الخط عدد غير قليل من قطارات الشحن!

اختفى صوت القطار، ونظر جينز إلى تولين مجددًا.

- أتمنى لو كانت لدي أدلَّة كافية لك، لكنني لا أملك شيئًا آخر يمكنني قوله. لم أرَ أحدًا يُضرَب بوحشية كهذه من قبل.
- ما هذا؟
- ما الأمر؟
- هناك.

كانت تولين لا تزال جالسة إلى جانب الجثة، ولكنها أشارت إلى شيء يجب أن يلتفت جينز حوله ليراه. خلف المرأة الميتة، من العارضة فوق شرفة غرفة اللعب، تدلَّى شيء ما في الريح. شيءٌ عالق في خيطه. مدَّ جينز يده أسفل العارضة وفكَّ الجسم ليتدلى بحرية، وتأرجح ذهابًا وإيابًا. إنهما حبتان من الكستناء البني الداكن فوق بعضهما. الأولى صغيرة والأخرى كبيرة. حُفِرَتْ فتحتان في القطعة الصغيرة لتشكيل عينين. ودُسَّتْ أعواد الثقاب في القطعة الأكبر لتمثِّل الذراعين والساقين. إنها دمية بسيطة تتكون من دائرتين وأربع عِصي. لكنْ –لمدة وجيزة– لسبب ما لم تستطع تولين تفسيره، كاد هذا الشيء يصيب قلبها بالتوقف.

- دمية رجل الكستناء. هل نأتي به للاستجواب؟

حدَّق هيس إليها ببراءة. من الواضح أن الفكاهة من النمط الكلاسيكي مفضلة في يوروبول أيضًا. لم تجبه تولين. لا تملك هي وجينز سوى الوقت لتبادل نظرة خاطفة قبل أن يقاطع جينز سؤالًا من أحد أفراد فريقه. مدَّ هيس يده إلى سترته ليخرج هاتفه الذي بدأ يرن مرة أخرى. وفي تلك اللحظة، صدرت صفارة من المنزل. إنه الضابط الأقدم الذي أشار إلى تولين من الحديقة. نهضت على قدميها ونظرت من خلال باحة اللعب المحاطة بأشجار

ذات أوراق برونزية، ولكنها لم ترَ أي شيء مهم آخر. فقط أراجيح مبللة، وإطارات التسلُّق ومنطقة رياضة الباركور. كانت الباحة مُقفِرة وحزينة على الرغم من جيش الضباط والفنيين الذين يعملون تحت المطر ويفتِّشون المنطقة. عادت تولين إلى المنزل. وعندما مرَّت بهيس، كان يتحدث بالفرنسية مجددًا. في حين مرَّ قطار آخر بصوت هادر.

11

في طريقهم إلى وسط المدينة في السيارة الوزارية، تلا فوجل المواعيد المدرجة لجدول اليوم. سيلتقي جميع وزراء الحكومة في كريستيانسبورج قبل أن يتوجهوا جميعًا نحو كنيسة القصر القريبة لأداء المراسم الدينية التقليدية. وبمجرد الانتهاء من ذلك، سترحب روزا بموظفيها في مكتبها بهولمز كانال مقابل ساحة كريستيانسبورج بالاس، ومن ثم تسرع بالعودة إلى كريستيانسبورج لافتتاح البرلمان رسميًّا.

***

بقيَّة المواعيد مُحدَّدة ومُحكمة، ولكن روزا تدخَّلت في بعض التصحيحات، وعدَّلت التقويم على جهاز «آي فون» خاصَّتها. إنها ليست في حاجة إلى ذلك، لأن سكرتيرها يتتبَّع كل شيء نيابة عنها، ولكنها تفضِّل ذلك على هذا النحو. يساعدها ذلك على فهم التفاصيل، والتحكم في الواقع، والشعور بأنها مسيطرة. ولا سيما اليوم. لكنْ بحلول الوقت الذي دخلت فيه السيارة إلى الفناء خارج البرلمان، لم تعد تستمع لفوجل. رفرفت الأعلام الدنماركية أعلى البرج المركزي، وتزاحمت شاحنات المحطات الإعلامية في جميع أنحاء الفناء. راقبت الناس وهم يجهِّزون أو يسجِّلون رسائل إخبارية من خلال كاميراتهم تحت المظلات التي يضيئها المصوِّرون.

- آسجر، سنواصل القيادة، ونتجه نحو المدخل الخلفي.

أومأ السائق الجديد برأسه عند سماع كلمات فوجل، لكن روزا لم تحبِّ الاقتراح.

- لا، سأخرج هنا.

استدار فوجل نحوها متفاجئًا، ونظر إليها السائق في مرآة الرؤية الخلفية. الآن فقط، لاحظت روزا أنه بالرغم من صغر سنه، توجد خطوط عميقة مرسومة حول فم فوجل.

- إن لم أفعل ذلك الآن، فسيطاردونني طوال اليوم. قُد السيارة مباشرة حتى المدخل، ودعني أخرج.
- روزا، هل أنت متأكدة؟
- أنا متأكدة.

انزلقت السيارة حتى الرصيف، وقفز السائق منها ليفتح لها الباب. وبينما كانت تخرج لتسير نحو الدرجات العريضة لمبنى البرلمان، بدا كل شيء كما لو أنه يتحرك ببطء: استدار المصورون، وبدأ الصحفيون التدافع نحوها وأفواههم مفتوحة تخرج منها كلمات غير مفهومة.

- روزا هارتونج، لحظة لو سمحت!

صُدِمَتْ بالواقع. احتشد الناس حولها، واتجهت عدسات الكاميرات إليها، وتكاثرت أسئلة الصحفيين. مشت روزا خطوتين قبل أن تتجه بنظرها نحو الحشود محاولة رؤية كل شيء. الأصوات والأضواء والميكروفونات، قبعة زرقاء مسحوبة نحو الأسفل فوق جبهةٍ مقطَّبة، ذراع تلوِّح، وعينان سوداوان تحاولان تتبُّع ما يجري من الصف الخلفي.

- هارتونج، هل لديكِ تصريح؟
- ما شعوركِ بعد العودة؟
- هل يمكنكِ منحنا دقيقتين فقط؟
- روزا هارتونج، هنا!

تعرف روزا حقيقة أنها كانت موضوع نقاش في العديد من الاجتماعات التحريرية خلال الأشهر القليلة الماضية –ولا سيَّما الأيام القليلة الماضية– ولكنَّ أحدًا ما لم يتوقَّع اتخاذ هذه الخطوة: هم غير مستعدِّين، ولهذا السبب أقدمت روزا على ذلك.

- ارجعوا إلى الوراء! لدى الوزيرة ما ستقوله.

شقَّ فوجل طريقه بمرفقه أمامها، متأكدًا من بقاء الحشد على مسافة. يفعل معظمهم كما يُقال لهم، في حين تفحَّصت روزا وجوههم. تعرف الكثير منهم فعلًا.

- كما تعلمون جميعًا، كان هذا وقتًا عصيبًا. أنا وأسرتي ممتنون لكل الدعم الذي قدمتموه لنا. نحن في مستهلٍّ عام برلماني جديد، وحان الوقت الآن للتطلُّع نحو المستقبل. أودُّ أن أشكر رئيسة الوزراء على إيمانها بي، وأتطلع قدمًا إلى المشاركة في المهام السياسية المقبلة. أتمنى أن تحترموا ذلك. شكرًا لكم.

واصلت روزا هارتونج صعود الدرج بعد فوجل الذي حاول إخلاء الطريق.

- لكنْ هارتونج، هل أنتِ مستعدَّة للعودة؟

- كيف تشعرين؟

- ما شعوركِ وأنتِ تعلمين أن القاتل لم يكشف قطُّ عن الأماكن التي توجد فيها ابنتك.

نجح فوجل في إيصالها إلى الأبواب الكبيرة، وعندما وصلوا إلى سكرتيرتها –التي كانت منتظرة عند العتبة مادَّة يدها– كان الأمر أشبه بعملية إنقاذ على الشاطئ من زبد البحر.

12

- كما تلاحظين، أجرينا بعض التعديلات على التصميم بسبب الأرائك الجديدة. لكنْ، إذا كنتِ تفضلين استعادة التصميم السابق...

- لا، هذا جيد. يروق لي أن التصميم جديد.

دخلت روزا مكتبها في الطابق الرابع من وزارة الشؤون الاجتماعية. وعند وصولها إلى كريستيانسبورج وأداء المراسم الدينية، اصطدمت بالعديد من زملائها، وكان من الجيِّد الابتعاد عن كل الاهتمام. عانقها البعض، وأومأ آخرون لها بلطف، وحاولت مواصلة التحرك- باستثناء وقت المراسم الدينية عندما بذلت قصارى جهدها للتركيز على خطبة رجل الدين. وبعد ذلك، بقي فوجل للحديث إلى نواب مختلفين. استقبلتها سكرتيرتها الوزارية وعدد قليل من مساعديها، واجتازوا معًا ساحة القصر ودخلوا المبنى الرمادي-البني الكبير الذي يضم وزارة الشؤون الاجتماعية. كان غياب فوجل مناسبًا لها، إذ يمكنها الآن التركيز على تحية موظفيها والدردشة مع سكرتيرتها الوزارية.

- لا أعرف سبيلًا أفضل لصياغة الكلام، لذلك سأطرح سؤالي مباشرة. كيف حالكِ؟

تعرف روزا سكرتيرتها جيدًا بما يكفي لتفهم أن سؤالها نابع من اهتمام حقيقي. ليو من أصل صيني، مُتزوِّجة بدنماركي، وهي أم لطفلين وواحدة من ألطف الناس الذين تعرفهم روزا، لكنها لا تزال تشعر بأنها مضطرة إلى تفادي مثل هذا السؤال الشخصي.

- لا بأس من السؤال. أنا بخير في ظل الظروف الحالية، وأتطلَّع قدمًا للبدء. ماذا عنكِ؟

- آه، نعم. كل شيء على ما يرام. الصغير يعاني المغص، والكبير... ولكنَّ الأمور بخير.

- ذاك الجدار يبدو خاليًا قليلًا، أليس كذلك؟

بينما أشارت روزا إلى الجدار، شعرت أن ليو تحاول جهدها عدم التفوه بكلام غبيٍّ.

- حسنًا، هذا هو المكان الذي كانت فيه الصور. لكن أعتقد أنكِ يجب أن تتخذي قراركِ بنفسكِ. بعض الصور كانت تجمعكم جميعًا، ولم أكن متأكدة إذا كنتِ تودين تعليقها مجددًا.

نظرت روزا إلى الصندوق إلى جانب الجدار، وتعرَّفت زاوية صورة لها مع كريستين.

- سأرى بشأن ذلك لاحقًا. أخبريني، كم لديَّ من الوقت للاجتماعات اليوم.

- ليس كثيرًا. ستحيِّين الموظفين بعد قليل، ثم الافتتاح الرسمي بخطاب رئيسة الوزراء، وبعد ذلك...

- هذا جيد، لكنني أودُّ أن تبدأ الاجتماعات اليوم. لا شيء مهم، فقط بين الجلسات، بعيدًا عن الرسمية. حاولت توجيه رسائل بريد إلكتروني لبعض الأشخاص وأنا في طريقي، لكنَّ النظام كان معطلًا.

- ما زال الأمر كذلك، يا للأسف.

- حسنًا، اطلبي إنجلز للحضور حتى أتمكن من البدء في شرح من أريد التحدث إليه.

- يا للأسف، إنجلز في مهمة خارجية في الوقت الحالي.

- الآن؟

نظرت روزا إليها، وأحسَّت بشيء من الصدمة المفاجئة، وأنه لا بدَّ من وجود سبب آخر لحالة عدم اليقين والتوتر لدى سكرتيرتها. في العادة، يكون رئيس الموظفين جاهزًا في انتظارها في مثل هذا اليوم، ما بعث حالة من الشؤم المفاجئ.

- نعم. كان مُضطرًّا إلى الذهاب لأن... لكنه يستطيع إخبارك بنفسه عندما يعود.

- يعود من ماذا؟ ما الذي يجري؟

- لا أعرف بالضبط. وأنا متأكدة من أنه سيحلُّ جميع المشكلات، لكنْ، كما قلتُ...

- ليو، ما الذي يجري؟

تردَّدت سكرتيرة الوزيرة، وبدت حزينة جدًّا.

- أنا آسفة حقًّا. لقد تلقينا الكثير من الرسائل الإلكترونية الرائعة من أشخاص يدعمونكِ ويتمنون لكِ التوفيق، ولا أفهم كيف يمكن لأي شخص إرسال شيء مثل هذا.

- إرسال ماذا؟

- لم أرَ ذلك بنفسي. لكنني أعتقد أنه يمثل تهديدًا. مما أخبرني به إنجلز، كان شيئًا عن ابنتك.

13

- لكنني تحدثتُ معها الليلة الماضية. تناولتُ طعامي، ثم اتصلتُ بالمنزل، ولم يكن أيُّ شيء خارجًا عن المألوف.

شريك لورا كيار –هانز هنريك هاوج الذي يبلغ الثالثة والأربعين من عمره– كان جالسًا على كرسي في المطبخ، وما زال مرتديًا معطفه الرطب ويمسك مفاتيح سيارته في يده. كانت عيناه حمراوين ومنتفختين، وهو يحدق من خلال النافذة في حيرة من أمر الأشخاص ذوي الملابس البيضاء في الحديقة وعند السياج، قبل أن ينظر إلى تولين.

- كيف وقعت الجريمة؟

- لم نتوصَّل إلى إجابة واضحة بعد. ما الذي تحدثتَ عنه في الهاتف؟

صدر صوت قعقعة، والتفتت تولين نحو الرجل من يوروبول الذي يتجول في أرجاء المنزل يفتح الأدراج والخزائن. اكتشفت قدرته على إغضابها حتى دون أن يتكلم.

- لا شيء مميز. ما الذي قاله ماجنوس؟ أودُّ رؤيته.

- بعد قليل. هل قالت أي شيء دفعكَ إلى التساؤل، أو أنها كانت قلقة، أو...

- لا. تحدثنا فقط عن ماجنوس، ثم قالت إنها ستنام لأنها كانت متعبة.

ارتعش صوت هانز هنريك هاوج. إنه رجل طويل القامة، قوي البنية ويرتدي ملابس أنيقة، لكنه يبدو أيضًا كرجل رقيق. اعتقدت تولين أنه ربما من الصعب استكمال المقابلة إذا لم تحدِّد وتيرتها.

- أخبرني، كم مضى على معرفتك بها.

- ثمانية عشر شهرًا.

- هل كنتما متزوِّجين؟

ركَّزت تولين ناظريها على يدي هاوج الذي بدأ يعبث بخاتم.

- كنا مخطوبين. لقد أعطيتها الخاتم، وقد خططنا للسفر إلى تايلاند والزواج في الشتاء.

- لماذا تايلاند؟

- كلانا كان متزوجًا من قبل. لذلك قرَّرنا أن يكون زواجنا مختلفًا.

- في أي يدٍ كانت ترتدي خاتمها؟

- ماذا؟

- الخاتم. في أي يدٍ ارتدَته؟

- اليد اليمنى، على ما أعتقد. لماذا؟

- أنا فقط أطرح الأسئلة، ومن المهم أن تجيب عنها. أخبرني أين كنت بالأمس.

- روسكيلد. أعمل في تطوير تكنولوجيا المعلومات. ذهبتُ بسيارتي إلى هناك صباح أمس، وكان من المفترض أن أكون في المعرض حتى ظهر هذا اليوم فقط.

- إذن، كنت مع شخص ما الليلة الماضية؟

- نعم. كنت مع مديري في العمل. حسنًا، قدتُ سيارتي إلى الفندق نحو التاسعة أو العاشرة. واتصلت بها من هناك.

- لماذا لم تعد إلى المنزل؟

- لأن الشركة طلبت منّا قضاء الليل هناك لحضور اجتماعات في الصباح الباكر.

- كيف جرت الأمور بينكما أنت ولورا؟ هل واجهتكما أي مشكلات، أو...

- لا. كانت الأمور رائعة. ماذا يفعلون في المرأب؟

انحرفت أنظار هاوج المُغرورقة بالدموع مجددًا من خلال النافذة، وهذه المرّة تجاه الجزء الخلفي من المرأب، حيث وقف اثنان من فنّيي الطب الشرعي إلى جانب الباب.

- إنهم يبحثون عن أدلة، إن وُجِدَتْ. هل يمكنك التفكير في أي شخص كان يودُّ إيذاء لورا؟

نظر إليها هاوج، ولكنه بدا كما لو أنه في مكان آخر تمامًا.

- ربما كان هناك شيء لم تعرفه عنها؟ هل كانت تواعد رجلًا آخر؟

- لا، لا، مستحيل. أود الآن رؤية ماجنوس. إنه في حاجة إلى تناول دوائه.

- ما خطبُه؟

- لا نعرف. أعني، لقد تلقى العلاج في مستشفى ريجز، ويعتقدون أنه مصاب بنوع من التوحُّد. أعطوه شيئًا للقلق. ماجنوس فتى طيِّب، لكنَّه منعزل جدًّا، وهو في التاسعة من عمره فقط.

ارتعش صوت هانز هنريك هاوج مجددًا. كانت تولين على وشك طرح سؤال آخر، ولكنَّ هيس سبقها بالحديث.

- كانت الأمور على ما يرام بينكما كما قلت؟ ولا توجد أي مشكلات؟

- هذا ما قلتُه فعلًا. أين ماجنوس؟ أريد رؤيته الآن.

- لماذا غيَّرت القفل؟

جاء السؤال من فراغ، وحدقت تولين إلى هيس. طرح السؤال ببراءة، وبسهولة تقريبًا، وهو يحمل شيئًا من درج المطبخ. قطعةٍ من الورق فيها مفتاحان لامعان ملتصقان بها.

نظر هاوج باستغراب إليه وإلى قطعة الورق.

- هذا إيصال من صانع الأقفال. تقول إنه غُيِّرَ القفل في 5 أكتوبر في الساعة 3:30 بعد الظهر. أي بعد ظهر أمس. أي، بعد ذهابك إلى المعرض التجاري.

- لا أعلم. أضاع ماجنوس مفاتيحه عدة مرات، لذلك تحدثنا عن هذا الأمر. لكنني لم أكن أعرف أن لورا فعلت ذلك.

وقفت تولين لتنظر إلى الإيصال، وأخذته من يد هيس. كانت ستعثر عليه لاحقًا عندما فتشت المنزل، لكنها قرَّرت اغتنام اللحظة على الرغم من غضبها.

- لم تكن تعلم أن لورا غيَّرت القفل؟

- لا.

- لم تقلْ لكَ ذلك عندما تحدثتما على الهاتف؟
- لا... أعني، لا، لا أعتقد ذلك.
- هل يمكن أن يوجد سبب آخر لعدم إخبارك؟
- ربما كانت ستخبرني لاحقًا. ما المهمُّ في ذلك؟

نظرت إليه تولين دون أن تجيب. حدق هانز هنريك هاوج بعينين واسعتين دون أن يفهم. ثم قفز على قدميه وقلب الكرسي على الأرض.

- لا يمكنكما إبقائي هنا. لديَّ الحق في رؤية ماجنوس. أريد رؤيته الآن!

ترددت تولين، ثم أومأت برأسها إلى شرطيٍّ ينتظر في الخلف إلى جانب الباب.

- يجب أن نأخذ بصمات أصابعك بعد ذلك. هذا مهم لنتمكن من التمييز بين البصمات التي من المفترض أن تكون هنا، والأخرى الغريبة. هل تفهم ذلك؟

هزَّ هاوج المشتَّت رأسه، وذهب مع الشرطي. خلع هيس قفازاته المطاطية، وفتح سحَّاب سترته وأخذ الحقيبة الصغيرة التي كان يضعها على قطعة بلاستيكية في الردهة.

- أراك في مكتب الطبيب الشرعي. ربما من الأفضل التحقق من حجة غياب ذلك الرجل.
- شكرًا، سأحاول تذكُّر ذلك.

أومأ هيس برأسه دون انزعاج، وغادر المطبخ في حين دخل ضابط آخر.

- أستتحدثين إلى الصبي الآن؟ إنه عند الجيران، يمكنكِ رؤيته من النافذة.

سارت تولين إلى النافذة المُطلَّة على منزل الجيران، ونظرت من خلال السياج غير المكتمل نحو حديقة شتوية. كان الصبي جالسًا على كرسي إلى جوار طاولة بيضاء، ويلهو بشيء يشبه جهاز الألعاب. يمكنها فقط رؤية شكله العام، ولكنَّ ذلك كان كافيًا لها لتدرك وجود شيء ميكانيكي وفارغ في وجهه وحركاته.

- لا يتكلم كثيرًا. يبدو متأخرًا بعض الشيء، حقًّا. كلامه كلمات قصيرة.

راقبت تولين الصبي وهي تصغي إلى الضابط. ولوهلة، تذكرت نفسها، وفكرت في الوحدة المملة التي تدرك أن الصبي سيشعر بها اليوم ولسنوات

عدَّة قادمة. ولكنه بعد ذلك اختفى وراء امرأة كبيرة في السن، يُفترَض أنها الجارة التي دخلت المعهد الموسيقي، وتبعها هانز هنريك هاوج. بدأ هاوج البكاء أمام الصبي؛ جلس القرفصاء، ووضع ذراعه حوله في حين واصل الصبي جلوسه باستقامة، ويداه على جهاز اللعب.

- هل أُحضِره؟

نظر الضابط مترقِّبًا كلام تولين.

- كنت أسأل...

- لا، امنحهما بعض الوقت. لكن راقب الخطيب، وابحث عن شخص ما للتحقق من حجة غيابه.

استدارت تولين بعيدًا عن النافذة. إنها ترجو أن تكون القضية واضحة كما تبدو. للحظة، ومضت صورة دمية رجل الكستناء الصغيرة من غرفة اللعب في ذهنها. لا يمكن أن يأتي مركز «إن سي ثري» بالسرعة الكافية.

14

تُوفِّر النوافذ البانورامية في الشركة المعمارية إطلالة واسعة على المدينة. رُتِّبَت المكاتب في أقسام صغيرة موزَّعة في جميع أرجاء الغرفة الكبيرة ذات السقف الزجاجيّ. لكن، يبدو كأن المكان مقلوب، إذ التفَّ معظم الموظفين حول شاشة التلفزيون المسطحة المتدلِّية من السقف في أحد أركان الغرفة. ومع الرسوم بين ذراعيه، صعد ستين هارتونج الدَّرج في حين استعرضت الشاشة الأخبار المواكبة لوصول زوجته إلى كريستيانسبورج. لاحظ معظم موظفيه وجوده، وتظاهروا على عجل أنهم يعملون بجدٍّ في أثناء عمله في مكتبه. فقط شريكه، بيارك، نظر إليه وابتسم ابتسامة خجولة.

- مرحبًا، هل لديك ثانية؟

ذهبا إلى مكتب ستين، وأغلق بيارك الباب.

- إنها تتصرَّف مع الأمر ببراعة، على ما أعتقد.

- شكرًا. هل تحدثتَ إلى العميل؟

- نعم، إنهم مسرورون.

- إذن، لماذا لم نبرم الصفقة؟

- لأنهم يتصرَّفون بحذر شديد. يودُّون الحصول على مزيد من الرسوم، لكنني أخبرتهم أنك في حاجة إلى مزيد من الوقت.

- مزيد من الرسوم؟

- كيف تسير الأمور في المنزل؟

- يمكنني إنجازها بسرعة، هذه ليست مشكلة.

أفرغ ستين بعض المساحة على طاولة الرسم خاصته ليضع بعض الكتيِّبات، وتفاقم إحباطه مع استمرار شريكه في الوقوف والتحديق.

- ستين، أنت تقسو على نفسك. سنتفهَّم جميعًا إن حاولتَ الاسترخاء، ومنحتَ نفسك بعض الوقت. دع الآخرين يتحمَّلون الضغط. أعني، هذه هي الغاية الأساسية من عملهم.

- فقط أخبر العميل أنني سأُعدُّ الاقتراح في غضون أيام قليلة. نحن في حاجة إلى التوصل إلى اتفاق.

- لكن ذلك ليس هو الأهم. أنا قلق عليك يا ستين. ما زلتُ أعتقد أن...

- معك ستين هارتونج.

رفع ستين سمَّاعة هاتفه بعد أوَّل رنَّة. قدَّم الصوت على الطرف الآخر نفسه كونه سكرتيرة محاميه، وأدار ستين ظهره لشريكه على أمل أن يفهم التلميح.

- الوقت مناسب الآن، ما الأمر؟

في الانعكاس على اللوح الزجاجي الكبير، رأى ستين شريكه يخرج من المكتب، في حين استأنف الصوت حديثه على الهاتف.

- أنا فقط أتتبَّع المعلومات التي حصلت عليها، وبالتأكيد لست مُضطرًّا إلى الإجابة الآن. ربما توجد العديد من الأسباب الوجيهة للانتظار، ولكنَّ الذكرى السنوية للحادث باتت قريبة، ونودُّ تذكيرك بحقِّك في بدء الإجراءات اللازمة لإعلان وفاتها.

لسبب أو لآخر، لم يكن هذا ما توقَّع ستين هارتونج سماعه. انتابته حالة من الغثيان، وأصبح عاجزًا للحظة عن الحركة، وبدأ يحدِّق إلى النافذة التي تغمرها الأمطار.

- كما تعلم، توجد خطوات يمكننا اتخاذها في الحالات التي لم يُعثَر فيها على الشخص المفقود، ولكن لا شكَّ في النتيجة. طبعًا، يرجع لك الأمر أكنتَ تودُّ تأكيد ذلك. نحن فقط نخبرك لتتمكن من مناقشته مع...

- نريد ذلك.

صمت الصوت على خط الهاتف لحظة.

- كما قلتُ، هذا ليس شيئًا ينبغي لك...

- إذا كنتَ مهتمًّا بإرسال الأوراق إليَّ، فسأوقع عليها وأخبر زوجتي عنها بنفسي. شكرًا.

وضع الهاتف جانبًا. تبختر طائرًا حمام مبلَّلين على إفريز النافذة. نظر إليهما دون أن يراهما حقًّا، وعندما نهض، خفقت الحمامتان بجناحيهما وحلَّقتا بعيدًا.

أخرج ستين زجاجة من حقيبته وصبَّها في فنجان قهوته قبل الانهماك في العمل على الكتيِّبات. ارتجفت يداه، وكان عليه استخدامهما عندما أخرج مقياسه. هو يعلم أنه القرار الصحيح، ويتمنى أن يتمكن من تنفيذه وإزالة الالتباس على الفور. إنه شيء صغير، لكنه مهمٌّ. يقول المثل «الحيُّ أبقى من الميِّت»، وهو ما يعتقده أيضًا علماء النفس والمعالجون، وكل خلية في جسده تقول له إنهم على حق.

15

بنبرة لطيفة، قال إنجلز: «وصل إليكِ في وقت مبكر من هذا الصباح. أُرسِلَ إلى عنوان بريدكِ الإلكتروني البرلماني الرسمي. يحاول رجال الاستخبارات تتبُّع المُرسِل، وأنا متأكد من أنهم سيعرفونه، ولكنَّ الأمر قد يستغرق بعض الوقت. أنا آسف حقًّا».

عندما عادت روزا إلى مكتبها بعد تحية موظفيها، وجدت إنجلز في انتظارها. هي الآن واقفة إلى جانب النافذة خلف مكتبها، وتدرك أن رئيس الموظفين يراقبها بنظرة متعاطفة تكاد لا تحتملها.

- تلقَّيتُ رسالة بريد إلكترونيٍّ تحمل معاني الكراهية من قبل. تكون في العادة من أشخاص حزانى يعجزون عن مساعدة أنفسهم.

- هذه الرسالة مختلفة. أكثر حقدًا. استخدموا صورًا من صفحة ابنتك على موقع فيسبوك حُذِفَتْ منذ أكثر من عام، عندما... اختفت. هذا يعني أنها من شخص مهتمٍّ بك منذ مدة طويلة.

هزَّت المعلومات روزا، لكنها نجحت في قمع الصدمة.

- أودُّ رؤيتها.

- سلَّمتها إلى قسم الاستخبارات والأمن، وهم حاليًّا...

- إنجلز، أنت لا تفعل شيئًا أبدًا دون الاحتفاظ بنحو سبع نسخ. أودُّ رؤيته.

نظر إنجلز إليها بريبة، ومن ثَمَّ فتح الملف الذي أحضره معه عندما وصل وسحب ورقة، ووضعها على الطاولة. التقطت الورقة. لم تستطع روزا في البداية أن تفهم شيئًا من الأجزاء الصغيرة الملونة المتناثرة بشكل أخرق من خلال الصفحة. لكنها فهمت بعد ذلك. تعرَّفت الصُور الشخصية التي التقطتها كريستين: كانت مستلقية وهي تضحك على أرضية صالة الألعاب الرياضية، وبدت متعرِّقة في ملابس كرة اليد؛ في طريقها إلى الشاطئ على دراجتها الجبلية

الجديدة؛ في أثناء معركة كرة الثلج مع جوستاف في حديقتهم؛ وصورة أخرى ارتدت فيها ملابسها أمام مرآة الحمام، متظاهرة بأنها عارضة أزياء. الكثير من الصور، مبتسمة وسعيدة. شعرت روزا بفيض عارم من الفقد والحزن، إلى أن وقعت عيناها على الجملة المُوجَّهة إليها. «أهلًا بعودتك. ستموتين أيتها العاهرة». كانت الكلمات مرتَّبة فوق الصور على شكل قوس من الحروف الحمراء، وتبدو الرسالة أكثر حقدًا لأنها مكتوبة بخط يد صبياني غير مؤكد.

عندما تحدثت روزا مجددًا، وجدت صعوبة في أن تبدو طبيعية.

- إنه ليس المعتوه نفسه الذي رأيناه أول مرَّة. لا يشكِّل الأمر في العادة مشكلة كبيرة.

- لا، لكن هذه...

- لن أسمح للخوف بالتسلل إلى نفسي. سأؤدي عملي، ويمكن للمخابرات أن تؤدي واجبها.

- نعتقد جميعًا أن الأفضل لكِ تقديم طلب للحصول على حرَّاس شخصيين. بإمكانهم حمايتك في حال...

- لا، لا حرَّاس شخصيين.

- ولمَ لا؟

- لأنني لا أعتقد بضرورة ذلك. الرسالة نهاية في حد ذاتها. لقد كتبها شخص حزين يودُّ البقاء مختبئًا خلف ستار، وعلى أي حال، يمكننا فعلًا الاستغناء عن ذلك في المنزل الآن.

نظر إنجلز إليها بشيء من الذهول، كما يفعل دائمًا في المناسبات النادرة عندما تذكر حياتها الخاصة.

- نحن في حاجة إلى أن تسير الأمور بطبيعية، إذا أردنا المضيَّ قدمًا.

كان رئيس الموظفين على وشك قول شيء ما، وأحسَّت روزا أنه غير موافق.

- أنا أقدِّر قلقك يا إنجلز. لكنْ إذا لم يكن هناك شيء آخر، أودُّ التوجه إلى القاعة للخطاب الافتتاحي لرئيسة الوزراء.

- طبعًا. سأنقل تعليماتكِ.

مشت روزا نحو الباب حيث تنتظر ليو. راقبها إنجلز وهي تغادر، وشعرت روزا أنه سيبقى هناك مدةً طويلة بعد رحيلها.

16

يقع المبنى المستطيل الطويل مع الكنيسة المجاورة له على الشريان المروريِّ المختنق بالازدحام بين منطقتي نوريبرو وأوستيربرو. وفي مكان ليس ببعيدٍ عن المدخل، تضجُّ المدينة بالحياة، وتعجُّ بازدحام السيارات والمشاة، ولا يمكن سماع سوى أصوات سعيدة على مرمى حجر من الملاعب ومتنزهات التزلج– لكنْ، مع المبنى المستطيل وغرفه الأربع المعقَّمة لتشريح الجثث، ومخازن التبريد في الطابق السفلي، يستحيل ألا تتذكر الموت وزمن زوال كل شيء. يوجد شعور بعدم الواقعية حول المكان. ذهبت تولين إلى قسم الطب الشرعي مرات عدَّة، لكنها لم تعتدْ ذلك قطُّ، وهي تتطلع دائمًا إلى الخروج مجددًا من الأبواب المتأرجحة في نهاية الممر الطويل جدًّا الذي تسير فيه الآن. شاهدت الطبيب الشرعي للتوِّ وهو يفحص جثة لورا كيار، وحاولت محادثة جينز. بدأ بريده الصوتي في تكرار دعوته التلقائية لترك رسالة، لكنَّ تولين اختصرتها وحاولت مجددًا بفارغ الصبر. وعدها جينز بالنصوص الأولية لمراسلات البريد الإلكتروني للورا كيار، إضافة إلى رسائلها النصية وسجل المكالمات بحلول الساعة الثالثة بعد الظهر، لكنها الآن الثالثة والنصف ولم يصل إليها أي شيء. يمتاز بدقة مواعيده في العادة، ولا تذكر تولين أنَّه أخلف موعدًا له من قبل، ثم إنه لم يعتدْ عدم الردِّ على هاتفه عندما تريد التحدث إليه.

لم يكشف فحص الجثة عن أدلة جديدة حاسمة. ضيفهم من يوروبول، أو أيًّا يكن المكان الذي يدعوه منزله، لم يظهر طبعًا حسب الاتفاق، ولم تُكلِّف تولين نفسها عناء الانتظار أكثر من نصف ثانية. ببساطة، طلبت من الطبيب الشرعي أن يبدأ عمله. تمدَّد جثمان لورا كيار –أو ما بقي منه– على لوح التشريح، في حين تصفح الطبيب الشرعي ملاحظاته على شاشة وتحدث عن

يومه المزدحم بشكل غير عادي. أخبرها عن وقوع عدة حوادث مرورية، ربما بسبب هطول الأمطار الغزيرة. على أي حال، استأنف عمله بمنهجية. كشفت محتويات معدتها عن وجبة مسائية من حساء الاسكواش وسلطة الدجاج والبروكلي، وربما كوب من الشاي– مع أنها تناولته قبل ذلك بقليل. طلبت منه تولين بفارغ الصبر الانتقال سريعًا إلى الجزء المفيد. وكان رد فعل الطبيب الشرعي دومًا بصراحة على هذا النوع من الطلب: «تولين، هذا يشبه مطالبة الفنان بير كيركيبي بشرح لوحاته!»، لكنها أصرَّت. لم يجلب لها اليوم بعد أي إجابات كانت تأمل الحصول عليها. وبينما قرأ الطبيب الشرعي بصوت عالٍ من ملاحظاته، سمعت المطر يضرب السقف كما لو كان يطبِّل على التابوت.

- توجد عدة جروح وتمزقات، وضُربت خمسين مرة أو ستين بهراوة فولاذية أو من الألمنيوم. من الصعب تحديد نوع الهراوة، لكنْ نظرًا إلى العلامات، يمكنني القول إنها مزودة بكرة بحجم قبضة اليد، وهي مليئة بمسامير صغيرة يتراوح طولها بين 2 أو 3 ملليمترات.
- مثل الصولجان؟
- من حيث المبدأ، نعم، لكنها ليست صولجانًا. لقد كنتُ أتساءل أكانت أداة تستخدم في البستنة، لكنني لم أرها في أي مكان. منعها الكبل الملفوف حول معصمها من الدفاع عن نفسها. ثم إنها سقطت على الأرض عدَّة مرات، ما تسبب في وقوع إصابات إضافية.

عرفت تولين معظم هذه الحقائق فعلًا بعد حديثها مع جينز في الصباح: كانت أكثر اهتمامًا بوجود أي دليل يشير إلى تورُّط خطيبها هانز هنريك هاوج.

جاءها الجواب بنوع من الغضب: «نعم ولا. كشف الفحص الذي أجريتُه حتى الآن عن حمضه النووي على ملابسها الداخلية والقميص والجسم، ولكنَّ ذلك أمرٌ متوقَّع لأنهما يتشاركان السرير نفسه».

- هل تعرَّضت للاغتصاب؟

استبعد الطبيب الشرعي هذا الاحتمال– أن تكون الجريمة وقعت لدوافع جنسية، وأضاف: «إلا إذا اعتبر المرء وجود دافع جنسيٍّ في العقاب السادي».

طلبت منه تولين التوسُّع بشأن هذه الملاحظة، وأشار الطبيب الشرعي إلى أن لورا كيار تعرضت للتعذيب.

- لا بدَّ أنه رآها وهي تتألم، في حين راح يلاحقها. إذا كان يريد قتلها فقط، لكان بإمكانه فعل ذلك بسرعة كبيرة. كانت ستفقد وعيها عدة مرات في أثناء الهجوم، وأعتقد أنها تعرضت للاعتداء طيلة عشرين دقيقة تقريبًا قبل الضربة على العين التي كانت السبب المباشر للوفاة.

ثم إن الجرح الذي خلفته اليد اليمنى المفقودة التي لم يُعثَر عليها بعد، لم يقدم أي دليل جديد. لم يتمكن الطبيب الشرعي من تحديد نوع الأداة التي استُخدِمَتْ في البتر، لكنه أوضح أن عمليات بتر مماثلة كانت منتشرة بين عصابات راكبي الدراجات النارية- مع أن القاعدة العامة كانت تفترض الاقتصار على أصابع فردية، جُمِعَتْ بدلًا من الأموال المستحقة، وكانت أدواتهم المفضلة عادة هي مقصات اللحوم وسيوف الساموراي أو ما شابه ذلك. لم يستطع تأكيد أكانت هذه هي الحال هنا.

سألت تولين وهي تفكِّر في الأدوات الموجودة في المرأب في هوسوم: «مقصُّ سياج؟ مقصُّ تقليم؟»

- لا، كان بالتأكيد نوعًا من المناشير. ربما يكون منشارًا دائريًّا أو منشارًا غاطسًا. ويرجِّح أنه يعمل بالبطارية لأن القاتل كان ينشر بيده في منتصف باحة اللعب. وبهذا الشأن، أرجِّح أن يكون النصل ماسيًّا أو ما شابه ذلك.

- شفرة ماسية؟

- توجد عدة أنواع مختلفة من شفرة المنشار وفقًا للغرض من الاستخدام. والشفرة الماسية هي الأقوى. وتُستخدَم عادة لقطع البلاط أو الخرسانة أو الطوب، ويمكن شراؤها من معظم متاجر الأعمال اليدوية. أُجريَ هذا الجرح بسرعة. ومن ناحية أخرى، كان من الواضح أن النصل له أسنان خشنة، لأن التمزق كان مُسنَّنًا وأكثر عشوائية مما نراه مع شفرة ذات أسنان دقيقة. وفي الحالتين، كان من الممكن أن يؤدي البتر إلى إضعافها إلى حد كبير.

إذن، كانت لورا كيار حية خلال عملية البتر: كانت الفكرة مرعبةً لدرجة أن تولين بالكاد سمعت الجمل القليلة التالية، وكان عليها أن تطلب من الطَّبيب الشرعيِّ تكرارها. وبالحكم على إصاباتها الأخرى، حاولت لورا كيار الفرار مجددًا، وهي تشعر بالدُّوار والعجز بشكل متزايد بسبب فقدان الدم، حتى أصبحت على ما يبدو ضعيفة لدرجة أن القاتل استطاع نقلها حتى موقع الإعدام خارج غرفة اللعب دون ممانعة. وللحظة، تخيَّلت تولين المرأة وهي تجري في الظلام الدامس، ومطارِدُها في عقبها، وتخيَّلت مشهدًا كانت قد رأته في أحد أيام الصيف وهي لا تزال طفلة: دجاجة مقطوعة الرأس تندفع مذعورة حول مزرعة أحد الأصدقاء. حاولت تولين مسح الصُّورة من رأسها، فسألت عن أظفار الضحية وفمها وجلدها. لكنْ بالإضافة إلى الإصابات التي ذكرها الطبيب الشرعي، لم يكن هناك أيُّ دليل على اتصال جسدي مع القاتل. ورجَّح أن يكون المطر هو السَّبب في ذلك.

بعثت تولين رسالة بريد صوتيٍّ ثالثة إلى جينز عندما وصلت إلى الباب المتأرجح. كانت الرِّسالة مقتضبة في هذه المرَّة، وتوضِّح ضرورة أن يتصل بها جينز في أسرع وقت ممكن. كان المطر ما زال يهطل بغزارة في الخارج، وعندما ارتدت تولين معطفها، ارتأت أنه من الأفضل لها العودة إلى المحطَّة خلال انتظارها. أصبح من المؤكَّد الآن أن هانز هنريك هاوج غادر بسيَّارته المعرض التجاري في الليلة السابقة نحو السَّاعة 9:30 مساءً، بعد أن شرب كأسًا من الشراب مع أحد رؤسائه وزميليه من جوتلاند في أثناء مناقشة جدار حماية جديد. على أيِّ حال، كانت حجَّة غياب هاوج غير مُقنعة. لقد وصل فعلًا إلى الفندق، لكنْ لا يستطيع أحد الجزم أكانت سيارته السوداء من نوع «مازدا 6» بقيت متوقفة هناك طوال الليل. كان في إمكانه، من الناحية النظرية على الأقل، أن يقود سيارته إلى المنزل في هوسوم والعودة. ولكنهم –حتى الآن– لا يملكون الأدلَّة الكافية لتسويغ التحقيق مع هاوج وسيارته بشكل أكثر شمولًا– ومن ثمَّ، ما حاجتها إلى جينز ونتائج اختبارات الطب الشرعي التي أجراها.

- آسف. استغرق الأمر مني بعض الوقت.

وصل هيس إلى المشرحة وخرج من الباب المتأرجح. كانت ملابسه تقطر ماءً على الأرض، في حين هزَّ سترته المبلَّلة.

- لم أستطع اللحاق بمدير العقار. هل تسير الأمور على ما يرام؟

- نعم، كل شيء على ما يرام.

دخلت تولين من خلال الباب المتأرجح دون أن تنظر خلفها. وبعد خروجها في المطر، ركضت نحو سيارتها محاولة تجنب البلل قدر الإمكان. استطاعت سماع صوت هيس خلفها.

- لا أعرف أين وصلتِ، لكنني سأدوِّن الأقوال في مكان عمل الضحية، أو...

- لا، لقد أجرينا ذلك فعلًا، لذا لا داعي للقلق بهذا الشأن.

فتحت تولين باب سيارتها وصعدت. لكنْ، وقبل أن تغلق الباب، أدركها هيس وأوقفها. كان يرتجف في المطر.

- لا أعتقد أنكِ فهمتِ ما قلتُه. أنا آسف على التأخير، لكن...

- أنا أفهمكَ. لقد أفسدتَ بعض الأمور في لاهاي. نصحكَ شخص ما بالالتحاق بمركز الشرطة هنا حتى تعود الأمور إلى مجاريها، لكنكَ غير مهتمٍّ كثيرًا بالوظيفة، لذلك فأنت تُمضي الوقت فقط، في حين تفعل أقل ما يمكن.

لم يتحرَّك هيس. وقف فقط وحدَّق إليها بعيون لم تعتدْها بعد. وقال: «حسنًا، لم تكن المهمَّة اليوم شديدة الصعوبة».

- أحاول تيسير الأمور عليكَ. أنتَ تركز على لاهاي وشقتكَ، ولن أخبر نيلاندر بأي شيء. اتفقنا؟

- تولين!

نظرتْ تولين نحو المدخل حيث خرج الطبيب الشرعي ووقف تحت مظلَّته.

- يقول جينز إنه لم يستطع الاتصال بك، لكنْ عليكِ التوجُّه فورًا إلى قسم الطبِّ الشرعيِّ.

- لماذا؟ ألم يستطع الاتصال بي فقط؟

- هناك شيء يجب أن تَرَيه. يقول إنكِ في حاجة إلى رؤيته، وإلا ستعتقدين أنه يخدعك.

17

مع شكله الهندسيِّ المكعَّب، يقع المقرُّ الجديد لقسم الطبِّ الشرعيِّ الجنائيِّ في الجزء الشَّمالي الغربيِّ من المدينة. بدأ الظلام يحلُّ في الخارج بين أشجار البتولا في موقف السيارات، لكنْ في المختبرات الموجودة في الطابق فوق المرأب الكبير، لا يزال فنِّيو الطبِّ الشرعيِّ يعملون.

- هل تحقَّقت من جميع الرسائل النَّصِّيَّة، ورسائل البريد الإلكترونيِّ، والمكالمات الهاتفيَّة؟

- لم يعثر فنِّيُّو تكنولوجيا المعلومات على أيِّ شيء مهمٍّ حتى الآن. على أيِّ حال، هذا ليس بنفس أهميَّة ما يجب أن أعرضه عليكِ.

تابعت تولين جينز الذي رافقهما من مكتب الاستقبال، وأكد أنهما –هي وهيس– ضيفاه. أصرَّ هيس على الحضور، ولكن ربما فقط كي لا تتَّهمه تولين بعدم الاكتراث بالتحقيق. وفي رحلتهما بالسيارة، قرأ هيس تقرير تشريح الجثَّة دون اهتمام كبير، ولم ترَ تولين ضرورة مناقشة القضيَّة معه. لقد دفعتها هذه الرحلة إلى التوتُّر، وكذلك الردُّ المُبهم لجينز، لكنه لم يُظهِر أي إشارة على المزيد من الشرح حتى الوصول إلى المختبر.

الجدران الزجاجية الفاصلة موجودة في كل مكان.. ويتجوَّل فنِّيُّو الطبِّ الشرعي بين المكاتب مثل النحل الأبيض الصغير، وتضمن مجموعة كبيرة من وحدات تكييف الهواء ومنظمات الحرارة على الجدران الحفاظ على المستوى الصحيح من الحرارة والرطوبة للاختبارات التي تُجرى في المقصورات الزجاجية المختلفة. وفي قسم الطبِّ الشرعيِّ، تُفحَص المواد التي جُمِعَتْ من أي وكل مسرح جريمة وتُقيَّم. وغالبًا ما يكون دليل الطب الشرعي هو الذي يحدِّد اتجاه القضية. وخلال مدة عملها القصيرة مع فرقة جرائم القتل،

شاهدت تولين قسم الطبِّ الشرعيِّ وهو يُجري فحوصًا دقيقة لمواد مختلفة مثل الملابس وأغطية السرير والسجاد وورق الحائط والطعام والمركبات، والغطاء النباتيِّ والتربة؛ من حيث المبدأ، القائمة لا حصر لها. إن مكتب الطبيب الشرعي وقسم الطبِّ الشرعيِّ هما الرَّكيزتان العلميَّتان لأيِّ تحقيق، وكلاهما يحدد الدليل الذي سيستخدمه المدَّعي العام لاحقًا لتأمين الإدانة.

منذ تسعينيات القرن العشرين، كان قسم الطبِّ الشرعيِّ مسؤولًا عن الأدلَّة الرقميَّة، إذ يضم قسمًا فرعيًّا يحقق في العناصر التكنولوجية الخاصة بالضحايا والمشتبه فيهم. ومع زيادة التركيز على الجريمة الإلكترونية العالمية والقرصنة والإرهاب الدولي، نُقِلَتْ هذه المسؤوليات تدريجيًّا إلى المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية منذ عام 2014. على أيِّ حال، ولأسباب عمليَّة، لا تزال الدائرة تؤدي مهامَ محليَّة أصغر بنفسها، مثل فحص أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة من منزل لورا كيار.

- ماذا عن الأدلة الأخرى؟ غرفة النوم، والمرأب؟

وقفت تولين بفارغ الصبر في المختبر الكبير حيث اصطحبهما جينز.

- لا. لكن، وقبل أن أقول المزيد، أريد أن أعرف أكان في إمكاننا الوثوق به.

أغلق جينز الباب وأشار إلى هيس. بالرغم من امتنان تولين للحذر الشديد الذي أظهره جينز تجاه الغريب، فإنها تفاجأت.

- ماذا تقصد؟

- سأقول لكِ خبرًا مهمًّا، ولا أريد المخاطرة بنشر المعلومات. الأمر ليس شخصيًّا؛ أرجو أن تتفهَّمي.

كانت الملاحظة الأخيرة موجَّهة إلى هيس ذي التعابير الجامدة.

- وافق نيلاندر على تعيينه محقِّقًا. وكونه موجودًا هنا فعلًا، يمكنني القول إنه موضع ثقة.

- الأمر جِدِّيٌّ يا تولين.

- سأتحمَّل المسؤولية. أخبرني بما لديكَ.

تردَّد جينز لحظةً قبل أن يمدَّ يده إلى لوحة المفاتيح وينقر بسرعة رمز الوصول، في حين بحثت يده الأخرى عن نظَّارة القراءة على الطاولة. لم ترَ

تولين جينز في مثل هذه الحال من قبل. كانت تبدو عليه الجِدِّيَّة والبهجة في الوقت نفسه. وتوقَّعت سببًا مثيرًا لمزاجه الغريب أكثر من المعتاد تجاه بصمات الأصابع التي ظهرت الآن على الشاشة عالية الدقة والمعلقة على الحائط فوق المكتب الفخم.

- وجدتُ هذا مصادفةً. قرَّرنا مسح المسرح بحثًا عن بصمات الأصابع حيث وُضِعَتِ الجثَّة، علَّ القاتل استند إلى القوائم، أو ربما جُرِحَ بمسمار أو شيء من هذا القبيل. كان الأمر مضيعة للوقت طبعًا، إذ كان المكان يعجُّ بالبصمات، وربما من جميع الأطفال الذين يدخلون غرفة اللعب. لكنْ للسبب نفسه، أجرينا فحصًا روتينيًّا للدمية الصغيرة، رجل الكستناء، لأنها كانت مُعلَّقة بالقرب من الجثمان.

- جينز، ما المهم في الأمر؟

- كانت البصمة على ثمرة الكستناء السفليَّة. على الجزء الذي يمثل الجسد. كانت البصمة الوحيدة على الدمية. لا أدري أكنتِ تعرفين ذلك من قبل، لكنْ عندما يتعلَّق الأمر بتحديد بصمات الأصابع، فإننا نبحث عادةً عن عشر نقاط للمقارنة. ومع هذه البصمة، من سوء الحظ، استطعنا تكوين خمس نقاط فقط، لأنها ملطَّخة. لكنْ يُفترَض بهذه النقاط الخمس أن تكون كافية من حيث المبدأ. بالتأكيد كان ذلك كافيًا في العديد من قضايا المحاكم إذ...

- كافية لتحقيق ماذا يا جينز؟

خلال حديثه، كان جينز يشير إلى النقاط الخمس على بصمة الإصبع بقلمه الإلكتروني والكمبيوتر اللوحي الرقمي على المكتب، ولكنه وضع القلم، ونظر إلى تولين.

- آسف. يكفي لإثبات أن بصمة رجل الكستناء -على الأقل خمس نقاط عليها- متطابقة مع بصمات كريستين هارتونج.

من هول المفاجأة، وللحظة وجيزة، توقفت تولين عن التنفُّس. لم تكن تعرف شيئًا عن القنبلة التي توقَّعت أن يرميها جينز، لكنْ على الأقل أن تكون أمرًا معهودًا.

- جاءت نتيجة التطابق من جهاز الكمبيوتر الذي حدَّد تدريجيًا النقاط الخمس. يحدث ذلك تلقائيًّا تمامًا، لأن المادة مرتبطة بقاعدة بيانات

تضم آلاف البصمات من القضايا السابقة. في العادة، طبعًا، نرغب في رؤية المزيد من النقاط. العشر نقاط هي الأكثر شيوعًا، لكنْ كما قلت، خمس نقاط تكفي لـ...

قالت تولين التي استعادت توازنها: «من المفترض أن كريستين هارتونج متوفاة». وتابعت الحديث بنبرة صوت غاضبة: «وخلص التحقيق إلى أنها قُتِلَتْ قبل نحو عام. حُلَّت القضية وأُدينَ القاتل».

- أعرف ذلك.

خلع جينز نظارة القراءة، ونظر إليها مليًّا.

- كل ما أقوله هو أن بصمة الإصبع هي...

- لكن، لا بدَّ من وجود خطأ ما.

- لا يوجد خطأ. تحقَّقت من الأمر مرارًا وتكرارًا خلال الساعات الثلاث الماضية لأنني لم أرغب في قول أيِّ شيء حتى أصبحتُ متأكدًا. ولكنني الآن متأكد. التطابق تام مع هذه النقاط الخمس.

- ما البرنامج الذي تستخدمه؟

نهض هيس عن مقعده في الخلفية، حيث كان يعبث بهاتفه، ولاحظت تولين التعابير الجديدة واليقظة على وجهه. سمعتْ جينز وهو يشرح بحذر النظام الذي يستخدمه لتعرُّف بصمات الأصابع، وسمعت هيس يؤكد أنه النظام نفسه المُستخدَم في يوروبول لتعرُّف البصمات.

فرح جينز لأن ضيفه يعرف النظام، في حين لم تظهر الحماسة على هيس، وبدلًا من ذلك قال: «من كريستين هارتونج؟».

رفعت تولين ناظريها عن بصمة الإصبع على الشاشة، وحدَّقت إلى العينين الزرقاء والخضراء.

18

توقَّف المطر، وأصبحت ملاعب كرة القدم مهجورة. رأى خيالَ شخص يظهر من بين الأشجار ويعبر الملعب، في حين يلمع عشبُ أسترو تيرف الصناعيُّ تحت الأضواء الكاشفة. لم يستطع تمييزها إلى أن تجاوزت آخر مرمى واقتربت من الحاجز الخرسانيِّ نحو موقف السيارات الفارغ. كانت ترتدي نفس ملابس يوم اختفائها، وتمشي بالطريقة نفسها التي يحفظها عن ظهر قلب. لطالما كان قادرًا على تمييز مشيتها بين آلاف الأطفال الآخرين. عندما لاحظت السيارة، بدأت الركض، وشاهد ابتسامتها تتسع في حين ارتدَّت قبَّعة سترتها نحو الخلف، فغمر الضوء وجهها. كانت وجنتاها حمراوين من البرد. كان قادرًا على شمِّها، وهو يعرف بالضَّبط كيف ستشعر بين ذراعيه عندما يضغط عليها بحنان. ضحكت ونادَتْه كما اعتادت أن تفعل مرَّات عدَّة من قبل، وقد أحسَّ بجسده يكاد ينفجر وهو يفتح الباب ويحتضنها، ويبدأ بأرجحتها حوله مرَّة بعد أخرى.

– ماذا تفعل؟ قُد السيارة!

أُغلِقَ البابُ الخلفيُّ بقوَّة، واستفاق ستين هارتونج مرتبكًا. كان نائمًا وهو يستريح على النافذة الجانبيَّة، وابنه جالس بزيِّه الرياضيِّ الكامل على المقعد الخلفيِّ وسط الحقائب ومضارب التنس، في حين يركب أطفال آخرون في الخارج دراجاتهم الهوائية، ويحدِّقون إلى ستين ويتبادلون الضحكات.

– هل انتهيت من...

– قُدِ السيارة، وحسب.

– يجب أن أجد المفتاح.

بحث ستين عن المفتاح، وفتح باب السيارة لينير الضوءُ العتمةَ، ووجد المفتاح ملقًى على السجادة أسفل عجلة القيادة. انكمش ابنه في المقعد بالتزامن مع مرور بعض الأطفال.

- آها... لقد وجدتُه.

أغلق ستين الباب.

- هل سارت الأمور على ما يرام مع...

- لا أريدكَ أن تأتي لاصطحابي بعد اليوم.

- ماذا تقصد؟

- تفوح من السيَّارة رائحة كريهة.

- جوستاف، لا أعرف...

- أفتقدها أيضًا، لكنني لا أشرب!

تسمَّر ستين في مكانه. حدَّق إلى الأشجار، وأحسَّ بثقل ألف ورقة ميتة وهي تدفنه. وفي المرآة الخلفية، استطاع رؤية ابنه وهو يحدِّق من النافذة بعينين قاسيتين. لا يزيد عمره على أحد عشر عامًا، ويُفترَض بكلماته أن تكون مُفعَمة بالمرح، لكنها ليست كذلك. أراد ستين أن يقول شيئًا، وأن ينكر التُّهمة، وأن يؤكد الخطأ الذي وقع فيه الصَّبيُّ، وأن يضحك من قلبه بصوت عالٍ ويطلق دعابة تدغدغ ضحكة من قلب ابنه أيضًا، لأنه لم يعدْ يضحك بعد الآن، وقد مضى وقت طويل منذ آخر مرَّة ضحك فيها.

- آسف... أنت محقٌّ.

لم تتغيَّر ملامح وجه جوستاف، وواصل تحديقه إلى موقف السيارات الفارغ.

- لقد اقترفتُ خطأً، وسأستجمع قواي...

لم يصدر أيَّ ردٍّ.

- أفهم أنك لن تصدِّق ذلك، لكنني جادٌّ بكلامي. لن يتكرَّر الأمر مُجدَّدًا. آخر ما أريده هو أن أكون سببًا في حزنك. اتفقنا؟

- هل يمكنني اللعب مع كالي قبل أن نأكل؟

كالي هو الصديق المقرَّب لجوستاف، ويسكن في منزل على طريق عودتهما إلى المنزل. ألقى ستين نظرة أخيرة على مرآة الرؤية الخلفية قبل أن يدير المفتاح ليشغِّل المحرِّك.

- نعم، طبعًا.

19

- ثم؟ ما الذي جرى بعدئذٍ؟
- حسنًا. بدأتِ المعارَضة. أصيب كلٌّ شيء بالجنون. هل تتذكر تلك المرأة الجميلة من تحالف الأخضر والأحمر مع نظَّارتها ذات الإطار على شكل قرن؟

كان ستين واقفًا إلى جانب موقد الغاز الكبير، ويتذوَّق الطعام ويومئ برأسه بابتسامة. والموسيقى تنبعث عن جهاز الراديو في الخلف، وروزا تصبُّ كأسًا من الشراب. كادت تصبُّ له كأسًا أيضًا، لولا أنَّه أشار لها للابتعاد.

- هل تقصد المرأة التي شربت كثيرًا في حفلة عيد الميلاد، وأُرسِلَتْ إلى المنزل؟
- نعم، تلك المرأة. قفزت وسط القاعة وبدأت إلقاء الشتائم على رئيسة الوزراء، في حين حاول رئيس الجلسة إجبارها على الجلوس. عندها فقط بدأتْ إهانة رئيس الجلسة. ورفضت الوقوف عندما دخلت صاحبة الجلالة، ما دفع نصف الموجودين إلى إطلاق صيحات الاستهجان في وجهها. وفي النهاية، غضبت لدرجة أنها ألقت دفتر ملاحظاتها في الهواء مع قلمها وعلبة نظاراتها.

ضحكت روزا، وابتسم ستين. لا يتذكر آخر مرة وقفا فيها في المطبخ ليتحدثا هكذا، لكنْ بدا الأمر كأنه منذ مدة طويلة جدًا. أزاح الشيء الآخر جانبًا في ذهنه. ذلك الشيء الذي لا يستطيع التفكير فيه والذي سيجعلها حزينة. التقت عيناهما بعد الابتسامة، ولم ينبس أيٌّ منهما ببنت شفة للحظة.

- يسرُّني أنكِ حظيتِ بيوم جيد.

أومأت برأسها، وارتشفت قليلًا من الشراب، بسرعة نوعًا ما، كما يعتقد، لكنها لا تزال تبتسم.

- ولم تسمع حتى عن المتحدث الجديد باسم حزب الشعب.

بدأ هاتفها المحمولُ الرنينَ على طاولة المطبخ، فقالت: «لكنني سأخبركَ لاحقًا. سأذهب وأغيِّر ملابسي، وأرسِل إلى ليو تذكيرًا عن يوم غد».

أخذت هاتفها المحمول، وسمعها تتحدث وهي تصعد الدَّرجات إلى الطابق الأول. وضع ستين الأرز في الماء المغليِّ، ولم يتفاجأ عندما قُرِعَ جرس الباب في القاعة: لا بدَّ أنه جوستاف الذي عاد من منزل كالي، ويشعر بكسل شديد يمنعه من استخدام مفتاحه.

20

فُتِحَ الباب الأمامي للفيلا، ونظرت تولين إلى وجه ستين هارتونج، وشعرت فورًا بالندم على وجودها هنا. كان يرتدي مريلة حول خصره، وفي يده كوبُ قياس يحوي بعض الأرز، وعيناه تخبرانها أنه كان يتوقع شخصًا آخر.

- ستين هارتونج؟

- نعم؟

- آسفة على إزعاجك. أنا من الشرطة.

تبدَّلت ملامح وجه الرجل. بدا الأمر كما لو أن شيئًا ما انكسر في داخله، أو كمن ذُكِّر بحقيقة منسيَّة.

- هل يمكننا الدخول؟

- ما الأمر؟

- لن يستغرق الأمر سوى دقيقة واحدة. أفضِّل أن نتحدَّث في الداخل.

ألقت تولين وهيس نظرة غير لبقة على غرفة المعيشة الفسيحة في أثناء انتظارهما، ولم يتبادلا الكثير من الكلام. وخلف الأبواب الزجاجية للفناء، كانت الحديقة غير مضاءة، ووُضِعَتْ طاولة طعام لثلاثة أشخاص تحت مصباح كبير من علامة «آرني جاكوبسن»، وقد وصلت الرائحة الزكيَّة للحساء من المطبخ. تملَّكت تولين رغبة مفاجئة في الدخول من الباب قبل عودة ستين هارتونج. ألقت نظرة جانبية على رفيقها الذي وقف وظهره تجاهها؛ إنها تعلم أنها لا تتوقع أي مساعدة من هذا الشخص.

بعد حديثهما مع جينز في قسم الطبِّ الشرعيِّ، اتصلَت بنيلاندر الذي ردَّ بغضبٍ جراء مقاطعتها اجتماعَه. ولم يتحسَّن مزاجه عندما أوضحت سبب مكالمتها. لم يصدِّق في البداية، وأصرَّ أنه لا بدَّ من وجود خطأ ما. لكنَّه صمت بمجرَّد معرفته أن جينز تَحقَّق من النتيجة مليون مرة. بالرغم من انطباعها

السلبي عن القسم عامة، تدرك تولين أن نيلاندر ليس غبيًا على الإطلاق. ومن الواضح أنه أخذ المعلومات على محمل الجدِّ. قال إنه لا بدَّ من وجود تفسير منطقيٍّ، بعض الروابط البسيطة التي لم يكونوا على دراية بها، لذلك أرسلهم لرؤية هارتونج. لم تستطع تولين شخصيًا تخيُّل أي تفسير منطقيٍّ.

لم يقل هيس الكثير. في طريقهما في السيارة، أعطته ملخَّصًا عن أعمال كريستين هارتونج. لم تكن في القسم آنذاك، لكنَّ قضيَّتها ظلَّت موضوع النقاش في المحطة ووسائل الإعلام حتى بعد مدة طويلة من إغلاقها. كريستين هارتونج هي ابنة روزا هارتونج، الشخصية السياسية ووزيرة الشؤون الاجتماعية التي عادت للتو إلى المشهد السياسي. اختفت الفتاة البالغة من العمر 12 عامًا في طريق عودتها إلى المنزل من ممارسة الرياضة منذ أقل من عام. وعُثِرَ على حقيبتها ودرَّاجتها ملقاة في الغابة. وبعد بضعة أسابيع، قُبِضَ على الشاب لينوس بيكر، مهووس التكنولوجيا. كانت بحقِّه عدَّة جرائم جنسيَّة، وكان حجم الأدلَّة دامغًا. وخلال الاستجواب في المحطة، اعترف بيكر بالاعتداء الجنسي على كريستين هارتونج قبل خنقها وتقطيع جسدها بساطور اكتُشِفَ ملطَّخًا بدماء كريستين في مرأب منزله. ووفقًا لشهادته، دفن بعد ذلك أجزاءً مختلفة من جسدها في مواقع مختلفة في غابات شمال نيوزيلندا. ولكنَّ بيكر الذي شُخِّصَتْ إصابته بالفصام وجنون العظمة، لم يتمكن من إرشاد الشرطة إلى أماكن الدفن. وبعد مضيِّ شهرين من التحقيقات المكثَّفة، استسلموا عندما بدأ الصقيع وأصبحت المهمة مستحيلة. أُدين بيكر في الربيع تحت رقابة إعلامية شرسة، وحُكِمَ عليه بأقسى عقوبة ممكنة: الاحتجاز في دار رعاية نفسية مدةً غير محددة من الزمن. في الواقع، هذا يعني أن الرجل سيكون حبيسًا مدة تتراوح بين خمسة عشر عامًا وعشرين عامًا على الأقل.

سمعت تولين صوت إطفاء الراديو، وعاد ستين هارتونج للظهور مجددًا من المطبخ.

- زوجتي في الطابق العلويِّ. إذا كان هذا بسبب...

وبكلمات مرتبكة، تابع هارتونج حديثه: «إذا تمَّ اكتشاف شيء جديد، أودُّ معرفته قبل أن تكتشف زوجتي ذلك».

- لم نفعل. لا صلة بين الموضوعين.

نظر الرجل إليها. بدا أنه ارتاح، مع أنه حائر وقلق بشأن السبب الذي دفعهما إلى الحضور.

- خلال فحصنا مسرحَ إحدى الجرائم في وقت سابق اليوم، صادفنا جسمًا يحمل بصمة يُرجَّح أنها تخصُّ ابنتك. وبالتحديد، كانت البصمة على دمية صغيرة مصنوعة من الكستناء. لقد أحضرتُ صورة، وأودُّ منك أن تلقي نظرة عليها.

حملت تولين الصورة. لكنَّ ستين هارتونج نظر إليها في حيرة، قبل أن يعود للنظر إلى تولين.

- لسنا متأكدين مئة بالمئة أنها بصمتها، ولكن الاحتمال كبير بدرجة كافية تدفعنا إلى استيضاح أسباب وجودها.

أمسك هارتونج الصورة التي وضعتها تولين على طاولة الطعام.

- لا أفهم. بصمة؟

- نعم. وجدنا الدمية في منطقة لعبٍ في هوسوم. في 7 سيديرفانجيت على وجه الدقة. هل تعني منطقة اللعب أو ذلك العنوان أي شيء؟

- لا.

- ماذا عن امرأة اسمها لورا كيار؟ أو ابنها ماجنوس، أو رجل اسمه هانس هنريك هاوج؟

- لا.

- هل من الممكن أن تكون ابنتك قد عرفت الأسرة؟ أو أسرة أخرى في المنطقة. ربما كانت تلعب هناك، أو زارت شخصًا ما، أو...

- لا. نحن نعيش هنا. لا أفهم ما قد يعنيه هذا؟

للحظة، لم تعرف تولين ما تقول.

- لا بدَّ من وجود تفسير منطقيٍّ. إذا كانت زوجتك في المنزل، ربما يمكننا سؤالها عن...

رمقهما هارتونج بنظرة عدائيَّة، وقال: «لا. لن تسألوا زوجتي».

- آسفة جدًّا. لكننا في حاجة إلى الوصول إلى حقيقة الأمر.

- لا أبالي. لن تتحدثا مع زوجتي. إجاباتي جيدة مثل إجاباتها. ليست لدينا أدنى فكرة عن أي بصمة، ولا نعرف المكان الذي تتحدثان عنه، ولا أفهم سبب أهمية هذا!

أدرك ستين هارتونج فجأة أن تولين وهيس يحدقان إلى شيء خلفه. نزلت زوجته الدَّرَج، وهي تنظر إليهما من الصالة.

للحظة، لم يقل أحدٌ شيئًا. دخلت روزا هارتونج غرفة المعيشة، وأمسكت الصورة التي طرحها ستين بغضب. مرَّة أخرى، فكرت تولين في الجري نحو الباب، وأصبحت متوترة بشكل متزايد مع هيس الذي لا يزال يتخبط بصمت في الخلفية.

- أنا آسفة حقًّا على إزعاجكِ. نحن...

- لقد سمعتكِ.

تفحَّصت روزا هارتونج صورة رجل الكستناء وكأنها ترجو العثور على شيء ما. وبدأ زوجها بمرافقتهما نحو الباب الأمامي.

- إنهما ذاهبان الآن. أخبرتهما أننا لا نعرف شيئًا. سررنا بزيارتكما.

- كانت تبيعها على الطريق الرئيسي...

توقف ستين هارتونج عند المدخل، واستدار تجاه زوجته.

- في كل خريف. مع ماتيلد، فتاة أخرى في فصلها. اعتادتا الجلوس هنا، وصنع أكوام من هذه الدمى...

رفعت روزا هارتونج ناظريها عن الصورة نحو زوجها. واستطاعت تولين رؤية الذكرى وهي تعبر فجأة على وجهه.

قال هيس الذي مشى مقتربًا منها: «كيف كانت تبيعها؟».

- كان لديهما كشك. للأشخاص الذين يمرُّون، أو السيارات العابرة. كما اعتادتا خبز الكعك وصناعة الاسكواش. كان في إمكانك شراؤها بواحدة من هذه...

- وهل فَعَلتا ذلك العام الماضي أيضًا؟

- نعم.. جلستا إلى هذه الطاولة. كانتا تجمعان الكستناء في الحديقة، وتقضيان وقتًا ممتعًا. في الصيف، أقامتا سوقَ سلع مستعملة، ولكن...

لكنها فضّلت ذلك في الخريف، إذا كان لدينا الوقت لفعل ذلك معًا. أتذكر ذلك لأنها كانت عطلة نهاية الأسبوع قبل...

توقفت روزا هارتونج عن الحديث.

- ما أهمية ذلك؟

- إنه مجرَّد شيء نحتاج إلى التحقيق فيه. فيما يخصُّ قضية مختلفة.

لم تضفْ روزا هارتونج شيئًا. وقف زوجها على بُعد خطوة واحدة، وبدا الأمر كما لو أنهما أصبحا في حالة من السقوط الحرِّ. وصلت تولين إلى الصورة، وتناولتها كما لو أنها شريان حياة.

- شكرًا جزيلًا. حصلنا على ما نحتاج إليه. آسفان مجددًا على المقاطعة.

21

نظرت تولين إلى هيس في مرآة الرؤية الخلفية، في حين قادت السيارة مبتعدة. وعندما فتحت باب السيارة في الممر، نظر إلى المنزل، وقال إنه يُفضِّل المشي، وهو ما يناسبها تمامًا. أخذت الشارع الجانبي الأول خارج الحي، وأجرت مكالمتين في طريق عودتها إلى المدينة. الأولى مع نيلاندر الذي أجاب على الفور. من الواضح أنه كان في انتظار اتصالها. استطاعت سماع صوت زوجته وأطفاله في الخلفية. وعندما أخبرته بنتيجة زيارتهما لوالدي كريستين هارتونج، بدا غير راضٍ عن التفسير. ومع ذلك، وقبل إنهاء المكالمة، أثار انتباه تولين إلى ضرورة الحفاظ على سرِّيَّة المعلومات -فهو لا يريد أن يصل الأمر إلى الإعلام الذي قد يثير أمورًا لا صلة لها، ويتسبَّب بإزعاج والدي الفتاة- لكنَّ تولين اكتفت بالاستماع، فهي تدرك سلفًا هذا الأمر.

بعد ذلك، اتصلت تولين بالصورة الثالثة على شجرة أسرتها، الرجل الذي تدعوه ابنتها الجَدّ أكسل. هذا الرجل المخلص والقوي الذي تدين له بكل شيء. من الجيد أن تسمع صوته الهادئ، وقد أخبرها أنهما يلعبان لعبة معقَّدة جدًّا من كوريا الجنوبية، ولا يفهم شيئًا فيها. سألت لو في الخلفية أكان يمكنها النوم في منزل الجَدّ، واستسلمت تولين بالرغم من أنها لا تودُّ الشعور بالوحدة الليلة. استطاع أكسل إدراك ذلك من نبرة صوتها، وأخبرته على عجل أن كل شيء على ما يرام قبل أن تُنهي المكالمة. ومن خلال نافذة السيارة، استطاعت أن ترى الأُسر وهي تأوي إلى منازلها مع أكياس التسوُّق، وشعرت بالقلق المتزايد من أنها تكافح لكبح هذا الشعور.

فتاة تبيع دمى رجل الكستناء في كشك على الطريق، ويصادف أن ينتهي بها الأمر في مسرح جريمة في مكان ما في هوسوم. انتهى. نهاية القصة. اتخذت قرارًا، واتجهت نحو متجر كونجنسجيد.

من الباب الأمامي، خرج شيخ يرتدي معطفًا من الفرو، ويحمل كلبًا بين ذراعيه، ونظر إليها بريبة وهي تدخل الردهة دون أن تدقَّ الجرس. صعدت الدرج الواسع أمام شقق كبيرة وفاخرة. وعندما وصلت إلى الطابق الثاني، استطاعت سماع الموسيقى القادمة من داخل منزل سيباستيان. قرعت الباب مرة واحدة، وفتحت الباب دون انتظار. كان سيباستيان يقف ممسكًا بهاتفه. حيَّاها بابتسامة مفاجئة، وهو لا يزال يرتدي بدلته التي يبدو أنها الزي الوحيد المقبول في صناعته.

- أهلًا؟

تركتْ تولين معطفها يسقط.

- اخلع ملابسك، لديَّ نصف ساعة.

فكَّت يداها سحَّاب سرواله، وكانت مشغولة بحزام بنطاله عندما سمعت صوت خطوات.

- أين تحتفظ بمفتاحك يا فتى؟

ظهر رجل مُسن بملامح حادة في المدخل ممسكًا بزجاجة نبيذ. وعند استراحة في الموسيقى، أدركت تولين نشاز الأصوات من غرفة المعيشة.

- هذا والدي. أبي، هذه نايا.

عرَّفهما سيباستيان ببعضهما مع ابتسامة، في حين ظهر طفلان يلهوان بلعبة سباق من خلال الصالة وخرجا تجاه المطبخ.

- يسرُّني التعرُّف إليك، عزيزتي. تعالي إلى هنا!

وقبل أن تعرف ما يحدث، وجدت تولين نفسها محاطة بوالدة سيباستيان وبقية أفراد أسرته. وبعد محاولتها الثالثة لرفض الدعوة، اتضح أنها ستنضم إليهم لتناول العشاء.

22

تحت المطر، أضاءت مصابيح الفلورسنت في مواقف الدراجات النارية جزءًا من ملعب كرة السلة. توقف الأطفال المبلَّلون عمَّا يفعلونه ليتبيَّنوا خيال الرجل، قبل أن يستأنفوا لعبتهم. أودين بارك في ضاحية نوريبرو لا يسكنها العديد من البيض. لذلك، يصبح أيُّ شخص أبيض محطَّ ملاحظة الناس بمجرَّد ظهوره. في العادة، يكون البيض من رجال الشرطة بزيِّهم الرَّسمي، أو ملابس مدنيَّة، لكنَّ الشرطة يأتون في أزواج، وليس بمفردهم مثل هذا الشخص الذي يتَّجه نحو أحد المباني في أطراف التجمُّع السكنيِّ مع كيس وجبات سريعة في يده.

صعد هيس الدرجَ الخارجيَّ نحو الطابق الثالث، ثم قطع الممرَّ حتى الباب الأخير. وأمام الأبواب الأخرى، توجد أكياس قمامة ودراجات وخردة. ومن نافذة مفتوحة قليلًا، تتسلَّل الأصوات والتوابل العربية التي تُذكِّر هيس بالحيِّ التونسي في باريس. وأمام الباب الأخير رقم 37C توجد طاولة حديقة قديمة وبالية جراء الجو، وكرسي بلاستيكي أبيض غير مستقر. توقف هيس ليجد مفتاحه.

كانت الشقَّة مُظلِمة، فأنار المصباح. توجد غرفتان؛ كانت حقيبته القذرة مستندة إلى الحائط، حيث وضعها جانبًا بعد أن أعطاه مدير العقار المفتاح في وقت سابق من اليوم. كانت الشقَّة مؤجَّرة مؤخرًا لطالب بوليفي، لكنَّ الشاب عاد إلى وطنه في أبريل. ووفقًا للمدير، كان من المستحيل تأجير شقة هيس منذ ذلك الحين. وقد لا يكون الأمر مُستغربًا. تحتوي الغرفة الأمامية على طاولة وكرسيَّين ومطبخ صغير مع موقدين، وأرضية غير مستوية مثقوبة وأربعة جدران عارية. لا شيء شخصي، فقط جهاز التلفاز القديم المهترئ في الزاوية الذي لا يزال يعمل بالرغم من مظهره التناظري، لأنه مرتبط بحزمة كابلات خاصة بجمعية السكان. لم يكن هيس مضطرًّا إلى إصلاح

المكان لأنه لم يسكنه قطُّ. لكنْ، بمرور السنين، سُدِّدَ الرهن العقاري من قِبل المُستأجرين، لذلك احتفظ بالشقة. خلع هيس سترته، وأخرج محفظة جيبه وسجائره، وعلَّق السترة على ظهر الكرسي حتى تجف. للمرة الثالثة خلال نصف ساعة، اتصل بفرنسوا على الرقم المتفق عليه، لكنْ مرة أخرى لم يُرَدَّ على مكالمته، ولم يترك هيس أي رسالة.

جلس إلى الطاولة، وفتح علبة الطعام الفيتنامي، وشغَّل التلفاز. تناول الدجاج والنودلز دون شهيَّة، وانتقل سريعًا خلال القنوات الكثيرة حتى وصل إلى الأخبار. كانت القناة تستعرض صورًا لروزا هارتونج التُقِطتْ في ذلك اليوم في كريستيانسبورج، في حين يروي تعليق صوتي قصَّة ابنتها. واصل هيس التنقل بين القنوات، وانتهى به المطاف إلى برنامج عن الطبيعة حول العناكب في جنوب إفريقيا التي تشتهر بأكل أمهاتها بمجرَّد فقس البيض. لم يُثِر البرنامج اهتمامه، لكن ذلك لم يُزعِج سلسلة أفكاره التي دارت حول كيفية عودته إلى لاهاي في أسرع وقت ممكن. **مكتبة سُر مَن قرأ**

لقد مرَّ هيس بعدَّة أيام مثيرة. فجأة، وفي نهاية الأسبوع الماضي، أعفاه رئيسه الألماني في يوروبول، فريمان، من الخدمة، وكان القرار ساري المفعول على الفور. حسنًا، ربما لم يكن الأمر غير متوقع تمامًا، لكنه كان بالتأكيد ردَّ فعل مبالغًا فيه. في نظر هيس، على الأقل. اتُّخِذ القرار وفقًا للنظام، وسرعان ما وصلت الشائعات إلى كوبنهاجن. ومساء الأحد، أُمِرَ بالعودة إلى الوطن ليواجه الأمر. وفي اجتماع يوم الاثنين في المركز، رفض رؤساؤه الدنماركيون قبول قراءته للوضع، وذكَّروه أن أفعاله كانت مؤسفة بشكل خاص نظرًا إلى علاقة الشرطة الدنماركية المضطربة فعلًا مع اليوروبول التي كانت متوترة منذ الاستفتاء سيئ السمعة. بعبارة أخرى، لم يقدِّم هيس سببًا يمنع اتخاذ مثل هذا القرار، وكان تعاونهم متوقفًا على البقاء في سجلات يوروبول الجيدة. في الواقع، أكد أحد الرؤساء أن الأمر وصل إلى حدِّ الإحراج، وقد حاول هيس أن يبدو معاقبًا. بعد ذلك، راجعوا قائمة أخطائه: القضايا التأديبية التي تنطوي على مجادلات مع رؤسائه؛ الغياب؛ والعمل غير المنظَّم عمومًا؛ واتهامات بالسُّكر والاحتفال في العواصم الأوروبية، ثم نظرية المظلَّة الشاملة حول الإنهاك. قال معترضًا إنها زوبعة في فنجان،

وكان متأكدًا من أن التقييم سينتهي لمصلحته. كان شبه متيقِّن من سفره على متن الرحلة 15:55 إلى لاهاي -حجز تذكرته فعلًا- وما لم تتأخر الطائرة، سيعود إلى شقته في الطابق الثاني في زيكانتسترات في الوقت المناسب لينام على الأريكة ويشاهد المباريات المؤجلة من دوري أبطال أوروبا بين أياكس أمستردام ودورتموند. لكنْ بعد ذلك سقطت القنبلة. وإلى أن تُصوَّب الأمور، عاد هيس إلى قسمه السابق، الجرائم الكبرى بداية من صباح اليوم التالي.

لم يجلب هيس أي شيء تقريبًا إلى كوبنهاجن. أعدَّ الضروريات فقط في حقيبته قبل الانطلاق. وبعد الاجتماع الكارثي، ذهب للاستجمام في فندق ميثوديست بالقرب من محطة السكة الحديدية، مع أنه كان قد غادر للتو. كخطوة أولى، اتصل بشريكه فرانسوا لشرح الموقف. والاطلاع على التوقعات في لاهاي. كان فرانسوا رجلًا أصلع يبلغ من العمر 41 عامًا من مرسيليا. وهو شرطي من الجيل الثالث، حادُّ الطبع ولكنه ذو قلب طيِّب، وكان الشخص الوحيد بين الزملاء ممن أحبَّهم هيس ووثق بهم. أوضح فرانسوا أن التقييم قد بدأ، وأنه سيُخبر هيس بكل ما يجري، وسيدعمه قدر الإمكان. لكنَّ الأمر يتطلب تنسيق الادعاءات تجنُّبًا لأيِّ أدلَّة بالتواطؤ في التقارير. وإذا تحوَّل الأمر إلى مسألة تأديبيَّة، فقد يُتنصَّت على محادثاتهما الهاتفية، لذلك بدا من الجيِّد أن يشتري هاتفًا جديدًا. وبعد المكالمة، جلب هيس علبة بيرة من الثلاجة الصغيرة، وحاول الاتصال بمدير العقار الذي كان لديه مفتاح شقته: لا داعي لقضاء المزيد من الليالي في الفندق أكثر مما هو ضروري. لكنَّ المكتب كان مغلقًا. ونام هيس بكامل ملابسه على سرير الفندق بعد أن شاهد الهزيمة المخزية لفريق أياكس أمستردام بثلاثة أهداف دون مقابل على يد الألمان.

كانت العناكب قد انتهت من التهام والدتها بحلول الوقت الذي رنَّ فيه الهاتف الجديد. لم تكن إنجليزيَّة فرانسوا سلسة تمامًا، لذلك فضَّل هيس التحدُّث بالفرنسية معه على الرغم من عدم إتقانه إياها.

سأل فرانسوا: «كيف كان نهارك الأول في العمل؟».

- ممتاز.

نسَّقا الأخبار بينهما بشكل موجز، وأطلع هيس فرانسوا على ما يكتبه في تقريره بسرعة، وأخبره فرانسوا عن آخر التطورات. عندما فرغا من ذلك، شعر هيس أن هناك شيئًا ما يشغل تفكير الفرنسيِّ.

- ما الأمر؟
- أنت لا تودُّ أن تسمع ذلك.
- قُلْ ما عندك.
- أنا أفكر بصوت عالٍ: لماذا لا تسترخي وتبقى في كوبنهاجن بعضَ الوقت؟ أنا متأكد أنك ستعود، لكنْ ربما يكون هذا مفيدًا لك. الابتعاد عن كل شيء. أعِد شحن نفسك بالطاقة. التقِ بعضَ الفتيات الدنماركيات الجميلات، و...
- أنت محقٌّ. لا أودُّ سماع هذا الكلام. ركِّز فقط على تقريرك، وليكن على مكتب فريمان في أسرع وقت ممكن.

أنهى هيس الاتصال. أصبح احتمال البقاء في كوبنهاجن غير محتمل بشكل متزايد على مدار اليوم. لم تكن سنواته الخمس تقريبًا في اليوروبول نُزهة، لكن أي شيء أفضل من هنا. بصفته ضابطَ اتصال يمثل الشرطة الدنماركية، كان في إمكانه من حيث المبدأ أن يكتفي بالجلوس قبالة شاشة الكمبيوتر في مكتبه في المقرِّ الرئيسي، لكنْ بعد وقت قصير من وصوله، أصبح هيس محققَ فريق العمل المتنقِّل عابر الحدود. بمعدل متوسط، كان يقضي 150 يومًا من العام تقريبًا في السفر، منتقلًا بين قضيَّة وأخرى. أصبحت برلين لشبونة، وأصبحت لشبونة كالابريا، وأصبحت كالابريا مرسيليا، وهكذا استمرَّ الأمر. كانت محطَّة التوقف الوحيدة هي لاهاي، حيث حصل على شقة. بقي على اتصال ضعيف بالنظام الدنماركي من خلال التقارير العَرَضيَّة التي كان يفترض بها أن تلخِّص روابط الجريمة المنظمة بشمال أوروبا- الدول الاسكندنافية والدنمارك على وجه الخصوص. ومن خلال البريد الإلكتروني، كقاعدة عامة، وفي مناسبات نادرة من خلال سكايب. كان هذا التواصل الهامشيُّ مناسبًا لهيس تمامًا. وكذلك الشعور بانعدام الجذور. بمرور الوقت، تعلم التعايش مع آلية الشرطة الأوروبية، وهي تمثال عملاق بأقدام من طين، وألف عقبة قانونية وسياسية، وبدت أكثر فأكثر مستعصية في كل مرة واجهها. هل احترقت ورقته؟ نعم ربما. في عمله محققًا، رأى أمثلة جديدة عن الظلم المنظَّم والحقد والموت طوال الوقت. لقد اتَّبع القرائن،

وجمع الأدلة واستجوب الناس بلغات مختلفة لا حصر لها، لكنْ في كثير من الأحيان وُضِعَتِ التُهم على الرف من خلال السياسيين الذين لم يتمكنوا من التوصُّل إلى اتفاق من خلال القنوات الوطنية. من ناحية أخرى، تُرِكَتْ لهيس فرصة العمل بحرِّية. كان النظام واسعًا وشبيهًا بمتاهة قادرة على التخلُّص من أي شيء. وحتى وقت قريب، على الأقل، مع وصول رئيس جديد إلى إدارته: فريمان، الشاب البيروقراطي من ألمانيا الشرقية سابقًا الذي كان يؤمن بالتعاون الشرطي بين عموم أوروبا، وبدا جديًّا في تبسيط العمليات وتنظيم الفوضى. لكنْ حتى قضاء عطلة نهاية أسبوع طويلة في جزيرة نائية مع فريمان، بدا أمرًا مغريًا بعد يومه الأول في العمل في كوبنهاجن.

ومحاباةً للإنصاف، بدأ اليوم بشكل مقبول. لقد تجنب الاصطدام بمعارف قدامى في مركز الشرطة، وأُرسِل في مهمة من الصباح الباكر. المحققة التي اشترك معها كانت أكثر حدَّة من معظم الموجودين، ومن الواضح أنها غير مهتمة بحضوره، ما قد يصبُّ في مصلحته. لكنْ بعد ذلك، وقعت جريمة قتل بسيطة من حيث الشكل في بلدة هادئة، وازدادت تعقيدًا جرَّاء بصمة إصبع، وتسارعت الأحداث ليجد نفسه واقفًا في منزل تعلَّق الحزن بجدرانه مثل القطران الكثيف، وهذا ما ولَّد لديه إحساسًا بالرغبة في الجري خارج الغرفة والصراخ.

بعد زيارتهم منزلَ هارتونج، أحسَّ بحاجته إلى بعض الهواء. شيء ما كان يزعجه، ولم يكن السبب هو الحزن. كان أحد التفاصيل. شيء لم يتحوَّل بعد إلى فكرة واضحة، أو ربما حدث ذلك، لكن هذه الفكرة جلبت معها عاصفة من الأسئلة التي سارع عقله الواعي إلى تجاهلها: إنه ببساطة لم يرغب في التعامل معها.

سار هيس في الشوارع المبلَّلة متوجِّهًا نحو المدينة التي لم يعد يعرفها. كانت هياكل الزجاج والصلب في كل مكان، وأعمال طرق تشهد على تحول مدينة. هي، من حيث المبدأ، عاصمة أوروبية مثل جميع العواصم الأخرى، ولكنها لا تزال أصغر وأكثر أمانًا من معظم العواصم في الجنوب. لقد تحدَّت الأُسر السعيدة التي لديها أطفالٌ الخريفَ والمطرَ من أجل عوامل الجذب في تيفولي، ولكنَّ أكوام الأوراق المتساقطة تحت أشجار الكستناء إلى جانب

البحيرات جعلته يفكر في لورا كيار. بدأت صورة البطاقة البريدية المصوَّرة لهذه الأرض الخرافية الآمنةِ التصدُّعَ مرة أخرى، وبحلول الوقت الذي وصل فيه إلى جسر الملكة لويز، بدأت ذكرياته الخاصة بالتجسُّد مثل أشباح صغيرة ومزعجة، رافضة الاختفاء، حتى جاء إلى ضواحي نوريبرو.

يعرف هيس أنه لا داعي للقلق. إنها ليست مسؤوليته. يوجد حمقى في كل مكان، ويفقد الآباء أطفالهم يوميًّا، تمامًا كما يفقد الأطفال والديْهم. لقد شهد كثيرًا من هذه الحالات في العديد من المدن والدول المختلفة، وفي وجوه أكثر مما يهتم بتذكرها. وفي غضون أيام قليلة، سيتلقَّى اتصالًا يُصلِح الأمور من لاهاي، لذلك لا يهمُّ ما رآه اليوم. سيستقلُّ رحلة طيران أو قطارًا، أو يركب سيارة بمهمة أخرى واضحة، وحتى ذلك الحين، عليه ببساطة أن يمضي الوقت.

أدرك هيس أنه يحدق بلا مبالاة إلى أحد الجدران التي تغيَّر لونها، وقبل أن ينتزع إحساسه بعدم الارتياح مرة أخرى، ألقى علبة بقايا المعكرونة في سلة المهملات، واتجه نحو الباب.

23

كان صوت برنامج الأطفال «بوب البنَّاء» يملأ أرجاء غرفة المعيشة في منزل نهرو آمدي، حيث يبدو طفله الصغير شديد الاستغراق والانتباه إلى ما تعرضه الشاشة. وكان نهرو مشغولًا بإعداد لحم الضأن والسبانخ بالكاري لزوجته وأربعة أطفال عندما طُرِقَ الباب. صرخت زوجته بأنها مشغولة على الهاتف مع ابن عمها، وأن على نهرو فتح الباب. وبغضب، فكَّ مئزره عن خصره، وفتح الباب ليجد رجلًا أبيض البشرة من الشقة 37C واقفًا في الخارج. كان نهرو قد لمحه في وقت سابق من اليوم.

- نعم؟
- آسف على إزعاجك، لكنني أودُّ طلاء شقَّتي. إنها «ثيرتي سيفن سي».
- ترغب في طلاء شقتك؟ الآن؟
- نعم، لو سمحت. قال المدير إنك المشرف على هذه الأعمال، وإنك قد تعرف مكان حفظ مستلزمات الطلاء.

لاحظ نهرو أن عيني الرجل مختلفتان في اللون، فإحداهما خضراء، والأخرى زرقاء.

- لكن لا يمكنكَ جلب المعدات وطلاء الشقة بهذه البساطة. يجب أن تحصل على إذن المالك، والمالك مسافر.
- أنا المالك.
- أنت المالك؟
- ربما تستطيع إعطائي المفتاح. هل المعدات موجودة في القبو؟
- نعم، بالتأكيد، ولكن الظلام قد حلَّ. لا يمكنكَ الطلاء الآن ما لم تكن لديك مصابيح. هل لديك مصابيح؟

قال الرجل وقد نفد صبره: «لا، لكنني لا أملك وقتًا لذلك سوى الآن. سأكون في كوبنهاجن بضعةَ أيام، وأودُّ أن تكون الشقة جميلة قليلًا حتى أستطيع بيعها. وهكذا، لو سمحتَ، هل يمكنني الحصول على المفتاح؟».

- من غير المسموح لي أن أسلِّم مفاتيح القبو. انتظرني في الممر، وسألحق بك هناك.

أومأ الرجل برأسه وغادر. أبعدت زوجة نهرو الهاتف عن أذنها قليلًا، وألقت عليه نظرة سريعة وهو يبحث عن المفتاح. لن يمتلك أي رجل أبيض طبيعي أي شيء طواعية في أودين، ناهيك بالعيش هناك، لذلك لا بدَّ من وجود سبب وجيه لتأهُّبه.

تدحرجت فرشاة الطلاء الأسطوانيَّة صعودًا وهبوطًا على الحائط، وتناثرت بقع الطلاء على الأرضية المغطاة بالكرتون. في حين كان نهرو يمشي من خلال الباب مع وعاء آخر من الطلاء، غمس الرجل فرشاة الطلاء في الدلو واستأنف مهمته، والعرق يسيل على وجهه.

- توجد علبة أخرى، وليس لديَّ وقت، لذلك سيتعيَّن عليك التحقُّق بنفسك من أنه لون الطلاء المناسب.

- لا يهمُّ ذلك، يجب أن يكون الطلاء أبيض فقط.

- هذا الأمر مهم، يجب أن تكون درجة اللون هي نفسها.

أزاح نهرو سترة الرجل ليفسح مجالًا لعلبة الطلاء، ويتأكد من درجة اللون. عندئذ، لمح نهرو حامل البندقيَّة، فتسمَّر في مكانه.

- لا تقلق. أنا شرطيٌّ.

وبينما بدأ التراجع نحو الباب متذكِّرًا نظرة زوجته، قال نهرو: «هذا صحيح، طبعًا».

فتح الرجل شارة الشرطة خاصَّته بأطراف أصابعه الملطَّخة بالطلاء الأبيض، وقال: «أنا جادٌّ في قولي. أنا شرطيٌّ».

أحسَّ نهرو بالاطمئنان نوعًا ما وهو يفحص الشارة، في حين عاد الرجل الطويل إلى تحريك الفرشاة الأسطوانية نحو الأعلى والأسفل.

- عميل شرطة بملابس مدنية؟ هل تستخدم الشقة للمراقبة؟

لطالما اتُّهِمَتْ أودين بأنها أرض خصبة للعصابات الإجرامية والإرهابيين المتطرِّفين، وهذا ما يجعل سؤال نهرو منطقيًّا.

- لا. إنها شقتي وحسب. لا أستخدمها لأي مراقبة. لكنني أعمل في الخارج، وأسعى للتخلص منها. اترك الباب مفتوحًا عندما تغادر؛ أريد أن أترك الهواء يدخل.

جاء الردُّ مريحًا لنهرو. ومع ذلك، بقي حائرًا من الأسباب التي دفعت هذا الرجل إلى امتلاك عقار في أودين، لكنَّ طلبه بالمغادرة أمرٌ مطمئن. هذا طابع دنماركي طبيعيٌّ. لاحظ نهرو أن هذا الرجل الطويل يطلي الشقة كما يرفس الحصان. كما لو أن حياته تعتمد على ذلك.

- أنت تطلي الجدار بصعوبة بالغة. هل يمكنني فقط رؤية الفرشاة الأسطوانية...
- لا، لا بأس بها.
- حسنًا، لا يمكنك رؤية شيء دون ضوء.
- لا بأس.
- توقف، أقول لكَ. إذا لم أساعدك، فلن تكون سعيدًا بما تفعله.
- لن أكون غير سعيد، أعدك.

لكنَّ نهرو أمسك بمقبض الفرشاة، وتفحَّصها وهي لا تزال في يد الرجل.

- لقد صحَّ تخميني. إنها في حاجة إلى تغيير، وسأفعل ذلك.
- لا، لا بأس بها.
- لا، إنها ليست جيدة. أنا ضليع في الطلاء، ولا يمكنني الوقوف مكتوف الأيدي ومشاهدتك وأنت تفسد الأمر، في حين يمكنني فعل شيء أفضل.
- أصْغِ إليَّ. أنا فقط أود طلاء...
- لا يمكنني الوقوف ساكنًا. على المرء أن يمدَّ يد المساعدة عندما يكون قادرًا على ذلك. آسف جدًّا، لكنني لا أستطيع فعل شيء.

ببطء، حرَّر الرجل المقبض. وللحظة، حدَّق إلى الفراغ كما لو أن نهرو أفرغ حياته من أي معنى، وأسرع نهرو ليمسك بالفرشاة الأسطوانية قبل أن يغيِّر الرجل رأيه.

وفي شقّته، بحث نهرو بسرعة عن بعض مصابيح العمل، وفرشاة طلاء أسطوانية جديدة في دلو ضمن الجزء الخلفي من الخزانة في القاعة، في حين جلست زوجته إلى طاولة المطبخ مع الأطفال. لم تكن تفهمه. يستطيع ساكن الشقة «ثيرتي سيفن سي» الاعتناء بنفسه حتى يفرغوا من تناول طعامهم. «قد يكون الرجل مخادعًا، كما تعرف. وربما هو مغفّلٌ طلب منه المجلس السكن في المجمّع».

تخلّى نهرو عن محاولته توضيح الأمر لها، وأن الطلاء يجب أن يُجرى جيدًا. حمل الأدوات تحت ذراعه، وأغلق الباب الأمامي خلفه، وكان على وشك التقاط مقبض الفرشاة الأسطوانية مستخدمًا الصحيفة الموجودة على ممسحة الباب حيث تركها، عندما لاحظ فجأة أن ساكن الشقة «ثيرتي سيفن سي» يسرع متجاوزًا ملعب كرة السلة في الخارج.

أحسّ نهرو بالارتباك لحظةً، ثم أخبر نفسه أن الناس في هذه الأيام لا يحترمون بعضهم، وأن زوجته قد تكون أكثر معرفة منه بالمغفل والمجلس. وفي الحالتين، من الجيد أن الرجل يودُّ بيع شقته.

24

لدهشتها، بدأت تولين في الاستمتاع بالعشاء في شقة سيباستيان الفاخرة. ينتمي سيباستيان إلى أسرة محامين مرموقة ومزدهرة، وكان والده هو البطريرك ذو النفوذ. ومنذ نحو عشر سنوات، عُيِّنَ قاضيًا إقليميًا. ويقود سيباستيان وشقيقه الأكبر الشركة الآن، مع أن هذا لا يعني بالتأكيد أنهما يشرفان مباشرة على كل شيء. كان هذا الأمر واضحًا على العشاء. كانت ملاحظات أخيه الأكبر المحرجة والنيوليبرالية حول الدولة والمجتمع تتبعثر هنا وهناك على الطاولة، وتتبعها بشدة ردود سيباستيان السريعة، وتذكيراته الساخرة لشقيقة زوجته أن حياة زوجها العاطفية ماتت رسميًّا عندما أنهى تدريبه القانوني. كان والده قد سأل تولين عن دورها في فرقة الجرائم، وأشاد بقرارها التقدُّم إلى المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية الذي كان يعتبره المستقبل بشكل لا لبس فيه. خلافًا لقسم الجرائم الكبرى القديم. وخلال ذلك، أصرَّ الشقيق الأكبر أن أيًّا من الأقسام لن يكون موجودًا في غضون العشرين عامًا المقبلة، بناء على أمله بأن تُخصخَص جميع أعمال الشرطة حتى ذلك الحين. على أي حال، وفي منتصف الطبق الرئيسي، تحوَّل اهتمامه إلى سبب عدم انجذاب سيباستيان بما يكفي لانتقال تولين إلى العيش معه.

– إنه ليس رجلًا بما يكفي ليمنحكِ ما تريدين، أليس كذلك؟

– لا، هو كذلك. أفضِّل استغلاله بأي صورة بدلًا من خنق الحياة من العلاقة.

كانت إجابتها كافية لدفع زوجة الرجل إلى الضحك، لدرجة أن النبيذ الأحمر انتهى به الأمر على قميصه الأبيض من علامة «هيوجو بوس»، فسارع إلى تنظيفه بمنديله، وقالت: «لنشرب في صحَّة هذا القول»، وأفرغت كأسها قبل أن يتمكن الآخرون من مواكبتها. وأرسل سيباستيان ابتسامة إلى تولين،

وضغطت والدته يدَها، وقالت: «حسنًا. نحن بالتأكيد سعداءُ جدًا بلقائك، وأنا أعلم أن سيباستيان سعيد».

- أمي، أرجوكِ.
- لم أقل شيئًا!

كانت لديها عينا سيباستيان أنفسهما. الوهج الدافئ والمعتم نفسه الذي شعرت به تولين قبل أكثر من أربعة أشهر بقليل في المحكمة، عندما جلست في شرفة الحضور، وكان القاضي ينظر في إحدى قضاياها. كانت مشاهدة سيباستيان فالور خلال جلسة الاستماع الأولية هذه أشبه برؤية سيارة تسلا جديدة في المصنع في متحف للسيارات الكلاسيكية، لكنَّ حكمها المتهور بشأن غطرسته كان مُخجِلًا. بصفته المحامي الذي عيَّنته المحكمة للمتهم الصومالي، دافع عن موكله دون تصنُّع وبإدراك سليم لدرجة أنه أقنع الرجل بالاعتراف بالذنب في حادثة العنف المنزلي التي اتُّهم بارتكابها. وبعد ذلك، التقاها سيباستيان خارج المبنى. ومع أن الحظ لم يحالفه في دعوتها للخروج، فإنها انجذبت إليه. وفي وقت متأخر من بعد ظهر أحد الأيام في أوائل يونيو، ظهرت دون سابق إنذار في مكتبه في أماليجيد، وقبلته بمجرد أن أصبحا بمفردهما. لم تكن تعتقد أن الأمر سيتطور إلى أي شيء آخر، لكن العلاقة العابرة كانت جيدة بشكل مدهش، وأدرك سيباستيان أنها لم تكن تبحث عن شخص تسير معه لمسافات طويلة على الشاطئ. الآن، وبعد أن جلست هنا فعلًا وهي تضحك مع أسرته الغريبة، لا يبدو هذا الجزء مخيفًا تمامًا كما هو معتاد.

فجأة، صدرت نغمة رنين عالية جعلت الطاولة صامتة. وكان على تولين أن تمد يدها في جيبها لتجيب على المكالمة.

- نعم، مرحبًا؟
- مرحبًا، أنا هيس. أين الصبي الآن؟

وقفت تولين، وانسلَّت نحو الردهة لتكون بمفردها.

- الصبي؟
- الصبي من المنزل في هوسوم. يوجد سؤال يجب أن أطرحه عليه الآن.
- لا يمكنك التحدث معه الآن. فحصه الطبيب وقرر أنه ربما كان في حالة صدمة، لذلك نُقِلَ إلى قسم الحوادث والطوارئ.

- أيُّ قسم للحوادث والطوارئ؟

- لماذا؟

- لا يهم. سأجد الحل.

- لماذا أنت...

انقطع الخطُّ. ووقفت تولين هناك لحظةً مع الهاتف في يدها. كانت أصوات الثرثرة مستمرَّة حول الطاولة، ولكنها لم تعد تصغي إلى ما يقولونه. وعندما بدا أن سيباستيان يسأل عن وجود خطب ما، كانت فعلًا تلبس معطفها، وتكاد تخرج من الباب.

25

كانت الممرات مهجورة ومضاءة بخفوت عندما دخلت تولين إلى مركز الطب النفسي للأطفال والمراهقين في مستشفى جلوستروب. وعندما وصلت إلى المكتب، رأت هيس يتجادل مع ممرضة عجوز في المكتب الخلفي. تسرَّبت أصواتهما من تحت باب الغرفة المقسَّمة بالزجاج، وتوقف عدد قليل من المراهقين الذين ينتعلون النعال لمشاهدة ما يحدث. شقَّت تولين طريقها بينهم، وقرعت الباب وفتحته.

- تعالَ معي.

عندما شاهدها هيس تبعها على مضض، وراقبته الممرضة بتعبير غاضب.

- يجب أن أتحدث إلى الصبي، لكنَّ أحمقَ ما وعدهم بعدم إزعاجهم مجددًا اليوم.

- أنا وعدتهم بذلك. ما الحديث الذي تودُّ إجراءه معه؟

نظرت تولين إلى هيس الذي، لسبب ما، كان مُلطَّخًا ببقع من الطلاء الأبيض على وجهه وأصابعه.

- لقد استجوبنا الصبي اليوم. وإذا لم تخبرني بما يجري، لن يكون الأمر بهذه الأهمية.

- إنها مجرد أسئلة قليلة. إذا استطعتِ إقناع الممرضة، أعدكِ بأنني سآخذ إجازة مرض غدًا في المقابل.

- أخبرني بما تودُّ طرحه عليه.

26

الجناح في مركز الطب النفسي للأطفال والمراهقين متطابق بشكل كبير مع الجناح المخصص للبالغين، باستثناء عدد قليل من الألعاب والكتب المتناثرة إلى جانب طاولات وكراسي بحجم الأطفال. إنهم لا يُحدِثون فرقًا كبيرًا -لا يزال الجو عابقًا باليأس والحزن- لكنَّ تولين تعرف من خبرتها أن هناك أماكن أسوأ من ذلك بكثير.

بعد طول انتظار، خرجت الممرضة من غرفة الصبي، وتجاهلت هيس ونظرت مباشرة إلى تولين.

- أخبرتُه أنكما ستحدثانه خمسَ دقائق. لكنه قليل الكلام، ولم يتحدث كثيرًا منذ وصوله. لا تجبراه على ذلك. اتفقنا؟

- شكرًا، هذا جيد.

- سأراقب الوضع من مكتبي.

نقرت الممرضة معصمَها، ونظرت بسخط إلى هيس الذي سارع إلى وضع يده على مقبض الباب.

لم يرفع ماجنوس كيار ناظريه إليهما عندما دخلا. كان جالسًا في السرير تحت اللحاف، ولوح الرأس مرفوع، وبين يديه جهاز كمبيوتر محمول يحمل شعار مستشفى كبير على ظهره. إنها غرفة خاصة. الستائر مغلقة، ومصباح واحد يضيء على طاولة السرير، ولكنَّ شاشة الكمبيوتر هي التي تضيء وجه الصبي.

- مرحبًا، ماجنوس. آسف لإزعاجك. اسمي مارك، وهذه...

ألقى هيس نظرة إلى تولين التي حاولت استيعاب ما يحاول فعله، وسبب اختلاقه للاسم.

- نايا.

لم يستجب الصبي. ومشى هيس تجاه السرير.

- ماذا تفعل؟ هل تمانع إذا جلستُ هنا لدقيقة؟

جلس هيس على الكرسي إلى جانب السرير، في حين ظلت تولين في الخلفية. شيء ما جعلها تود الحفاظ على مسافة لها. لا يمكنها التعبير عن ذلك بالكلمات، لكنها تشعر أن هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله.

- ماجنوس، أودُّ حقًّا أن أسألك شيئًا. إذا سمحت لي. هل هذا جيد يا ماجنوس؟

نظر هيس إلى الصبي الذي لم يتفاعل مع السؤال، وقررت تولين أنهما يضيعان الوقت. كان تركيز ماجنوس منصبًا بالكامل على الشاشة، حيث تنقر أصابعه بعجَل على لوحة المفاتيح. بدا الأمر كما لو أنه صنع فقاعة حول نفسه، ويمكن أن يطرح هيس أي سؤال، دون أن يتلقى الإجابة.

- ماذا تلعب؟ هل تسير الأمور على ما يرام؟

ظلَّ الصبي صامتًا، لكنَّ تولين تعرَّفت فورًا لعبةَ «صراع الأساطير» التي ألِفتها على شاشة جهاز ابنتها.

- إنها لعبة كمبيوتر. عليك أن...

رفع هيس يده لإسكات تولين، في حين أبقى عينيه على شاشة الصبي.

- أنت تلعب «صدع المستدعي». هذه الخريطة هي المفضلة بالنسبة إليَّ أيضًا. هل «لوسيان ذا بيوريفاير» هي الشخصية المفضلة لديك؟

لم يجب الصبي، وأشار هيس إلى أحد الرموز أسفل الشاشة.

- إذا كنتَ لوسيان، فستمتلك قريبًا ما يكفيكَ للترقية.

- فعلت ذلك للتو، وأنا في انتظار المستوى التالي.

كان صوت الصبي ميكانيكيًّا ورتيبًا، ولكن هيس أشار مجددًا إلى الشاشة، دون رادع.

- احترس، هناك أتباع قادمون. سيُقبَض على «نيكسوس» إذا لم تفعل شيئًا. اضغط على السحر وإلا ستخسر.

- لن أخسر. لقد ضغطتُ على السحر.

أخفت تولين دهشتها. زملاؤها الآخرون في المركز يفهمون ألعاب الكمبيوتر بقدر ما يفهمون الكانتونية، ولكن هيس ليس مثلهم. شعرتْ بأن

هذه هي أفضل محادثة أجراها ماجنوس طوال اليوم. وذُهِلَتْ أن الأمر نفسه قد يكون صحيحًا بالنسبة إلى الرجل الجالس على الكرسي إلى جانبه الذي يبدو منشغلًا حقًا.

- أنت ماهر في هذه اللعبة. عندما تأخذ قسطًا من الراحة، أودُّ أن أطرح عليك مهمة أخرى. الأمر مختلف نوعًا ما. وينبغي أن تستخدم كل مهاراتك.

وضع ماجنوس الكمبيوتر المحمول جانبًا، وانتظر هيس دون أن ينظر إليه. أخرج هيس ثلاث صور من جيبه الداخلي، ووضعها مقلوبة على اللحاف أمام الصبي. واقتربت تولين.

- لم نتفقْ على هذا. لم تخبرني أي شيء عن الصور.

تجاهلها هيس، ونظر إلى الصبي.

- ماجنوس، سأقلب الصور واحدة تلو الأخرى، وسيكون أمامك عشر ثوانٍ للنظر في كل صورة، وإخباري عن أي شيء غير مألوف فيها. عن أيِّ شيء لا ينبغي وجوده. أي شيء غريب. كما لو أنك تبحث عن حصان طروادة الذي تسلل إلى مجمَّعك، اتفقنا؟

أومأ الصبي البالغ من العمر تسع سنوات برأسه، وهو يحدِّق بحزم إلى الجانب الخلفي من الصور الملقاة على اللحاف. قلب هيس الصورة الأولى. كانت لأحد أقسام المطبخ في سيديرفانجيت، وفيها بعض رفوف التوابل وأدوية الصبي المضادة للقلق. على الأرجح، التقطها جينز وفريق الطب الشرعي. خطر على بال تولين أن هيس لا بدَّ وقد مرَّ بمركز الشرطة لجلب الصور قبل وصوله إلى المستشفى، ما جعلها أكثر حذرًا.

تحركت عينا ماجنوس من تفصيل إلى آخر لتحليل الصورة ميكانيكيًّا، ولكن الصبي هز رأسه بعدئذٍ. ابتسم هيس باستحسان، وقلب صورة جديدة. كانت صورة عشوائية أخرى لزاوية في غرفة المعيشة، تركز على بعض المجلَّات النسائية، وبطانية مطوية على الأريكة. وفي الخلفية، عتبة نافذة مع إطار صورة رقمية مجمدة على صورة للصبي نفسه. كرر ماجنوس العملية، وهز رأسه مجددًا. وقلب هيس الصورة الأخيرة. كانت لجزء من غرفة اللعب. اضطربت معدة تولين عندما شاهدت الصورة وبدأت بمسحها بعينيها لتتأكد من عدم وجود أي أثر للورا كيار. التُقِطَت الصورة من زاوية تُظهِر الأرجوحة

والأشجار ذات اللون البرونزي في الخلفية بشكل أساسي، لكنْ لم تمضِ أكثر من ثانية حتى نقر الصبي بإصبعه على رجل الكستناء الصغير المتدلي من العارضة في الزاوية اليمنى العليا للصورة. نظرت تولين إلى إصبعه، وشعرت بعقدة الصمت في بطنها حتى تحدث هيس.

- هل أنت متأكد؟ لم ترَ ذلك من قبل؟

هزّ ماجنوس كيار رأسه.

- ذهبتُ إلى الملعب مع والدتي أمس قبل تناول الشاي. ولم يكن هناك أي رجل كستناء.

- رائع... أنت رائع. هل تعرف مَن وضعه هناك؟

- لا. هل انتهت المهمة؟

نظر هيس إلى الصبي، وشد ظهره مجددًا.

- نعم. شكرًا لكَ... لقد قدَّمت عونًا كبيرًا يا ماجنوس.

- ألن ترجع أمي؟

بدا هيس حائرًا فيما سيقوله. واصل الصبي تجنُّب النظر إليهما، وبقي السؤال معلقًا مدةً طويلةً قبل أن يمسك هيس بيد الصبي التي كانت ملقاة على اللحاف، وحدَّق إليه.

- لا، لن تعود. أمك في مكان آخر الآن.

- في الجنة؟

- نعم. إنها في الجنة الآن. إنه مكان جيد.

- أستعود وتلعب معي؟

- نعم طبعًا. في يوم آخر.

فتح الصبي جهاز الكمبيوتر خاصَّته مجددًا، واضطر هيس إلى تحرير يده.

27

وقف هيس وظهره تجاه المخرج وهو يدخن، في حين حملت الرياح دخان سيجارته ليحوم بين المباني والأشجار. قبالته، كان موقف السيارات القاتم والأشجار السوداء القديمة، وجذورها ملتوية ومنتفخة تحت الأسفلت. لمحت تولين سيارة إسعاف على الطريق الأسفلتيّ وهي تدخل المرأب تحت الأرض، حيث فُتِحَت الأبواب الزجاجية أوتوماتيكيًّا.

تولَّت تولين استكمال الأمور مع الممرضة بعد ذلك، واطمأنَّت أن الصبيَّ سيحصل على أفضل رعاية ممكنة. وبحلول الوقت الذي انتهيا فيه من الحديث، كان هيس قد رحل. وعندما خرجتْ إلى موقف السيارات، أدركتْ أنها سعيدة لأنه انتظرها.

- ما الذي سيحدث له؟

بدا السؤال حميميًّا بشكل غريب، لا سيَّما أنها تعرف هيس منذ أقل من أربع وعشرين ساعة، ولكنها لم تشكَّ في صدق اهتمامه.

- الأمر متروك للمختصِّين الاجتماعيين الآن. ليس لديه أي أقارب آخرين، من سوء الحظ، لذلك من المحتمل أن يتوصَّلوا إلى حلٍّ مع زوج الأم. ما لم يكن زوج الأم مذنبًا طبعًا.

نظر هيس إلى تولين، وقال: «هل تعتقدين ذلك؟».

- لا يملك حجَّة غياب. وفي تسعة وتسعين في المائة من الحالات، كان الزوج هو من فعل ذلك. لم نحصل على أي جديد هناك.

نظر إليها هيس وتابع كلامه: «ألم نفعل ذلك؟ إذا كان الصبي يقول الحقيقة، من المحتمل أن الدمية التي تحمل بصمة الإصبع قد جُلِبَتْ إلى مسرح الجريمة في الليلة نفسها التي وقعت فيها الجريمة. هذا غريب، ولا

أعتقد أننا قادرون على تفسير ذلك بالقول إن شخصًا ما قد اشترى الدمية من كشك على جانب الطريق قبل عام، أليس كذلك؟

- ليس بالضرورة أن تكون الأشياء متصلة. كان من الممكن أن يقتل الشريك المرأة بسهولة، ويمكن أن يخطئ الصبي بشأن الدمية. أعني، لا شيء آخر له معنى كبير.

أوشك هيس أن يقول شيئًا ما، لكنه أعاد التفكير فيما سيقول، وأطفأ السيجارة بقدمه، وقال: «لا. ربما لا».

أومأ برأسه وداعًا مفاجئًا، وشاهدته تولين وهو يمشي من خلال موقف السيارات. فتحت فمها لتسأل أكان يريدها أن تقلَّه إلى المدينة، لكنْ بينما فعلت ذلك، انطلقت عاصفة من الرياح، وسقط شيء على ألواح الرصف خلفها. عندما استدارت، رأت تولين كرة شائكة بلون بنيٍّ مخضرٍّ وهي تتدحرج في جوف علبة نفايات السجائر، حيث تجمَّعت قطع أخرى مثلها. أدركت ماهية هذه الكرة. نظرت إلى شجرة الكستناء، وفكرت في فروعها المتمايلة وجميع الكرات الشائكة الأخرى ذات اللون البني المخضرّ في انتظار النضج. للحظة، رأت كريستين هارتونج وهي تصنع رجال كستناء على الطاولة في غرفة معيشتها. أو في مكان آخر تمامًا.

الاثنين 12 أكتوبر

28

- سئمتُ من قول ذلك. عدت إلى النُّزُل وذهبت إلى الفراش، والآن أريد أن أعرف متى يمكنني العودة إلى المنزل مع ماجنوس!

كانت الغرفة الصغيرة في نهاية الممر الطويل لقسم جرائم القتل خانقة وشديدة السطوع، وكان هانز هنريك هاوج يبكي ويفرك يديه. كانت ثيابه مُجعَّدة وتفوح منها رائحة العرق والبول. مرَّت ستة أيام على اكتشاف جثة لورا كيار، وأبقته تولين في الحجز لمدة يومين تقريبًا. أعطى القاضي القسم ثمانيَ وأربعين ساعة للعثور على أدلّة كافية لتوجيه الاتهام إليه- حتى الآن دون حظ. كانت تولين مقتنعة أن هاوج يعرف أكثر مما صرَّح به، لكنَّ الرجل ليس أحمقَ. هو عالم كمبيوتر تدرَّب في جامعة جنوب الدنمارك، وهو قديم الطراز ويمكن التنبؤ به في عمله. لكنه ليس ماهرًا. لقد تحرَّك كثيرًا، وادعى أنه كان مُطوِّرًا مستقلًا لتكنولوجيا المعلومات حتى التقى لورا كيار، ووجد وظيفة دائمة في شركة تكنولوجيا معلومات متوسطة الحجم على الواجهة البحرية في كالفيبود كواي.

- لا أحد يستطيع أن يؤكد بقاءك في الفندق مساء يوم الاثنين، ولم يرَ أحد سيارتك في موقف سيارات الفندق حتى الساعة السابعة من صباح اليوم التالي. أين كنتَ؟

عندما قُبِضَ على هاوج، مارس حقّه في تعيين محامٍ. كانت شابة ذكيّة وأنيقة ترتدي ثيابًا لن تستطيع تولين تحملها أبدًا. كانت هي الشخص الذي ينبغي الحديث إليه.

- يؤكد موكلي أنه كان في الفندق طوال الليل. لقد كرر بصبر عدم تورُّطه في الجريمة، لذا ما لم تكن لديك معلومات جديدة، أود الإفراج عنه في أقرب وقت ممكن.

كانت تولين تنظر إلى هاوج وحده.

- الحقيقة هي أنكَ لا تملك حجَّة غياب. وفي اليوم الذي غادرتَ فيه المعرضَ التجاري، بدَّلتْ لورا كيار الأقفال دون موافقتكَ. لماذا؟

- أخبرتكِ. ألقى ماجنوس المفاتيح بعيدًا...

- هل كان ذلك لأنها وجدت شخصًا آخر؟

- لا!

- لكنكَ غضبتَ عندما أخبرتكَ من خلال الهاتف أنها غيَّرت الأقفال...

- لم تقلْ لي أنها غيَّرت الأقفال...

- ولا بدَّ أن اضطراب ماجنوس قد شكَّل ضغطًا على علاقتكما. يمكنني بسهولة أن أفهم سبب غضبكَ إذا أخبرتكَ فجأة أنها ستتجه نحو مكان آخر تجد فيه الراحة.

- لا أعرف شيئًا عن أي شخص آخر في حياتها، ولم أكن قطُّ غاضبًا من ماجنوس.

- هل كنت غاضبًا من لورا؟

- لا، لم أكن غاضبًا من...

- لكنها غيَّرت الأقفال لأنها لم تعد تريدك بعدِ الآن، وهذا ما أخبرتكَ به على الهاتف. لقد شعرتَ بالإحباط، لقد فعلتَ الكثير لها وللصبيِّ، لذلك عدتَ إلى المنزل...

- لم أعد إلى المنزل...

- طرقتَ الباب أو النافذة، وفتحتْ هي لأنها لم تكن تريدكَ أن توقظَ الصبي. حاولتَ التحدث معها. لقد ذكَّرتها بالخاتم في إصبعها...

- هذا ليس صحيحًا...

- ... الخاتم الذي أعطيتها إياه، لكنها كانت باردة وغير مبالية. أخذتَها إلى الخارج، لكنها استمرَّت في إخبارك بالذهاب إلى الجحيم. لقد انتهى الأمر بينكما –ولم يكن لك الحق في أي شيء– لم يُسمَح لك برؤية الصبي، لأنك لم تعد تعني شيئًا لهما، وفي النهاية...

- هذا غير صحيح، أقول لكِ!

أحسَّت تولين بالنظرة النزقة للمحامية، لكنها لم تنظرْ إلا إلى هاوج الذي كان يعصر كفيه مرة أخرى ويتلاعب بخاتمه.

- لن تصلي بهذا الحديث إلى أي نتيجة. لقد فقد موكلي خطيبته، وهناك أيضًا صبي يجب التفكير فيه، لذلك يبدو أنه من غير الإنساني إبقاؤه هنا لمدة أطول. يرغب موكلي في العودة إلى منزله في أقرب وقت ممكن حتى يتمكن من تزويد الصبي بالشعور بالأمان، بمجرد خروجه من...
- نحن فقط نودُّ العودة إلى المنزل كم من الوقت سنقضيه هنا قبل أن نرجع إلى المنزل؟ بالتأكيد يجب أن ينتهي تحقيقك معنا الآن!

يوجد شيء ما حيَّر تولين بشأن فورة هاوج. إنها ليست أول مرة يُعرِب فيها مطور تكنولوجيا المعلومات البالغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا عن نفاد صبره بسبب استمرار فحصهم المنزلَ، ورفض السماح له بالدخول، مع أن المنطق يقول إن هاوج يجب أن يكون مهتمًّا بأن تستغرق الشرطة كل الوقت اللازم لكشف جميع الأدلة. من ناحية أخرى، فُحِصَتْ فعلًا كل زاوية وركن في المنزل مرات عدَّة لدرجة أنه إذا كان هاوج يحاول إخفاء شيء ما، لكانت الشرطة قد وجدته فعلًا، لذلك عليها أن تستسلم لفكرة أنه يفكر ببساطة في خير الصبي.

- موكلي يتفهَّم طبعًا ضرورة التحقيق الذي تجرينه. لكنْ، هل هو حر في الذهاب؟

حدَّق هانز هنريك هاوج بقلق إلى تولين. هي تعلم أن عليها السماح له بالرحيل، وسرعان ما ستُضطَرُّ إلى إبلاغ نيلاندر بأنهم ما زالوا يتعاملون مع جريمة مقتل لورا كيار. وسيكون نيلاندر غاضبًا ولا شك، وسيطلب منها سحب يدها وتجنب إضاعة المزيد من الوقت والموارد، ومن المحتمل أن يسألها عن نتيجة عمل هيس. ولم تكن لدى تولين أدنى فكرة عن ذلك، لسبب وجيه. منذ أن افترقا في مستشفى جلوستروب مساء الثلاثاء الماضي، وهو لم ينجز سوى الحد الأدنى من العمل، وكان شديد الحرية في القدوم والمغادرة. وفي عطلة نهاية الأسبوع، اتصل وسأل عن القضية من مكان ما يبدو كأنه متجر أدوات؛ كان شخص ما يثرثر حول رموز الطلاء واللون في الخلفية. وبعد المكالمة شعرتْ بأن اتصاله كان ببساطة ليعطي الانطباع بأنه لا يزال في القضية. لم تكن لديها نيَّة لإخبار نيلاندر بذلك طبعًا، لكنَّ غياب الرجل ربما يضايقه تقريبًا مثل اعتقالها هاوج دون جدوى، ولن يصبَّ ذلك في خدمة

تولين عندما تنهي المحادثة بتذكيره بالتوصية إلى المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية، وهو ما لم يكن لديه الوقت لمناقشته يوم الجمعة حسب الاتفاق.

- يمكنه الذهاب، ولكنَّ المنزل سيبقى في عهدتنا حتى انتهاء الفحص، لذلك سيتعيَّن على عميلك إيجاد حلٍّ آخر.

أغلقت المحامية حقيبتها بتعبير راضٍ، ووقفت على قدميها. للحظة وجيزة، أحسَّت تولين أن هاوج يودُّ الاحتجاج، ولكن نظرة من محاميته أبقته هادئًا.

29

تتأرجح أشجار البتولا الطويلة بأوراقها الصفراء في مهبِّ الريح، في حين يصل هيس ويوقف سيَّارة الشرطة خاصّته مباشرة خارج المدخل الرئيسي لقسم الطبِّ الشرعيِّ. عند وصوله إلى الاستقبال في الطابق الأول، تفادى أيَّ اعتراضات بإظهار شارته والقول إن لديه موعدًا. وكانت المفاجأة واضحة على وجه جينز الذي ظهر في معطفه الأبيض.

- أنا في حاجة إلى مساعدتك في تجربة صغيرة. ولن يستغرق الأمر طويلًا. لكنني في حاجة إلى غرفة مُعقَّمة قدر الإمكان، وفنيٍّ قادرٍ على استخدام المجهر.

- معظمنا قادرون على هذا. ما الأمر؟

- في البداية، أريد أن أعرف أكنتَ محلًا للثقة. إنها على الأرجح مهمة حمقاء ولا تستحق الوقت الذي نضيعه فيها، لكنني لا أريد المخاطرة بنشر المعلومات.

ابتسم جينز، الذي كان ينظر إلى هيس بتشكك حتى الآن، وقال: «إذا كنت تلمِّح إلى ما قلتُه في ذلك اليوم، أرجو أن تفهم أنه كان عليَّ الحذر».

- حسنًا، أصبحتَ الآن الشخص الذي يجب أن يلزم جانب الحيطة والحذر.

- هل أنت جادٌّ؟

- أنا جادٌّ.

نظر جينز بسرعة فوق كتفه كما لو أنه يتذكر أكوام العمل المتراكم على مكتبه، وقال: «إذا كان الأمر مرتبطًا بالقضية، وضمن حدود القانون».

- أعتقد هذا. ما لم تكن نباتيًّا. الآن، كيف أستطيع إدخال السيارة إلى هنا؟

انفتحت آخر البوابات الكهربائية إلى جانب المبنى، وفور دخول السيارة، ضغط جينز زرًّا لإغلاق هذه البوابة، قبل أن تتبعها أوراق متساقطة. كانت الغرفة بحجم ورشة الميكانيكي. كانت إحدى غرف فحص المركبات التابعة للقسم. ومع أن السيارة ليست ما يودُّ هيس فحصه، فإنها تناسبه تمامًا. كانت تحتوي على مصابيح سقف نيون قوية، وفتحة تصريف في الأرضية.

- ما الذي تودُّ اختباره؟

- هل يمكنكَ الإمساك بهذا الطرف.

فتح هيس صندوق الأمتعة، وصُعِقَ جينز عندما وجد نفسه يحدِّق إلى جسم شاحب مغطًّى بالبلاستيك السميك والشفاف.

- ما هذا؟

- خنزير. عمره نحو ثلاثة أشهر. اشتريتُه من سوق اللحوم حيث كان معلَّقًا في مخزن بارد حتى الساعة الماضية. ساعدْني على وضعه على الطاولة هناك.

أمسك هيس بالقدمين الخلفيَّتين، في حين رفع جينز الكوارع الأماميَّة للحيوان بتردُّد. ومعًا، وضعا الحيوان على الطاولة الفولاذية في أحد جوانب الغرفة. فُتِحَ البطن وأزيلتْ جميع الأعضاء. كانت العينان تحدِّقان إلى الحائط بلا حياة.

- لا أعتقد أنني أفهم. ما علاقة هذا بالجريمة، وإذا كانت مزحة، فأنا لا وقت لديَّ ببساطة.

- الأمر ليس مزحة. يزن هذا الحيوان خمسة وأربعين كيلوجرامًا- تقريبًا نفس وزن إنسان قبل عمر المراهقة. له رأس وأربعة أطراف. وبالرغم من اختلافه الطفيف عن الإنسان من حيث الغضاريف والعضلات والعظام، فإنه مناسب بدرجة كافية لمقارنة الأدوات. بعد التقطيع.

- التقطيع؟

حدَّق جينز مذهولًا بما قاله هيس الذي عاد إلى السيارة، وأخرج ملف القضية مع جسم طويل وملفوف من المقعد الخلفي. دسَّ الملف تحت ذراعه، ومزَّق الغِلاف السميك عن الجسم الطويل ليكشف عن منجل بطول متر تقريبًا.

- هذا ما علينا فحصه بمجرد أن ننتهي. المنجل مطابق تقريبًا للذي عثرنا عليه في منزل الجاني في قضية هارتونج. وبقدر الإمكان، أودُّ تقطيع أوصال الخنزير باستخدام الوصف المقدَّم من خلال الاستجواب. سأستعير مريلة فقط.

وضع هيس السلاح وملف قضية هارتونج على المنضدة الفولاذية بجانب جينز، قبل إنزال أحد المآزر من أحد مسامير التعليق. ونظر جينز إلى التقرير قبل أن يعود إلى هيس.

- لكن لماذا؟ اعتقدتُ أن الجريمة غير مرتبطة بقضية هارتونج. أخبرتني تولين...

- لا صلة لها بقضية هارتونج. إذا طُرِحَ أيُّ سؤال، نحن فقط نذبح هذا الحيوان البرِّي للاحتفال بعيد الميلاد. أستبدأ، أم أبدأ أنا؟

في مثل هذا الوقت من الأسبوع الماضي، لم يكن هيس يتخيَّل نفسه خلال مليون عام وهو يقطِّع أوصال خنزير. لكنْ بعد ذلك، وقع شيء ما منحه منظورًا مختلفًا تمامًا بشأن مقتل لورا كيار. ليس لهذا الأمر صلة بحالة الانزعاج التي شعر بها بعد زيارة ماجنوس في مستشفى جلوستروب. إذا وُضِعَ رجل الكستناء الذي يحمل بصمة كريستين هارتونج في مسرح الجريمة في وقت جريمة القتل نفسه، فلا بدَّ أنها مصادفة غير عادية. لكن في القطار خلال عودته إلى المنزل من جلوستروب، وجد نفسه يراجع القضية مرة بعد أخرى. لم يكن يشك في أن الفتاة من أسرة هارتونج قد قُتِلَتْ وقُطِّعَتْ أوصالها قبل عام، كما أخبرتْه تولين. لم يكن العمل في قوة الشرطة الدنماركية سهلًا -كان يعلم ذلك بفضل تجربته الشخصية- ولكنَّ معدل الدقة والوضوح بالنسبة إلى فريق جرائم القتل كان بين النخبة الأوروبية لسنوات. لا تزال حياة الإنسان تعني شيئًا ما في هذا البلد -ولا سيَّما عندما يتعلَّق الأمر بالأطفال- والأهم من ذلك كله عندما يتعلق الأمر بطفل أحد الأعضاء البارزين في البرلمان. حقيقة أن كريستين هارتونج كانت ابنة وزيرة يعني إجراء تحقيق شامل ودقيق يتعاون فيه المحققون وفنيُّو الطب الشرعي، ومختصُّو علم الوراثة، وفرق قوات النخبة، وأجهزة المخابرات على مدار الساعة. ربما كان يُنظَر إلى الجريمة ضد الفتاة بوصفها هجومًا محتملًا على الديمقراطية، ما دفعهم إلى بذل كل الجهود الممكنة. وبشكل أساسي، كان هيس يثق بالتحقيق ونتائجه.

ومع ذلك، كانت لا تزال هناك تلك المصادفة العشوائية، والقلق الذي استمرَّ حتى بعد عودته إلى شقته في أودين.

مع مرور الأيام، سقطت الشكوك منطقيًا عن خطيب الضحية، هانز هنريك هاوج، وقد أذعن هيس للأمر. كان التحقيق في يد تولين التي بدت مثابرة، ومن الواضح أنها في طريقها للخروج من القسم وصعود السلم الوظيفي. كما ظهرت برودتها واضحة، لكنْ من ناحية أخرى كانت جهوده -بصرف النظر عن الزيارة العفوية إلى ماجنوس كيار- ضعيفة جدًّا إذ انتهز كل فرصة ممكنة للابتعاد عن الأضواء. أمضى معظم وقته في صياغة تقرير لرئيسه في يوروبول الذي شاركه مع فرانسوا. وبعد بعض التعديلات، قدم كلاهما تقارير إلى فريمان. وبينما كان هيس في انتظار قرار رئيسه الألماني، بدأ في ترتيب شقته. ولأنه سيعود إلى يوروبول قريبًا -كما يرجو- اتصل هيس بوكيل للعقارات. عدة وكلاء في حقيقة الأمر. لم يوافق الوكلاء الثلاثة الأوائل على عرض الشقة؛ ولكنَّ الرابع فعل ذلك بعد أن نصح هيس بعدم توقُّع النتيجة سريعًا. كما يعلم، لم تكن سمعة المنطقة جيدة. وأضاف: «ما لم تكن مسلمًا، أو سئمت الحياة بشكل عام». ولحماسته المفرطة، أقحم المشرف على العقار نفسه في إعادة الديكور. لقد تحدث الرجل الباكستاني الصغير كثيرًا إلى هيس في أثناء طلاء الشقة، ولكنَّ المشروع كان يسير جيدًا نوعًا ما.

ثم، الليلة الماضية، وقع شيء ما. أولًا، تلقى هيس مكالمة من لاهاي. أخبره الصوت البارد للسكرتير باللغة الإنجليزية أن فريمان يريد مقابلةً صوتًا وصورة عبر سكايب معه في الثالثة من ظهيرة اليوم التالي، ما جعل هيس أكثر بهجة. لقد دفعته بارقة الأمل الإيجابية هذه إلى طلاء السقف، وهو ما لم يكن ليهتم به لولا ذلك. ومن سوء الحظ، نفد الورق المقوَّى، لذا بدلًا من ذلك، أعطاه المشرف على العقار كومة من الصحف القديمة من الطابق السفلي لتنتشر على الأرض. لكنْ بمجرد أن ينتهي هيس من السقف في المطبخ الصغير، نظر من سلَّمه ليجد كريستين هارتونج تنظر إليه من إحدى الصفحات.

كان الإغراء قويًّا جدًّا، فالتقط الصفحة بأصابعه الملطَّخة بالطلاء. «أين كريستين؟» كان عنوان الخبر، وسرعان ما وجد نفسه يبحث عن بقية المقال الذي تبين أنه كان بين الصفحات على الأرض إلى جوار المرحاض. كان خبرًا

رئيسيًا مؤرَّخًا يوم 10 ديسمبر من العام الماضي، ويلخِّص القضية والبحث غير المثمر عن جثة كريستين هارتونج. ومع أن الشرطة في تلك المرحلة كانت قد أثبتت ما وقع لكريستين، فإن المقال اتخذ نبرة غامضة ومتعسفة. وخلال الاستجواب قبل شهر، اعترف القاتل، لينوس بيكر، بالاعتداء الجنسيِّ عليها وقتلها وتقطيع أوصالها، لكنْ لم يُعثَر على الجثمان. كان المقال مرفقًا بصور فوتوغرافية بالأسود والأبيض لضباط يمشطون الغابة. نُقِلَ عن مصادر مختلفة بالشرطة مجهولة المصدر قولها إنه من الممكن أن تكون الثعالب أو الحيوانات الأخرى قد نبشت أجزاء الجثة وأكلتها، وهو ما قد يفسر سبب عدم العثور على أي شيء. نيلاندر، مع ذلك، بدا متفائلًا، على الرغم من تصريحه أن الجوَّ عاق مجريات التحقيق. سأله الصحفي أكان من الممكن أن يكون اعتراف لينوس بيكر كاذبًا، لأنهم لم يوفَّقوا في البحث، لكن نيلاندر رفض الفكرة: بالإضافة إلى اعتراف بيكر، كان لديهم دليلٌ واضح على جريمة القتل وتقطيع الأوصال، مع أن نيلاندر لم يقدِّم أي تفاصيل أخرى.

حاول هيس مواصلة الطلاء، لكنه اضطُرَّ أخيرًا إلى قبول أن زيارة المركز قد تكون ضرورية. من ناحية، لجلب سيارة الشرطة التي احتاج إليها لإحضار آلة صنفرة الأرضية من متجر الأدوات اليدوية في اليوم التالية، ومن ناحية أخرى، ليرتاح ضميره.

كانت الممرات فارغة -والساعة تقرب من العاشرة يوم الأحد- وكان محظوظًا بوجود آخر فرد من الموظفين الإداريين في الخدمة. وعلى شاشة في الطرف البعيد من القسم ذي الإضاءة الخافتة، سجَّل الدخول إلى قاعدة البيانات موضحًا حاجته إلى الاطلاع على بعض المعلومات بشأن قضية لورا كيار. لكن، وبمجرد اختفاء الموظف، بحث عن كريستين هارتونج.

كانت المادة شاملة. استُجوِبَ نحو خمسمائة شخص. وفُتِّشَتْ مئات المواقع وأُرسِلَتْ أشياء لا حصر لها ليفحصها مختصُّو الطب الشرعي. ومع ذلك، اقتصر سعي هيس على الحصول على ملخص للأدلة ضد لينوس بيكر، ما جعل بحثه أكثر سهولة. كانت المشكلة الوحيدة هي أن قراءته لم تمنحه راحة البال التي كان يسعى إليها. كان تأثيرها معاكسًا.

أول ما لفت انتباهه كان اكتشافه أن لينوس بيكر أصبح في دائرة الشكّ لمجرَّد الإشارة إليه من طرف مجهول الهوية. ونظرًا إلى إدانته سابقًا بارتكاب جرائم جنسيَّة، أُخضِعَ فعلًا لاستجواب روتيني عقيم النتائج، حتى وردت المعلومات المجهولة – دون تحديد مَن يقف وراءها. والشيء الآخر الذي لا يزال يزعج هيس هو إصرار بيكر على أنه لا يستطيع تذكُّر المواقع الدقيقة التي دفن فيها جثة الفتاة مقطوعة الأوصال، على ما يبدو بسبب الظلام، وأنه كان في حالة ذهنية شديدة الاضطراب في ذلك الوقت.

وإثباتًا لإدانة بيكر، عثرت الشرطة على السلاح الذي يرجِّح استخدامه في تقطيع كريستين هارتونج في أثناء تفتيش مرأب في منزله، وهو شقة في الطابق الأرضي في بيسبيبرج؛ من الواضح أن هذا كان الدليل القاطع الذي ألمح إليه نيلاندر في المقال. فُحِصَ السلاح الذي يبلغ طوله تسعين سنتيمترًا من متخصصي علم الوراثة الشرعيين، و-في مواجهة حقيقة أن الدم الموجود على السلاح كان مطابقًا تمامًا لكريستين هارتونج- اعترف بيكر بالقتل. وصف متابعته للفتاة في سيارته في الغابة، حيث تغلب عليها وتحرش بها وخنقها. وبعد لف الجثة في أكياس بلاستيكية سوداء من صندوق أمتعة سيارته التي قادها إلى المنزل لإحضار المنجل والمجرفة من المرأب. ومع ذلك، أصرَّ على أنه كان يعاني انقطاع التيار الكهربائي، ولم يستطع تذكُّر الحدث إلا في ومضات. أخبرهم أن الظلام قد حلَّ، وهو يقود سيارته مع الجثمان، حتى انتهى به المطاف في غابة في شمال زيلاند. وهناك، حفر حفرة وقطع الجثة ودفن بعضها، ربما الجذع، قبل الاستمرار في الغابة ودفن الأطراف في مكان آخر. وإضافة إلى تحليل علماء الوراثة الشرعيين الذي لم يترك أي شك في أن المنجل قد استُخدِم لمهاجمة كريستين هارتونج، حُلَّتِ القضية.

على أي حال، كان تحليل السلاح هو الذي دفع هيس إلى زيارة سوق اللحوم في ذلك الصباح. في طريقه عبر المدينة، توقف عند متجر للصيد بالقرب من جاميلتورف، والذي يتذكره من وقته مع فرقة القتل. لا يزال المتجر يبيع أسلحة غريبة، ولم يستطع هيس أن يتساءل أكان ذلك قانونيًّا. هناك وجد المنجل الذي بالرغم من أنه لم يكن مطابقًا تمامًا للمنجل الموجود في قضية هارتونج، كان له نفس طول النصل ووزنه وانحنائه تقريبًا، وكان مصنوعًا من المادة نفسها. لقد تردد حول خبير الطب الشرعي الذي يجب أن

يطلب المساعدة في تجربته، ووقع اختياره على جينز للسمعة الطيبة التي يُعرَف بها، حتى بين خبراء يوروبول. وكمزية إضافية، كان هذا يعني أن هيس يمكنه تجنب التحدث إلى أي من معارفه القدامى.

لقد أوشكا أن يُنهيا تقطيع أوصال الخنزير. وبمجرد أن فصل هيس ساقه الأخرى، الأمامية هذه المرة، بضربتين قاسيتين ودقيقتين على المفصل الموجود أسفل لوح الكتف، مسح جبهته وتراجع عن المنضدة الفولاذية.

- ماذا الآن؟ هل انتهينا؟

أطلق جينز الذي كان يمسك بالخنزير من أجل هيس، ساقه الأمامية والجسم ونظر إلى ساعته، في حين رفع هيس النصل نحو الضوء لتقييم تأثير ملامسته للعظم.

- ليس بعد. نحتاج فقط إلى تنظيفه، ثم أتمنى أن يكون لديك مجهر قوي حقًّا.

- لماذا؟ ما زلت لا أفهم ما نفعله هنا.

لم يستجب هيس. وبحذر شديد، حرَّك طرف سبابته على طول نصل المنجل.

30

بإحباط، جالت تولين بنظرها بين المواد الموجودة على الشاشة المسطَّحة أمامها، وشاهدت بقايا لورا كيار الإلكترونية. أعدَّ فنِّيو الكمبيوتر في قسم الطب الشرعي ثلاثة مجلدات لها تحتوي على رسائل كيار من خلال الهاتف المحمول والبريد الإلكتروني، وتحديثات صفحتها على فيسبوك. وفعلًا خلال الأسبوع الماضي، راجعت هذه المادة عدة مرات، ولكن هاوج أصبح حرًّا الآن، والتحقيقات ينقصها التوجيه. وعند وصولها إلى المكتب في وقت سابق، طلبت من المحققين الذكور المكلفين مساعدتَها في تلخيص بدائل عن هاوج حتى تتمكن من تزويد نيلاندر بجميع المعلومات.

قال أحدهم: «معلِّم دعم التعلم للصبي احتمالٌ جيد. كان على اتصال كبير مع لورا كيار لأن حالة الصبي كانت تتأرجح بين الانسحاب التام والعدوان والعنف المفاجئ. يقول إنه –وفي عدَّة اجتماعات– اقترح على الأم وضع الصبي في مدرسة خاصة، لكنْ ربما تطورت العلاقة بينهما عند تلك النقطة».

سألت تولين: «وكيف تطورت؟».

- ربما بدأت الأم إظهار مفاتنها للمعلِّم، ولكنه ظهر دون سابق إنذار في إحدى الأمسيات في منزلها بحثًا عن مغامرة أخرى، وبدأت القصة.

تجاهلت تولين الاقتراح، وحاولت التركيز على الكمِّ الهائل من الحروف والجمل التي تندفع بقوَّة على الشاشة أمامها.

كان فنِّيو الكمبيوتر محقين في أن الاتصالات الإلكترونية الخاصة بلورا كيار خلال المدة التي سبقت مصرعها لم تكن مثيرة للاهتمام، بمعنى أنها لم توفر أي دليل قويٍّ. كانت قدرًا كبيرًا من البيانات غير ذات القيمة، لا سيَّما

بينها وبين هانز هنريك هاوج. لذلك طلبت تولين رؤية رسائلها النصّية وبريدها الإلكتروني وتحديثات فيسبوك القديمة وصولًا إلى وقت وفاة زوجها قبل عامين. ومن شاشتها في مركز الشرطة، سجلت الدخول إلى ذاكرة التخزين المؤقت للبيانات باستخدام الرمز الذي حصلت عليه من جينز من خلال الهاتف، واغتنم الفرصة ليسأل عن التأثير المذهل لاكتشاف بصمة كريستين هارتونج في القضية. كان من حق جينز الاستفسار عن الأمر، إلا أن التذكير كان سببًا في إزعاج تولين، وأبلغته باقتضاب عن وجود تفسير منطقيٍّ لهذه البصمة، وأن الأمر لا يستحق إضاعة الوقت في ذلك. وبعدئذٍ، ندمت على ردها. كان جينز من الفنيين القلائل الذين اهتموا بمتابعة الحالات، وقررت إعادة النظر في مرافقته في أحد تمارين الجري.

لم تقرأ تولين ذاكرة التخزين المؤقت للبيانات بأكملها، ولكنَّ الاختبارات الموضعية كانت كافية لتشكيل صورة عن المرأة المغدورة. كانت المشكلة أن هذا لم يساعد كثيرًا، لذا بعد جريمة القتل، زارت مكان عمل لورا كيار. لكن في مكتب طبيب الأسنان المُعقَّم الواقع في أحد شوارع المشاة المصقولة في وسط المدينة، أكد زملاؤها الحزانى أن لورا كانت امرأة تولي الأسرة اهتمامها الأساسي، ولا سيَّما ابنها ماجنوس. وبعد أن فقدت زوجها قبل عامين، لم تكن سعيدة، خاصة أن الوفاة حوَّلت طفلها المبتهج الذي كان يبلغ من العمر سبع سنوات إلى صبيٍّ صامت وشديد الانطواء. لم تكن تشعر بحال جيدة وحدها، لذلك عرَّفتها إحدى زميلاتها على مواقع مواعدة مختلفة حيث قد تجد الحب مرة أخرى. حاولت مواعدة العديد من الرجال، في البداية من خلال تطبيقات التواصل مثل «تيندر»، و«هابن» و«كانديديت»، وهي معلومات تعرفها تولين سلفًا من رسائل البريد الإلكتروني. ومع ذلك، لم تتمكن لورا من العثور على رجل مهتم بعلاقة دائمة. لذلك لجأت إلى موقع المواعدة «ماي سيكوند لاف»، حيث عثرت على هانز هنريك هاوج بعد بضعة شباب. وخلافًا المرشحين السابقين، كان هاوج مرنًا بما يكفي لقبول ابنها، ويبدو أن لورا كانت في حالة حب كبيرة وسعيدة جدًّا بالعودة إلى الحياة الأسرية. ومع تزايد وضوح صعوبات ماجنوس في التفاعلات الاجتماعية، أصبح هذا الموضوع الرئيسي للدردشة بين وقت معالجة قنوات الجذور وتبييض الأسنان، وأصبحت لورا مهووسة بشكل متزايد بالعثور على متخصصين لمساعدة الصبي الذي تفاقمت حالته. ثم شُخِّصَ شكلًا من أشكال التوحد.

كان من المستحيل إقناع زملاء لورا بقول كلمة سيئة عن هاوج، فقد كان يصطحبها أحيانًا بعد العمل. كان هاوج على ما يبدو داعمًا كبيرًا وصبورًا ومكرسًا لرفاهية الصبي، ويعتقد العديد من الزملاء أن لورا كانت ستنهار من دونه. وحول هذا الأمر، كان تواصلها مع ابنها خلال الأسابيع القليلة الماضية أقل من المعتاد. في يوم الجمعة قبل الجريمة، طلبت إجازة لتتمكن من قضاء بعض الوقت معه، كما ألغت خططًا مع عدد قليل من الزملاء: رحلة ليلية إلى مالمو لحضور دورة تدريبية.

عرفت تولين كل هذه المعلومات من رسائل لورا. أرسل إليها هاوج رسالة من العمل، وهو قلق لأنها كانت تعزل نفسها وتدفع الناس بعيدًا لتكون مع ابنها، ولكنَّ لورا ردت باعتدال أو لم ترد على الإطلاق. ومع ذلك، لم يُظهِر هاوج أي علامات عن الغضب. في محاولاته المتكررة لجذب انتباهها من خلال الرسائل النصية، استمر برزانة في تسميتها «حب حياتي»، «حبيبي»، «اللطيفة» وغيرها من الأشياء التي بعثت في تولين إحساسًا بالرغبة في التقيؤ.

كانت تولين تتوقع، وربما تأمل أيضًا، أن يكشف أمرُها للتحقق من حركة بيانات هاوج خلال مدة احتجازه عن جانب مختلف حوله، لكنْ هناك أيضًا أصيبت بخيبة أمل. رسمت المادة صورة لرجل مكرَّس لوظيفته، وهو موظف مهم في شركة التكنولوجيا في كالفيبود كاي، وكان اهتمامه الأساسي -باستثناء لورا وماجنوس- هو منزله وحديقته، من بين ذلك المرأب. من الواضح أنه حفر الأساسات وبنى الهيكل بنفسه. أُهمِلَتْ صفحة هاوج على فيسبوك بشكل كبير، حيث كانت تعرض ما يزيد قليلًا على صورة لنفسه وهو يرتدي وزرة في الحديقة، ويقف إلى جوار عربة يد مع لورا وماجنوس. لم يبدُ أي شيء مريب فيه. لم تكن هناك حتى عمليات البحث الإباحية المعتادة على الويب. طرحت تولين سؤالًا على هاوج بشأن عدم اهتمامه بوسائل التواصل الاجتماعي خلال أحد الاستجوابات الأولية، وردَّ الرجل بأنه يقضي الكثير من الوقت أمام الشاشة في العمل، ما يجعله يفضِّل التركيز على أشياء أخرى في أوقات فراغه. وقد دعم زملاؤه في العمل ودائرة صغيرة من الأصدقاء هذا الانطباع العام بعدم الإضرار، ولم يلاحظ أيٌّ منهم أي خطأ، سواء في المعرض التجاري أو قبل ذلك.

بعد ذلك، وضعت تولين ثقتها في جينز وفحص الطب الشرعي: صُودِرَتْ سيارة هاوج، وعناصر مختلفة من ملابسه وأحذيته، وفُحِصَتْ بحثًا عن آثار

دماء لورا كيار أو أدلة أخرى من ليلة القتل. لا شيء. وعندما أكد جينز لتولين أن الشريط اللاصق فوق فم لورا، وأربطة الكابلات حول معصمها، لا تتطابق أبدًا مع النوع الموجود على الرفوف في مرأب هاوج، بدأت تفقد الأمل.

كانت الهراوة، والمنشار المستخدم لبتر يد المرأة، مفقودين- وكذلك اليد المبتورة.

بعد تسجيل الخروج، اتخذت تولين قرارًا. سيُضطر نيلاندر إلى الانتظار. نهضت والتقطت معطفها، وقاطعت حديث المحققيْن اللذين ما زالا يتبادلان النظريات حول معلِّم الدعم.

- تجاهلا المعلِّم، وركِّزا على هاوج. راجعا لقطات كاميرا المرور مرة أخرى، وحاولا العثور على سيارة هاوج على الطريق بين مركز المؤتمرات والمعارض وهوسوم بين الساعة العاشرة في تلك الليلة والسابعة من صباح اليوم التالي.

- سيارة هاوج؟ لكننا فعلنا ذلك سلفًا.

- كرِّرا العمل إذن.

- ألم نطلق سراح هاوج للتو؟

- اتصلا بي إذا وجدتما أي شيء. سأتحدث مع صاحب عمل هاوج مجددًا.

ابتعدتْ تولين عن امتعاضهما، عندما ظهر هيس فجأة في المدخل.

- دقيقة لو سمحت؟

بدا مضطربًا، وألقى نظرة سريعة على الضابطين في الخلفية، وتجاوزته تولين.

- لا، لا وقت لدي.

31

- أعتذر لأنني لم أكن موجودًا هذا الصباح. أتفهَّم أنكِ اضطُررتِ إلى إطلاق سراح هاوج، لكنَّ هذا قد لا يهمُّ. علينا التحدُّث عن بصمة الإصبع مرَّة أخرى.

- بصمة الإصبع ليست مهمة.

وبينما كانت تولين تواصل السير في الممر الطويل، سمعتْ هيس خلفها.

- قال الصبي إن الدمية لم تكن موجودة قبل الجريمة. علينا إيجاد شخص آخر للتحقق من هذا الأمر. الأشخاص الذين يعيشون هناك، الأشخاص الذين ربما شاهدوا شيئًا ما.

وصلت تولين تقريبًا إلى درجات السُّلَّم الحلزوني المؤدي إلى الفناء المركزي. رنَّ جوَّالها، لكنها لا تريد إبطاء سرعتها، فتركته يرنُّ، بينما نزلت الدرجات، وهيس في عقبها.

- لا، لقد أوضحنا ذلك فعلًا. في هذا القسم، نتخذ بوجه عام وجهة نظر مفادها أنه من الأفضل قضاء الوقت في القضايا التي لم تُحل، بدلًا من إضاعته في قضايا حُلَّت فعلًا.

- هذا ما علينا التحدث فيه. انتظري دقيقة.

وصلت تولين إلى أسفل الدرج، وخرجت إلى الفناء المركزي المهجور عندما شعرت أن هيس يمسك بكتفها ليجبرها على التوقف. التفتت بسرعة لتحدق إلى وجهه، في حين أمسك بملف تعرفه جيدًا بأنه ملخص عن القضية.

- وفقًا للتحليل الأصلي، لم يكن هناك أي أثر لغبار العظام على السلاح الذي استخدمه لينوس بيكر لتقطيع أوصال كريستين هارتونج. كان يحمل دماءها، وافترضوا أن ذلك بالإضافة إلى تصريح بيكر كان كافيًا لجعل عملية التقطيع تبدو معقولة.

- ما الذي تود قوله؟ من أين حصلت على هذا التقرير؟

- لقد جئتُ للتو من قسم الطب الشرعي. ساعدني جينز في إجراء تجربة. عندما يُقطَّع العظم، أيُّ عظم كان، فإنكِ ستحصلين على غبار عظمي مجهري في شقوق النصل وثلمه. انظري إلى هذه الصورة المكبَّرة للمنجل الذي استخدمناه في التجربة. من المستحيل إلى حدٍّ كبير إزالة الجسيمات، بصرف النظر عن مدى دقة تنظيف السلاح. ولكنَّ تحليل الطب الشرعي الجيني الأصلي لم يجد سوى آثار للدم. وليس غبار العظام.

قدَّم هيس لـ تولين بضعة أوراق منفصلة من الصور المقرَّبة لما بدا كأنه جزيئات صغيرة على سطح معدني، ويفترض أنها للمنجل، ولكن ما لفت انتباهها كان الأطراف المقطوعة في إحدى الصور الأخرى.

- ما هذا في الخلفية؟ خنزير؟

- كانت تجربة. إنه ليس دليلًا، لكن الشيء المهم هو...

- لو كانت هذه الحقائق ذات أهميَّة، لكانت قد ذُكِرَتْ من قبل، ألا تعتقد ذلك؟

- لم يكن الأمر مهمًّا في ذلك الوقت، ولكنه قد يكون الآن – لقد وجدنا البصمة الآن!

يُفتَح الباب الرئيسي لتنسلّ الرياح الباردة إلى الداخل حاملة معها رجلَيْن يضحكان. الأول هو تيم يانسن، المحقق الطويل وقوي البنية الذي لا يُرى عادة إلا بصحبة شريكه مارتن ريكس. ويشتهر يانسن بأنه محقق مخضرم وحادُّ الذكاء، لكنَّ تولين تعتبره صداميًّا وعدوانيًّا، فهي تتذكر بوضوح كيف تحرَّش بها في أثناء التدريب القتالي في ذلك الشتاء، ولم يتركها إلا بعد أن وجَّهت له لكمةً بمرفقها إلى رأس معدته. يانسن هو أيضًا المحقق الذي انتزع، مع شريكه، اعترافًا من لينوس بيكر، وتشعر تولين أن منصبهما حصينٌ في القسم.

- حسنًا، هيس. هل عُدت إلى تفرُّغك؟

أرفق يانسن التحية بابتسامة مُتكلِّفة لم يستجب لها هيس. انتظر مرورهما من خلال الفناء قبل أن يقول أي شيء آخر، وشعرت تولين أن الإشارة إلى حذره أمرٌ سخيف.

قال هيس وهو ينظر إلى عينيها: «ربما لا يقودنا هذا الأمر إلى شيء. كان دمها هناك، بعد كل شيء، وشخصيًّا لم أكن أهتم كثيرًا بطريقة أو بأخرى، لكنْ عليكِ الذهاب إلى رئيسك في العمل لاكتشاف الخطوة التالية».

لم تودَّ تولين الاعتراف بالأمر، لكنْ بعد زيارة ماجنوس في مستشفى جلوستروب، سجَّلت أيضًا الدخول إلى الأرشيف وقراءة قضية هارتونج فقط لتطمئن نفسها أنه لم يكن هناك أي شيء آخر ينبغي لها مراعاته، وبقدر ما تشعر بالقلق، لم تجد شيئًا. إلى جانب التذكير بمدى الألم الذي كان يجب أن يكون عليه الوالدان عندما حضرت هي وهيس إلى منزلهما في ذلك اليوم.

- وأنت تخبرني بهذا لأن عملك في لاهاي يجعلك خبيرًا في قضايا القتل؟

- لا، أنا أخبرك لأن...

- ابتعد عن القضية إذن. لا أريدك أن تثير ضجة بالعبث في أحزان الناس لأن شخصًا آخر أدى عمله في حين لم تكن تؤدي عملك.

نظر هيس إليها. كانت قادرة على رؤية المفاجأة في عينيه. من العوامل المخففة أنه حتى الآن -وطوال استرساله في الأفكار- لم يدرك مدى الضرر الذي يتسبب به مقارنة بالنفع، لكن هذا لا يُغيِّر أي شيء. كانت على وشك التوجُّه نحو الباب عندما تردد صدى الصوت من خلال الفناء.

- تولين، فنيو تكنولوجيا المعلومات يحاولون الاتصال بكِ!

نظرت تولين إلى أعلى الدرج تجاه الضابط الذي اتجه نحوها وهو يحمل هاتفًا محمولًا في يده.

- أخبرهم أنني سأعيد الاتصال بهم بعد دقيقة.

- الأمر مهم. تلقى هاتف لورا كيار رسالة للتو.

شعرت تولين أن هيس أصبح يقظًا، فاستدار لمواجهة الضابط، وأخذت الهاتف الذي سلمها إياه.

على الطرف الآخر، كان هناك أحد فنيي تقنية المعلومات. شاب لم تعرف اسمه. يتكلم بسرعة ويثرثر وهو يحاول شرح الموقف.

- الأمر يتعلق بجوال الضحية. نلغيه دائمًا مع شركة الهاتف بمجرد الانتهاء من فحصه، ولكن هذا يستغرق يومين، لذلك لا يزال نشطًا، ولا يزال بإمكانك...

- أخبرني فقط بنص الرسالة.

حدقت تولين إلى الأعمدة حول الفناء، والأوراق ذات اللون البرونزي تدور في الهواء، واستشعرت عينا هيس على مؤخرة رقبتها في حين قرأ الفنّي الرسالة بصوت عالٍ. مرَّ تيار هواء بارد من خلال الأبواب غير محكمة الإغلاق، وسمعت نفسَها تسأل أكان في إمكانهم تتبُّع المُرسِل.

32

لم تمرَّ أكثر من خمس عشرة دقيقة على لقائها مع جيرت بوكيه، زعيم الحزب الداعم لهم، حتى بدأت روزا هارتونج تدرك وجود خطبٍ ما. كانت الأيام القليلة الماضية في كريستيانسبورج حافلة بالأعمال، ومُرِّرَت اقتراحات لإضافات مختلفة إلى ميزانية السياسة الاجتماعية لمشروع قانون المالية للعام المقبل ذهابًا وإيابًا بين وزارتها ومكتب بوكيه. وعملت مع فوجل ليل نهار للتوصل إلى حل وسط يرضي الحزب الداعم والحكومة. كانت الحياة المشغولة مثالية بالنسبة إلى روزا. وعلى مدى ستة أيام، حاولت نسيان الأمل الذي أعطاها إياها ضابطا الشرطة لمدة وجيزة، وبدلًا من ذلك بذلت كل طاقتها للتوصل إلى اتفاق بشأن السياسة الاجتماعية، كما توقعت رئيسة الوزراء. من المهم للغاية بالنسبة إليها أن ترقى إلى مستوى ثقة رئيسة الوزراء بها، لا سيَّما أنها أكدت لها شخصيًّا استعدادها لتولِّي دور وزاري مرة أخرى. ربما هذا ليس صحيحًا تمامًا، لكنه كان حاسمًا في إعادة روزا إلى العمل. من حسن الحظ، لم يشهد ذلك الأسبوع مزيدًا من التهديدات أو العراقيل، وشعرت روزا كما لو أن الأمور تسير في الاتجاه الصحيح- حتى الآن، على أي حال، إذ كانت تجلس في غرفة الاجتماعات إلى جوار الغرفة وتستطلع رأي جيرت بوكيه. هزَّ بوكيه رأسه بأدب في حين شرح فوجل التعديلات المقترحة، لكنَّ روزا أدركت أنه يولي قدرًا أكبر من الاهتمام لخربشاته على لوح الرسم البياني الخاص به. وكانت مدهوشة عندما تحدَّث.

- أسمع ما تقوله، لكن عليَّ مناقشته مع المجموعة.
- لكنكَ فعلتَ ذلك فعلًا. عدة مرات.
- وسأعيد الكرَّة مجددًا. لماذا لا تفكر في الأمر على هذا النحو؟
- لكن المجموعة تعمل وفق مشيئتكَ، يا بوكيه. عليَّ أن أعرف احتمالات وجود أي فرصة للتوصل إلى اتفاق قبل...
- روزا، أعرف الإجراءات. لكنْ كما قلتُ.

نظرت إليه روزا وهو يقف. إنها تعرف المعنى الحقيقيَّ لكلماته، وأنه يحاول كسب الوقت، لكنها لا تفهم السبب. إن دعمه السياسي والانتخابي العام ليسا في أفضل الحالات، وإمكانية التوصُّل إلى اتفاق معها سيعيده –من الناحية النظرية– إلى المسار الصحيح.

- بوكيه، نحن مسرورون بالالتقاء في منتصف الطريق، لكننا لن نسمح بابتزازنا بعد اليوم. نحن نتفاوض منذ أسبوع تقريبًا، وقدمنا لك تنازلات، لكن لا يمكننا...

- من وجهة نظري، فإن رئيسة الوزراء هي التي تضعنا تحت الضغط، وأنا لا أقدِّر ذلك، لذلك سأستغرق كل الوقت الذي أحتاج إليه.

- أي ضغط؟

جلس جيرت بوكيه وأمال جسده نحو الأمام.

- روزا، أنا معجب بكِ، وحزين من أجلك، وآسف على خسارتك. لكنْ بصراحة، يبدو أنهم استدرجوكِ إلى هنا لتيسير الأمور عليهم، ولن يقف الأمر عند هذا الحد.

- أنا لا أفهم قصدك.

- في العام الذي غِبتِ فيه، تعثَّرت الحكومة من عاصفة إلى أخرى. وتراجعت شعبيتها في استطلاعات الرأي، ورئيسة الوزراء يائسة. وهي الآن تحاول تحويل مشروع قانون المالية إلى مذكِّرة واحدة ضخمة، وقد استدرجتْ عمدًا وزيرتها الأكثر شعبية -أي أنتِ- لأداء دور «رجل العيد»، فيتمكنون من إعادة الناخبين إلى الحظيرة في الوقت المناسب لإعادة انتخابهم.

- بوكيه، لم «أُستدرَج». أنا من طلب العودة.

- كما تشائين.

- وإذا كنتَ تعتقد أن الاقتراح مذكِّرة، فعلينا مناقشة ذلك. نحن في منتصف الدورة البرلمانية، ونحتاج إلى البقاء معًا لمدة عامين آخرين، لذلك ما يهمني هو إيجاد حلٍّ يرضي الطرفين. لكنْ يبدو أنك تحاول المماطلة.

- أنا لا أماطل. أنا أقول فقط توجد تحديات: لديَّ تحدياتي، ومن الواضح أن لديك تحدياتك الخاصة التي عليك التعامل معها، لهذا أنا أتفهَّم صعوبة الموقف.

ابتسم بوكيه ابتسامة دبلوماسية، في حين حدَّقت إليه روزا. حاول فوجل عبثًا تلطيف الأجواء، وها هو يحاول مجددًا.

- بوكيه، إذا أجرينا مزيدًا من التخفيضات على...

لكنَّ روزا نهضت فجأة على قدميها.

- لا، سننتهي هنا. دعونا نعطي بوكيه الوقت للنقاش مع المجموعة.

أومأت برأسها مودِّعة، وخطتْ من خلال الباب قبل أن يتمكن فريدريك فوجل من قول كلمة أخرى.

كانت الردهة الرئيسية في كريستيانسبورج مليئة بالزوار ومرشديهم المتحمِّسين الذين يُشيرون إلى لوحات السقف للعديد من رؤساء الدول السابقين. لاحظت روزا الحافلات عندما وصلت ذلك الصباح، وبالرغم من دعمها الشفافيةَ الديمقراطيةَ، فإنها شقَّت طريقها خلال الزحام، وصعدت الدرجات بوجه تعلوه ملامح الإرهاق. ولحق بها فوجل في منتصف الطريق.

- فقط لتذكيركِ، نحن نعتمد على دعمهم. إنهم حجر الأساس البرلماني للحكومة. ولا يمكنكِ الرد بهذا الشكل. حتى لو ذكر...

- لا علاقةَ للأمر بذلك. قضينا أسبوعًا كاملًا في النقاش. وتتمثل خطته في جعلي أبدو كأنني لست على مستوى الوظيفة، لذلك لديه عذر لإعطاء قاعدة دعمه عندما تنهار المفاوضات، ونضطر إلى الدعوة إلى إجراء انتخابات.

من الواضح لـ روزا أن بوكيه سئم التعاون مع الحكومة. وربما تلقى فعلًا عرضًا أكثر جاذبية من الخَصم. إذا فرَض إجراء انتخابات، فسيكون حزب الوسط الذي ينتمي إليه بوكيه حرًّا في الدخول في تحالف جديد، وهذه الملاحظة الأخيرة –«من الواضح أن لديك تحدياتك الخاصة التي عليك التعامل معها»– قد تشير إلى أنه سيبذل قصارى جهده لتحميل روزا مسؤولية كل المشكلات.

نظر إليها فوجل وهي تواصل سيرها.

- هل تعتقدين أنه تلقَّى عرضًا من المعارضة؟ إذا كان الأمر كذلك، فأنت تمنحينه سببًا وجيهًا للنظر في الأمر من خلال الانسحاب من مفاوضات كهذه. لستُ متأكدًا من أن رئيسة الوزراء ستكون سعيدة للغاية.

- لم أنسحبْ من أي شيء. لكنْ إذا كان يحاول الضغط علينا، فعلينا أن نفعل الشيء نفسه.

- كيف؟

من المدهش أن روزا ارتكبت خطأً كبيرًا. منذ عودتها إلى المنصب، تجنبت وسائل الإعلام، وطلبت من موظفيها التكرُّم برفض جميع طلبات المقابلات بحزم. من جانب أول، إنها تعرف ما سيكون عليه الأمر حقًا، ومن جانب آخر، لأنها تفضِّل قضاء الوقت في التفاوض. والأرجح أنه الخيار الأول، ربما. حاول فوجل تغيير رأيها، لكنها التزمت بقرارها؛ الآن، وبالنظر إلى الوضع من الخارج، تدرك إمكانية الخلط بين شخصيتها والضعف إذا انتهت المفاوضات بالانهيار.

- رتِّب بعض المقابلات. بقدر ما يمكننا احتواؤه اليوم. دعنا نُفصِح عن مقترحاتنا للسياسة الاجتماعية حتى يسمعها أكبر عدد ممكن من الناس، سيؤدي ذلك إلى زيادة الضغط على بوكيه.

- أوافقكِ الرأي. لكن من الصعب علينا إبقاء التركيز على السياسة فقط.

لم تحصل روزا على فرصة للرد. شعرت بضربة قاسية عندما اصطدمت امرأة شابة بكتفها، وكان عليها تثبيت نفسها إلى الحائط حتى لا تسقط.

- هيه.. أنتِ.. ما الذي فعلتِه!

أمسك فوجل ذراعها، وحدق بسخط إلى المرأة التي رمقتهما بنظرة إلى الوراء دون أن تأخذ عناء الإبطاء. كانت ترتدي جيليه وغطاء رأس أحمر ملفوفًا حول رأسها. لم ترَ روزا سوى لمحة سريعة عن عيني المرأة الداكنتين قبل أن تختفي، على ما يبدو للحاق بمجموعة من الزوار.

- يا لها من غبيَّة. هل أنتِ بخير؟

أومأت روزا برأسها، وواصلت السير، وأخرج فوجل هاتفه المحمول.

- سأفعل ذلك الآن.

كان فوجل قد اتصل بالصحفي الأول عندما وصلا إلى الدرج. نظرت روزا من فوق كتفها، لكنها لم تعد قادرة على رؤية المرأة من بين مجموعة الزوار. أحسَّت بنوع من المفاجأة لوجود شيء مألوف بشأنها، لكنها لا تتذكر أين رأتها من قبل ومتى.

- أستكونين مستعدة لأول مقابلة في غضون خمس عشرة دقيقة؟

أخرجها صوت فوجل مجددًا إلى الواقع، وسرعان ما نسيت الفكرة.

33

هبَّت رياح الخريف وتمايلت معها شرائح القماش المشمَّع فوق السقالات في ساحة جارمرز المزدحمة بالسيارات. ومع وميض مصابيحها وصفارة الإنذار، تسارعت السيارة البيضاء للشرطة فوق الحصى وتخطت المباني الأثرية من العصور الوسطى قبل أن تتعثر خلف سطح مستوٍ تابع للسلطة المحلية مكدَّس عاليًا بأوراق مبتلَّة.

- كنْ أكثر دقة. أين الإشارة الآن!

كانت تولين جالسة خلف عجلة القيادة، تنتظر بفارغ الصبر استجابة التقني من خلال الراديو في حين حاولت تجاوز سيارة المجلس.

- غادرت إشارة الهاتف شارع تاجنسفيج والبحيرات، وهي تتجه نحو الأسفل الآن، على الأرجح في سيارة.

- ماذا عن تفاصيل المُرسِل؟

- ليس لدينا أي شيء. أُرسِلَت الرسالة من هاتف جوال ببطاقة مدفوعة سلفًا وغير مسجلة، لكننا أرسلنا إليكِ الرسالة لتتمكَّني من رؤيتها بنفسك.

أطلقت تولين بوق السيارة بعنف، وزادت سرعة السيارة بمجرَّد أن شاهدت فجوة في الازدحام، في حين جلس هيس في مقعد الراكب يقرأ النص بصوتٍ عالٍ من الشاشة على هاتفه.

- مرحى يا رجل الكستناء. أهلًا يا رجل الكستناء. هَب لي من خيرك ثمرة. شكرًا، زُرنا كل صباح...

- إنها جزء من أغنية للأطفال تقول: «مرحى يا رجل التفاح». لكنْ يمكن للأطفال استبدال «رجل البرقوق» أو «رجل الكستناء» بـ «رجل التفاح»، أيًّا كان ما يحلو لهم. تحرَّك.

ضربت تولين راحة يدها على بوق السيارة مجددًا، وتجاوزت شاحنة، وكانت عينا هيس مثبّتتين عليها.

- من كان يعلم أننا وجدنا رجل الكستناء في مسرح الجريمة؟ هل ذكره أحد في أي مكان، في تقرير أو تحليل أو...

- لا. أغلق نيلاندر القضية، لذلك لم يردْ ذكره في أي مكان.

تعرف تولين سبب سؤال هيس. إذا سُرِّبَتْ معلومة عثورهم على دمية الكستناء التي تحمل بصمة كريستين هارتونج، فقد يتلقّون رسائل من أي شخص مجنون. لكن الاحتمال ضعيف هنا. ليس عندما يُرسَل النص مباشرة إلى هاتف لورا كيار. وقد دفعتها هذه الفكرة إلى الصياح في الراديو مرة أخرى.

- ماذا الآن؟ إلى أين نحن ذاهبون؟

- يبدو أن الإشارة تتجه نحو أسفل «كريستيان التاسع» من «جيد»، وتختفي في أحد المباني. إنها تزداد ضعفًا.

مع أن ضوء إشارة المرور كان أحمر، فإن تولين صعدت بالسيارة على الرصيف، وضغطت دواسة الوقود لتندفع من خلال المعبر، وعيناها مثبتتان على الاتجاه نحو الأمام.

34

خرجوا مسرعين من السيارة وانطلقوا على المنحدر، ومرُّوا بخط من السيارات التي تقف في طابور خلف الحاجز للدخول إلى مرأب السيارات. وفقًا للتحديث الأخير، كان الهاتف يسير في هذا الاتجاه قبل انقطاع الإشارة. لكن ساحة انتظار السيارات ممتلئة تقريبًا. كان الوقت هو منتصف بعد ظهر يوم الاثنين، والناس يتجولون بين المركبات. أُسَر مع حقائب تسوق ضخمة وثمار يقطين جاهزة للنحت في عيد الهالوين. كانت موسيقى «الموزاك» تصدح من خلال مكبِّرات الصوت، ولا يقطعها سوى صوت متحمس يعلن صفقات الخريف التي لا تقبل المنافسة في انتظار اقتناصها في الطابق الأرضي من المتجر متعدد الأقسام.

اتجهت تولين مباشرة وبسرعة نحو الصندوق الزجاجي الخاص بمسؤول وقوف السيارات في الطرف البعيد من المرأب. كان شابًّا جالسًا بشكل موارَب، ويضع عدة ملفات على الرف.

- أنا من الشرطة، وأود أن أعرف...

لاحظت تولين أنه يضع سماعات للأذنين، ولم يتفاعل مع طلبها إلا عندما دقَّت النافذة وأظهرت شارتها.

- أودُّ أن أعرف ما السيارات التي وصلت إلى هنا خلال الدقائق الخمس الماضية!

- لا أعرف.

- لقد ظهرتْ أمامك على الشاشة، هيا!

أشارت تولين إلى جدار يحمل شاشات صغيرة خلف الرجل الذي بدأ ببطء في إدراك الحاجة الملحَّة.

- أعد تشغيل الفيلم، أسرِع!

لم تصدر أي إشارة من الهاتف منذ اختفائها في المبنى، لكنْ إذا تمكنت تولين من رؤية السيارات التي وصلت خلال الدقائق الخمس الماضية، يمكنها أيضًا رؤية أرقام التسجيل واستخدامها لتضييق نطاق البحث. وفي هذه الأثناء، مع ذلك، بحث الموظف في الموقف عن جهاز التحكم عن بعد.

- أتذكَّر مرور سيارة مرسيدس وساعٍ وبعض السيارات العادية...

- هيا، هيا، هيا!

- تولين، الإشارة متجهة نحو كوبماجيرجيد!

نظرت تولين إلى هيس الذي ضغط هاتفَه على أذنه ليتابع المعلومات التي ينقلها جهاز التتبع. إنه يتحرَّك بخطٍّ متعرِّج بين السيارات نحو المخرَج.

عادت تولين إلى موظف موقف السيارات في الصندوق الزجاجي- لقد حدَّد أخيرًا مكان جهاز التحكم عن بُعد.

- لا يهم. أرني الكاميرات الموجودة في المتجر متعدد الأقسام- تلك الموجودة في الطابق الأرضي، التي تشير نحو مخرج كوبماجيرجيد!

أشار الموظف إلى أعلى ثلاث شاشات، وأبقت تولين عينيها ملتصقتين بالصور بالأبيض والأسود. حشد من الناس يتجولون حول المتجر مثل النمل في الخلية. يبدو أنه من المستحيل التركيز على أي فرد، حتى أدركت فجأة لمحة عن شخصية وحيدة. كان يبدو هادئًا أكثر من غيره، وقد عبر أرضية المحل في اتجاه مخرج كوبماجيرجيد. كان يحرص على إدارة ظهره لكاميرات الدوائر التلفزيونية المغلقة. وبينما اختفى الشخص ذو الشعر الداكن خلف أحد الأعمدة، اندفعت تولين راكضة.

35

سار إيريك سيير لاسين خلف المرأة بثلاث خطوات فقط، واستطاع شمَّ رائحة عطرها. كانت في أوائل الثلاثينيات من عمرها، ترتدي تنورة وجوارب سوداء، وأحسَّ بالانزعاج من صوت حذائها ذي العقب العالي من علامة «لوبوتان»، في حين كان يتبعها من خلال جناح «فيكتوريا سيكريت». كانت أنيقة بشكل مُلاحَظ، بالنسب التي يفضلها، مع صدر كبير وخصر نحيل، وخمَّن أنها تعمل في مكان ما يحوي مرايا وزيوتًا عطريَّة وأحجارًا ساخنة وأشياء من هذا النوع، بعض الوظائف التي تستخدمها لتمضية الوقت وهي تنتظر أن ينتشلها أحد الأثرياء إلى المنزل، ويحتفظ بها هناك مثل قطعة أثاث مزخرفة. فكَّر في ما يريد أن يفعله بها، لدفعها من خلال الباب، وخلع تنورتها والتحرُّش بها من الخلف، في حين يمسك شعرها الطويل الأشقر ويشدُّه حتى تصرخ. ربما يمكنه الوصول إلى الأرض الموعودة من خلال دعوتها إلى مطعمٍ فاخر ونادٍ عصري، حيث ستكون ضاحكة وباهرة، وستتحمس في كل مرة يشغِّل فيها بطاقته البلاتينية من خلال الجهاز، ولكن هذا ليس ما يريده؛ هذا ليس ما تستحقه. لاحظ رنين هاتفه المحمول، وسرعان ما خرج من تخيُّلاته عندما أمسك بحقيبة كتفه وتفحص الشاشة على عجل.

- ماذا؟

بدا صوته فاترًا، وهو يعلم أن زوجته ستدرك ذلك في نبرة إجابته، لكنَّ هذا خطأها اللعين. توقف مؤقتًا وبحث عن المرأة بحذاء «اللوبوتان»، لكنها كانت قد اختفت فعلًا بين الحشود.

- أعتذر عن الإزعاج.

- ماذا تريدين؟ لا أستطيع التحدث الآن. أخبرتكِ بذلك.

- أردت فقط معرفة أكان من الجيد بالنسبة إليَّ اصطحاب الفتيات إلى منزل أمي اليوم. لقضاء الليلة.

بدا مرتابًا.

- لماذا تريدين فعل ذلك؟

صمتت للحظة.

- لقد مرَّ وقت طويل منذ أن رأيتها آخر مرة. وأنت لن تكون في المنزل على أي حال.

- هل تريدين عودتي إلى المنزل يا آن؟

- نعم طبعًا. لقد قلتَ إنك ستعمل حتى وقت متأخر اليوم، لذا...

- لذا ماذا يا آن؟

- آسفة... سنبقى في المنزل إذن... إذا كنت لا تعتقد أنها فكرة جيدة.

فيها شيء ما يبعث فيه الانزعاج. شيء في صوتها؛ شيء لا يثق به. كان يتمنى لو لم يكن الأمر كذلك؛ إنه يتمنى كثيرًا أن يستطيع إرجاع كل شيء إلى الوراء، وإعادته تمامًا بشكل مختلف. ثم فجأة سمع صوت العقب على الأرضية الرخامية، وعندما استدار، رأى المرأة في حذاء «لوبوتان» وهي تخرج من أحد متاجر مستحضرات التجميل، وتقف مع حقيبة صغيرة أنيقة في يدها وتتجه نحو المصعد إلى جانب مخرج كوبماجيرجيد.

- هذا جيِّد. أيًا كان، اذهبي.

بعد إنهاء المكالمة، وصل إيريك سيير لاسين إلى المصعد قبل إغلاق الأبواب.

- هل يمكنني مشاركتكِ المصعد؟

كانت تقف وحيدة بوجهها الذي يشبه الدمية، وحدقت إليه بنظرة متفاجئة. تفحَّصته بسرعة –واستطاع الشعور بنظرتها إلى ملامحه وشعره الداكن، وإلى بدلته وأحذيته باهظة الثمن– ثم تحول وجهها إلى ابتسامة مبتهجة.

- طبعًا.

خطا إيريك في المصعد، ورسم ابتسامة على وجهه، وضغط الزر والتفت إلى المرأة عندما عبَّر رجل تعبيرًا جامحًا بدفع ذراعه بين الأبواب وضربه بالجدار العاكس، ملصقًا أنفه بالزجاج البارد. صرخت المرأة برعب. وشعر بثقل الرجل على ظهره، ويداه تخطفانه، وبلحظة، لمح لون عيني الرجل واعتقد أنه لا بدَّ أنه مجنون.

36

بدا واضحًا لـ ستين أن العميل لا يملك أي دليل فيما يخصُّ الرسوم. رآها مرات عدَّة من قبل، لكنْ في هذه الحالة كان الأمر مزعجًا للغاية، لأن العميل يعتمد على جهله، ويصرُّ على أن ذلك إشارة إلى أن أفكاره «أصلية» و «متميِّزة» و«خارج الصندوق».

انتظرا في قاعة الاجتماعات الكبيرة، هو وشريكه بيارك، أن يتوقف العميل أخيرًا عن التحديق إلى رسم آخر ويتلطَّف عليهما بتقديم رأيه. نظر ستين إلى ساعته. واستمر الاجتماع طويلًا. كان من المفترض به أن يكون في السيارة منذ خمس دقائق في طريقه إلى المدرسة. ولكن العميل يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا، مليونيرًا تقنيًّا، يرتدي زيًّا مثل يافع في الخامسة عشر من عمره مع بلوزة بقبعة، وبنطال جينز ممزق وحذاء رياضي أبيض. أدرك ستين بغريزته أن الرجل لن يكون قادرًا على التهجئة إلا بمساعدة نظام التصحيح التلقائي على جهازه الجديد تمامًا من علامة «آي فون» الذي وضعه على الطاولة دون أن يتوقف عن العبث به.

- يا شباب، لا توجد الكثير من التفاصيل حول هذا.
- لا. في المرة الماضية، قلت إنه توجد الكثير من التفاصيل.

شعر ستين أن بيارك جفل، فأسرع شريكه لتلطيف الجو.

- يمكننا دائمًا إضافة المزيد، لا مشكلة.
- في كلتا الحالتين، يحتاج الأمر فقط إلى مزيد من الإثارة والتشويق.

وكأنما كان ستين ينتظر هذا التعليق بذاته، فسحب كومة الرسوم القديمة.

- هذه هي أحدث الرسوم. إنها مليئة بالإثارة والتشويق، لكنك قلت إنها كانت أكثر من اللازم؟
- نعم كانت كذلك. أو قليلة جدًّا، ربما.

نظر ستين إلى الرجل الذي رمقه مع ابتسامة عريضة.

- ربما تكمن المشكلة في أن كل شيء يقع بينهما. تواصلان المجيء مع رسم تلو الآخر، أنتما تعرفان ما عليكما فعله، لكنَّ الأمر دقيق جدًّا، ويجب أن يكون خاليًا أكثر من القيود، هل تفهمانني؟

- لا، أنا لا أفهمك. لكن ربما يمكننا وضع حيوانات بلاستيكية حمراء على طول الممر وتحويل الردهة إلى سفينة قراصنة، إذا كان ذلك أفضل.

ضحك بيارك بصوت عالٍ جدًّا في محاولة لنزع فتيل الموقف، لكنَّ سون كينج الشاب لم يفهم القصد.

- قد يكون ذلك فكرة جيدة. أو يمكنني أن أسأل منافسيك، إذا لم يكن لديك أفضل من ذلك قبل الموعد النهائي الخاص بك هذا المساء.

عندما كان ستين في سيارته متجهًا نحو المدرسة بعد بضع دقائق، اتصل بمكتب محاميه وقال إنه لم يتسلم حتى الآن الشهادة التي تؤكد افتراض الوفاة. بدا أن السكرتيرة مدهوشة وتعتذر، وقاطعها ستين بسرعة، لكنها تلقَّت الرسالة ووعدت بملاحقة الأمر.

وبحلول وقت وصوله إلى المدرسة، كان قد شرب فعلًا ثلاث زجاجات صغيرات من المشروبات الكحولية، لكنه هذه المرة تذكر علكته وقاد عدة كيلومترات مع فتح النوافذ. وعندما رأى أن جوستاف لا ينتظر تحت الأشجار كالمعتاد، جرَّب هاتفه المحمول. وفجأة أصبح غير متأكد أكان قد وصل مبكرًا أم متأخرًا. لأن ساحة المدرسة كانت فارغة. نظر ستين إلى ساعته. نادرًا ما يذهب إلى المدرسة هذه الأيام. في الواقع، لا يتذكر آخر مرة فعل فيها ذلك. بدا الأمر كما لو أنه هو وابنه يعلمان أنه من الأفضل أن يظل بالخارج. لكن ابنه غير موجود الآن، وفي غضون نصف ساعة يتعيَّن على ستين العودة إلى المكتب لمراجعة الرسوم من أجل سون كينج. فتح باب السيارة مضطربًا جدًّا لمساعدة نفسه.

37

كان باب غرفة صف جوستاف مفتوحًا، ولكنَّ الغرفة فارغة. سارع ستين نحو الأمام، واعتبر نفسه محظوظًا لأن حصص الدروس لم تنتهِ: كانت الممرات خالية من نظرات الاستفسار. وبينما يمرُّ من الأبواب المؤدية إلى فصول رياض الأطفال الصاخبة، تجاهل أغصان الخريف المزخرفة والحيوانات المصنوعة من الكستناء. كانت زيارة الشرطة في ذلك اليوم بمنزلة كابوس. ثم البصمة. استيقظ الشعور بداخله عندما أدرك ما كانوا يقولون. تضارب شعور الأمل والحيرة. لقد اختبر مع روزا هذا الموقف عدة مرات من قبل –إذ أُجبِرا على العودة مجددًا إلى المربع الأول- لكنَّ الأمر جاء مفاجئًا هذه المرَّة. ناقشا الأمر بعد ذلك –أنه لا مفرَّ من المكتوب– وأن مصلحة جوستاف، على الأقل، تتطلَّب منهما التحلِّي بما يكفي من قوَّة لمواجهة الصدمات والمزالق، وأن ذكرى ابنتهما ستبقى ماثلة أمامهما دائمًا بصرف النظر عن الشكل الذي ستتخذه. لقد وعدا بعضهما بعضًا بأنهما سيمضيان قُدُمًا بالرغم من كلِّ شيء. وعلى الرغم من شعور ستين أن حيوانات الكستناء تتبعه بأعينها وهو يستدير نحو المنطقة المشتركة، فإنه مصمم على عدم السماح لذلك بالتأثير فيه.

توقف ستين. استغرق منه الأمر بعض الوقت ليدرك أن الأطفال الجالسين في الغرفة المشتركة هم زملاؤها في الفصل. لقد مرَّ زمن طويل منذ أن رآهم، لكنه تعرَّف الوجوهَ.

كانوا يجلسون بهدوء حول الطاولات البيضاء المرتَّبة على السجادة البنية، ويعملون في مجموعات، لكن بمجرد أن شاهده التلميذ الأول، بدأت موجة من الانتباه في جميع أنحاء الغرفة، واتجهت جميع الوجوه نحوه. لم يتكلم أحد. ولثانية، لم يعرف ما يفعل، لكنه بدأ في التراجع بالطريقة التي جاء بها.

- مرحبًا.

التفت ستين نحو الفتاة الجالسة بمفردها إلى أقرب طاولة، وكتبها المدرسية مكدّسة بعناية أمامها، وعرف أن اسمها ماتيلد. تبدو أكبر سنًّا من عمرها الحقيقيّ، وترتدي ملابس سوداء. حيَّته بابتسامة ودِّية.

- هل تبحث عن جوستاف؟

- نعم.

لقد رآها آلاف المرات. وجاءت لزيارتهم في منزلهم عدّة مرَّات، وأصبح من المعتاد تقريبًا أن يتحدث معها كما لو كانت ابنته، لكنَّ الأمر لم يعد كذلك، ولم يعد في إمكانه إيجاد الكلمات المناسبة.

- انتهى درسُه منذ مدة قصيرة، لكن ربما سيعودون قريبًا.

- شكرًا. هل تعرفين أين ذهبوا؟

- لا.

نظر ستين إلى ساعته، مع أنه يعرف الوقت.

- حسنًا، سأنتظره في السيارة.

- كيف حالكَ؟

نظر ستين إلى ماتيلد وحاول الابتسام. إنه واحد من الأسئلة الخطرة، لكنه سمعه كثيرًا لدرجة أنه يعرف أن كل ما عليه فعله هو الإجابة بسرعة.

- بخير. مشغول بعض الشيء، لكن هذا كله جيد. وأنتِ؟

أومأت برأسها وابتسمت، لكنها تبدو حزينة.

- آسفة لأنني انقطعتُ عن الزيارة.

- لا عليكِ. نحن بخير.

- مرحبًا ستين. هل يمكنني مساعدتكَ في أي شيء؟

استدار ستين ليجد المعلِّم، جوناس كراج، يقترب منهما. إنه في منتصف الأربعينيات من عمره، ويرتدي الجينز وقميصًا ضيقًا أسود اللون. عيناه لطيفتان، ولكنهما يقظتان أيضًا، ويعرف ستين بالضبط سبب نظره إليه بهذه الطريقة. لقد تأثَّر الفصل بأكمله بما حدث، وتحاول المدرسة منذ ذلك الحين مساعدة التلاميذ في اجتيازه. كان كراج من الموظفين الذين اعتقدوا أنه من الأفضل للطلاب عدم المشاركة في حفل الذكرى الذي عُقِدَ لأسباب منطقية بعد اختفاء كريستين ببضعة أشهر. كان يعتقد أن ضرر مثل هذه الاجتماعات

أكثر من نفعها، وأنه سيتسبَّب في فتح الجرح الذي بدأ الالتئام، وقد أوضح ذلك لستين حينها. في غضون ذلك، أصدر مجلس المدرسة قرارًا يقضي بأنه يمكن للطلاب اتخاذ قرار بشأن أكانوا سيشاركون أم لا، وقد حضر جميع زملاء كريستين تقريبًا في الفصل.

- لا، لا بأس. سأغادر.

عندما وصل ستين إلى السيارة، رنَّ الجرس. أغلق الباب وحاول التركيز على إيجاد جوستاف بين الأطفال الذين يتدفقون من الأبواب الرئيسية. إنه يعلم أنه فعل الشيء الصحيح، لكنَّ مشهد ماتيلد أعاد الزيارة من الشرطة إلى ذهنه، وذكَّر نفسه بكلمات معالجته الأخيرة: هذا الحزن هو الحب الذي أصبح بلا مأوى، والذي يحتاج إليه المرء للعيش مع الحزن، وإخضاع النفس.

سمع جوستاف وهو يجلس في مقعد الراكب المجاور له، وسمعه يُوضِّح أن المعلم الدنماركي جرَّهم جميعًا إلى المكتبة، وجعلهم يستعيرون الكتب لقراءتها في أوقات فراغهم، ولهذا السبب تأخر قليلًا. أراد ستين الإيماءة بالفهم، وتشغيل المحرك والابتعاد عن الرصيف، لكنه جلس في مكانه، وأدرك أنه في حاجة إلى العودة إلى المدرسة. رنَّ الجرس، وقاوم الإلحاح. يعرف أن استجابته للرنين ستعيده إلى الخط الذي رسمه لنفسه، لكنْ إذا لم يفعل ذلك الآن، فقد لا يسأل ماتيلد أبدًا، وهناك شيء ما حول السؤال المهم، ربما يكون أكثر أهمية من أي شيء آخر في العالم.

- ما الخطب؟

فتح ستين باب السيارة.

- هناك شيء يجب أن أفعله. ابقَ في مكانك.

- ماذا تفعل؟

أغلق ستين الباب، واتجه نحو المدخل الرئيسي، والأوراق تدور حوله.



38

قال إيريك سيير لاسين بصوت مزمجر: «ماذا تفعلان أطالب بتفسير».

ضغطت تولين أيقونة الرسائل على هاتفه من نوع «سامسونج جالاكسي»، وتصفَّحت رسائله النصيَّة، في حين أفرغ هيس محتويات حقيبة سيير لاسين على أحد المقاعد الجلدية البيضاء المرتَّبة مثل الصالة.

إنهما في مكتب الرجل في الطابق العلوي من المبنى. في حين امتزجت موسيقى «الموزاك» من المتاجر الكبرى مع ضجيج جحافل الناس للحصول على مساحة في الطوابق السفلية، فالطابق الأقرب إلى السماء مخصص للمكاتب الرائعة لشركة سيير لاسين الاستثمارية. كان ضوء النهار يتلاشى، وخلف الحاجز الزجاجي بين المكتب والقاعة، اجتمع الموظفون ذوو الوجوه المقلقة لمشاهدة رئيسهم التنفيذي الذي كان قبل لحظات قد خرج من المصعد بطريقة لا لبس فيها.

- لا يحق لكما فعل ذلك. ماذا تفعلين بهاتفي؟

تجاهلته تولين، وأغلقت هاتفه قبل أن تنظر إلى هيس الذي يبحث في محتويات الحقيبة مرة أخرى.

- الرسالة غير موجودة.

- كان في إمكانه حذفها. يقولون إن الإشارة ما زالت قادمة من هنا.

سحب هيس حقيبة صغيرة بيضاء من علامة «سيفن إليفن» من حقيبة اليد، في حين خطا إيريك سيير لاسين خطوة نحو الخلف تجاه تولين.

- لم أقترف شيئًا. فإما أن تخرجا من هنا، وإما تخبراني...

- ما علاقتكَ بلورا كيار؟

- مَن؟

- لورا كيار، سبعة وثلاثون عامًا، ممرضة لدى طبيب أسنان. لقد أرسلتَ للتوِّ رسالة إلى هاتفها.

- لم أسمع بها من قبل!

- ماذا فعلتَ بهاتفك المحمول الآخر؟

- لديَّ هاتف واحد فقط!

- ما الذي يوجد في الطرد؟

رأتْ تولين أن هيس أخرج ظرفًا أبيض طويلًا ومُبطَّنًا من الحقيبة المحمولة، وأمسكه تجاه سيير لاسين.

- لا أعرف. لقد تلقَّيته للتو! كنت خارجًا من أحد الاجتماعات، وتلقيتُ رسالة نصية من ساعي بريد تخبرني بوجود طرد لي في «سيفن إليفن»... مهلًا!

فتح هيس الظرف المبطَّن.

- ماذا تفعل؟ ما هذا بحق الآلهة؟!

رمى هيس الطرد على الجلد الأبيض. كانت الفتحة كافية لتلمح تولين حقيبة جيب بلاستيكية شفافة عليها بقع داكنة، وهاتف محمول من نوع «نوكيا» قديم ووامض. كان هاتف النوكيا مغلَّفًا بشريط لاصق مع كتلة غريبة رمادية اللون. وسرعان ما لاحظت تولين الخاتم على الإصبع، لتدرك أنها تحدِّق في يد لورا كيار المبتورة.

حدَّق إيريك سيير لاسين إليها.

- ما هذا؟

تبادل هيس وتولين النظرات، واقترب هيس خطوة أقرب.

- أريدك أن تفكر مليًّا. لورا كيار...

- صدِّقاني، انظرا، أنا لا أعرف أي شيء!

- من أرسل إليك الطرد؟

- لقد تسلمته للتو! لا أعلم...

- أين كنت مساء الاثنين الماضي؟

- مساء الاثنين؟

خفَضت تولين أصواتهم وهي تستطلع مكتب الرجل. تعرف غريزيًا أن حديثهم غير ذي صلة. يبدو الارتباك مقصودًا. كما لو أن شخصًا ما يضحك منهم فعلًا في أثناء تلعثمهم مثل الحشرات في زجاجة، وهي تحاول التركيز على سبب وجودهم هناك، ولماذا يبدو المكان على نحو ما صحيحًا وخاطئًا.

لقد وجَّه شخص ما – عمدًا – رسالة نصيَّة لإغرائهم بالمجيء إلى هنا. شخص ما أرادهم اتباع إشارة نوكيا، والعثور على يد لورا كيار اليمنى في مكتب إيريك سيير لاسين. لكن لماذا؟ ليس الغرض هو المساعدة، وعلى ما يبدو ليس لأن سيير لاسين يمكنه إضافة أي شيء إلى القضية. لكنْ لماذا اقتيدوا إليه مباشرة؟

وقعت عينا تولين على الصورة المؤطَّرة بشكل جميل لـ إيريك سيير لاسين وزوجته وأطفاله على رفوف مونتانا خلف المكتب، واتضح لها السبب الأكثر فظاعة.

- أين زوجتكَ؟

مع سؤال تولين، التزم هيس وإيريك سيير لاسين الصمت، والتفتا نحوها.

- زوجتكَ! أين هي الآن؟

هزَّ سيير لاسين رأسه بنوع من الرِّيبة، في حين نظر هيس وتولين إلى صورة الأسرة على الرف. عرفت أنه يفكر في الأمر نفسه. هزَّ سيير لاسين كتفيه وضحك.

- كيف لي أن أعرف. في المنزل على الأرجح؛ لماذا؟

39

كان واحدًا من أكبر المنازل في كلامبينبورج. ومنذ أن انتقلت آن سيير لاسين وزوجها وطفلاهما قبل بضعة أشهر، اعتادت استكمال رياضة الجري خارج البوابات المعدنية المهيبة التي يُتحكَّم فيها كهربائيًا، والمشي في المرحلة الأخيرة على ممرِّ الحصى نحو الباب الأمامي، لاسترداد أنفاسها وخفض نبضات قلبها. لكن ليس اليوم. بعد أن تشجَّعت واتصلت بـ إيريك، ركضت بجدٍّ للوصول إلى المنزل، واستمرت فوق ممر الحصى متجاوزة الشجيرات المشذبة بدقة، ونافورة المرمر، وسيارة اللاند روفر. لم تهتم لأنها تركت البوابة مفتوحة، لأنها تعلم أنها ستخرج بعد دقيقة للمرة الأخيرة في حياتها. لقد اتصلت فعلًا بالخادمة الأجنبية، وقالت بأنها ستحضر لينا وصوفيا من روضة الأطفال ونادي ما بعد المدرسة بنفسها. وعندما وصلت إلى العتبة الأمامية من الحجر، قفز الكلب ونبح عليها بمرحٍ كالمعتاد، لكنها ربَّتته بذهن شارد، وتناولت المفتاح من أسفل الإناء الحجري وفتحت الباب.

كان الظلام في المنزل قد بدأ بالنزول، في حين أنارت الضوء قبل أن تعطِّل جهاز نظام الأمان وأنفاسها لا تزال متقطعة. خلعت حذاء الجري خاصتها ورمته بقدميها، وصعدت الدرج عمدًا والكلب يلاحقها. إنها تعرف بالضبط ما تحتاج إليه، لأنها حزمت حقائبها عدة مرات في رأسها قبل الآن. من غرفة الأطفال في الطابق الأول، أخذت الكومة التي جهَّزتها في الجزء الخلفي من خزانة الملابس، وفي الحمام تذكرت فراشي الأسنان وحقائب أدوات الزينة. وعندما رن جوالها، نظرت إلى الشاشة، وعرفت أنه زوجها، لكنها لم ترد. إذا أسرعت الآن يمكنها الاتصال به لاحقًا، وتقول إنها لم تستطع الإجابة لأنها كانت تقود سيارتها، ومن ثَمَّ ربما لن يكتشف ما يجري حتى صباح الغد، عندما يكتشف أنهم ليسوا عند والدتها. أسرعت، ووضعت ملابس الفتاتين في الحقيبة السوداء في غرفة النوم الرئيسية، والمليئة فعلًا بملابسها الخاصة

وجوازات سفرهنَّ الثلاثة ذوات لون الشمندر. أغلقت الحقيبة واندفعت أسفل الدرج، ووصلت إلى الغرفة الأمامية بنوافذها الممتدة من الأرض إلى السقف، والمطلَّة على الغابة، قبل أن تنتبه فجأة لشيء نسيَته. رمت الحقيبة على الأرض، ووضعت هاتفها فوقه وهُرعَتْ صعودًا على الدرج إلى الطابق الأول. كان الظلام يلفُّ غرفة الأطفال. نقَّبت بشكل محموم تحت الأغطية والأسرَّة، لكنها لم تجد دبة الباندا المحشوَّة الصغيرة التي لا غنى عنها حتى نظرت إلى حافة النافذة. أحسَّت بامتنان لعثورها السريع على هذه الدمى، فأسرعت أسفل الدرج، مذكِّرة نفسها بأن كل ما عليها فعله الآن هو تذكُّر حقيبتها ومفاتيح السيارة. كلاهما في المطبخ ينتظرانها على طاولة ريفية كبيرة مصنوعة من الخشب الصيني. ثم وصلت إلى الغرفة الأمامية وتجمَّدت في مكانها.

في منتصف الأرضية، حيث كانت حقيبة اليد السوداء قبل لحظة، لم تجد شيئًا. لم تجد حقيبتها ولا هاتفها المحمول. لم ترَ سوى ضوء أزرق منبعث من المصابيح في الحديقة يضيء من خلال أبواب الشرفة وصولًا إلى الأرضيات الخشبية المصقولة- ودمية صغيرة مصنوعة من الكستناء. لم تكن منزعجة للحظة. ربما كانت مجرد دمية رجل الكستناء صنعتها إحدى الفتاتين مع الخادمة الأجنبية، وربما وضعت آن للتو الحقيبة في مكان آخر، لكنها عرفت بعد جزء من الثانية أن الأمر لم يكن كذلك.

- مرحبًا...؟ إيريك، هل هذا أنت؟

كان المنزل غارقًا في الصمت. لم تصدر أي إجابة، وعندما نظرت إلى الكلب الذي بدأ يزمجر، كانت عيناه مثبتتين على شيء في الظلام خلفها.

40

كان كراج منهمكًا في تلخيص تاريخ الإنترنت بداية من تيم بيرنرز لي وصولًا إلى بيل جيتس وستيف جوبز عندما فُتِحَ باب غرفة الصف. ومن مكانها إلى جوار النافذة، نظرت ماتيلد لتتفاجأ بأنِ والد كريستين يحدِّق من خلال المدخل. بدا مرتبكًا وهو يعتذر عن طريقة دخوله دون استئذان.

- أودُّ التحدث إلى ماتيلد. لثانية واحدة فقط.

نهضت ماتيلد قبل أن يجيب المعلم. أدركت عدم ارتياحه للمقاطعة، وهي تعرف السبب.

بمجرد وقوفها في البهو وإغلاق الباب خلفها، استشفَّت من ملامح وجه ستين وجود خطأ ما. تذكَّرت ذلك اليوم قبل عام عندما جاء إلى منزلها ليسألها أكانت تعرف مكان كريستين. حاولت أن تكون مفيدة، لكنها أدركت أن إجاباتها كانت تزيده إرهاقًا، بالرغم من محاولاته لإقناع نفسه أن كريستين عادت للتو إلى المنزل مع صديق آخر.

ما زالت ماتيلد تستصعب فكرة غياب كريستين. وتشعر في بعض الأحيان أنها في حلم طويل. وأن كريستين قد انتقلت للتو، وتعيش في مكان آخر- وطبعًا ستعود ماتيلد لتبادل الضحكات معها مجددًا يومًا ما. ولكنها سرعان ما ترجع إلى الحقيقة عندما يتصادف مسيرها بجوار جوستاف في المدرسة، أو عندما تمرُّ تلك اللحظات النادرة فتلمح روزا أو ستين. كانت تعرفهما جيدًا. أحبَّت الوجود في منزلهما ما فاقم إحساسها بالأسف على رؤية ما فعله الحزن بهما. حرصت على تقديم المساعدة الممكنة، لكنها الآن بمفردها مع ستين خارج غرفة الصف الدراسي، والخوف يعتريها؛ من الواضح أنه تغيَّر. يبدو مرتبكًا وشارد الذهن، وتفوح رائحة أنفاسه حادة عندما يبدأ في الاعتذار،

ويوضح أنه بحاجة إليها لإخباره عن صناعة دمى رجل الكستناء مع كريستين في الخريف الماضي.

- دمى رجل الكستناء؟

لم تكن ماتيلد متأكدة مما كانت تتوقعه، لكن السؤال زاد من توترها، حتى إنها لم تفهم في البداية قصده من السؤال.

- هل تقصد كيف صنعناها؟

- لا. أريد أن أعرف متى صُنِعَتْ هذه الدمى، وهل كنتما فعلًا من صنعها؟

للحظة، لم تستطع ماتيلد استرجاع الذكرى، في حين راح يراقبها بقلق.

- أنا في حاجة إلى معرفة الإجابة.

- صنعناها معًا، أظنُّ.

- تظنِّين؟

- لا. فعلنا ذلك بالتأكيد معًا. لماذا؟

- إذن، صنعتها هي أيضًا؟ هل أنتِ متأكدة؟

- نعم. صنعناها معًا.

خمَّنتْ من ملامح وجهه أنها لم تكن الإجابة التي ينتظرها. ودفعها سبب غامضٌ إلى الإحساس بالذنب.

- لطالما كنا نذهب إلى منزلكما لنصنع تلك الدمى، و...

- نعم، أعرف ذلك. ثم ما الذي كنتما تفعلانه بها؟

- كنا نخرج إلى الطريق لبيعها مع الكعك و...

- لمن؟

- لا أعلم. لأي شخص يريد شراءها. لماذا...

- هل بعتماها لأشخاص تعرفانهم فقط، أو لأشخاص آخرين؟

- لا أعلم...

- يجب أن تتذكري أكان ثمَّة آخرون.

- لكنني لا أعرفهم...

- ومع ذلك، كانوا غرباء؟ أو لشخص تعرفه هي، أو ماذا؟

- لا أعلم...

- ماتيلد، قد تكون هذه المعلومة مهمةً...
- ما الذي يحدث يا ستين؟
ظهر كراج في المدخل، لكنَّ والد كريستين أسكته بنظرة حادة وسريعة.
- لا شيء. سيستغرق الأمر فقط...
- تعالَ معي يا ستين.
خطا كراج بينه وبين ماتيلد، وحاول إرشاده بعيدًا، لكنَّ ستين بقي في مكانه.
- إذا كنتَ في حاجة إلى قول شيء مهم لماتيلد، عليكَ أن تفعل ذلك بالطريقة الصحيحة. مررنا جميعًا بوقت صعب، وخاصة أسرتك، والأمر ينطبق أيضًا على زملاء كريستين في الصف.
- إنهما فقط سؤالان. ولن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة.
- أود أن أعرف فحوى الأسئلة، وإلا سأُضطرُّ إلى طلب مغادرتك.
بدا والد كريستين حائرًا أمام نظرات كراج واستفساراته. وبارتباك، نظر إلى ماتيلد. ثم إلى الطلاب الآخرين الذين تلصَّصوا عليهم من خلال الباب المفتوح.
- آسف. لم أقصد أن...
تردد ستين واستدار. وسرعان ما أدركت ماتيلد أن جوستاف يراقبه من الطرف الآخر للبهو. لم ينبس ببنت شفه، فقط حدَّق إلى والده، لكنه استدار وغادر. وبدأ ستين بمتابعته، وكاد يصل إلى الزاوية قبل أن تتحدث ماتيلد.
- انتظر!
استدار ستين ببطء، واتجهت نحوه.
- أعتذر لأنني لم أتذكر كل شيء.
- لا يهم. آسف.
- لكنني وبعد التفكير، أتذكر أننا لم نصنع دمى رجل الكستناء العام الماضي على الإطلاق.
تجمَّدت نظراته على الأرض، في حين انحنى جسده مُوهَنًا من ثقل غير مرئي. لكنْ، ومع كلماتها، عاد إلى النظر نحو الأعلى ليرى عينيها.

41

انتهت للتو مقابلتها الصحفية السابعة في ذلك اليوم، وسارت روزا بسرعة في الممر مع إنجلز عندما رنَّ هاتفها المحمول. رأتِ اسم زوجها على الشاشة وهي ترتدي معطفها، لكن لم يكن لديها الوقت الكافي للتحدث؛ ما زالت في حاجة إلى استعراض الأرقام الواردة في التقرير الوزاريِّ الأخير مع رئيس مكتبها.

سارت جميع المقابلات جيدًا. وتحدثت عن مدى أهمية جميع مبادراتهم، وأكدت تفاؤلها الكبير بالعمل مع الجهة الداعمة. وأخيرًا، جرت الحسابات لإعادة بوكيه إلى الخط. تحملت الأسئلة المتطفلة، مع أنها استنزفت قوتها. «ما شعورك بالعودة؟»، «كيف غيَّر هذا حياتك؟» و«كيف اجتزتِ مثل هذا الشيء الفظيع؟» الشيء الغريب هو أن الصحفية الشابة التي سألت روزا هذا السؤال الأخير كانت تفترض أنها تجاوزت فقدان ابنتها لمجرد أنها عادت إلى منصبها الوزاري.

- أسرعوا! إذا أردنا أن تحقق الوزيرة ذلك، فإننا سنضطر إلى فعل ذلك على الطريق.

وقفت ليو بفارغ الصبر إلى جوار المصعد، وأخذت التقرير من إنجلز الذي رَبَّت كتف روزا مُتمنيًا لها الحظ.

سألت روزا: «أين فوجل؟»

- قال إنه سيلاقينا خارج مبنى «دي آر».

وافقوا على إجراء مقابلتين مباشرتين في الأخبار التلفزيونية. كانت الأولى مع قناة «دي آر»، والثانية مع قناة «تي في 2»؛ الجدول الزمني ضيِّق. استقلُّوا المصعد الذي يؤدي إلى الجزء الخلفي من المبنى، حيث يسهل على السائق

نقلهم أكثر من المدخل الرئيسي الذي يختنق بحركة المرور. وضغطت ليو زر الطابق الأرضي.

- رئيسة الوزراء على علم بالتطورات، وقال فوجل إنهم ما زالوا يودُّون ابتعادك عن الشجار مع بوكيه.
- لن نتشاجر مع بوكيه، لكن علينا أن نتسلم نحن زمام القيادة، وليس هو.
- أنا فقط أكرر ما قاله فوجل. خطواتك مهمة الآن. الأوراق شيء واحد...
- أعرف ما أفعله يا ليو.
- أعرف ذلك، لكننا بصدد إجراء مقابلة مباشرة، وسيطرحون أسئلة عن أشياء خارج إطار السياسة. طلب مني فوجل إخبارك بأنهم يودون التطرُّق إلى مسألة عودتكِ. بعبارة أخرى، سيطرحون عليك بعض الأسئلة الغريبة، ولن يتمكن فوجل من الحصول على أي ضمانات.
- سأضطر إلى التعامل مع الأمر. ولا معنى للانسحاب الآن. أين السيارة؟

خرجت روزا من المصعد، وتجاوزت حراس الأمن عند المدخل الخلفي، وتبعتهم ليو. وقفوا الآن في أدميرال جيد التي تعصف بها الرياح، لكن السيارة الوزارية لم تكن في مكانها المعتاد. أدركت روزا أن ليو متفاجئة، وأنها تتظاهر دائمًا بأن كل شيء على ما يرام.

- انتظري، سأجد السائق. غالبًا ما يُوقف سيارته في شارع جانبي عندما يأخذ قسطًا من الراحة.

أسرعت ليو خطاها فوق الحصى، ومشت ذهابًا وإيابًا وهي تخرج هاتفها من حقيبتها. رنَّ جوال روزا مرة أخرى، فأجابت وهي تحاول اللحاق بليو. كانت الريح باردة، وعندما مرَّت بـ بولدهوس جيد، استطاعت رؤية كريستيانسبورج على الجانب الآخر من القناة.

- مرحبا يا عزيزي. ليس لديَّ الكثير من الوقت. أنا في طريقي إلى قناة «دي آر»، ويجب أن أستعدَّ في السيارة.

كان الخط سيئًا جدًّا لدرجة أنها بالكاد سمعته. بدا صوته مهتزًّا ومربكًا، ولم تسمع في البداية سوى كلمتي «مهم» و«ماتيلد». كرَّرت كلامها في محاولة لتوضيح أنها لا تستطيع سماع أي شيء، لكنه يئس من إخبارها بشيء. وفي

القوس المُفضِي إلى فناء صغير، رأت ليو تتوقف لتبدأ بالحديث بحماس مع السائق الجديد، الذي لسبب ما لم يقد السيارة لمقابلتهم.

- ستين، هذا ليس وقتًا جيدًا. سأضطر إلى قطع الاتصال.

- اسمعي!

أصبح الاتصال أقوى فجأة، وأصبح صوت ستين أكثر وضوحًا.

- أخبرتِ الشرطة أنهما صنعا دمى رجل الكستناء. هل يمكن أن تكوني مخطئة في هذا؟

- ستين، لا يمكنني التحدث الآن.

- لقد تحدثت للتو إلى ماتيلد. تقول إنهما لم يصنعا رجال كستناء العام الماضي. لقد صنعا الحيوانات والعناكب وكل أنواع الأشياء الأخرى العام الماضي، لكن لم يكن هناك رجال كستناء. فكيف وصلت البصمة إلى هناك؟ هل تفهمين قصدي؟

توقفت روزا؛ وعاد صوت ستين إلى التقطُّع مرة أخرى.

- ألو؟ ستين؟

شعرت بانزعاج في معدتها، لكنَّ الخط سيئ، وسرعان ما صدر صوت صغير يشير إلى انقطاعه. بدأت السير نحو ليو التي حدَّقت إلى شيء داخل الفناء. نظرت ليو نحو الأعلى فقط عندما نقر السائق ذراعها، وأومأ تجاه روزا.

- تعالي، سنستقلُّ سيارة أجرة بدلًا من ذلك.

- أريد فقط الاتصال بستين. لماذا لا نستطيع أخذ السيارة؟

- سأخبركِ في الطريق، تعالي.

- لا، ما الذي جرى؟

- هيا، علينا الاستعجال!

في هذه اللحظة، شاهدت روزا الزجاج الأمامي للسيارة الوزارية مهشَّمًا. رُسِمَتْ حروف حمراء كبيرة ومُشوَّهة على غطاء المحرك. بدت كأنها مكتوبة بالدم، وشعرت بالصدمة عندما أدركت فحوى الكلمة: «قاتِلة».

أمسكت ليو ذراعها، وقادتها بعيدًا.

- أخبرتُه بأن يتصل برجال الأمن. علينا الذهاب.

42

لاحت ظلال الغابة في الظلام أمامهما، ولم تملك تولين الوقت الكافي للإبطاء عندما أشار هيس إلى رقم الشارع. وباتجاه المنزل الفاخر في كلامبينبورج، انعطفت السيارة بسرعة كبيرة لدرجة أنها انزلقت فوق الحصى. قادت تولين سيارتها مباشرة نحو الباب الأمامي، لكنْ قبل أن تتوقف، فتح هيس الباب وقفز إلى الخارج. وما بعث في قلبها الراحة، رأت أن وحدة الدوريات المحلية التي اتصلت بها متوقفة فعلًا في الخارج. وبينما كانت تصعد الدرجات الحجرية إلى القاعة، كان أحد الضباط ينزل الدرج من الطابق الأول.

- لقد مررنا بالمنزل. وقع شيء ما في الغرفة الأمامية.

- تولين!

اندفعت تولين نحو الغرفة الأمامية. وأوَّل ما وقعت عيناها عليه كان بقع الدماء على الحائط والكلب الذي رقد هامدًا على الأرض ورأسه مفتولة. قُلِبَ بعض الأثاث، وتحطمت إحدى النوافذ، وهناك دماء على هيكل الباب والأرض، حيث سقطت دمية باندا. وتوجد حقيبة سوداء مخفية خلف باب، وهاتف محمول على الأرض بجانبه.

- أرسلْ بعض الرجال والكلاب نحو الغابة الآن!

بدا هيس مشغولًا عند باب الشرفة وهو يعطي أوامره لأحد رجال الشرطة الذي هزَّ رأسه بارتباك، وحاول إخراج هاتفه. كان كرسيُّ الحديقة مرميًا على الباب، لكنَّ هيس ركله واندفعت تولين خلفه وهو يركض خلال العشب تجاه الغابة.

43

ركضت آن سيير لاسين للنجاة بحياتها في الظلام، وفروع الأشجار تلطم وجهها. شعرت بإبر وجذور الصنوبر المقطوعة في قدميها الحافيتين، لكنها واصلت الجري ومحاولة إجبار نفسها على المضي قدمًا، إذ امتلأت ساقاها بحمض اللاكتيك لتصابا بالتشنّج. كانت في كل لحظة تأمل تعرُّف تفاصيل طريقها في الغابة التي تحفظها جيدًا، لكنها لم ترَ سوى الظلام ولم تسمع سوى صوت أنفاسها وتكسُّر الأغصان، فلم تدرك مكانها.

توقفت عند شجرة طويلة. وأراحت ظهرها على اللحاء البارد والرطب في محاولة لخنق صوت تنفسها، والاستماع للأصوات في الغابة. كان قلبها على وشك الانفجار، وكانت على وشك البكاء. اعتقدتْ أنها تستطيع سماع الأصوات البعيدة، لكنها لم تستطع فهم اتجاهها، وخشيت إن هي صرخت أن يسمعها من يطاردها. كانت تعرف أنها ركضت وقتًا طويلًا، وحاولت معرفة أكان من الممكن أن يواكبها مطاردُها. لقد ضاعت، لكنْ عندما تنظر إلى الوراء، لا يوجد وميض من ضوء الكشاف، ولا ضوضاء أو حركة في الظلام، وهذا يعني أنها هربت.

أمامها، بعيدًا بين الأشجار، رأت ضوءًا فجأة. كان يتحرَّك على شكل قوس بطيء، وسرعان ما اعتقدت أنها تستطيع سماع صوت محرك بعيد؛ استطاعت تحديد مكانها. لا بدَّ أن الشعاع صادر عن المصابيح الأمامية لسيارة تتجه في الحارة التي تبدأ من الدوار، وتؤدي إلى الماء. شدَّت عضلاتها، واستجمعت قوتها وبدأت الجري. تبعد نحو مائة وخمسين ياردة عن الممر، لكنها تعرف بالضبط أين يوجد منعطف حاد، وأنها ستخرج من أمام السيارة. خمسون ياردة أخرى فقط، وبعد ذلك ستبدأ في الصراخ. الآن فقط ثلاثون ياردة، وعلى الرغم من تحرك السيارة، سيتمكن السائق من سماع صوتها، وسيتعين على مطاردها الاستسلام.

جاءتها الضربة من الأمام. ضربها شيء ما على خدِّها، وأدركت على الفور أنه لا بدَّ أنه كان يقف أمامها، في انتظار ردة فعلها على شعاع الضوء. شعرت بأرض الغابة تحتها، وتذوَّقت طعم الحديد ينتشر في فمها. اندفعت بشكل محموم على ركبتيها، ولكنها ضُرِبَتْ مجددًا على وجهها، وانهارت على أطرافها الأربعة وبدأت النحيب.

- هل أنتِ بخير يا آن؟

همس الصوت بالقرب من أذنها. وقبل أن تتمكن من الرد، عادت الضربات لتنهال عليها. وفي الثواني التي تفصل بين الضربات، كانت تسمع صوتها يئِنُّ، وتتساءل لماذا. لماذا هي، وما الذي اقترفته؟ وعندما أخبرها الصوت أخيرًا، خارت قواها. دفع حذاءُ ذراعها نحو الأرض، وأحسَّت بشفرة حادة على معصمها. توسَّلت وتوسَّلت للإبقاء على حياتها، ليس من أجلها هي، لكنْ من أجل الطفلتين. للحظة، بدت أفعال الشخص مُتعمَّدة، وشعرت آن بشيء ما يضرب خدَّها.

44

جال الضوء المنبعث من مصباح يد تولين بين الأشجار المبتلة، وقفز فوق جذوع الأشجار والأغصان وهي تنادي المرأة في الظلام. أمامها وبعيدًا إلى يسارها، استطاعت تولين سماع هيس وهو يفعل الشيء نفسه، ورأت ضوء مصباحه يتحرك باستمرار إلى الأمام. لقد قطعا مسافة طويلة الآن، عدة كيلومترات، وكانت تولين على وشك المناداة مرة أخرى عندما شعرت بألم شديد في قدمها. لقد علقت في جذر إحدى الأشجار، وسقطت على الأرض. ابتلعتها الظلمة، فتلمّست بيأس لتعثر على مصباحها الذي لا بدَّ أنه انطفأ. عندما نهضت على ركبتيها، بدأت التمسُّك بالشجيرات الرطبة، والبحث في المنطقة المحيطة بها. ثم، فجأة، لاحظت خيالًا جعلها تتسمَّر في مكانها. كان الخيال ساكنًا تمامًا، ويراقبها من الجانب الآخر من مساحة مفتوحة، على بعد عشرين ياردة فقط، دون أن تستطيع تمييز الشكل بسبب الظلام.

- هيس!

تردَّد صراخها خلال الغابة، وتحسَّست مسدسها من محفظتها في حين ركض هيس تجاهها مع المصباح. وبحلول الوقت الذي وصل إليها، كانت تصوب سلاحها نحو الخيال، واتجه هيس بضوء مصباحه نحو المكان نفسه، وهو يلهث.

كانت آن سيير لاسين مُعلَّقة بعدة أغصان. تحت ذراعيها فرعان مُثبَّتان أمسكا جسدها المضروب. وتدلَّت قدماها الحافيتان فوق الأرض، ورأسها متهدل على صدرها، وشعرها الطويل ينسدل على وجهها. مع اقتراب تولين، أدركت أن ما أذهلها هو: ذراعا آن سيير لاسين قصيرتان جدًّا. كفاها مبتورتان. ومن ثم رأته. رجل الكستناء الصغير البارز من لحم الكتف اليسرى لآن سيير لاسين. وبالنسبة إلى تولين، رأته كأنه يبتسم ابتسامة عريضة.



الثلاثاء 13 أكتوبر

45

كان المطر يهطل بغزارة على صفوف طويلة من رجال الشرطة بملابسهم الداكنة وهم يمشِّطون الغابة، ومصابيحهم مثبَّتة على الأرض، في حين تحوم طائرة هليكوبتر فوق رؤوس الأشجار، وتُوجِّه عليهم أضواء مصابيحها الكشافة. عمل هيس ورفاقه طيلة سبع ساعات إلى ما بعد منتصف الليل. رسم ثلاثة مديرين للعمليات المنطقة، وقسَّموا الغابة إلى خمس مناطق مختلفة سيبحث في كل منها فريق مزوَّد بمصابيح «ماجلايت» ووحدات من الكلاب المدرَّبة.

أُغلِقَتْ جميع المداخل والمخارج فور العثور على جثة آن سيير لاسين، ووُزِّعَتِ الحواجز الشرطيَّة على الطرقات. أُوقِفَتِ السيارات واستُجوِب الناس، لكنَّ هيس يخشى أن ذلك لن يجدي نفعًا. وصلوا إلى المكان بعد فوات الأوان، وما زالوا متأخرين. هطل المطر بعد وقت قصير من وصولهم إلى الغابة. ومهما كان الدليل الذي يحتاجون إليه -آثار الأقدام أو آثار الإطارات أو غيرها- فقد جرفته مياه الأمطار. يا لهذا المجرم الذي تقف ظروف الجو إلى جانبه. يفكر في جثة آن سيير لاسين، وفي الدمية الصغيرة المغروزة في كتفها، وشعر بأنه متفرِّج مُجبَر في مسرح يبحث عن مَخرَج، في حين يشاهد بعض الأداء الغريب أمام عينيه. كانت ملابسه مبللة، وهو يسير عائدًا من الطرف الشمالي للغابة تجاه أحد المسارات الرئيسية التي رسمها مديرو العمليات على خريطته. خرج شرطيٌّ أصغر سنًا من التشكيل ليتبوَّل خلف شجرة، واندفع هيس في وجهه: كان عليه مغادرة منطقة البحث والأدلة أولًا. سارع الشرطي إلى الصف، وأحسَّ هيس بالأسف من فورة غضبه. مضى وقت طويل جدًّا منذ أن خاض في قضيَّة كهذه، وفقد جسده اللياقة الضرورية، وأفكاره مشوَّشة وضبابية. في الواقع، لم يكن قطُّ في حالة كهذه. كان المفروض أنه يشاهد الآن مباراة في كرة القدم على شاشة التلفزيون المسطحة في

شقته الصغيرة القذرة في لاهاي، أو أنه في طريقه إلى مهمة أخرى مختلفة تمامًا في مكان ما في أوروبا؛ وبدلًا من هذا، ها هو الآن يتجوَّل في غابة ما شمال كوبنهاجن، حيث يسقط المطر مثل مسامير حديدية تثبِّت كل شيء على الأرض.

وجد هيس طريقه للعودة إلى الموقع حيث عُثِرَ على الجثة، إلى الأضواء الكاشفة الثقيلة التي تضيء الجثة، وتلقي بظلال طويلة خلف متخصصي الطبِّ الشرعيِّ المُبعثَرين بين الأشجار. أُنزِلَتْ جثة آن سيير لاسين قبل عدة ساعات، ونُقِلَتْ ليفحصها الطبيب الشرعي، لكنه يبحث الآن عن تولين. رآها عائدة من الجانب الغربي للغابة، وشعرها أشعث ورطب، وهي تمسح من على وجهها لطخات الوحل وهي تنهي مكالمة هاتفية. لاحظت هيس، وهزت رأسها، مشيرة إلى أنه لم يُعثَر على شيء في الغرب.

- لكنني تحدثت للتو مع جينز.

عندما ظهر جينز في الغابة بعد اكتشاف جثة آن، سحبه هيس جانبًا وطلب منه أن يأخذ رجل الكستناء مباشرة إلى المختبر. نظر هيس نحو تولين تحت المطر، وعرف نتيجة فحص جينز قبل أن تنبس ببنت شفة.

46

انتصف النهار. ومن النافذة في مركز قيادة فرقة العمل في الطابق الثاني من مركز الشرطة، استطاع نيلاندر ملاحظة الصحفيين المتعطِّشين إلى الأخبار مع هواتفهم وكاميراتهم وميكروفوناتهم وهم يحومون عند مدخل الفناء الرئيسي. وبالرغم من التحذيرات المتكررة من الإدارة لكل شخص في الشرطة، لطالما عرف أن الأخبار تتسرَّب كما الماء في الغربال، ولن يكون اليوم استثناءً. فبعد اثنتي عشرة ساعة فقط من اكتشاف الجثة في الغابة، بدأت تكهُّنات الصحفيين بوجود صلة بين جريمة القتل هذه ومقتل لورا كيار في هوسوم، مستندين في ذلك -على ما يبدو- إلى «مصدر مجهول في الشرطة». ثم، كما لو أن محاصرة وسائل الإعلام لم تكن كافية، تلقى نيلاندر اتصالًا من نائب المفوض؛ وتهرَّب مؤقتًا من ذلك المأزق بالقول بحدة إنه سيتصل قريبًا. المهم الآن هو التحقيق. وهو ينتظر بفارغ الصبر تولين المشغولة بحديث مع مجموعة من المحققين في القضية.

عمل معظمهم طوال الليل، ولم يحظوا إلا بساعات قليلة من النوم. لكن نظرًا إلى خطورة الموقف، لم يجدوا صعوبة في الانتباه إلى ملخص تولين.

كانت ليلة طويلة بالنسبة إلى نيلاندر أيضًا. جاءت المكالمة حول آن سيير لاسين خلال عشاء مع جمعية الإدارة في أحد مطاعم بريدجيد. كان الاجتماع حافلًا بالشخصيات المهمة، وفرصة رائعة للتواصل وتدعيم العلاقات، لكنَّ المكالمة أجبرته على التخلي عن وجبة التيراميسو قبل إنهائها. لم يكن مضطرًّا من الناحية الفنية إلى زيارة مسرح الجريمة شخصيًّا. لديه ضباط لذلك، لكنه أحسَّ بالحاجة إلى فعل ذلك. من المهم أن يكون القدوة المثالية وهو يدير دفَّة الفريق. وأيُّ تهاون قد يفتح المجال أمام هجوم لاحق، ونيلاندر أكثر ذكاءً من السماح بذلك. لقد رأى عددًا كبيرًا من الرؤساء وموظفي الخدمة المدنية يُقبض عليهم وهم يرتدون سراويلهم، وتتهاوى حياتهم المهنية لأن

القوة جعلتهم متغطرسين. وفي قضية لورا كيار، فقد تخطى الذهاب إلى مسرح الجريمة بسبب اجتماعات الميزانية. ولذلك، عندما تلقى مكالمة تولين بشأن البصمة، بدا الأمر كأنه حكم. وهكذا، غادر نيلاندر المطعم مساء أمس على الفور دون أي إزعاج على الإطلاق. على أي حال، لطالما كانت الحلوى إشعارًا بمرحلة يتبجَّح فيها المسؤولون بإنجازاتهم. ويعرف نيلاندر أنه قد يتفوق على الكثير منهم، ولكن ذلك يحتاج منه إلى الانتباه وضبط النفس، كما حدث الليلة الماضية. منذ رحلته إلى مسرح الجريمة في الغابة، كان يدير السيناريوهات المختلفة في رأسه، لكنه لم يصل بعد إلى استراتيجية مناسبة لسبب بسيط هو أنها غير مفهومة تمامًا. لقد ذهب شخصيًا إلى جينز وقسم الطب الشرعي في ذلك الصباح على أمل وجود خطأ في فحص بصمات الأصابع، لكنه لم يوفق إلى ذلك. أوضح جينز وجود نقاط كافية بالمقارنة في كلتا الحالتين لتسويغ تطابقهما مع كريستين هارتونج. والشيء الوحيد الذي يعرفه نيلاندر الآن على وجه اليقين هو أنه يتعين عليه التنقل بحذر إذا كان يريد الابتعاد عن الصدام.

«...وكانت الضحيَّتان في أواخر الثلاثينيات من العمر، وقد فاجأهما الجاني في منزل كل منهما. ووفقًا للفحوص الأولية للطبيب الشرعي، هُوجِمَتِ المرأتان وقُتِلَتا بسلاح اخترق محجر العين ووصل إلى الدماغ. في حالة الضحية الأولى، بُتِرَتِ اليد اليمنى، أما في الحالة الثانية فبُتِرَتِ اليدان معًا، وكانت المرأتان حيتين في أثناء البتر».

حدَّق المحققون المجتمعون إلى صور الجثتين التي مرَّرتها تولين بينهم. عبس بعضهم، وأدار آخرون وجوههم عنها. شاهد نيلاندر الصور أيضًا، لكنها لم تؤثر فيه. عندما بدأ العمل شرطيًا لأول مرة، أزعجه أنه لم يتأثر بهذا النوع من الأشياء، لكنه الآن يعتبرها مجرد مزية، وقاطع حديث تولين قائلًا: «ما معلوماتنا حول سلاح الجريمة؟».

- لم نصل إلى شيء جازم. مضرب ما مزود بكرة معدنية ثقيلة ومسامير صغيرة. ليس صولجانًا، لكنْ لديه التصميم نفسه. وفيما يخص عمليات البتر، نحن نبحث عن نوع من المناشير التي تعمل بالبطارية، والمزودة

بشفرة ماسيَّة أو ما شابه. تشير الفحوص الأولية إلى أنها الأداة نفسها المستخدمة في الجريمتين...

- ماذا عن الرسالة النصية المرسلة إلى هاتف لورا كيار، إذن؟ من المُرسِل؟

- أُرسِلَتِ الرسالة النصية باستخدام هاتف نوكيا قديم ببطاقة مدفوعة سلفًا، وغير مُسجَّلة يمكنك شراؤها من أي مكان. الهاتف نفسه الذي كان ملصقًا بيد لورا كيار اليمنى، لم نحصل منه على أي شيء. لم يحتوِ على أي بيانات أخرى باستثناء الرسالة النصية، وقد حُرِقَ الرقم التسلسلي بمكواة لحام، وفقًا لجينز.

- ولكنَّ شركة البريد التي أوصلت الطرد، تلك التي كنتما تتعقَّبانها من خلال إشارة الهاتف، يُفترَض أن لديها معلومات عن المُرسِل؟

- نعم هذا صحيح، ولكن المشكلة هي أن لورا كيار مدرجة تحت اسم المُرسِل.

- ماذا؟

- قسم العملاء لدى الشركة يقول إن شخصًا ما اتصل وقت الغداء بالأمس، وطلب من الشركة تسلُّم طرد من لورا كيار موجود على الدرج الأمامي لمنزل عنوانه 7 سيديرفانجيت في هوسوم. وهو عنوان لورا كيار. كان الطرد جاهزًا للتسليم مع رسوم الشحن عندما وصل الساعي بعد الساعة الواحدة ظهرًا. فأخذه إلى المتجر متعدد الأقسام، وسلمه إلى «سيفن إليفن» في الطابق الأرضي الذي تستخدمه شركة سيير لاسين لتسلُّم الطرود. كان هذا كل ما استطاع الساعي إخبارنا به، ولم نتمكن من العثور إلا على بصمات أصابعه على الطرد، بالإضافة إلى الموظفين من «سيفن إليفن» وسيير لاسين.

- ماذا عن الشخص الذي اتصل بهم؟

- لم يستطع موظف خدمة العملاء تذكر أكان الشخص المتصل رجلًا أم امرأة.

- ماذا عن سيديرفانجيت؟ لا بدَّ أن شخصًا ما قد رأى من ترك الطرد هناك؟

هزَّت تولين رأسها وقالت: «أول مشتبه به كان صديق لورا كيار، هانز هنريك هاوج. لكن لديه حجَّة غياب دامغة. قال الطبيب الشرعي إن سيير لاسين قُتِلَتْ في وقت ما نحو الساعة 6 مساءً، ووفقًا لمحاميته فقد كانت هي وهاوج في موقف السيارات خارج مكتبها في ذلك الوقت، يتناقشان حول أكان سيرفع شكوى ضدنا لعدم السماح له بالعودة إلى المنزل.

- إذن، لا نملك أي شيء؟ لا شهود، ولا مكالمات ولا أي شيء؟

- ليس بعد. ولم نجد أي علاقة بين الضحيتين، فهما تعيشان في مكانين مختلفين تمامًا، وتتنقلان في دوائر اجتماعية مختلفة، ولم نجد أي نقاط مشتركة بينهما سوى دمى رجل الكستناء، وبصمات الأصابع، لذلك سنبدأ...

- أي بصمات؟

نظر نيلاندر نحو يانسن الذي طرح السؤال. كالعادة، كان جالسًا إلى جانب رفيقه المخلص مارتن ريكس. شعر نيلاندر بعيني تولين عليه، فقد أخبرها سلفًا أنه يود نشر هذه الأخبار بالذات بنفسه.

- شخص ما دسَّ دمية رجل الكستناء بالقرب من الضحيتين. وفي كلتا الحالتين، وجدنا بصمة على الدمية، ووفقًا لتحليل قسم الطب الشرعي، يرجَّح أن البصمات متطابقة مع كريستين هارتونج.

خرج صوت نيلاندر جافًّا بشكل مُتعمَّد وغير مؤثر، ولم يتكلم أحد للحظة. ثم انخرط تيم يانسن واثنان من الآخرين في محادثة نشطة. انتشرت الدهشة بينهم، وتحوَّل الأمر إلى نوع من الشك المحيِّر، حتى تدخَّل نيلاندر مرة أخرى.

- اسمعوا. لا يزال قسم الطب الشرعي يجري اختباراته. لذلك لا أريد أن يقفز أي شخص إلى الاستنتاجات حتى نعرف المزيد. في الوقت الحالي نحن لا نعرف أي شيء. ربما لا تكون للبصمات علاقة إطلاقًا. ومن ثمَّ، إذا سرَّب أي شخص هذه المعلومة خارج هذه الجدران الأربعة، فسأحرص شخصيًّا على التأكد من عدم عمل هذا الشخص مرة أخرى. هل هذا مفهوم؟

كان نيلاندر يفكر في كيفية التعامل مع الموقف. وجود جريمتي قتل دون التوصُّل إلى القاتل مسألة يتعين على المرء مواجهتها. ربما ارتكبهما الشخص نفسه- على الرغم من صعوبة تقبُّل هذا الأمر أيضًا على نيلاندر.

وما دام لا أثرَ لليقين بشأن هوية بصمة الإصبع، فإنه لا يريد أن يتسبب ذلك في تعكير سير التحقيقات. كانت قضية هارتونج واحدة من أفضل إنجازات نيلاندر. في وقت من الأوقات كان يعتقد أن ذلك سيفسد مسيرته المهنية، لكنْ بعدئذ، جاءت تلك اللحظة الهامة مع اعتقال لينوس بيكر.

- لكن عليك إعادة فتح قضية هارتونج.

نظر نيلاندر والآخرون حولهم بحثًا عن مصدر الصوت، وهبطت أعينهم نحو الرجل من اليوروبول. حتى الآن كان أخرس وغير مرئي، منغمسًا في الصور التي تُمرَّر. كان لا يزال في الملابس نفسها التي ارتداها في الغابة، وشعره أشعث ومتسخًا. ومع أنه بدا كما لو أنه استلقى على أرض الغابة طيلة أسبوع، فإنه كان سريعًا ومرتَّبًا.

- قد تكون إحدى البصمات مصادفة، لكنَّ اثنتين أمرٌ لا مصادفة فيه. وإذا كانت البصمة لـ كريستين هارتونج، فهذا يعني أن التحقيق السابق في اختفائها قد توصَّل إلى نتيجة خاطئة.

- ما الذي تقوله؟

استدار تيم يانسن ونظر إلى هيس بحذر، كما لو أنه طُلب منه للتو تسليم راتبه الشهري.

- سأتولى ذلك يا يانسن.

يستطيع نيلاندر معرفة الاتجاه الذي ستهب فيه الرياح، وهذا بالضبط ما أراد تجنبه. ولكنَّ هيس تحدث قبل أن يتمكن من المتابعة.

- أنا لا أعرف أكثر مما تعرفونه أنتم. لكن لم يُعثَر على جثة كريستين هارتونج. ومن الواضح أن اختبارات الطب الشرعي التي أجروها في ذلك الوقت لم تكن كافية لإثبات وفاتها دون أدنى شك. وقد ظهرت الآن بصمات الأصابع هذه، وكل ما أقوله هو أنها تثير بعض الأسئلة.

- لا، أنت تقصد غير ذلك يا هيس. أنت تقول إننا ربما لم نؤدِّ واجبنا جيدًا بما فيه الكفاية.

- الأمر ليس شخصيًا. لكننا أمام ضحيتين قُتِلَتا. وإذا أردنا منع وقوع ذلك مرة أخرى فنحن في حاجة إلى...

- أنا لا آخذ الأمر على محمل شخصي. وأنا متأكد من أن الثلاثمائة من الضباط الآخرين الذين ساعدوا على حل القضية لن يفعلوا ذلك أيضًا.

لكنْ من المضحك أن تتخذ موقفًا عدائيًّا من شخص موجود هنا فقط لأنه طُرِدَ من لاهاي، ألا تعتقد ذلك؟

ضحك عدد قليل من زملاء يانسن. لكنَّ نيلاندر نظر إلى هيس من دون تعبير. انتبه إلى ما قاله هيس دونًا عن البقية.

- ماذا تقصد بقولك إذا أردنا منع وقوع ذلك مرة أخرى؟

47

بدت مستشارة الاتصالات في المركز حريصةً على مساعدته على رسم مسار العمل، لكنَّ نيلاندر قاطعها بقوله إنه سيدبِّر الأمر بنفسه. اعتاد أن يماطل في الوقت، لأنه انجذب إليها منذ أن بدأت العمل، حيث طغت بحضورها على القسم، في حين راحت توزِّع النصائح الجيِّدة يمنة ويسرة. لكنه الآن – وبينما اتجه نحو أسفل الدرج إلى الفناء– يود الاستفادة مما تبقى من مسافة لتصفية ذهنه قبل الاجتماع بالصحافة. وطبعًا، فإن شهادتها في الدراسات الإعلامية –وربما ثلاث سنوات من القهوة بالحليب والعلاقات الحميمة العرَضيَّة– لن تساعده على هذا الأمر. بالتأكيد ليس بعد الاجتماع المثير للقلق الذي عقده للتو مع هيس وتولين في مكتبه.

وقبل أن يخرج نيلاندر إلى الفناء ذي الرواق، أُبلِغ أن الوزيرة روزا هارتونج فرَّغت بعض الوقت في جدول اجتماعاتها، وهي في طريقها إلى المركز. أعطى تعليماته الصارمة بضرورة إحضارها هي وزوجها من المدخل الخلفي، وألا يقابلها أحد سواه.

كان هيس هو من اقترح اجتماعه مع نيلاندر وتولين لقضاء بعض الوقت في مكتب نيلاندر بعد الإحاطة، ليتمكَّنوا من متابعة حديثهم على انفراد. كان هيس قد وضع صور مسرح جريمة لورا كيار وآن سيير لاسين على مكتب نيلاندر.

«الضحية الأولى مبتورة اليد. والضحية الثانية مبتورة اليدين. ربما شوَّه القاتل آن سيير لاسين أكثر لو لم نزعجه، لكنْ ماذا لو رتَّب عن قصد ضحيتيه على النحو الذي وجدناهما فيه؟».

قال نيلاندر: «لا أفهم. تحدَّث بوضوح، فليس لديَّ اليوم بطوله».

أصبحت الثقة المتبادلة واضحة بين تولين وهيس قبل الاجتماع، إذ أظهرت له صورتين مقرَّبتين عن رجل الكستناء، بعد أن سئم نيلاندر من النظر إليهما.

- دمية رجل الكستناء تتكوَّن من رأس وجسد. للرأس عينان حُفِرَتا بمخرز أو أداة حادة أخرى، وللجسم أربعة أعواد ثقاب يُفترَض بأنها ذراعاه وساقاه. لكنَّ رجل الكستناء لا يملك أيادي، ولا أقدامًا.

كان نيلاندر صامتًا وهو يحدِّق إلى دمى رجل الكستناء ذات الأذرع المقطوعة. ولثانية، شعر كأنه يسمع قصَّة في روضة أطفال، ولم يدرِ أكان عليه أن يضحك أم يبكي.

- لا أعتقد أنك على علم بما يعنيه هذا الكلام.

كانت فكرة جهنَّميَّة. على المرء أن يكون مريضًا نفسيًا ليتوصل إلى هذه النتيجة. ولكنَّ نيلاندر فهم فجأة ما يقصده هيس من كلامه بشأن محاولة منع وقوع ذلك مرة أخرى. لم يُجِبْ أي منهما، لكنَّ فكرة أن يصنع القاتل دمية رجل الكستناء من لحم ودم فعلًا أمر يصعب إغفاله.

عاد هيس إلى الإصرار على ضرورة إعادة فتح قضية هارتونج. لقد استمرَّ في استخدام الكلمة «أنت» عند الإشارة إلى التحقيق -«أنت في حاجة إلى» و«عليكَ التفكير في احتمال ذلك»- حتى دفعه نيلاندر إلى إدراك شيئين. أحدهما، أن هيس أصبح الآن عضوًا في القسم كبقيَّة المحققين الآخرين، لا سيَّما أن نيلاندر يعرف أن أحدًا لم يطالب بإعادته إلى لاهاي. بالعكس تمامًا. وثانيًا، يستحيل إعادة فتح قضية هارتونج. بصرف النظر عما تدل عليه البصمات، فقد أُغلِقتْ قضية هارتونج. كان لديهم اعتراف وقناعة واضحة، وليس على الأرض قوة قد تُعيد الأمور إلى نقطة البداية. وللسبب نفسه، قرر نيلاندر أنه سيجري المقابلة بنفسه مع والدي هارتونج ليبلغهم بوجود البصمة. لا ينبغي المبالغة في الاكتشاف، وعلى أي حال، أخبرته أجهزة المخابرات للتوِّ أن الوزيرة مرَّت فعلًا بأسبوع قاسٍ – ضُويِقَتْ من شخص أو عدة أشخاص مجهولين، وآخرها كان تحطيم زجاج نافذة سيارتها الوزارية، وتلطيخ غطاء المحرِّك بدم حيوان.

لم يرَ نيلاندر ضرورة مشاركة هيس وتولين في هذا الجانب من الأمور، وقرر إخراج هيس من مكتبه ليتمكن من التحدث إلى تولين بمفردها. سألها مباشرة أكان هيس جادًّا بما يكفي للمشاركة في القضية. واستنادًا إلى ملف الموظفين، كان يعرف فعلًا السبب المأساويَّ الذي دفع هيس أصلًا إلى مغادرة القسم. ومع أن الرجل كان يمتلك الكثير من الخبرة في يوروبول، فإنه كان يعاني أيضًا مشكلةً خطرة مع السلطة، ما جعل الأمر يبدو كأن أفضل أيامه قد ولَّت.

وبالرغم من وضوح عدم إعجاب تولين بالرجل، فإن ردَّها كان بالإيجاب، لذلك أخبرها نيلاندر أنه يريدها أن تتولى القضية مع هيس، بشرط إبلاغه فورًا عن أي مشكلات قد يحاول هيس افتعالها. طبعًا، أضاف نيلاندر ملاحظة حول ضرورة إرجاء قصَّة التوصية بشأن المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية حتى تهدأ الأمور، وكان يعرف أن تولين ستفهم قصده تمامًا: أن الولاء شرطٌ للحصول على التوصية.

عند الخروج من مركز الشرطة، اقترب نيلاندر من الصحفيين المتعطِّشين للأخبار. كانت فكرة نيلاندر هي مقابلتهم وجهًا لوجه هنا بدلًا من عقد مؤتمر صحفي، فمن الأسهل له اغتنام وجوده خارج المبنى لإنهاء الأمور والانسحاب مجددًا. ومع ذلك، وعندما بدأ وميض الكاميرات بالتقافز حوله، عادت ملامح وجهه إلى تعبيراتها المألوفة، وأحسَّ بأنه فقد تركيزه. هذا هو أفضل ما يمكنه فعله. صحيح أن رقبته على المحك، لكنْ يوجد أيضًا الكثير الذي يمكن اكتسابه. خلال الأيام القليلة المقبلة، سيكون هو الشخص الذي يريد الجميع التحدث إليه، وبالنظر إلى السمعة السيئة للقضية، فقد يتبين أنها الفرصة التي يبحث عنها نيلاندر. إذا اتجهت الأمور نحو الإخفاق، فقد يكون من المفيد وجود مارك هيس ككبش فداء.

48

كان صوت نحيب الفتاتين في الطابق العلوي منتشرًا في جميع أركان المنزل الواسع. حتى داخل المطبخ، حيث جلس إيريك سيير لاسين إلى طاولة ضخمة مصنوعة من خشب صينيٍّ، ولا يزال في البذلة التي كان يرتديها عندما عُثِرَ على يد لورا كيار في مكتبه في اليوم السابق. من الواضح لهيس، الجالس بجانبه، أن الرجل لم يذهب للنوم حتى. عيناه منتفختان ومليئتان بالدماء، وقميصه قذر وغير مهندَم، وهناك ألعاب مبعثرة على الأرض، والموقد خلفه مكدَّس بأوانٍ قذرة. استطاع هيس رؤية تولين وهي تحاول لفت نظر الرجل من كرسيها على الجانب الآخر من الطاولة، لكنْ دون جدوى.

- أرجو أن تلقي نظرة أخرى على الصورة. هل أنت متأكد من أن زوجتك لم تكن تعرف هذه المرأة؟

نظر سيير لاسين إلى صورة لورا كيار، لكنه بدا بعيدًا عن التركيز.

- ماذا بشأنها؟ أعني روزا هارتونج، وزيرة الشؤون الاجتماعية. هل تعرفُها زوجتُكَ، أو تحدثتْ عنها، أو هل قابلتماها يومًا ما، أو...

لكن سيير لاسين هزَّ رأسه بلا مبالاة بشأن صورة روزا هارتونج التي دفعتها تولين على الطاولة. أحسَّ هيس بمحاولات تولين لإخفاء انزعاجها، وهو يتفهَّم ذلك. إنها المرة الثانية خلال أسبوع إذ تجلس وجهًا لوجه مع أرمل لا يعطيها إجابات عن أسئلتها.

- نحن في حاجة إلى مساعدتك يا سيد سيير لاسين. يجب أن تكون قادرًا على التفكير في شيء ما. هل كان لديها أي أعداء، هل يوجد شخص تخاف منه، أو كان هناك...

- لا أعرف أي شيء آخر. لم يكن لديها أعداء. كان اهتمامها منصبًّا على المنزل والطفلتين...

أخذت تولين نفسًا عميقًا وواصلت طرح أسئلتها، لكنَّ هيس أحس أن سيير لاسين يقول الحقيقة. حاول تجاهل صوت بكاء الطفلتين، وأَسِفَ على أنه لم يخبر نيلاندر أنها لم تكن مشكلته عندما سنحت الفرصة في مركز الشرطة في وقت سابق من ذلك اليوم. لكن لا مجال للعودة الآن: استيقظ في ذلك الصباح بعد ثلاث ساعات من النوم في حين انطبعت في ذاكرته صورة دمى رجل الكستناء وأطراف مقطوعة. ظهر المشرف على البناء بعد لحظات مع عباراته التوبيخية لأنه ترك أدوات الطلاء وملمع الأرضيات في منتصف الممر، لكنَّ هيس لم يكن لديه الوقت للتعامل مع الأمر. في طريقه إلى مركز الشرطة، اتصل هاتفيًّا بهاوج، وبذل قصارى جهده للاعتذار على غيابه عن الاجتماع الهاتفي الذي نسيه تمامًا مع فريمان في وقت الظهيرة السابق. كانت برودة السكرتيرة أمرًا واضحًا. تخلى هيس عن محاولته شرح مسوِّغات رأيه، وبدلًا من ذلك شقَّ طريقه بسرعة خلال ذلك الصباح المزدحم في محطة القطار ليتسنَّى له الوقت الكافي للنظر في مزيد من التفصيل في صور جثة آن سيير لاسين. قرَّر سلفًا أنه سيتوقف عن القلق إذا وجد علامات قطع في مكان آخر إلى جانب معصمها. فوجود العديد من علامات البتر الملموسة الأخرى التي خلَّفتها الأداة المستخدمة لبتر يديها قد ينفي سبب ملاحقة فكرته المريضة التي استيقظ عليها. لكنه لم يجد ما يشير إلى أن القاتل حاول بتر أي أجزاء أخرى من الضحية. حتى إن هيس توجَّه إلى مكتب الطبيب الشرعي للتأكد: لقد تأكدتْ مخاوفه في الجريمتين معًا. استُخدِمت الأداة فقط لبتر اليدين، وهذا ما ثبَّت مخاوفه وجعله غير مرتاح بشكل خطر. لم يدرِ أكان على حق في توقع مزيد من الضحايا، لكنَّ قلقه كان يتزايد. من الناحية المثالية، كان يودُّ أن يضغط بشأن إيقاف التحقيق لينغمس في قضية كريستين هارتونج قبل أن يلتزم باتجاه جديد، لكنَّ نيلاندر تدخَّل، ولذلك ذهب هو وتولين إلى منزل سيير لاسين لكونهما لم يصلا إلى أي شيء جديد.

أمضيا ساعتين في البحث في العقار الشبيه بالقصر، والأرض المجاورة له. في البداية، اكتشفا أن كاميرات المراقبة المواجهة للغابات على الجانب الشمالي من المنزل قد عُطِّلَتْ. منذ اللحظة التي عادت فيها آن سيير لاسين من تمرين الجري، وأوقفت جهاز الإنذار، كان من الممكن أن يتسلق أي شخص السياج ويدخل المنزل دون أن يشاهده أحد. لم يرَ الجيران شيئًا، وهو أمر يمكن تصديقه تمامًا، إذ كانت المنازل الفخمة على طول الشارع متباعدة جدًّا

بحيث يمكن لوكلاء العقارات وصفها بشرعية، دون المبالغة المعتادة، أنها «منعزلة».

وبينما ركَّز جينز وفنّيو الطب الشرعي على تمشيط الحديقة، والقاعة والغرفة الأمامية بحثًا عن أدلة محتملة، صعدت تولين وهيس إلى الطابق العلوي للتحقق من غرف النوم والأدراج وخزائن الملابس أملًا في العثور على بعض المعلومات عن حياة آن سيير لاسين. كان الطابق الأول يحوي تسع غرف – إذا حسبتَ غرفة العناية الصحية وغرفة الملابس. لم يكن هيس خبيرًا بتفاصيل الرفاهية المادية، لكنَّ شاشة «بانج آند أولفسن» في غرفة النوم بدت وحدها بقيمة تعادل الإيداع في عدة شقق في أودين. وتبعًا لذوق السكان، لم يحتوِ المنزل على ستائر تحجب النوافذ الطويلة والرائعة، لكنْ عندما كان واقفًا في الغرفة لم يستطعْ إلا أن يتساءل عما لو استغل القاتل هذه المزية للتجسس على آن سيير لاسين وروتينها المسائي من عتمة الحديقة، حيث كان المطر يتساقط مرة أخرى.

لم تكن المواد والتصاميم الداخلية للغرف الأخرى في الطابق الأول أقل فخامة: كانت خزانة ملابس آن سيير لاسين مُرتَّبة بدقة مع صفوف من الأحذية ذات العقب العالي، والفساتين والسراويل المكوية حديثًا على علّاقات خشبيَّة متطابقة، وكانت جواربها وملابسها الداخلية مصفوفة في أدراج نظيفة. كان الحمام الداخلي كأنه مستوحى من أحد فنادق النجوم الخمسة، مع مغسلتين، وحوض استحمام كبير غائر يتألق ببلاط إيطالي وغرفة منفصلة للسبا والساونا. وفي الوقت ذاته، ازدانت غرفة الطفلتين بلوحات جدارية كبيرة ومُلوَّنة من هانز شيرفيج لحيوانات الغابة وقد أحاطت بالسريرين الصغيرين المطلَّيْن على سماء مُرصَّعة بالنجوم على السقف، وتتكامل مع الكواكب المرسومة وصواريخ الفضاء الهائمة.

ومع ذلك، وبصرف النظر عن المكان الذي بحثا فيه، لم يكن ثمة أي توضيح يفسِّر سبب مفاجأة أي شخص لآن سيير لاسين في منزلها، ومطاردتها في الغابة، وبتر يديها.

بدلًا من ذلك، ركَّزا على استجواب إيريك سيير لاسين الذي أخبرهما كيف التقى هو وآن في مدرسة أوردروب الثانوية. وبمجرد أن أنهيا دراستهما في كلية كوبنهاجن للأعمال، احتفلا بالزواج، ثم انطلقا في رحلة حول العالم قبل أن يستقرّا أولًا في نيوزيلندا، ثم في سنغافورة لاحقًا. استثمر إيريك بعض

الاستثمارات المحظوظة في العديد من شركات التكنولوجيا الحيوية، في حين كانت أمنية آن الكبرى هي إنجاب الأطفال والأسرة. رُزقَا بالفتاتين. وبمجرد وصول أكبرهما سنًا إلى سن المدرسة، عادا إلى الدنمارك للاستقرار بداية في عقار مستأجر في أحد المباني الجديدة في «آيلاندز بريج»، حيث عاشوا حتى تمكنوا من شراء المنزل في كلامبنبورج قريبًا من الحيِّ الذي نشأ فيه إيريك. حصل هيس على انطباع بأن مستوى معيشة الأسرة يعتمد على دخل إيريك. ومع أن آن تدرَّبت أن تكون مصممة ديكور قبل عدة سنوات، فإنها بدت أكثر فخرًا بأمومتها، ودورها في الاعتناء بالمنزل وترتيب لقاءات مع دائرة الأصدقاء، ومعظمهم أصدقاء لـ إيريك. توجَّه أحد المحققين إلى هيلسينجور حيث تقطن والدة آن سيير لاسين. ومن ملخص الحديث معها، عرف هيس أنها وُلِدَتْ وعاشت في أسرة فقيرة، وفقدت والدها مبكرًا، وأنها كانت منذ الطفولة تركز على بناء أسرة. وبصوت مختنق بالدموع، أوضحت والدة آن أنها لم ترَ ابنتها وأحفادها كثيرًا بعد عودتهم إلى المنزل من آسيا كما كانت تأمل، وهذا ما سوَّغته بكره إيريك لها. لم يصرِّح إيريك أو زوجته بذلك قطُّ، لكنها اعتادت رؤية ابنتها وحفيدتيها فقط عندما يكون إيريك في العمل، أو في المناسبات النادرة عندما كانت ابنتها تمرُّ بها مع الطفلتين لإلقاء التحية. كان انطباع الأم أن توازن القوى بين آن وإيريك متفاوت جدًّا، لكنَّ آن دافعت دائمًا عن زوجها ورفضت تركه؛ كان من الواضح لوالدتها أنها في حاجة إلى الاحتفاظ بهذا النوع من الرأي لنفسها إذا أرادت الاستمرار في رؤيتها. وهي، بعد أحداث الأمس، لن تفعل ذلك مرة أخرى.

مرَّت دقيقة أخرى حسب الساعة الرقمية الموضوعة فوق أحد فرنَيْ «سميج» الكبيرين في المطبخ، وأجبر هيس نفسه على الاستماع إلى أسئلة تولين بدلًا من النحيب في الطابق العلوي.

- لكنَّ زوجتكَ حزمت حقيبة. كانت في طريقها للخروج من الباب، وأخبرت المربية أنها ستصطحب الطفلتين بنفسها، لذا إلى أين كانت ذاهبة؟

- أخبرتكما. كانت ذاهبة لزيارة والدتها. كانوا سيقضون الليل هناك.

- ليس هذا ما يبدو عليه الأمر. حزمت حقيبة فيها جوازات سفرهم، وملابس كافية لأكثر من أسبوع، فما الذي كانت ستفعله؟ لماذا أرادت المغادرة؟

- لم تكن تريد المغادرة.

- أعتقد أنها فعلت ذلك، والناس لا يهربون بهذه الطريقة دون سبب وجيه. لذا إما أن تخبرني بالسبب، وإما سأحصل على أمر قضائي لتصفح هاتفك وبيانات المرور على الإنترنت لاكتشاف مثل هذا الأمر.

بدا إيريك سيير لاسين وقد وصل إلى آخر الطريق.

- جمعتني مع زوجتي علاقة رائعة. لكننا -أو أنا- واجهتُ أيضًا بعض المشكلات.

- أي نوع من المشكلات؟

- كانت لديَّ علاقات عاطفية. لا شيء ذا أهمية. لكنْ... ربما اكتشفت ذلك.

- علاقات عاطفية. مع من؟

- أشخاص مختلفون.

- من، وكيف؟ نساء ورجال؟

- علاقات عاطفية مع نساء. أشياء عادية. أشخاص قابلتهم أو راسلتهم من خلال الإنترنت في مكان ما. لم يكن الأمر يعني الكثير.

- ما الذي دفعك إلى ذلك إذن؟

تردّد سيير لاسين في الإجابة.

- لا أعلم. في بعض الأحيان لا تسير الحياة بالطريقة التي كنت تأملها.

- ماذا تقصد؟

حدَّق سيير لاسين تائهًا إلى الفراغ. لم يستطع هيس الموافقة على جملته الأخيرة، ولم يستطع إلا أن يتساءل عمَّا كان يأمله رجل مثل سيير لاسين من الحياة أكثر من زوجة مثالية، وأسرة ومنزل تفوق قيمته 35 مليون كرونة.

- متى تعتقد أن زوجتك اكتشفت ذلك، وكيف؟

- لا أعرف، لكنكِ سألتِ ما إذا...

- سيد سيير لاسين. لقد فحصنا هاتف زوجتك ورسائل بريدها الإلكتروني، وحساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي. لو أنها اكتشفت ما قلتَه لنا، فمن المنطقي أنها كانت ستتحدث إلى شخص ما عن خيانتك. إما أنت وإما والدتها وإما صديق، لكنها لم تذكر ذلك.

- حسنًا...

- إذن، ربما لم يكن هذا هو سبب هروبها. لذلك سأسألك مجددًا: لماذا أرادت زوجتك هجرك؟ ما السبب الذي دفعها إلى حزم الحقيبة و...

- لا أعلم! سألتِني عن سبب، وهذا هو السبب الوحيد الذي يمكنني تخمينه!

بالنسبة إلى هيس، ولوهلة، بدت فورة غضب إيريك سيير لاسين مبالغًا فيها. من ناحية أخرى، ربما كان من الصعب على الرجل تمالك أعصابه. كان يومًا طويلًا، ولا يرى هيس أي سبب لمواصلة المقابلة، لذا قاطعه.

- شكرًا، سنتوقف هنا. إذا تذكَّرتَ أي شيء آخر، نرجو إخبارنا به على الفور، اتفقنا؟

أومأ سيير لاسين برأسه بامتنان. ومع أن هيس أدار ظهره ليجد سترته، استطاع تخمين عدم سعادة تولين بالمقاطعة. ومن حسن الحظ، أبطل صوتٌ أي تعليق آخر.

- هل يمكنني إخراج الفتيات لتناول الآيس كريم؟

نزلت المربِّية مع الفتاتين بملابس الخروج. سجَّل هيس وتولين إفادتها سابقًا. لم ترَ آن منذ صباح أمس، بعد تناول الغداء في دار العبادة الفلبينية، ثم تلقَّت مكالمة من آن بعد ظهر ذلك اليوم تقول إنها ستأخذ الفتيات بنفسها. كان احترامها واضحًا لأسرة سيير لاسين، وللشرطة، واعتقد هيس بوجود بعض المشكلات بشأن تصريح إقامتها. كانت أصغر الفتاتين بين ذراعيها، وأكبرهما تمسك بيدها. عيونهما حمراء ومغرورقة بالدموع، وإيريك سيير لاسين الذي نهض على قدميه، سار نحوهم.

- نعم. إنها فكرة جيدة يا جوديث. شكرًا لكِ.

مسح سيير لاسين شعر إحدى ابنتيه، ومنح الأخرى ابتسامة قسرية، في حين سار الأربعة تجاه ممر المطبخ.

- عندما تنتهي إفادتي، سأتناول واحدة بنفسي.

سارت تولين نحو هيس ووقفت في مكان يعجز فيه عن تفادي نظرات عينيها البنِّيتين.

- انظر، كنا مع الرجل بعد ظهر أمس عندما كانت آن سيير لاسين تتعرض للهجوم. لذلك من المستحيل أن يكون هو الفاعل.

- نحن نبحث عن عامل مشترك بين جريمتي القتل. إحدى الضحيَّتين غيَّرت قفل الباب، وكانت الأخرى تحاول الهروب...
- أنا لا أبحث عن عامل مشترك. أنا أبحث عن قاتل.

حاول هيس التوجُّه نحو الغرفة الأمامية لسماع تقرير فنِّيي الطب الشرعي، ولكنَّ تولين اعترضت طريقه.

- دعنا نتعامل مع هذا الآن. هل لديك مشكلة مع هذا؟ نحن الاثنين نعمل وننسِّق معًا، اتفقنا؟
- لا، ليست لديَّ مشكلة. لكنْ دعينا نوزِّع المهام بحيث لا نصل إلى ما يشبه حرب شد الحبل مثل الأغبياء.
- هل أقاطعكما؟

انفتح الباب السحَّاب ذو اللون الكريمي المُفضِي إلى القاعة، وظهر جينز ببدلة الفضاء البيضاء مع حقيبة طيران في يده.

- نحن نحزم أمتعتنا الآن. لا أريد أن أخيِّب آمال أي شخص سلفًا، ولكنني لا أعتقد حتى الآن بوجود أي شيء كما جرى مع لورا كيار. الشيء الأكثر إثارة للاهتمام هو آثار الدم في شقوق أرضية القاعة. ولكنها قديمة، ولا تتطابق مع فصيلة دم آن سيير لاسين، لذلك أفترض أنها غير ذات أهمية.

على أرض الردهة خلف جينز، استطاعا رؤية آثار اللومينول متوهجة باللون الأخضر تحت الأضواء الفسفورية، في حين يلتقط الفنِّيون الصور بالكاميرا.

- ما سبب وجود آثار دماء قديمة على أرضية القاعة؟

طرحت تولين السؤال على سيير لاسين الذي عاد من ممر المطبخ وبدأ بلامبالاة نوعًا ما بإزالة الألعاب.

- إذا كانت الدماء على الدرج، فهي ربما من صوفيا، الفتاة الكبرى. لقد سقطت وكُسِرَ أنفها وعظم الترقوة قبل شهرين، وقضت بعض الوقت في المستشفى.
- ربما يكون ذلك. بالمناسبة يا هيس، أخبرتْني لجنة الحفلة في المكتب أن أبلغكَ تحيتها وأشكرك على الخنزير.

عاد جينز إلى الرجال الآخرين بملابسهم البيضاء، وأغلق الباب السحَّاب خلفه. خطرت فكرة في بال هيس، وحدق إلى إيريك سيير لاسين باهتمام متجدد، لكن تولين سبقته.

- في أي مستشفى كانت صوفيا تقيم؟

- مستشفى ريجز هوسبيتال. مجرَّد يومين.

- أي قسم في ريجز هوسبيتال؟

في هذه المرة، كان هيس هو من طرح السؤال. من الواضح أن اهتمام المحققين المفاجئ بالموضوع أربك إيريك سيير لاسين الذي توقف في منتصف الغرفة مع دراجة ثلاثية العجلات في يده.

- طب الأطفال على ما أظن. ولكن آن هي من تولَّى الاهتمام بهذا الأمر، وذهبت إلى العيادة. لماذا؟

لم يجب أيٌّ منهما. خطت تولين من خلال الباب الأمامي، وأدرك هيس أنها لن تسمح له بالقيادة هذه المرة أيضًا.

49

لا يستطيع أيٌّ من زوَّار جناح الأطفال في مستشفى ريجز هوسبيتال ببليجدامسفيج إلا أن يتوقف للاستمتاع بجدار رسوم الأطفال الملونة التي لا حصر لها، بأحجام كبيرة وصغيرة، والتي تزيِّن الممر. ولم يكن هيس استثناءً. كانت أشبه بتجمُّع للكثير من الألم والحماس للحياة في مكان واحد، ولم يستطع هيس تمالك نفسه من التوقف للتحديق إلى الحائط، في حين صعدت تولين إلى المكتب لإعلان وصولهما.

حديث سيير لاسين عن إقامة ابنته في المستشفى دفعهما معًا إلى تذكُّر رسالة التنبيه المعلَّقة على لوح الملاحظات في مطبخ لورا كيار. وفي طريق عودتهما إلى المدينة، اتصل هيس هاتفيًا بالمشفى، وتأكد أن ابن لورا كيار وابنة آن سيير لاسين كانا مريضين هناك. لكنَّ الممرضة التي تحدث معها لم تستطع تقديم أي معلومات مفيدة أخرى، إضافة إلى تداخل إقامة الأطفال. وصلا الآن إلى المستشفى لأنه في الغالب العامل المشترك الوحيد الذي يتعيَّن عليهما متابعته، ولأنه يقع على طريق عودتهما إلى مركز الشرطة في جميع الأحوال. حتى الآن، لم تُسفِر أحداث اليوم عن أي نتيجة مفيدة، وقد علما من نيلاندر أن روزا هارتونج وزوجها لم يتمكنا من تقديم أي جديد عن آن سيير لاسين، وهو ما لم يكن مساعدًا.

راقب هيس عودة تولين من المكتب، لكنها تجنَّبت نظراته واتجهت نحو تُرمُس القهوة المخصص للزوار.

- إنهم يحاولون التواصل مع المستشار المسؤول. وبحسب الملفات، فقد تعامل مع الطفلين.

- إذن، سنتحدث معه الآن؟

- لا أعلم. إذا كنتَ تودُّ فعل شيء آخر، فلا بأس بذلك.

لم يُجِبْ هيس، وألقى نظرة سريعة حوله بفارغ الصبر. كان الأطفال المرضى في كل مكان. أطفال يعانون خدوشًا في الوجه، وعُلِّقَتْ أذرع آخرين بأربطة، وكانت أقدام آخرين في الجبس. أطفال دون شعر على رؤوسهم، وآخرون في كراسي متحرِّكة، وأطفال يتنقلون مُعلِّقين محاليل طبية. في الوسط توجد غرفة النشاط ذات الجدران الزجاجية الكبيرة وباب أزرق مُغطًّى بالبالونات وأغصان الخريف. دفعت أصوات الأطفال وأغانيهم هيس إلى الاقتراب من الباب الذي كان مُوارَبًا. وفي أحد أركان الغرفة، كان بضعة يافعين يرسمون، في حين تحلَّقت مجموعة من الأطفال الصغار على مقاعد بلاستيكية زاهية الألوان في الطرف الآخر. كانوا ينشدون ووجوههم متجهة نحو امرأة تحمل صورة عليها رسم جميل لتفاحة حمراء.

«مرحى يا رجل التفاح. أهلًا يا رجل التفاح. هَب لي من خيرك ثمرة. شكرًا، زُرنا كلَّ صباح».

أومأت المرأة برأسها مشجِّعة للأطفال، وبمجرَّد إنهاء الأنشودة، وضعتْ صورة التفاحة جانبًا، لترفع أخرى عليها صورة كستناء.

- فلنعِدها مجددًا!

«مرحى يا رجل الكستناء، أهلًا يا رجل الكستناء. هَب لي من خيرك ثمرة...

كان وقع الكلمات مؤثرًا في هيس، وسرت قشعريرة في جسده. وعندما ابتعد عن الباب، أدرك أن تولين تراقبه.

اقتربت منهما إحدى الممرِّضات وقالت: «هل أنتما والدا أوسكار؟ هل جئتما من أجل صورة الأشعة السينية؟» كادت تولين تختنق برشفة القهوة التي احتستها من فنجان بلاستيكي، وبدأت بالسعال، فأجاب هيس: «لا. نحن لسنا كذلك. نحن ضابطا شرطة، وننتظر مقابلة كبير المستشارين».

- لم ينهِ المستشار جولته يا للأسف.

كانت الممرضة جميلة. عيناها برّاقتان وداكنتان، وشعرها البنّي الطويل مسرَّح على شكل ذيل حصان. كانت في الثلاثين من عمرها، وعلى وجهها ملامح جادّة جعلتها تبدو أكبر سنًّا.

- لا بدَّ من مقابلته الآن من فضلك، فنحن في عجلة من أمرنا.

50

دعاهما حسين ماجد، كبير المستشارين، إلى الجلوس في غرفة الموظفين بين فناجين القهوة البيضاء، وأجهزة الآيباد الملطّخة بمادة دهنية، وبعض الحلوى، وجرائد الصباح المُلطّخة، والمعاطف المتدلية على ظهور الكراسي. كان بنفس طول هيس، وهو في أوائل الأربعينيات من عمره. يبدو شديد الأناقة مع معطفه الأبيض مُفكّك الأزرار، وسماعة طبية حول رقبته، ونظارة سوداء مستطيلة الشكل. يشير خاتم الزواج الذهبي إلى أنه متزوج، لكنّ ذلك لم يمنعه من مصافحة تولين بطريقة خاصة. السرعة التي صاحبت مصافحة المستشار لهيس تحوّلت بسرعة إلى ابتسامة وتواصلٍ دائم بالعين عندما نظر إلى تولين. أدرك هيس للحظة أن الطبيب انجذب إلى تولين، لأنه لم ينظر إليها بهذه الطريقة قطُّ. كان –حتى اللحظة– يراها شخصًا مزعجًا، ولكنه مضطرٌ إلى الاعتراف على مضض بأنه يستطيع فهم أسباب النظرات التي اختلسها الطبيب لخصر تولين النحيل، وقوامها الرشيق وهي تستدير بعيدًا للعثور على كرسي. لم يتمالك هيس نفسه عن التساؤل أكانت نظرات ماجد مماثلة إلى لورا كيار وآن سيير لاسين عندما حضرتا إلى هنا مع أطفالهما المرضى.

- أخشى أنني لم أُنهِ جولتي بعد. وتسعدني مساعدتكما، وإنهاء ما جئتما إليه بسرعة.

أجابت تولين: «نحن ممتنان للطفلِ».

وضع ماجد ملفين طبيين وهاتفه المحمول على الطاولة، ودعاها إلى احتساء فنجان قهوة، فوافقت على ذلك بنوع من الغنج. بالنسبة إلى هيس، بدت تولين كما لو أنها نسيت السبب الأساسي لحضورهما، لكنه كظم غيظه، ومال في كرسيِّه نحو الأمام.

- كما أخبرناكَ. لدينا بعض الأسئلة بشأن ماجنوس كيار وصوفيا سيير لاسين، ونودُّ منكَ إخبارنا عن معلوماتك بهذا الخصوص.

ألقى حسين ماجد نظرة على هيس، وأجاب بنبرة لا تخلو من السُّلطة، وودٍّ يُفترض أنه موجَّه أساسًا إلى تولين، وقال: «بالتأكيد. الحقيقة هي أن الطفلين عُولِجا هنا، وإن كانت الأسباب مختلفة. هل يمكنني الاستفسار عن سبب الأسئلة؟».

- لا.

- حسنًا، لا يهم.

ألقى الطبيب نظرة إلى تولين التي هزَّت كتفيها، كما لو أنها تُسوِّغ سبب غياب الدماثة عن كلمات هيس الذي تحرَّك بسرعة:

- كيف عولِجا؟

وضع ماجد يده على ملفات الأطفال دون أن يراجع أيًّا منها.

«جاء ماجنوس كيار لنا ليخوض دورة علاجية طويلة بدأت منذ عام تقريبًا. يعمل قسم طب الأطفال وفريقه المختصُّ كأداة لتوجيه المرضى نحو الأقسام ذات الصلة. لذلك، دُرِسَتْ حالته، وشخَّص متخصِّصو طب الأعصاب لدينا إصابته بالتوحُّد. من ناحية أخرى، دخلت صوفيا سيير لاسين المستشفى إثر كسر بسيط في العظام بعد تعرُّضها لحادث في المنزل قبل بضعة أشهر. سرعان من خرجت من المستشفى. لم تكن حالتها معقدة نسبيًّا، بالرغم من حاجتها إلى بعض الاستشفاء والنقاهة، وهو ما أُجرِي لها في قسم العلاج الطبيعي لدينا أيضًا.

قال هيس: «كان الطفلان في قسم العناية بالأطفال إذن. هل تعرف أكانا قد التقيا؟ أو هل التقى أهلهما؟».

- لا يمكنني الجزم في الموضوع، لكنني لا أرجِّح ذلك لاختلاف التشخيص بينهما.

- من أحضرهما؟

- حسبما أذكر، كان كل منهما يأتي مع والدته بشكل أساسي. وإذا أردتما التحقُّق من ذلك، يفضَّل أن تسألانهما مباشرة.

- لكنني أسألكَ.

- نعم، وقد أجبتكَ للتو عن هذا السؤال.

رسم ماجد ابتسامة لطيفة على وجهه. وأدرك هيس أنه يتمتع بذكاء فوق المتوسط، وتساءل أكان الرجل يعرف جيدًا أن هيس عاجز عن طرح السؤال على الوالدتين.

- لكنكَ كنت المسؤول عن التواصل مع الوالدتين في أثناء وجودهما هنا؟

كانت تولين هي من طرح هذا السؤال البريء، وبدا المستشار مسرورًا بالإجابة عن سؤالها.

- لديَّ اتصالات مع العديد من الآباء، ولم يكونا استثناءً. من المهم في عملنا أن نمنح الآباء والأمهات الثقة بأن أطفالهم في أيدٍ أمينة. بناء الثقة خطوة أساسية على طريق العلاج، وعنصرٌ مفيد لجميع الأطراف المعنية، ولا سيَّما المريض.

ابتسم الطبيب لـ تولين وغمزها بسرعة كما لو أنه يعدها بعطلة رومانسية لشخصين في جزر المالديف. واستجابت تولين لإيماءاته بالابتسام.

- في هذه الحال، يمكننا القول بأنك على معرفة جيِّدة بالأمهات.

وبينما واصل الابتسام في وجه تولين، أجاب ماجد بنبرة لا تخلو من الحيرة: «معرفة جيِّدة؟» بدت المفاجأة أيضًا على وجه هيس، في حين تابعت تولين كلامها.

- نعم. هل كنت تقابلهنَّ على انفراد؟ هل وقعت في غرامهنَّ، أو أن الأمور اقتصرت على علاقة حميمة معهنَّ؟

مع ابتسامته المستمرة، وبعض التردُّد، أجاب ماجد: «عذرًا، هلَّا أعدتِ السؤال مجددًا؟».

- لقد سمعتني. أجب عن السؤال.

- لماذا تطرحين هذا السؤال؟ ما الأمر؟

- حتى الآن، إنه مجرَّد سؤال، ويهمُّنا أن تخبرنا الحقيقة.

- يجب أن ننتهي بسرعة. يحتوي هذا الجناح على قدر أعلى من حجم استيعابه بعشرة بالمائة. هذا يعني أنني أُخصِّص في جولاتي دقائق قليلة وثمينة لكل طفل. لذلك لا أهدر مثل هذا الوقت الثمين على الأمهات أو الآباء أو رجال الشرطة، وإنما على الأطفال.

- لكنكَ قلت للتوِّ إنك تحرص على بناء علاقة وثيقة مع الأمهات.
- لا. لم أقل هذا. ولا يعجبني المعنى الذي تشير إليه أسئلتك.
- أنا لا أعني أي شيء. ما أعنيه هو ما فعلتَه للتو عندما غمزتَني وتحدثت إليَّ عن الثقة. ولكنَّ سؤالي –دون أي إشارات ضمنيَّة– هو هل أقمت علاقة غراميَّة معهنَّ؟

ابتسم ماجد كما لو أنه لا يصدق ما يسمعه، وهزَّ رأسه.

- أخبرنا إذن عن انطباعك حول الوالدتين.
- كانتا قلقتين على طفليهما، كما هي الحال مع الآباء عادة عندما يأتون إلى هنا. وإذا كان هذا هو نوع السؤال الذي تطرحونه عليَّ، فلديَّ أمور مهمة أفعلها.

همَّ حسين ماجد بالوقوف، لكنَّ هيس الذي استمتع بالمشاجرة، مرَّر صحيفة ملطخة بالقهوة إلى المستشار.

- لن تغادر. نحن موجودان هنا لأسباب لا بدَّ من أنك تعرفها فعلًا. في الوقت الحالي، أنت العامل المشترك الوحيد في تحقيقنا.

نظر المستشار إلى الصورة في الصحيفة حيث تبدو الغابة، والعنوان الرئيسي للمقال الذي يربط بين جريمتي القتل، وبدا شاحبًا بعض الشيء.

- ليس لديَّ ما أضيفه. أتذكر والدة ماجنوس كيار بشكل أفضل لأن علاجه استغرق وقتًا أطول. جرَّبوا العديد من العلاجات العصبية، وأُصيبت الأم بالإحباط الشديد لأن ذلك لم يكن مفيدًا، ثم توقفتْ فجأة عن إحضاره. هذا كل ما أعرفه.
- لقد توقفتْ عن المجيء لأنكَ مررتَ بها، أو...
- لم أزرْها قطُّ! اتصلتْ وقالتْ إن المجلس المحلي اتصل بها بشأن الصبي، وأرادت التركيز على ذلك. اعتقدتُ أنها ستعود إلى الاتصال، لكنها لم تفعل ذلك قطُّ.
- لكنَّ لورا كيار كرَّست كل وقتها لعلاج ابنها. ولا بدَّ من أن لديها سببًا وجيهًا لعدم رغبتها في رؤيتك بعد الآن.
- لم أكن أنا الشخص الذي لم تودَّ رؤيته – لم يكن الأمر متعلقًا بي! كما أخبرتكما، كان الأمر مرتبطًا بالبلاغ الذي تلقَّته من المجلس.

قال هيس بنبرة ملحَّة: «أي نوع من البلاغات؟»، وفي هذه اللحظة، مدَّت الممرضة الشابة رأسها من خلال الباب، ونظرت إلى المستشار.

- أعتذر على المقاطعة، لكننا في حاجة إليك في الغرفة رقم تسعة؛ إنهم ينتظرون المريض في غرفة العمليات.

- أنا قادم. انتهى اللقاء هنا.

- سألتكَ عن نوع البلاغ؟

نهض حسين ماجد على قدميه وجمع أغراضه على عجل من الطاولة، وأجاب: «لا أعرف أي شيء. سمعتُ ذلك من الأم فقط- يبدو أن شخصًا ما اتصل بالمجلس واتهمها بعدم الاعتناء بالطفل».

- ماذا تعني؟ اتهمها بماذا؟

- لا أعرف. لقد بدتْ مصدومةً، واتصل بنا موظف الحالة بعد مدة للحصول على بيان عن الصبي، وهو ما قدمناه لهم. أعني، عن العلاج وما قدمناه لمحاولة حل مشكلته. وداعًا الآن، شكرًا لكما.

وبينما نهضت عن كرسيِّها ووقفت في طريقه، قالت تولين: «هل أنت متأكد أنك لم تزرها، ولم تحاول التخفيف عنها قليلًا؟».

- نعم، أنا متأكد! اعذراني الآن من فضلكما.

نهض هيس على قدميه أيضًا، وقال: «هل أخبرتك لورا عمَّن أبلغ عنها؟».

- لا. حسبما أذكر، كان الشخص مجهولًا.

نحَّى حسين ماجد تولين جانبًا بملفاته الطبية. وعندما اختفى بالقرب من الزاوية، استطاع هيس أن يسمع غناء الأطفال مجددًا.

51

أنهى هينينج لوب، المتخصص الاجتماعي، لتوِّه وجبة غدائه المتأخر في كافتيريا الطابق السفلي شبه الفارغة في قاعة مجلس المدينة عندما تلقَّى مكالمة هاتفية. لم يكن صباحه مريحًا، إذ حاصرته الأمطار الغزيرة وهو يقود دراجته الهوائيَّة إلى العمل. وعندما وصل أخيرًا إلى مرأب الدراجات في الجانب الخلفي من المبنى، كان البلل يملأ ملابسه وحذاءيه. ومع ذلك، طلب منه رئيسه في العمل –رئيس قسم خدمات الأطفال والشباب– حضور اجتماع طارئ مع أسرة أفغانية ومحاميهم لمحاولة إيقاف قرار السلطة المحليَّة بتولِّي رعاية طفلهم.

كان لوب على اطلاع كامل بالقضية، حتى إنه أوصى شخصيًّا بإبعاد الطفل عن أسرته. لكنه، مجددًا، مطالبٌ بإضاعة ساعة ونصف الساعة من وقته في الجلوس والاستماع لهم وهم يتشاجرون. معظم أوامر الرعاية في هذه الأيام كانت صادرة بحق أُسَر من المهاجرين، إذ كانت الحاجة تستدعي وجود مترجم فوري في الاجتماع، وهذا ما أطال من أمد كل شيء. بصراحة، كان الاجتماع مضيعة للوقت، لا سيَّما أن القضية صدر فيها حكم نهائي: أقدم الأب المهاجر على استخدام العنف في ضرب ابنته البالغة من العمر ثلاثة عشر عامًا لأن لديها حبيبًا دنماركيًا. حتى مثل هؤلاء البلطجيَّة يمتلكون حقوقًا في مجتمع ديمقراطي. كان من حقِّهم أن يُصغي أحدٌ إلى كلامهم. وبينما كانت أصوات الجدال تتطاير من خلال أطراف الطاولة، كان هينينج –مع كل البلل الذي يغطِّي ملابسه– يشاهد الحياة وهي تمرُّ نابضةً خارج نوافذ مبنى المجلس.

بعد كل ذلك، وبالرغم من تعبه جراء المطر، كان هينينج مضطرًّا إلى التركيز على قضاياه الخاصة. كانت الساعة تدقُّ في الجزء الخلفي من عقله لتخبره بمدى تأخره عن إنجاز مهامه اليومية. كان على بعد مقابلة واحدة

فقط من تولّي وظيفة في إدارة التكنولوجيا والبيئة الأكثر تنظيمًا ومتعة في الطابق الثاني التي كان يُفترَض به إجراؤها بعد ظهر ذلك اليوم. إذا استطاع استكمال أعماله المتراكمة، فسيمتلك الوقت الكافي للاستعداد. وفي حال سارت المقابلة على ما يرام، سيستطيع قريبًا الهروب من هذا الجوّ الذي يعبق بالأشخاص العنيفين أو المصابين بالذهان، ممن يقذفهم إليه الهامش الاجتماعي. من المنصف -حسب اعتقاده- أن يُسمَح له بتقديم اقتراحات عن التجديد الحضري، وتحسين حدائق التخصيص في مكتب مع إطلالة لائقة على تلك المتدرِّبة الصهباء. طالبة الهندسة المعمارية التي ترتدي التنانير القصيرة، مع ابتسامة وقحة طوال العام، سواء كان الجوُّ مشمسًا أو ممطرًا. كانت تستحق رجلًا حقيقيًا. ليس بالضرورة أن يكون صاحب هذه الحظوة طبعًا، لكنَّ أحدًا ما لن يستطيع سلبه فرصة النظر إليها، والخيالات المرافقة لذلك.

بعد ثوانٍ قليلة، أحسَّ هينينج بالأسف على ردِّه على المكالمة الهاتفية، لأنه لم يعد قادرًا على التملُّص من المحقق الذي استخدم أكثر أنماط الحديث كرهًا بالنسبة إلى هينينج مع كل عبارات السلطة والحتمية. وسرعان ما أوضح لهينينج حاجته إلى المعلومات فورًا، ليس بعد دقيقة، وبالتأكيد ليس بعد ظهر ذلك اليوم. لذلك كان هينينج مضطرًّا إلى إرجاء كل شيء، والعودة إلى الحاسوب في مكتبه.

- أنا في حاجة إلى جميع المعلومات التي لديك بشأن قضية صبيٍّ يُدعى ماجنوس كيار.

قدَّم رجل المباحث رقم هوية الصبي، وشغَّل هينينج جهاز حاسوبه موضحًا أنه مسؤول عن مئات الحالات، ولن يستطيع بالتأكيد تذكرها كلها.

- فقط أخبرني بما لديك.

قرأ هينينج القضية بسرعة على الشاشة، وتوقف لحظة. اتضح له أنها إحدى الحالات التي أشرف عليها شخصيًّا، وهو -من حسن الحظ- قادر على تلخيصها بسرعة وسهولة.

- أنت محق. لقد بحثنا في هذه القضية. يوجد بريد إلكتروني من مجهول عن والدة الصبي، لورا كيار التي -بحسب التقرير- لم تكن مؤهلة لرعاية ابنها. حققنا في الأمر، ووجدنا أن الادعاء لا أساس له من الصحة، لذلك لا أملك معلومات أكثر أقدمها لك...

- أود سماع كل شيء بخصوص القضية. وفورًا.

خنق هينينج زفرةَ امتعاض. قد يستغرق هذا الأمر بعض الوقت، لذلك أسرع وقدَّم للمحقق أقصر نسخة ممكنة عن ملف القضية في أثناء تصفُّحه إياه.

- جاء التقرير من خلال البريد الإلكتروني قبل نحو ثلاثة أشهر إلى قسم الإبلاغ عن المخالفات في الدائرة الذي أمرت بافتتاحه وزيرة الشؤون الاجتماعية لدى السلطات المحلية في جميع أنحاء البلاد ليتمكن الأفراد من إرسال بريد إلكتروني مجهول المصدر مع نصائح بشأن أطفال يتعرَّضون للخطر أو سوء المعاملة. لذلك، نحن لا نعرف مُرسِل هذا التقرير الذي يُبلِغ بضرورة إبعاد الصبي عن رعاية والدته في أسرع وقت ممكن لأنها كانت -وأنا أقتبس هنا- «عاهرة وأنانية». انتهى الاقتباس. أورد التقرير أيضًا بعض العبارات مثل أنها تفكر فقط في فتح ساقيها، في حين تغلق عينيها عن مشكلات الصبي مع أنها –وأنا أقتبس مرة أخرى– «يجب أن تعرف أكثر عن تلك المشكلات». انتهى الاقتباس. وبحسب التقرير، كان يُفترَض بنا العثور على دليل في المنزل.

- ماذا وجدتم هناك؟

- لا شيء. اتَّبعنا القواعد المعمول بها حرفيًّا، وواجهنا الكثير من المتاعب في متابعة الادعاءات بشأن الإهمال، لذلك تحدثنا إلى الصبي الانطوائي ووالديه المصدومين – الأم وزوجها على ما أعتقد. لكننا لم نجد أي شيء مريب. يا للأسف، فإننا اعتدنا تلقّي مثل هذا النوع من المقالب الكيدية.

- أودُّ مشاهدة البريد الإلكتروني. هل يمكنكَ إرسال نسخة إليَّ؟

كان هذا هو السؤال الذي انتظره هينينج بالضبط. فأجاب: «طبعًا، أستطيع ذلك. بمجرد أن تُريني أمرًا قضائيًّا. لذا، فإن لم يكن يوجد شيء آخر...

- ألا تملكون معلومات عن المرسِل؟

- لا، وإلا ما نفع كلمة «مجهول». كما قلت...

- ما الذي دفعك إلى وصف مثل هذه الحالات بالكيدية؟

- حسنًا. لأننا لم نعثر على شيء، ولأنها في الأساس مقالب حاقدة تُستَغلُّ فيها خدمات قسم الإبلاغ عن المخالفات. اسأل عن ذلك دائرة الضرائب والجمارك. السياسيون هم من شجع افتتاحه. قد يبدأ الناس بالنميمة عن بعضهم، وأحيانًا دون أي سبب مُوجِب أو مُسوِّغ. لا يخطر على بالهم أبدًا أن شخصًا ما سيقضي الوقت والجهد للتحقيق في الهراء الذي يكتبونه ويرسلونه. على أي حال، كما قلتُ، إذا لم يكن هناك شيء آخر...

- أجل يوجد. أود منك التحقق أتلقَّيتَ تقريرًا عن طفلين آخرين.

في هذه المرة، قدَّم رجل المباحث لـ هينينج رقمي هُويَّة آخرَيْن تحت اسم لينا وصوفيا سيير لاسين. الأسرة مقيمة في كلامبنبورج، لكنَّ الرجل يعرف أنهم عاشوا في «آيلاندز بريج» -تحت إشراف مجلس كوبنهاجن- حتى وقت قريب، وهذه هي المدة التي يريد أن يسأل عنها. وبحركات غاضبة، بحث هينينج في حاسوبه، وألقى نظرة سريعة على ساعته. لا يزال قادرًا على إيجاد الوقت اللازم للاستعداد إذا استعجل قليلًا. استجاب الكمبيوتر أخيرًا، وبينما كان هينينج يقرأ ملاحظات القضية بسرعة، سمع المحقق يكرر الأرقام. كاد يقول إنه يتذكر القضية لأنه أشرف عليها أيضًا، لكنه لاحظ على الشاشة شيئًا لم يلاحظه من قبل. وبعد التمرير بسرعة، عاد إلى قضية ماجنوس كيار للتحقق من حدسه - والتأكد من أسلوب صياغة البريد الإلكتروني مجهول المصدر. رأى هينينج لوب شيئًا لم يستوعبه تمامًا، ما جعله أكثر حذرًا.

- أعتذر. لم أجدْ شيئًا عنهما. حتى الآن على الأقل.

- هل أنت متأكد؟

- لم يتعرَّف النظام أرقامَ الهوية. هل يوجد شيء آخر؟ أنا مشغول جدًّا.

لم يشعر هينينج لوب بالراحة. وليكون في مأمن، وجَّه بريدًا إلكترونيًّا إلى قسم تكنولوجيا المعلومات يوضح فيه أن النظام قد تعطَّل، وأنه لم يستطع مساعدة الشرطة في طلب معين. كان على بُعدِ مقابلة واحدة فقط من تسلق السلم الوظيفي بعيدًا عن هذا الهراء. بعيدًا جدًّا جدًّا عنه حتى الطابق الثاني مع التكنولوجيا والبيئة، وربما، إذا لعب أوراقه بشكل صحيح، قد يصل إلى السرير مع الصهباء.

52

خيَّم الظلام على الحي السكني في هوسوم. وأضاءت مصابيح الشوارع على طول الطرق الصغيرة الملائمة للأطفال نظرًا إلى حدود سرعة القيادة عليها، ووجود رجال الشرطة النائمين. كانت مسارات الحديقة متوهجة بالأضواء الدافئة الهاربة من المطابخ المزدحمة، حيث تتناول الأُسَر عشاءها وتتجاذب أطراف الحديث عن يوم ممل آخر على جهاز المشي. عندما خرجت تولين من سيارة الشرطة في سيديرفانجيت، اشتمَّت رائحة كرات اللحم المقليَّة التي يُحضِّرها أحد جيران أسرة كيار. فقط المنزل الأبيض العصري مع مرآبه المصنوع من الصفائح المعدنية والرقم سبعة على صندوق البريد يقبع في الظلام، ويبدو مهجورًا وبائسًا.

استمعت تولين إلى ملاحظات نيلاندر الأخيرة والمتذمرة من خلال الهاتف قبل أن تركض وراء هيس تحت المطر، ومن خلال الباب الأمامي.

- هل لديكَ المفتاح؟

مدَّ هيس يده. وصلا إلى المدخل المحاط بالشريط الأصفر والأسود الذي يغلق الباب الأمامي، ويُميِّز مسرح الجريمة. أخرجت تولين المفتاح من جيب سترتها.

- أنت تقول إن المجلس حقق في القضية بعد معلومة مجهولة عن لورا كيار، لكنهم لم يجدوا سببًا للاعتقاد بصحَّة الاتهامات؟

- صحيح. تحرَّكي، فأنت تقفين في مسار الضوء.

انتزع هيس المفتاح من يدها، وحاول إدخاله في القفل تحت الضوء الخافت لمصباح الشارع.

- ما الذي نفعله هنا إذن؟

- أخبرتك. أريد فقط أن أرى المنزل.

- لقد رأيتَ المنزلَ عدة مرات.

عندما تحدثت تولين إلى نيلاندر قبل لحظات، لم يكن راضيًا عن نتائج اليوم -أو عدم التوصل إليها- ولم يفهم سبب عودتهما إلى سيديرفانجيت. ولم تفهم تولين ذلك أيضًا. كانت حجة غياب هانز هنريك هاوج عن مقتل آن سيير لاسين بمنزلة نكسة قبلتها تولين على مضض. ومع ذلك، ها هي الآن مجددًا، تحدق إلى المنزل الكئيب حيث بدأ كل شيء.

أخبرها هيس عن مكالمته مع الموظف في مجلس المدينة الذي اتصل به وهو في طريقه إلى موقف السيارات بعد إجراء مقابلة مع الطبيب. من مكانها في السيارة خارج مستشفى ريجز، والمطر يتناثر على الزجاج الأمامي للسيارة، سمعت كل شيء بخصوص البريد الإلكتروني مجهول المصدر الذي اتهم لورا كيار بأنها أم سيئة لدرجة أن الصبي في حاجة إلى العناية. وأن المجلس حقَّق في القضية قبل أن يتأكد من كيديَّة الاتهامات. رُفِضَ التقرير باعتباره خدعة، وانتهى اهتمام تولين هنا. من المدهش أن تخبر لورا كيار الطبيب في مستشفى ريجز عن التقرير. لكنَّ الأمر كان مفهومًا، ربما. كان ابن لورا كيار يعاني التوحُّد -وفقًا للأطباء، وسلوك الصبي- وفق وصف المدرسة على سبيل المثال - ما يعني إمكانية تكوين صورة خاطئة عن عجز الأم عن الاعتناء به. وربما يندفع شخص ما إلى الكتابة إلى المجلس بسهولة. إضافة إلى ذلك، لم تكن لورا كيار تعرف هُويَّة الواشي، وهل كان من الأصدقاء في المدرسة أو العمل أو لا، ومن ثمَّ لم يكن مُستغرَبًا منها إخفاء الأمر. ومن جميع النواحي، يبدو أن لورا كيار فعلت كل ما في وسعها كأي أم لمساعدة ابنها. وبالرغم من عدم إعجابها بـ هانز هنريك هاوج، فإن تولين كانت مُضطرَّة إلى الاعتراف بأنه شديد الصبر والتحمُّل كصخرة. فما الذي يُفترَض بهما فعله بالمعلومات المتعلقة بالبلاغ؟ لقد أنكر الموظف المعنيُّ بالقضية وجود تقرير مماثل لـ آن سيير لاسين، ما ينفي وجود عامل مشترك للتحقيق.

ومع ذلك، أراد هيس زيارة منزل لورا كيار. وفي الطريق، أعربت تولين عن أسفها لعدم إخراج الرجل من القضية عندما أُتيحَت لها الفرصة. لم تكن عمياء وصمَّاء لتنبؤات هيس بأن القاتل قد بدأ لتوِّه. وشعرت بالتهديد بالفطرة، وهما يقفان في الغابة قرب جثمان آن سيير لاسين. لكنهما كانا مختلفين جدًا في مقاربتهما للتحقيق. ثم إنها لم تكن حريصة على فكرة أداء دور المخبر، وإطْلاع نيلاندر عن أكان هيس قد ضلَّ طريقه في الاتجاه الخاطئ، وبدأ يُقحِم

أنفه في قضية هارتونج. حتى لو كان ذلك شرطًا للحصول على توصيته بشأن المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية.

- نحن نبحث عن قاتل مزدوج، وقد أشرتَ بنفسكَ إلى احتمال وقوع مزيد من الضحايا. فلمَ نهدر الوقت في التجوُّل في منزل أجرينا فيه بحثًا شديد الدقة!

- لستِ مضطرة إلى الوجود هنا. في الواقع، سيكون من المفيد جدًّا أن تسألي الجيران بشأن معلوماتهم عن التقرير، أو من قد يكون أرسله. سننجز مهمتنا بسرعة هكذا. ألا تعتقدين ذلك؟

- وما الفائدة أصلًا من طرح مثل هذا السؤال؟

انقطع الشريط الحاجز عندما فتح هيس الباب، وانسلّ إلى المنزل الجاف. أغلق الباب خلفه، في حين دفعت غزارة المطر تولين إلى الجري نحو أول منزل.

53

كان الصمت المُطبِق على المكان هو أول ما لاحظه هيس بمجرَّد إغلاق الباب الأماميِّ خلفه. حاولت عيناه التكيُّف مع الظلام. وبمجرد أن ضغط ثلاثة مفاتيح إضاءة مختلفة دون نتيجة، أدرك أن شركة الكهرباء لا بدَّ أنها قطعت التيار. المنزل باسم لورا كيار التي سُجِّلَتْ وفاتها، واتخذت الإجراءات القانونية ذات الصلة مجراها.

أخرج هيس مصباح الجيب خاصته، ومشى في الممر داخل المنزل. كان يشعر بالانزعاج من مكالمته مع الموظف المسؤول عن الحالة. الحقيقة هي أن هيس لم يكن يعرف ما يعنيه ذلك. أو له أي معنى على الإطلاق. كل ما يعرفه أنه في حاجة إلى معاينة المنزل مجددًا، وإلا فإن مقابلتهما مع المستشار الطبي في ريجز قد سارت جيدًا. لمدة من الوقت، اعتقد أنهم ربما وجدوا المكان المناسب والشخص المناسب. كان للضحيتين صلة بالطبيب. وأحسَّ بغريزته بجُدوى اعتبار الأطفال العامل المشترك بين الجريمتين. ولكنَّ الطبيب أشار إلى التقرير.

كان الأمل ضعيفًا في إيجاد أي شيء جديد في المنزل الذي خضع لتفتيش دقيق ومتكرر من عدة فرق تحقيق مختلفة. ثم إن تاريخ التقرير يرجع إلى ثلاثة أشهر، ومن ثَمَّ فإن احتمالات العثور على أي شيء بهذا الصدد ضعيفة جدًّا. لكنَّ شخصًا ما أبلغ عن لورا كيار –شخص ما مهتم بدرجة كافية لكتابة رسالة بريد إلكتروني مليئة بالكراهية تُوصي بسحب طفلها منها– وليس في وسع هيس سوى أن يأمل العثور على بعض الإجابات في المنزل. وفي أثناء تحرُّكه في الممر، لاحظ أنه لا يزال يحمل أدلة على عمل فريق الطب الشرعي. ثمة آثار مسحوق البصمات الأبيض على المقابض وإطارات الأبواب، ولا تزال هناك علامات مرقمة موضوعة على أشياء مختلفة. الأشياء التي قد تُستخدَم أو لا تُستخدَم إذا وُجِّهتِ اتِّهامات تتعلق بقتل لورا كيار.

انتقل هيس من غرفة إلى أخرى، ليجد نفسه أخيرًا في غرفة نوم صغيرة للضيوف من الواضح أنها كانت بمنزلة مكتب. إنه فارغ بشكل مخيف الآن. نُظِّفَ المكتب من جهاز الكمبيوتر الخاص به الذي لا يزال في حوزة الشرطة. فتح الخزائن والأدراج، وقرأ الملاحظات العشوائية والقصاصات الورقية، ثم اتجه إلى الحمام والمطبخ. كرر العملية دون جدوى. وبينما كان المطر يرتطم بالسقف، بدأ هيس في العودة على طول الممر غير المضاء إلى غرفة النوم الرئيسية، حيث لا يزال السرير غير مرتب، ومصباح ملقى على السجادة. كان قد فتح للتو درج الملابس الداخلية الخاص بلورا كيار عندما سمع ضجيجًا من الباب الأمامي، وظهرت تولين مرة أخرى.

- لا يعرف الجيران أي شيء عن الموضوع، ولم يسمعوا بالتقرير قطُّ. كل ما قالوه هو أن الأم وزوجها كانا لطيفين مع الصبي.

فتح هيس خزانة جديدة وواصل البحث.

أنا ذاهبة الآن. لا يزال علينا مراجعة الطبيب، إضافة إلى ما قاله سيير لاسين عن العلاقات. أعد المفتاح عندما تنتهي.

- حسنًا. وداعًا.

54

أغلقت تولين الباب الأمامي للمنزل رقم 7 في سيديرفانجيت بقوَّة أكبر قليلًا من الضرورة القصوى. وفي أثناء ركضها تحت المطر، كانت مضطرة إلى تفادي راكب دراجة نارية يرتدي ملابس سوداء، قبل أن تصل إلى سيارتها وتدخلها. كانت ملابسها مُلطَّخة نتيجة جولتها بين منازل الجيران. وسيكون هيس مضطرًّا إلى السير إلى المحطة إذا ما أراد العودة إلى المدينة، ولكنها مشكلته. كان يومًا صعبًا. ولم يعثرا حتى الآن على أي دليل. ويبدو أن المطر الغزير قد أزال كل شيء، وهما يواصلان الجري في دوائر مفرغة دون نتيجة.

أدارت تولين المفتاح، وقادت السيارة بسرعة على الطريق. ينبغي لها مراجعة جميع التعليقات الواردة من المجموعة في ذلك اليوم، ولكن كل ما تريده حقًّا هو العودة إلى مركز الشرطة، وقراءة ملفات القضية. أن تبدأ من جديد، وتعيد قراءتها مرة أخرى في محاولة لإيجاد أي صلات. وقد تتصل بهانز هنريك هاوج وإيريك سيير لاسين لاستجوابهما بشأن حسين ماجد الذي كان على معرفة بالضحيتين. غادرت تولين سيديرفانجيت واتَّجهت نحو الطريق الرئيسي عندما لفت انتباهها شيء ما في مرآة الرؤية الخلفية، فأوقفت السيارة.

بالكاد استطاعت رؤية السيارة المتوقفة خلفها على بعد خمسين ياردة. كانت تحت أشجار التنوب الكبيرة في الطرف الأعمى من الطريق الذي ينضم إلى سيديرفانجيت، وبالكاد يمكن تمييزها عن الأشجار والسياج، وخلفها الملعب. عادت تولين بسيارتها حتى وصلت إلى مكان قريب من المركبة المتوقفة. كانت سيارة سوداء دون أي علامات مُميِّزة من الداخل أو الخارج. لكنَّ الضباب الخافت المتصاعد من غطاء المحرك تحت المطر كان دليلًا على أن المحرِّك لا يزال دافئًا. لا بدَّ أن السيارة متوقفة منذ لحظات قليلة. ألقت تولين نظرة سريعة حولها. في العادة، فإن أي شخص لديه مهمة في شارع

سكني عليه أن يقف قريبًا من المنزل الذي يريده، لكنَّ هذه السيارة كانت متوقفة بعيدًا في مكان صغير قبل الطريق المسدود. وللحظة عابرة، فكرت في النظر إلى اللوحات. ولكنَّ هاتفها المحمول رنَّ، ورأت على الشاشة أن المتصل هو لو. يبدو أنها نسيت تمامًا أنه كان من المفترض بها اصطحاب الفتاة من منزل جدها، فأجابت تولين على المكالمة وابتعدت.

55

كانت غرفة ماجنوس كيار بسيطة بالمقارنة مع رفاهية غرفة الفتاتين من أسرة سيير لاسين. لكن، حتى في التوهُّج الضعيف لمصباح الجيب، استطاع هيس معرفة أنها غرفة مريحة. سجادة سميكة، وستائر خضراء، وفانوس ورقي يتدلَّى من السقف. على الجدران ملصقات لدونالد داك وميكي ماوس، وجحافل من التماثيل البلاستيكية على الرفوف البيضاء، ومخلوقات من عوالم القصص الخيالية حيث يتقاتل الخير والشر. يوجد على المكتب فنجان يحوي أقلام الرصاص وأقلام التلوين. ويتضح من خزانة الكتب الصغيرة المجاورة لها أن ماجنوس كيار مهتم أيضًا بالشطرنج. أخرج هيس بعض الكتب دون أن يعرف السبب حقًا. بدت الغرفة آمنة، وربما هي أفضل غرفة في المنزل.

وقعت عيناه على السرير، واندفع بعادته القديمة إلى الجثو على ركبتيه وإضاءة ما تحت السرير بالرغم من علمه بأن زملاءه قد تحققوا من ذلك فعلًا. شيء ما كان محشورًا بين العمود والجدار. وبمجرد أن استطاع تخليصه، عرف أنه مجرَّد كتيِّب عن لعبة «صراع الأساطير». أنَّبه ضميره لأنه لم يفِ بوعده بالعودة إلى المستشفى.

وضع هيس الكتيِّب جانبًا، وشعر بالندم لأنه لم يذهب مع تولين عندما سنحت له الفرصة لذلك. ولمدة من الوقت، بدت الأخبار عن الواشي المجهول كأنها ستُلقي ضوءًا جديدًا على القضية، لكنه يشعر الآن كأنه أحمق، لأسباب ليس أقلها اضطراره إلى العودة تحت المطر إلى وسط المدينة، أو على الأقل إلى أقرب محطة، أو حتى يستطيع ركوب سيارة أجرة. كان شديد الإرهاق. وتساءل لبضع ثوانٍ أكان قادرًا على الاستغراق في قيلولة على سرير الصبي ليشعر بالهدوء والراحة. أو أكان عليه العودة مباشرة إلى مركز الشرطة، وإخبار نيلاندر ببعض الهراء عن حاجته إلى العودة إلى لاهاي الليلة. أو يمكنه فقط قول الحقيقة طبعًا؛ أنه ليس على مستوى المهمة. وأن كريستين

هارتونج وبصمات الأصابع وكل هذا الهراء لا علاقة له به. ربما تكون قلة النوم فقط هي ما أثارت كل تلك النظريات الكابوسية عن الأطراف المقطوعة ودمى الكستناء. مع قليل من الحظ، قد يحظى هيس برحلته أخيرًا إلى لاهاي في الساعة 8.45 مساءً. وأن يكون ماثلًا بين يديْ فريمان بحلول صباح الغد على أبعد تقدير – بدت الفكرة جذابة جدًّا الآن.

ألقى هيس نظرة أخيرة من النافذة إلى الحديقة والملعب حيث عُثِرَ على لورا كيار، وذلك عندما رآهم. خلف الستارة الخضراء، وبشكل نصف مخفي، عُلِّقَتْ مجموعة من رسوم الأطفال على ورق من قياس متوسط. كانت مُعلَّقة على الحائط. الرسمة الأولى كانت لمنزل، لا بدَّ أن ماجنوس كيار رسمها قبل بضع سنوات. مشى هيس، ووجَّه ضوء مصباحه عليها. كانت ضربات الفرشاة بدائية. تسعة خطوط أو عشرة تُصوِّر منزلًا بباب أمامي، تُشرِق فوقه الشمس. شيء ما دفع هيس إلى الانتقال إلى الصفحة التالية، لكنْ كل ما شاهده كان رسمة أخرى لمنزل. هذه المرة باللون الأبيض، وأكثر دقة وتفصيلًا. إنه المنزل الواقع في سيديرفانجيت. يُظهِر الرسم الثالث الموضوع نفسه: البيت الأبيض، والشمس، والمرأب. وكذلك الحال مع الرسمة الرابعة والخامسة. كانت كل رسمة تبيِّن بوضوح مستوى تحسُّن ماجنوس في الرسم. لسبب ما، تأثر هيس، وابتسم. ووصل إلى رسمة أخرى. الموضوع نفسه. منزل، وشمس، ومرأب. لكنْ هذه المرة يوجد شيء خاطئ. كان المرأب ضخمًا بشكل غير متناسب. وأكبر بكثير من المنزل نفسه. حتى إنه يعلو فوق السطح. جدرانه سميكة وسوداء، وتناسقه غير عملي.

56

صفق هيس باب الشرفة خلفه. كان الهواء باردًا، واستطاع رؤية بخار أنفاسه تحت المطر وهو ينير طريقه من خلال المسار المغطى بالحصى في الحديقة خلف المنزل. وعندما انعطف عند الزاوية، وجد نفسه عند مدخل المرأب. كانت رائحة كرات اللحم مُعلَّقة في الهواء، ولم تختفِ إلا عندما فتح باب المرأب. كان على وشك الدخول عندما أدرك أنه على الرغم من إغلاق الباب، فإنه لم يسمع الصوت المعتاد للشريط وهو يفتحه. تجاهل هيس الفكرة، وأغلق الباب خلفه.

كان المرأب واسعًا بسقف مرتفع. طوله ست ياردات وعرضه أربع. كان مبنيًّا من موادّ جديدة مع إطار من الصلب، وجدران من الصفائح المعدنية. تذكر هيس رؤية هذا النموذج في نماذج المبيعات في متجر «اصنع بنفسك»؛ كان كبيرًا بما يكفي لاحتواء أكثر من مجرد سيارة. يوجد العشرات من حاويات التخزين البلاستيكية الشفافة التي تشغل كل بوصة تقريبًا من الأرضية الخرسانية. وكانت بعض الحاويات تحتوي على عجلات، في حين كُدِّسَ بعضها الآخر في أبراج عالية. تذكَّر حاجاته التي ما زالت مكدَّسة في صناديق من الورق المقوَّى وأكياس بلاستيكية في مكان للتخزين الذاتي في أماجر، للسنة الخامسة على التوالي. وبينما كان المطر يطرق السقف، تخطى هيس الأبراج البلاستيكية ووصل إلى داخل المرأب. ولم يساعده ضوء مصباحه على رؤية أي شيء لافت للنظر في الحاويات. كانت تحتوي على ملابس، وبطانيات، وألعاب قديمة، وأدوات مطبخ من أطباق وسلطانيات، كلها مرتَّبة بدقة. وعلى طول أحد الجدران، تدلَّت مجموعة رائعة ومتساوية من أدوات البستنة من خطافات ألمنيوم كبيرة، يقطعها رف فولاذي طويل مُبطَّن بصفوف من علب الطلاء والأدوات ولوازم البستنة. لا شيء آخر. مجرد مرأب عادي لتصليح السيارات. كان رسم ماجنوس لافتًا للنظر. لكن الآن، وفي

أثناء وقوفه في المرأب، أدرك هيس أنه وقع على دليل إضافي يُثبِت معاناة ماجنوس كيار الطفل خللًا وظيفيًا ومشكلات طبية خطرة.

استدار هيس منزعجًا على عقب قدمه، وأوشك أن يعود إلى الباب عندما لاحظ فجأة أنه داس شيئًا ليِّنًا يرتفع قليلًا عن الأرضية الخرسانيَّة للمرأب. ليس كثيرًا، ربما بضعة ملليمترات فقط. سلَّط هيس ضوء مصباحه على الأرض، واكتشف أنها حصيرة مطاطية سوداء مستطيلة بطول متر وعرض نصف متر تقريبًا. كانت على الأرض أمام الرفوف الفولاذية كما لو أن الغرض منها توفير سطح عمل مريح. لن يكون الأمر مهمًّا إلا إذا كنتَ مثل هيس، تبحث عن إبرة في كومة قش. عاد خطوة إلى الوراء، ودفعته غريزته إلى الانحناء لسحب السجادة جانبًا. لكنها لم تتزحزح. لم يستطع هيس دسَّ أطراف أصابعه إلا على مسافة سنتيمترين أو ثلاثة سنتيمترات تحتها. وبينما كان يتلمَّس طول الحافة، شعر بوجود صدع رقيق متوازٍ في الأرضية الخرسانية. أمسك مفكَّ البراغي من الرفوف الفولاذية، وحمل المصباح بين أسنانه، ودفع مفكَّ البراغي أسفل الحصيرة وفي الشق، ثم دفع المقبض نحو الأسفل. رفع قسم الأرضية الخرسانية والسجادة الملصقة للأسفل قليلًا بما يتيح له إلصاق أصابعه تحتها، وفتح ما اتضح أنه كوَّة.

حدَّق هيس بذهول إلى الفتحة المظلمة المستطيلة في الأرضيَّة الخرسانية. يوجد مقبض على الجانب السفلي من الفتحة، وهذا ما يسمح بإغلاقه من الداخل. سحب هيس مصباحه من فمه، ووجَّهه نحو الكوَّة ليضيء بضعة أمتار إلى الأسفل. كل ما استطاع رؤيته هو نوع الأرضيات أسفل السلم المثبَّت على الحائط الداخلي. جلس هيس على الأرضية الخرسانية، وأعاد المصباح إلى فمه، ووضع قدمه على الدرجة العلوية من السلم وبدأ النزول. لم تكن لديه أي فكرة عمَّا سيجده، لكنَّ إحساسه بالقلق كان يزيد مع كل خطوة نحو الأسفل. الرائحة مميَّزة يمتزج فيها نوع غريب من مواد البناء، وشيء معطَّر. عندما وطئت قدمه أرضية صلبة، ترك السلم، ووجه المصباح حوله.

لم تكن الغرفة كبيرة، لكنها أكبر مما توقعه هيس. كانت أبعادها نحو أربعة أمتار في ثلاثة، ويستطيع الوقوف منتصبًا دون الحاجة إلى أن يحني رأسه. توجد مقابس كهرباء على طول اللوح، وجدران خرسانية مطلية بدهان أبيض، وأرضية خشبية بتصميم يشبه الشطرنج. كل شيء كان مرتَّبًا ونظيفًا. للوهلة الأولى، لم يجد شيئًا مخيفًا في الغرفة، باستثناء حقيقة وجودها أصلًا.

صممها شخص ما ونفَّذها بداية بالحفر، ومن ثَمَّ شراء المواد وتركيبها، وصولًا إلى تركيب فتحة ثقيلة عازلة للضوضاء. بالرغم من أن هيس تركها مفتوحة، فإن صوت المطر في الأعلى كان قد اختفى منذ مدة طويلة. أدرك أن جزءًا من دماغه كان خائفًا من العثور على أطراف كريستين هارتونج هنا، ولكنه ارتاح لأن الغرفة كانت شبه فارغة. توجد طاولة قهوة بيضاء لطيفة في منتصف الأرضية، وعليها مصباح أسود ثلاثي الأرجل غريب الشكل. وخزانة ملابس بيضاء طويلة بمحاذاة أحد الحوائط، ومنشفة تتدلى من مقبضها. في الطرف البعيد من الغرفة، وُضِعَتْ مُعلَّقة جدارية ضاربة إلى الحمرة فوق سرير مرتَّب بفرش من الكتان الأبيض. بدأ ضوء مصباحه بالاختلاج، فهزَّه عدة مرات لاستعادة الضوء. عندما اقترب من السرير، لاحظ أن المصابيح تتجه نحوه، لكنَّ صندوق الكرتون هو ما لفت انتباهه. جثا هيس على ركبتيه وأضاء المصباح داخل الصندوق. كان كل شيء مختلطًا في نوع من الفوضى المستعجَلة. مرطبات وشموع مُعطِّرة. قارورة تُرمُس، وكوب متسخ وقفل. كابلات ومعدات إنترنت لاسلكي. الكثير من معدات الإنترنت اللاسلكي. وجهاز «ماك بوك إير» محمول لا يزال متصلًا بكابله الممدود من خلال الأرضية الخشبية إلى المصباح على طاولة القهوة. عندها فقط أدرك هيس أنه ليس مصباحًا على الإطلاق. كانت كاميرا مثبتة على حامل ثلاثي القوائم، والعدسة مُوجَّهة -مثل المصابيح- نحو السرير.

شعر هيس بموجة من الغثيان دفعته إلى الوقوف. أراد المغادرة والهروب من الحفرة، والخروج إلى المطر. لكنَّ عينه لمعت عندما رأى آثار أقدام رطبة على الجانب الآخر من طاولة القهوة. ربما كانت آثار قدميه هو، لكنَّ الأمر لم يكن كذلك. اندفع شيء ما من خزانة الملابس خلفه بقوة وبسرعة كبيرة، وتلقَّى ضربة على مؤخرة رأسه. وسرعان ما تحولت ضربة واحدة إلى عدة ضربات متتالية. سقط المصباح من يده، ولمح شرائط متلألئة من الضوء تلاحق السقف في حين كانت الضربات تنهال على جمجمته، وفمه مليء بالدماء.

57

سقط هيس مترنِّحًا على طاولة القهوة، وأطلق ركلات عشوائية في الظلام ليلتحم مع مهاجمه قبل أن يتمايل على السرير، ويضرب عظم فكِّه بالهيكل. سرى الألم في جمجمته، ودوى صوت رنين في أذنيه وهو يتأرجح بشكل أخرق على مرتبة السرير محاولًا استعادة توازنه. سمع صوت شخص ما يفتِّش في صندوق الورق المقوَّى، ثم أصوات قدمين تجريان تجاه السلم، ما جعله يدرك حاجته إلى العودة إلى أرض صلبة. وقف على قدميه، لكنه لم يرَ شيئًا. وترنَّح وسط الظلام ويداه ممدودتان تحاولان تلمُّس مكان السلَّم. تحسَّست أصابعه الحائط الخرسانيَّ الخشن حتى شعر بدرجة سلم في يده اليسرى. أحسَّ بوجود مهاجِمه نظرًا إلى الحركات السريعة في الهواء فوقه، وتذكَّرت يداه وقدماه طريقهما للصعود مجددًا. وبالقرب من القمة، دفع ذراعه في الظلام وأمسك بكعب مهاجِمه الذي اصطدم ببرج الحاويات البلاستيكية. بدأ الرجل يرفس بقدميه، لكنَّ هيس تمسَّك أكثر. جرَّ نفسه أكثر عندما لاحظ وجود جهاز «الماك بوك» على الأرضية الخرسانية. ضربه الرجل بعقب قدمه مرَّتين، وشعر بوزنه. وبسرعة كبيرة، ضغط الرجل بركبته رقبةَ هيس ووجهَه. حاول هيس ضربه، ولا يزال الجزء السفلي من جسده في الفتحة، وأنفاسه لاهثة لبعض الهواء. ارتعشت قدماه كما لو أنه مُعلَّق بحبل المشنقة، وشعر أن المهاجم يحاول الوصول إلى مفك البراغي الذي تركه هيس بغباء على الأرض الخرسانية. أدرك أن أمامه ثوانيَ قليلة فقط قبل أن يفقد وعيه، لكنه بعدئذٍ سمع صوتًا. كان صوت تولين يناديه. ربما من الطريق، أو من داخل المنزل. ولكنه لن يستطيع الردَّ مهما حاول جاهدًا. كان مسمَّرًا على أرضية مرأب باردة في مكان ما في هوسوم اللعينة، ومئة كيلوجرام فوق قصبته الهوائية. لم يتزحزح الوزن فوقه. واندفعت ذراعاه عندما شعر بشيء في يده اليمنى. شيء بارد – شيء مصنوع من الفولاذ. لم يستطع سحبه واستخدامه كسلاح. وبدلًا من ذلك، سحب بكل قوته. تحرَّك المعدن قليلًا، وسمع صوت تصادم يصمُّ الآذان، حيث تساقطت علب الطلاء حول أذنيه.

58

وقفت تولين عند مدخل الشرفة وحدَّقت خلال المطر إلى الحديقة المظلمة والصامتة. نادت هيس عدة مرَّات دون جدوى. أولًا داخل المنزل نفسه والآن خارجه. وفي كل مرة لا تتلقى فيها الرد، كانت تدرك مدى حمقه. لم يهمها أنها استدارت وعادت مرة أخرى للتحقق من مالك تلك السيارة السوداء؛ ما يزعجها الآن هو أن هيس نسي إغلاق الباب الأمامي عندما غادر.

أوشكت أن تغلق الباب مرة أخرى عندما سمعت فجأة صوت جلبة في المرأب. اتجهت نحو المكان وهي تنادي هيس. اعتقدت لحظةً أنه لا بدَّ أن هيس يبحث دون هدف، لكنها تفاجأت بشبح شخص يخرج من الطرف البعيد للمرأب، ويختفي تحت المطر تجاه الحديقة الخلفية. وفي أقل من ثلاث خطوات، كانت في الحديقة، ومسدسها بين يديها. تجوَّل الشبح بين الأشجار في آخر الحديقة، وفي الملعب. وبالرغم من سرعتها في الجري، فإنه تمكَّن من الفرار بعيدًا عن أنظارها حينما وصلت إلى غرفة اللعب. تلفَّتت بسرعة يمنة ويسرة، وكانت غارقة بمياه الأمطار، وأنفاسها منقطعة. والتفتت فجأة عندما اقترب قطار الشحن. قفز شبح الرجل أسفل الجسر، وراح يسير على طول السكة، فأسرعت تولين في إثره في حين يلوح قطار الشحن خلفها.

علا صفير القطار الذي انطلق بأقصى سرعة، وألقى بها بين العشب. نظر الرجل خلفه بسرعة. ومباشرة قبل أن يلحق به القطار، قفز فوق القضبان تجاه اليسار. راحت تولين تتلفَّت يمينًا ويسارًا. ركضت في الاتجاه المعاكس نحو نهاية القطار أملًا في قطع السكة ومتابعة ملاحقة الرجل. لكنَّ السلسلة الطويلة من العربات منعتها من ذلك، واضطُرَّت إلى التوقُّف في النهاية. وفي الفجوات بين العربات، لمحت وجه هانز هنريك هاوج المحموم وهو يحدِّق إليها قبل أن يختفي بين الأشجار.

59

مع أضوائها الزرقاء الوامضة، طوَّقت سيارات الشرطة المكان من الطرفين، وبدأت حفنة من مراسلي أخبار الجرائم المتحمِّسين الظهور في المكان. جلب بعضهم مصوِّرين وعربات نقل خارجيٍّ وموادَّ تسجيل لاستخدامها في النشرة الإخبارية التالية مع أنهم لن يحصلوا على معلومات من الشرطة أكثر مما يمكنهم مشاهدته من وراء الطوق. تجمهر بعض السكان أيضًا. للمرَّة الثانية في غضون أقل من أسبوع، بدأوا يُصدَمون بما يجري في المنزل رقم 7. لا يشهد هذا الحي وقوع الكثير من الأحداث، باستثناء الحفلات في الشوارع، وفرز النفايات، بحسب تولين التي تعتقد أن نسيان ما جرى في هذا الأسبوع سيتطلب مضيَّ سنوات طويلة.

وقفت تولين على الطريق خارج المنزل لتتصل بـلو وتتمنى لها ليلة سعيدة. كانت ابنتها سعيدة بفرصة الإقامة ليلةً أخرى مع جدها. حاولت جاهدة التركيز على المحادثة. مرَّت أحداث الليلة في ذهنها، في حين كانت لو تثرثر عن تطبيق جديد وموعد لعب مع رمضان. وخلال عودتها بالسيارة على الطريق الدائري نحو المدينة، صُدِمَتْ لاحتمال أن تكون السيارة السوداء من طراز «مازدا 6» التي يملكها هانز هنريك هاوج، فعادت أدراجها. لكن هاوج فرَّ. وبعد المطاردة، وجدت هيس مرميًا على أرضية خرسانية في المرأب. كان جسده مرتعشًا ومصابًا بكدمات، لكنْ ليس لدرجة أنه لم يركز انتباهه على جهاز «ماك بوك» الذي يبدو أن هاوج حاول أخذه. اتصلت تولين بفريق الطب الشرعي، وأخبرت نيلاندر، وأصدرت مذكرة باعتقال هانز هنريك هاوج، دون نتيجة حتى الآن.

حتى اللحظة، انتشر فنِّيو الطب الشرعي والمختصُّون في أرجاء العقار بملابسهم البيضاء. وفي هذه المرة، كانوا في داخل المرأب وخارجه. أحضروا مُزوِّد الطاقة الخاص بهم، ونصبوا الأضواء الكاشفة، وخيمة بيضاء في الممر. نُقِلَتْ معظم الحاويات البلاستيكية الموجودة في المرأب إلى الخارج للسماح بوصول أسهل إلى المخبأ الموجود تحت الأرض. أنهت تولين حديثها مع

ابنتها، ودخلت المرأب في الوقت الذي خرج فيه جينز من الفتحة بكاميرته. بدا منهكًا، فخلع قناعه وقدم تقريره.

- تشير المواد المستخدمة في الغرفة إلى أنها بُنِيَتْ في نفس وقت بناء المرأب الجديد تقريبًا. لم يتطلب الأمر كثيرًا من عمليات الحفر، لذلك كان في إمكان هاوج استخدام جرَّافة بوبكات صغيرة لإنجاز أساس المرأب. لن يستغرق الأمر بالضرورة أكثر من يومين، لذلك كان في إمكانه التأكد من تركه العمل بسلام. كانت الغرفة عازلة للصوت، طبعًا، بمجرد إغلاق الفتحة – وربما كان هاوج يفضِّل ذلك.

استمعت تولين بصمت وواصل جينز حديثه. عُثِرَ على بعض ألعاب ماجنوس كيار في الغرفة، إلى جانب كريمات وزجاجات صودا وشموع مُعطِّرة وغيرها من الأدوات. وُصِّلَتِ الغرفة بمصدر للكهرباء، وجُهِّزَتْ بشبكة إنترنت لاسلكية. حتى الآن لم يكشف الفحص عن وجود أي بصمات أخرى لأشخاص باستثناء الصبي وهانز هنريك هاوج. بالنسبة إلى تولين، كان الأمر غامضًا برمَّته. في السابق، كانت تقرأ عن مثل هذا النوع من القضايا، أو تشاهد تقارير عنها في الأخبار -جوزيف فريتزل، مارك دوترو، بصرف النظر عن أسماء هؤلاء المرضى النفسيين- وصُدِمَتْ لأنها حتى اليوم كانت تعتبر الأمر غير واقعي.

- ما السبب في وجود شبكة إنترنت لاسلكية؟

- لا نعرف حتى الآن. يبدو أن هاوج جاء للتخلص من بعض الأشياء، لكننا لا نعرف ماهيتها. من ناحية أخرى، وجدنا بعض كلمات المرور في دفتر ملاحظات في صندوق من الورق المقوى. يبدو أنه كان يستخدم نظامًا مجهول الهُويَّة بتقنية نظير إلى نظير. ربما استخدمها للبث.

- بثُّ ماذا؟

- يحاول هيس وفنِّيو تكنولوجيا المعلومات فتح جهاز الماك، لكنَّ كلمة المرور صعبة. ويبدو أننا سنُضطَّر إلى اصطحابه إلى القسم.

أخذت تولين زوجين من القفازات التي تستخدم مرةً واحدةً من بين يدي جينز، ومرَّت بجانبه، لكنَّ جينز وضع يده على كتفها.

- ربما عليكِ ترك الأمر لفريق تكنولوجيا المعلومات. سيتصلون في أسرع وقت ممكن، ويخبرونكِ بمحتويات الجهاز.

من عينيه الداكنتين، أدركت تولين النية الطيِّبة من كلمات جينز. يريدها أن تستريح، لكنها واصلت نزولها إلى الغرفة السفلية.

60

تخطّت تولين درجة السلم فوقها. وضعت قدميها على الأرضية الخشبية واستدارت لمواجهة الغرفة السفلية التي أصبحت زواياها مضاءة الآن بمصابيح قوية. تبادل اثنان من فنّيي الطب الشرعي حوارًا هامسًا مع هيس بشأن جهاز «ماك بوك» وجهاز شبكة الإنترنت اللاسلكية الموضوع على طاولة القهوة.

قالت تولين: «هل حاولتم تشغيل الجهاز بوضعيَّة استرداد النظام؟».

استدار هيس بسرعة. كانت إحدى عينيه متورِّمة، ومفاصله ملفوفة بشاش، وقد أمسك بيد واحدة مجموعة من مناديل المطبخ الملطَّخة بالدماء في مؤخرة رأسه.

- نعم. لكنهم يقولون إنه استخدم تطبيق تخزين آمن للملفات، ولا يستطيعون فتحه هنا.

- ابتعد. سأفعل ذلك.

- يقولون إنه من الأفضل أن...

- إذا فعلتم أي شيء خاطئ يا رفاق، فقد ينتهي بكم الأمر إلى حذف بعض المواد الموجودة في البرنامج.

نظر هيس إليها، وتراجع عن جهاز «ماك بوك» وأومأ برأسه إلى فنِّيي تكنولوجيا المعلومات، مشيرًا إلى أنه ينبغي لهم فعل الشيء نفسه.

لم يستغرق الأمر طويلًا. كانت تولين على دراية بجميع أنظمة التشغيل. ولم تستغرق أكثر من دقيقتين في قفازاتها المطاطية لإعادة تعيين رمز دخول هاوج. سمح لها الكمبيوتر بالدخول، وعلى سطح المكتب، شاهدوا صورة كبيرة لشخصيات ديزني المختلفة. جوفي، ودونالد داك، وميكي ماوس. وعلى الجانب الأيسر من الشاشة، يوجد اثنا عشر مجلدًا أو ثلاثة عشر سُمُّوا جميعًا بعد شهر.

- جرِّب أحدثها.

نقرت تولين فعلًا نقرةً مزدوجةً أحدثَ مجلَّد تحت اسم «سبتمبر». فُتِحَتْ نافذة جديدة ظهرت فيها خيارات بين خمس أيقونات مُيِّزَ كل منها بعلامة تشغيل. نقرت تولين نقرًا مزدوجًا أحدَها بعشوائية، وشاهدت مقطع الفيديو. بعد ثلاثين ثانية، أدركت أنه كان حريًّا بها العمل بنصيحة جينز، حيث تسبَّب مقطع الفيديو بموجة من الغثيان في معدتها.

61

لم تصدر خلال أخبار راديو السيارة حتى الآن سوى تخمينات وتكرار، فضلًا عن إعلان البحث عن هانز هنريك هاوج. بعدئذٍ، أذاعت المحطَّة أغنية بوب مبهجة تدعو إلى ممارسة الحبِّ، فقرَّرت تولين إطفاء الراديو. لم يكن مزاجها جيدًا للحديث، ولم يزعجها انشغال هيس بهاتفه.

من هوسوم، انتقلا إلى جناح المستشفى في جلوستروب، حيث لا يزال ماجنوس كيار مريضًا. وفي غرفة الموظفين، شرحوا الموقف لطبيبة. واطمأنت تولين عندما اكتشفت مدى صدمة الطبيبة وقلقها على الصبي. أعطت تعليماتها بعدم السماح لـ هانز هنريك هاوج -وتحت أي ظرف- بالاقتراب من ماجنوس كيار في حال قرر الظهور. وهو أمر غير مرجَّح لكونه فارًّا ومطلوبًا من الشرطة. من حسن الحظ، أخبرتهم الطبيبة أن الصبيَّ كان بصحة جيدة، في ظل هذه الظروف. لكنَّ تولين وهيس بقيا واقفيْن خارج غرفته في طريق الخروج على أي حال. كان الصبي نائمًا في سريره، وتوقَّفا للحظة لينظرا من خلال النافذة المستطيلة في الباب.

على مدى نحو أربعة عشر شهرًا أو خمسة عشر، تعرَّض الصبي للتعذيب المتكرر. وكل ذلك في حين عزا العديد من الأطباء الصعوبات التي يواجهها مع التواصل البشري إلى مرض التوحُّد. وبقدر ما استطاعت تولين فهمه، عاش ماجنوس طبيعيًّا مثل أي طفل آخر في عمره حتى وفاة والده، وظهور هاوج في حياة والدته. لا بدَّ أن هاوج هو من اختارها على موقع المواعدة لأنَّ ملفها الشخصي يشير إلى وجود ابن صغير. ما قد يعيبها في عيون بعض الرجال كان السبب الرئيسي الذي شجَّع هاوج على تعرُّفها. ومن خلال سجل المواعدة الخاص بهاوج، عرفت تولين أنه وجَّه رسائل إلى نساء عازبات لديهنَّ أطفال. لكنها لم تفكر في الأمر مرة أخرى حتى الآن؛ بدا الأمر كما لو أن هاوج أراد العثور على شريك في عمره نفسه تقريبًا.

من مقطع الفيديو الذي شاهدته تولين على جهاز «ماك بوك»، اتضح لها كيف أجبر هاوج الصبي على الصمت. كان جالسًا على المرتبة في غرفة تحت الأرض مع الجدار الأحمر السريالي المعلَّق في الخلفية. كان يوجِّه اللوم لـ ماجنوس بنبرة تعليمية أنه بالتأكيد يودُّ رؤية والدته سعيدة بدلًا من الحزن الذي انتابها بعد وفاة والده. ثم، وبصوت خفيف وطبيعي، أضاف أن ماجنوس، طبعًا، لا يريد أذيتها أبدًا.

لم يقاومْ ماجنوس الاغتصاب الذي أعقب ذلك، ولم ترغب تولين في متابعة المشاهدة. لكنَّ الاغتصاب تمَّ، وكانت تعرف من حساب هاوج على شبكة الإنترنت غير المرئي أنه شارك الجلسة، أو بثَّها من خلال الإنترنت. بعد حذف المحادثة الأولى طبعًا، أو الصور التي يظهر فيها وجه هاوج. ولم يحدث الأمر مرة واحدة فقط. كان العدد أكبر من ذلك بكثير.

لم تكنْ لورا كيار لتكتشف سوء المعاملة لولا البلاغ مجهول المصدر إلى المجلس الذي لا بدَّ أنه نبَّهها. رفضت الادعاءات بسوء المعاملة، لكنَّ البلاغ جعلها أكثر قلقًا. ربما بدأ الشكُّ التسلُّلَ إلى قلبها، لأنَّ توقيت البلاغ متزامن مع تزايد تردُّدها في مغادرة المنزل ما لم يكن الصبي معها أو في المدرسة. ربما كانت تخاف من هاوج أيضًا – وبعد كل شيء، غيَّرت الأقفال خلال وجوده بعيدًا في أحد المعارض التجارية. لكنَّ ذلك لم يصنع فرقًا كبيرًا، يا للأسف.

أنهى هيس مكالمته بعبارة: «شكرًا، مع السلامة»، واتجه إلى تولين بالحديث قائلًا: «يبدو أننا لن نستطيع التواصل مع موظف الحالة أو أي شخص آخر في مجلس المدينة لإخبارنا بالمزيد حتى صباح الغد».

- هل تعتقد أنه الواشي المجهول الذي نسعى وراءه؟
- ربما يكون هو. الأمر يستحقُّ التحقق.
- ولمَ لا يكون هاوج هو القاتل؟

كانت تولين تعرف الإجابة عن سؤالها، لكنها لم تستطع مقاومة طرح السؤال، وأخذ هيس وقته للإجابة.

- توجد أدلة مهمة تشير إلى أن القاتل واحد في الجريمتين. ربما يمتلك هاوج الدافع لقتل لورا كيار، لكنْ ليس لـ آن سيير لاسين، لأن لديه حجَّة غياب. من المواد التي شاهدناها على الحاسوب في القبو، نعلم أن هاوج من مستغلِّي الأطفال جنسيًّا. يستمدُّ متعته من الاعتداء الجنسيِّ

على الأطفال، وليس بالضرورة من خلال العنف، أو بتر الأطراف، أو قتل النساء.

لم تُجِبْ تولين. كان غضبها موجَّهًا إلى هاوج، وتتمنى أن تقضي وقتها في العثور عليه.

- هل أنتِ بخير؟

شعرت أن هيس يدقق في ملامح وجهها، لكنها لم تشعر بالرغبة في الحديث عن هاوج والصور على جهاز «ماك بوك» خاصته.

- يجب أن أسألكَ عن ذلك.

حدَّق هيس إليها بنوع من الحيرة. ومع أن عيني تولين كانتا على الطريق، فإنها أشارت إلى خط دم يسيل من أذنه. مسحه هيس بقطعة من مناديل المطبخ، وانعطفت بالسيارة نحو المبنى. خطرت على بالها فكرة.

- كيف عرف الواشي –دون غيره– أن ماجنوس يتعرَّض للإساءة؟

- لا أعرف.

- إذا كان الواشي على علم بذلك، فربما كان يعلم أن الأم تجهل ما يجري، فلمَ كانت هي الضحية، وليس هاوج؟

- لا أعرف الإجابة عن هذا السؤال أيضًا. لكنْ ربما اعتقد الواشي أن الأم مسؤولة عن رعاية ابنها، وكان حريًّا بها أن تعرف. ربما لأنها لم تستجب للبلاغ. ليس بالسرعة الكافية على أي حال.

- هذه تخمينات كثيرة.

- آه، نعم. الأمر مُعقَّد جدًّا. لا سيَّما بالنظر إلى أن موظف الحالة نفى وجود تقرير مماثل حول آن سيير لاسين. جميع الأمور معلَّقة.

أرفق هيس عبارته برفض مكالمة على هاتفه المحمول بعد فحص الشاشة. ركنت تولين السيارة، وأوقفت تشغيل المحرك.

- من ناحية أخرى، كانت آن سيير لاسين في طريقها للخروج مع طفلتيها ومعها حقيبة. نحن الآن نعرف ما حدث حقًّا لماجنوس كيار. ربما من الجيد التحقق أكان حادث ابنتها الكبرى قد وقع مصادفة، أم جرَّاء شيء آخر تمامًا.

نظر هيس إليها. يمكنها أن تقول إنه يفهم. لم يُجِبْ على الفور، وهي تشعر أن كلماتها قد وجَّهت أفكاره فعلًا في مناخٍ جديدة.

- اعتقدتُ أنك أشرت إلى استخدام تخمينات كثيرة.

- ربما لا.

بعد ما اكتشفوه في مرأب لورا كيار، كان الابتسام شيئًا مكروهًا. لكنَّ تولين لم تستطع مقاومة ذلك. أحدثت الفكاهة بعض المسافة بينها وبين ما لا يمكن فهمه. وفي الوقت نفسه، سيطر عليها شعور مفاجئ بأنهما ربما على الطريق الصحيح نحو شيء ما. الطَّرقات القوية على زجاج السيارة جعلتها تنظر إلى الخارج، وأدركت أن سيباستيان يقف إلى جانب باب السيارة، ووجهه يبتسم. كان يرتدي بدلة ومعطفًا أسود. وفي يده باقة من الزهور ملفوفة بسيلوفان وشريط، وفي يد أخرى زجاجة نبيذ.

62

فتحت تولين حاسوبها المحمول على الطاولة في غرفة المعيشة، وبدأت باستعراض المواد التي جمعها المحققون الآخرون في الفريق ذلك اليوم، مع التركيز على البيانات المتعلقة بـ إيريك سيير لاسين. غادر سيباستيان، وهذا ما أرادته، مع أن لقاءهما كان يمكن أن يتطوَّر إلى شيء أفضل.

– هذا ما يحدث عندما لا تردِّين على مكالماتي. أنت تخاطرين بظهوري فجأة.

قال سيباستيان عبارته الساخرة هذه عندما وصلا إلى الشقة. عند تشغيل مصباح المطبخ، أذهلها مدى الإهمال الذي بدا عليه. الملابس الرطبة التي ارتدتها في أثناء البحث في الغابة بـ كلامبينبورج كانت لا تزال ملقاة ومكوَّمة في الزاوية. وعلى طاولة المطبخ وعاء مغطى بالزبادي الجاف الذي تناولته في ذلك الصباح.

– كيف عرفتَ أنني عائدة إلى المنزل الآن؟

– انتهزتُ الفرصة، وكنت محظوظًا.

كان الوضع في الشارع محرجًا، ولم تزل منزعجة لأنها لم تلاحظ سيارة سيباستيان ذات اللون الرمادي الداكن في صف السيارات المتوقِّفة خارج بابها الأمامي، قبل أن يطرق الزجاج. نزلت من السيارة، وكذلك فعل هيس قبل أن يصعد في مقعد السائق. اتفقا على أنه يستطيع استخدام السيارة للعودة إلى المنزل. وقف هو وسيباستيان لحظةً ينظران إلى بعضهما ويتبادلان إيماءة -سيباستيان بحيوية وهيس أكثر تحفظًا- قبل أن تسير تولين نحو بابها الأمامي. كان شيئًا تافهًا، ومع ذلك أزعجها أن هيس قابل سيباستيان، ولمح جزءًا من حياتها الخاصة. أو أن سيباستيان كان من أزعجها؟ كان الأمر أشبه بلقاء مخلوق من كوكب آخر. لكنْ في العادة كان هذا ما أحبَّته فيه.

- انظر. أنا في حاجة إلى استكمال بعض الأعمال حقًّا.

- هل كان ذلك شريكك الجديد؟ الشخص الذي طردوه من يوروبول؟

- كيف عرفتَ أنه من الـ يوروبول؟

- آه. لقد تناولتُ الغداء مع رجل من النيابة العامة اليوم. وذكر للتوّ شخصًا تورط في نوع من الفوضى في لاهاي، وانتهى به المطاف بالعودة إلى فرقة التحقيق الجنائي. تقاطعت هذه المعلومات مع ما أخبرتني به عن أحد الحمقى الذي بدأ عمله للتو، ولم يكن راغبًا في فعل أي شيء. كيف تسير الأمور مع القضية؟

ندمت تولين على قول أي شيء عن هيس عندما اتصل سيباستيان عدة مرات خلال الأسبوع الماضي. لم يكن لديها وقت للقائه بسبب القضية. وقد ذكرت له أنها كانت مشغولة أكثر من المعتاد، لأن شريكها الجديد لم يكن يساعدها. وهو ما لم يعد يبدو تقييمًا منصفًا بحقه.

- شاهدتُ في أخبار هذا المساء أن شيئًا ما وقع في مسرح الجريمة الأولى. هل هذا هو السبب في أن وجهه يبدو كأنه تعرَّض لحادث سيارة؟

اقترب منها سيباستيان، وابتعدتْ.

- يجب أن تذهب. لديَّ الكثير لأقرأه.

حاول سيباستيان ملاطفتها، لكنها رفضته. ثم حاول مرة أخرى قائلًا إنه اشتاق إليها ويريدها. حتى إنه ذكَّرها بأن ابنتها لم تكن في المنزل، ما يتيح لهما فعل ما يحلو لهما. على طاولة المطبخ، على سبيل المثال.

- لمَ لا؟ هل يتعلق الأمر بـ لو؟ كيف حالها؟

لكنَّ تولين لم تكن في مزاج مناسب لمناقشة وضع لو. وبدلًا من ذلك، طلبت منه المغادرة مجددًا.

- هذه هي الحال إذن؟ أنتِ من يقرِّر متى وكيف، وأنا مسلوب الرأي؟

- لطالما كانت الحال هكذا. إن لم تكن قادرًا على التكيُّف مع هذا الوضع، يمكننا وضع حدٍّ.

- لأنكِ وجدتِ شخصًا آخر أكثر متعة؟

- لا. ولكنني سأخبركَ إذا حدث ذلك. شكرًا على الأزهار.

ضحك سيباستيان، وكان من الصعب إخراجه من الباب. افترضتْ أنه من النادر أن يأمره شخص بالمغادرة بعد أن ظهر مع الزهور والنبيذ. وربما كان ما فعلتْه شيئًا غريبًا، فوعدتْ نفسها بأنها ستتصل به غدًا.

تناولتْ تولين نصف تفاحة وهي تتصفَّح الكمبيوتر المحمول قبل أن يرنَّ هاتفها المحمول. إنه هيس. بعد محادثتهما في السيارة، اتفقا على أنه سيفحص حادث فتاة سيير لاسين، لذلك لم تستغرب اتصاله. الغريب في الأمر أنه سألها بأدب إذا كان يزعجها باتصاله.

- لا، لا بأس. ماذا تريد؟

- كنتِ محقَّة. لقد تحدثتُ للتوِّ إلى شخص ما في مستشفى ريجز. وبصرف النظر عن إصابتها في الأنف وكسر عظم الترقوة التي أُدخِلَتِ الفتاة الكبرى فيها إلى المستشفى، فقد عُولِجَتْ فتاتا سيير لاسين من حوادث وقعت في المنزل عندما كانتا تعيشان في آيلاندز بريج وكلامبينبورج. لا توجد أي إشارات إلى اعتداء جنسي، لكنْ ربما تعرَّضت الفتاتان للإيذاء. ربما بطريقة مختلفة عن ماجنوس كيار.

- ما عدد الحوادث؟

- لم أحصل على العدد حتى الآن. ولكنه مرتفع جدًّا.

استمعت تولين لدراسته. وبمجرد انتهائه من وصف التقارير الطبية، شعرت كما لو أن حالة الغثيان التي أصابتها في القبو قد عادت. كانت بالكاد تستمع عندما اقترح أن يبدأ اليوم التالي بزيارة إلى السلطات المحلية في جينتوفت.

- منزل سيير لاسين في كلامبينبورج يخضع لإشراف مجلس جينتوفت. وفي حال اتضح وجود بلاغ مجهول بحق سيير لاسين في بريدهم الوارد، سنعرف أننا أمسكنا طرف الخيط.

أنهى هيس مكالمته بملاحظة مفاجئة: «بالمناسبة، شكرًا لكِ على الحضور إلى المنزل، إذا لم أقلْ ذلك من قبل». وقبل أن تغلق الخط، سمعت نفسها تقول، «لا بأس، أراكَ قريبًا».

وجدت صعوبة بعدئذٍ في استعادة رباطة جأشها. قررت اختيار وسيلة إلهاء أخرى. وفي هذه المرة، جلبت مشروب ريد بول من الثلاجة حتى لا تخاطر بالنوم. وبينما كانت واقفة، نظرت من النافذة.

من الطابق الرابع، اعتادت تولين أن تشاهد بوضوح أسطح المدينة وأبراجها، تقريبًا حتى البحيرات. لكنَّ السقالات في المبنى المقابل التي نُصِبَتْ في الشهر السابق، حجبت معظم المشهد. عندما تكون الرياح عاصفة، كما هي الليلة، فإنها تلوِّح جميع الأقمشة المشمعة، وتصدِّع السقالات والمشابك في طبقاتها المعدنية كأنها تهدد بالانهيار. ولكن ما لفت انتباهها هو خيال شخص ما. خلف القماش المشمع في الممر المقابل مباشرة لشقتها، اعتقدتْ أنها لمحت خيال شخص ما. وللحظة، بدا أنه يحدق إليها مباشرة. وفجأة، تذكرت تولين أن شخصًا ما كان يراقبها من خلال حركة المرور عندما أوصلت ابنتها إلى المدرسة. أحسَّت فورًا باليقظة. غرائزها تخبرها أنه الشخص نفسه. لكنْ، عندما اهتزَّ القماش المشمَّع مرة أخرى بفعل الرياح منفتحًا على شكل شراع كبير، تلاشى الظل. وعندما عاد القماش إلى مكانه، كان الخيال قد اختفى تمامًا. أطفأت تولين المصباح، وأغلقت الحاسوب المحمول. وقفت عدة دقائق في ظلام غرفة المعيشة، وحدقت إلى السقالات، وذكَّرت نفسها بأن تتنفَّس.



الجمعة 16 أكتوبر



63

إنه الصباح الباكر، لكنَّ إيريك سيير لاسين لا يعرف الوقت. ساعته من طراز تاج هوير وسعرها 45 ألف يورو، كانت داخل صندوق في الطابق الثاني من مركز الشرطة منذ وقت متأخر من الليلة الماضية، إضافة إلى حزامه ورباط حذائه. إيريك نفسه يجلس في زنزانة تحت الأرض، وعندما فُتِحَ الباب المعدني الثقيل، أخبره ضابط أنه سيُجري مقابلة مرة أخرى. وقف على قدميه، ومشى في القبو، وصعد السلم الحلزوني تجاه ضوء النهار والمدنية، واستعدَّ للتنفيس عن غضبه.

كانت الشرطة قد ظهرت دون سابق إنذار في منزله الليلة الماضية. كان يتحدث إلى الطفلتين الباكيتين في سريريهما عندما استُدعِيَ إلى الباب الأمامي، حيث كان ضابطان ينتظران اصطحابه للاستجواب. اعترض على عدم قدرته على مغادرة المنزل في ذلك الوقت. لكنَّ الضباط لم يعطوه أي خيار. وقد أخطأ في إحضار حماته لرعاية الأطفال. لم يتحدث إيريك معها منذ وفاة آن. كان يعلم أنها ستطرح أسئلة مقلقة بشأن حفيدتيها، وتُقدِّم المساعدة التي لا يريدها إيريك. لكنها بعد ذلك كانت تقف على الدرجة الحجرية خلف الضباط تقريبًا مثل المتآمر المشترِك، وتحدق إليه بعيون خجول كما لو كان هو الشخص الذي قتل ابنتها. عندما اصطُحِبَ إيريك إلى سيارة الشرطة، عبرت العتبة إلى منزله وهُرِعَتِ الفتاتان لمقابلتها. تشبثتا بساقيها.

استُجوِب في مركز الشرطة، دون تفسير، عن سبب الحوادث والإصابات المتكررة للفتاتين. لم يفهم شيئًا. بالتأكيد لا صلة لذلك بالموضوع، وقد صرخ قائلًا إنه يريد التحدث إلى رئيسهم، أو إعادته إلى المنزل على الفور. وبدلًا من ذلك، احتُجِزَ بسبب «حجب المعلومات المتعلقة بمقتل آن سيير لاسين» وكان عليه أن يتحمَّل الحبس داخل زنزانة في الطابق السفلي مثل بعض الجانحين العاديين.

أول مرة ضرب فيها إيريك سيير لاسين زوجته كانت ليلة زفافهما. كانا بالكاد قد عبرا من باب الجناح في «دانجليتير» قبل أن يمسك بذراعيْ عروسه ويسحبها من خلال الغرف وهو يهزها ويُصفِّر من أسنانه المُرهَقة. كان الزفاف فخمًا. دفعت أسرة إيريك الفاتورة، ودفعت تكاليف الطاهي المشهور عالميًّا، والأطباق الاثني عشر الغريبة، والغرف في قلعة هافريهولم وجميع الزخارف الأخرى، لأن أسرة آن كانت فقيرة مثل فئران الكنيسة. وكيف شكرته آن؟ من خلال التحدث لمدة طويلة جدًّا، وبشكل وثيق، مع أحد أصدقائه القدامى في المدرسة الداخلية. لقد أهان ذلك إيريك كثيرًا لدرجة أنه استشاط غضبًا حتى اللحظة التي غادرا فيها وصولًا إلى «دانجليتير»، حيث كانا وحدهما. احتجّت آن باكيةً على أنها لم تتحدث إلى صديقه إلا لتكون ودودة. وفي نوبة من المزاج العنيف، مزَّق فستانها، وضربها مرارًا وتكرارًا واغتصبها. وفي اليوم التالي، اعتذر عن سلوكه، وأصرَّ على أنه يحبها بشدة. وعلى مائدة الإفطار، أرجع الضيوف خدها الأحمر المتوهج إلى شغف ليلة الزفاف. ربما كانت تلك اللحظة بالضبط هي المكان الذي بدأت فيه كراهيته إياها- لأنها صدَّقته، لأنها كانت لا تزال تنظر إليه بعشق، وهي ترفُّ برموشها الطويلة.

كانت سنواتهم في سنغافورة هي الأسعد. كان نجمًا صاعدًا، واستثمر بعض الاستثمارات الذكية في شركات التكنولوجيا الحيوية، وسرعان ما قُبِلَ هو وآن في الطبقة الثرية بين المغتربين الإنجليز والأمريكيين. لقد فقد أعصابه معها فقط في بعض الأحيان، عادة لأنها لم تفِ بالمعايير التي وضعها للولاء، والتي تضمَّنت إخباره بكل ما تفعله. في المقابل، حسَّن الصفقة من خلال رحلات إلى جزر المالديف، والرحلات الجبلية في نيبال. لكن مع ولادة الطفلتين، تغيرت الحياة. في البداية كان يعارض أعظم أمنية لـ «آن»، لكنه تدريجيًّا رأى شيئًا جذابًا أبويًّا حول التكاثر الذي تحدَّث عنه كثيرًا بنفسه وسمع أنه نوقِش في اجتماعات الإدارة المختلفة في شركات التكنولوجيا الحيوية. لقد أزعجه أن نُطفه كانت منخفضة الجودة لدرجة أنه كان عليه أن يستشير عيادة الخصوبة كما اقترحت آن؛ في الواقع، لقد لطمها في منزل البنتهاوس خاصتهما بسبب ولادتها. وبعد تسعة أشهر، لم يشعر بأي فرح عند ولادة طفلتهما الصغيرة في مستشفى رافلز، لكنه كان يفترض أن ذلك سينتهي. ولكنَّ ذلك لم يحصل. ولم يحصل ذلك أيضًا عندما ولدت طفلتهما الثانية. اضطر الأطباء إلى إجراء عملية قيصرية لولادة لينا، وأُصيبَت

آن بأضرار بالغة لدرجة أن ذلك وأد أي أمل في إنجاب صبي كما أراد إيريك، وكذلك على حياتهما الجنسية.

خلال السنوات المتبقية لهما في سنغافورة، كان يريح نفسه بالعديد من العلاقات العابرة، وحقيقة أن غرائزه التجارية كانت لا تزال سليمة. ومع رغبة آن في أن ترتاد الطفلتان المدرسة في الدنمارك، عادوا من آسيا إلى المدرسة الكبيرة والفاخرة. شقة في آيلاندز بريج، حيث عاشوا لمدة عام ريثما أصبح المنزل في كلامبينبورج جاهزًا. كان عالم هوبيتي الاجتماعي في كوبنهاجن مقيدًا وخانقًا، ومن الواضح أنه تعديل جذري من الجو الدولي والحرية التي اعتادها في سنغافورة. وسرعان ما اصطدم بأصدقائه القدامى في بريدجيد التي كان يحتقرها لما فيها من أجواء - كل رموز المكانة التافهة وثرثرة الزوجات عن منازلهنّ وأطفالهنّ. وما زاد خيبة أمله إدراكه أن ابنتيه كانتا تتحولان أكثر فأكثر إلى نسخ كربونية من آن، الخشونة وصعوبة المراس وتقليدهما الساذج والأعمى لعقل أمهما العاطفي. والأسوأ من ذلك أنهما أظهرتا الافتقار نفسه إلى العزيمة مثل المرأة التي تزوجها.

وفي وقت النوم ذات مساء، كانت الطفلتان تبكيان بهستيرية بسبب بعض الهراء التافه، ولأن آن وجليسة الأطفال كانتا في الخارج. وبقي عالقًا مع حجري رحى صغيرين. لطمهما في النهاية، فتوقف البكاء. وبعد ذلك بأسابيع قليلة، لم تتمكن الفتاة الكبرى من الاحتفاظ بالطعام في طبقها، على الرغم من طلب ذلك منها عدة مرات وتوضيح كيفية فعل ذلك. فضربها بشدة لدرجة أنها طارت من كرسيها. وفي المستشفى، حيث عُولِجَتْ من ارتجاج في المخ، أوضح لجوديث أنه من الأفضل أن تغلق فمها إلا إذا أرادت أن ينتهي بها الأمر في أول رحلة عائدة إلى حقول الأرز. عندما هُرِعَتْ آن للعودة من زيارة والدتها، فاجأها مدى سهولة اختراع قصة ما عن حماقة الفتاة الصغيرة. وبالرغم من ذكائها المحدود، كانت الطفلة تعرف ما يكفي لعدم إخبار والدتها بالحقيقة.

وقعت العديد من الحوادث الأخرى في آيلاندز بريج. ربما كانت كثيرة جدًا. ومن حين إلى آخر، كانت آن تنظر إليه بريبة، لكنها لم تسأله قطُّ- على الأقل، ليس حتى ظهور موظف الحالة من المجلس المحلي فجأة قبل الموعد المقرر للانتقال. تلقى المجلس بلاغًا من مجهول بأن الفتاتين تتعرضان لسوء المعاملة. ولمدة من الوقت، كان على إيريك أن يصبر على أسئلة الموظف.

ومع ذلك، وبمساعدة محاميه، أرسل الرجل ليحزم أغراضه موضحًا أنه من الأفضل ألا يعود. وكان إيريك قد وعد نفسه بأنه سيُظهِر مزيدًا من ضبط النفس في المستقبل. على الأقل حتى اكتشاف من تجرَّأ على إرسال البلاغ.

بعد ذلك، سألته آن لأول مرة صراحة أكان مسؤولًا عن الحوادث. نفى ذلك، طبعًا. لكنْ بعد الانتقال إلى كلامبينبورج، وما جرى على دَرَج المجلس، توقفت عن تصديقه. بكت وألقت باللوم على نفسها، وطلبت الطلاق. من الطبيعي أنه كان مستعدًّا لذلك. إذا شرعتْ في الطلاق، فسيُطلِق عليها محاميه ليحرص على أنها لن ترى طفلتيها مرة أخرى. كانت قد وقَّعت منذ عقود على اتفاقية ما بعد الزواج التي تضمن أنه سيحتفظ بكل ما يكسبه، حتى تتمكن من التطلُّع إلى حياة من المساعدات الحكومية على أريكة والدتها إذا لم تكن راضية عن قفصها المذهَّب في كلامبينبورج.

لم تعد الأجواء جيدة مرة أخرى، لكنه اعتقد أن آن قد استسلمت حتى أخبرته الشرطة أنها لم تكن في الحقيقة ذاهبة لزيارة والدتها؛ كانت تهرب بدلًا من ذلك. كانت تخطط للانفصال عنه وتركه كأحمق. لكنْ بعد ذلك، وكالسحر، تعرَّضت للقتل. كان هذا الجزء لا يزال غير مفهوم، لكنه أعطى إيريك إحساسًا بالعدالة. من المحتمل أن تكون العلاقة مع الطفلتين اللتين أصبحتا الآن ملكه بالكامل، أكثر سهولة أيضًا اعتبارًا من هذه النقطة فصاعدًا. لن يُضطَرَّ إلى أخذ رأي أي شخص آخر في الحسبان.

دخل إيريك سيير لاسين غرفة الاستجواب في قسم الجنايات وهو مفعم بالثقة بالنفس. المحققان أنفسهما السابقان. الرجل ذو القزحية المختلطة، وتلك الصغيرة بعيون الظبية. في سياق مختلف، كان سيقدم لها رحلة لن تنساها أبدًا. بدا كلاهما في حال يُرثَى لها. متعبان ومرهقان، ولا سيَّما الرجل مع وجهه الأزرق والأصفر كما لو أنه تعرض للضرب مؤخرًا. سرعان ما أدرك إيريك قدرته على معاملتهما بقسوة. سيُخلَى سبيله فورًا. لا يملكان أي دليل على إدانته.

- إيريك سيير لاسين. تحدثنا مع جليسة طفلتيك مجددًا. وقد أخبرتنا بالتفصيل كيف رأتك تضرب طفلتيك في أربع مناسبات على الأقل.
- ليست لديَّ أدنى فكرة عما تتحدثان عنه. إذا كانت جوديث تقول إنني مددت يدي على الفتاتين، فذلك لأنها كاذبة.

اعتقد إيريك أنهما سيجادلانه مرارًا وتكرارًا. لكنَّ الغبيَّين لم ينتبها لما قاله.

- نحن نعلم أنها تقول الحقيقة. ليس أقلها لأننا تحدثنا من خلال الهاتف مع اثنين من جليسات الأطفال الفلبينيات اللتين وظفتهما عندما كنتَ تعيش في سنغافورة. روت الثلاث القصة ذاتها، وكل واحدة منهنَّ على انفراد. لذلك قررت النيابة العامة توجيه الاتهام إليك بالاعتداء والضرب ضد أطفالك بسبب الحوادث الموضحة في تقارير المستشفى السبعة خلال مدة إقامتك في الدنمارك.

واصل الرجل الحديث، في حين أحسَّ سيير لاسين بالتحديق البارد من الفتاة ذات العينين الجميلتين.

- في الوقت الحالي، طلبنا تمديد احتجازك لثمانٍ وأربعين ساعة. لديك الحق في توكيل محامٍ. وإذا لم تكن قادرًا على توكيل محامٍ، ستُكلِّف المحكمة محاميًا للدفاع عنكَ. وحتى إصدار الحكم، ستعتني السلطات الاجتماعية بطفلتيك بالتعاون مع جدتهما التي عرضت فعلًا أن تكون وَصيَّة عليهما. إذا أُدِنْتَ وحُكِمَ عليكَ، فسيُتخَذ قرار بشأن قدرتك على الاحتفاظ بحقوق الوالدين، وإذا كان سيُسمَح لكَ برؤيتهما في زيارات خاضعة للإشراف.

اختفت جميع الأصوات. وللحظة، نظر إيريك سيير لاسين إلى الفضاء الفارغ. ثم نظر إلى الأسفل. كانت الطاولة مليئة بتقارير المشفى مع الشرح الطبي، والصور والأشعة السينية لإصابات الفتيات. وفجأة، اعتقد أن الأمور تبدو سيئة. سمع الفتاة ذات العينين الجميلتين وهي تخبره أن جوديث أخبرتهما أنَّها تلقت زيارة من مسؤول حالة تابع للسلطة المحلية بعد بلاغ مجهول قبل مدة وجيزة من الانتقال من آيلاندز بريج. هذا كل ما يريدون مناقشته مع سيير لاسين الآن، قبل أن تُنقَل قضيته إلى شخص آخر.

- هل تعرف من أرسلها؟

- هل لديك أي فكرة عمَّن يمكن أن يكون؟

- مَن غير جليسة الأطفال كان على علم بأنكَ تضرب طفلتيك؟

أكد المحقق ذو الوجه المتورِّم مدى أهمية إجابته، ولكنَّ إيريك سيير لاسين لم ينطق. حدق إلى الصور فقط. وبعد لحظة، اقتيد إلى الخارج. وبينما كان باب زنزانته يُغلَق خلفه، انهار، مفتقدًا ابنتيه لأول مرة في حياته.

64

أحسَّ هيس كأن رأسه على وشك الانفجار، وندم على عدم بقائه خارج أسوار مجلس المدينة بالرغم من الرياح الباردة. بعد أسبوع من عراكه مع هانز هنريك هاوج، تحوَّل الخدر الحاد في جمجمته إلى صداع مستمر. لم يُعْثَرْ على هاوج بعد، واضطُرَّ هذا الصباح إلى الجلوس واستجواب إيريك سيير لاسين في مركز الشرطة قبل التوجُّه إلى مجلس المدينة لمقابلة موظف الحالة، هينينج لوب، ومديره الذي يجلس معه الآن في مكتب دافئ جدًّا في قسم خدمات الأطفال والشباب. الأجواء الجافَّة وألواح الماهوجني لم تكن مناسبة قطُّ للأطفال.

شُغِلَ موظف الحالة في الدفاع عن نفسه، ربما أمام مدير إدارته الذي كان يتململ بعصبيَّة في كرسيِّه.

- كما قلتُ، تعطَّل النظام. ولهذا السبب لم أستطعْ مساعدتك.

- لم تقل هذا عندما تحدثنا يوم الثلاثاء. أخبرتَني أنكَ لم تعثرْ على أي تقرير عن طفلتي آن سيير لاسين، في حين أن الواقع هو عكس ذلك تمامًا.

- ربما أخبرتكَ أن النظام لم يُظهِر لي البيانات فورًا.

- لا، ليس هذا ما قلته. أعطيتكَ أرقام هُويَّة الطفلتين، وقلت...

- حسنًا، انظر. لا أتذكَّر تمامًا الكلمات التي استخدمتها...

- لماذا لم تخبرْني بالحقيقة؟

- حسنًا، لم يكن في نيَّتي إخفاء أي شيء...

ازداد ارتباك هينينج لوب، وألقى نظرة خائفة على مديره من طرف عينه، ولام هيس نفسه لأنه لم يذهب إلى مقابلة الرجل قبل عدة أيام، كما كان يعتقد في البداية.

الشكوك المعنيَّة بالواشي المجهول في قضية لورا كيار استُبعِدَتْ مدةً من الوقت بعد اكتشاف الغرفة تحت أرض المرأب، لأنهما لم يعلما حينها بوجود بلاغٍ مماثل لــ آن سيير لاسين. اعتمد هيس على تصريح موظف الحالة بأنه لم يتلقَّ أي معلومات مماثلة من مجلس المدينة، في حين كانت الأسرة تعيش في آيلاندز بريج، لذلك ركز هو وتولين على مجلس جينتوفت الذي كان مسؤولًا عن منطقة كلامبينبورج. وفي جينتوفت، لم يجدوا أيَّ تقرير أو بلاغ عن آن سيير لاسين، ما نفى نظرية ارتباط جريمتي القتل بإساءة معاملة الأطفال. لم يشكَّ أيٌّ من أفراد أسرة سيير لاسين بشأن إصابات الفتيات، واعتبروها ناتجة عن حوادث. كانت إفادة جليسة الأطفال الأكثر ترددًا، لكن لم يكن الأمر كذلك حتى وقت متأخر من بعد ظهر أمس –عندما أكد لها هيس وتولين أنهما سيحميانها من غضب إيريك سيير لاسين– وحينها، انهارت بالبكاء وباحت بكل ما في صدرها. وانتهزت الفرصة لتضيف أن موظف حالة من مجلس كوبنهاجن قد زارهم منذ مدة في عنوانهم القديم في آيلاندز بريج، بدأ بطرح الأسئلة لأن أحد المبلغين مجهولي الهوية اتَّهم آن بعدم الاعتناء بطفلتيها. أطلق هيس كيلًا من الشتائم، مدركًا ما أضاعوه من وقت ثمين.

لم يكن انطباع هيس عن موظف الحالة ممتازًا تمامًا بعد محادثتهما الهاتفية يوم الثلاثاء. ولم يتحسن الأمر خلال المقابلة. أصبح يدير التحقيق بمفرده، لأن تولين وفنيِّي تكنولوجيا المعلومات بدأوا في البحث عن أدلة رقمية عن تلك الشخصية المجهولة في أجهزة كمبيوتر القسم. دافع موظف الحالة عن كذبه بوصفه «خطأ فني»، لكنْ عند قراءة التقريرين مجهولي المصدر ضد لورا كيار وآن سيير لاسين، وضع هيس نظرية أخرى عن سبب مراوغة لوب على الهاتف.

جاء البلاغ بحق آن سيير لاسين من خلال قسم الإبلاغ عن المخالفات بعد أسبوعين تقريبًا من تاريخ البلاغ الخاص بـ لورا كيار، وقبل وقت قصير من انتقال أسرة سيير لاسين إلى كلامبينبورج. كان البلاغ مطوَّلًا بشكل غير عادي ليشغل وجهًا كاملًا تقريبًا من ورقة بقياس متوسط. من حيث الجوهر، يُطالِب البلاغ بإبعاد فتاتي آن سيير لاسين، لينا وصوفيا، عن رعايتها لتعرُّضهما للأذى. لكنَّ الجُمل في رسالة البريد الإلكتروني كانت مشتَّتة، وتكاد تخلو من الفواصل، ومكتوبة على شكل سيل واحد وطويل من المعلومات الواعية، في تناقض حادٍّ مع الرسالة الموجزة عن لورا كيار التي تتسم بالبرودة والواقعية.

وُصِفَتْ آن سيير لاسين بأنها خرقاء من الطبقة العليا، وتهتم بنفسها أكثر من بناتها. إنها مهووسة بالمال والرفاهية، وسيكون من الواضح لأي شخص يكلف نفسه عناء التحقق من تقارير الإصابة من مختلف المستشفيات أن الطفلتين في حاجة إلى الرعاية. كان خط الرسالتين وحجماهما مختلفين بشكل كبير، لكنْ إذا قرأتهما واحدة تلو الأخرى، فمن المستحيل ألا تلاحظ أن المرسل في الحالتين استخدم عبارات «عاهرة وأنانية» و«يجب أن تعرف أكثر عن تلك المشكلات». عدَّة مرات، في الواقع، عندما يتعلق الأمر بـ آن سيير لاسين. يبدو أن المرسل هو شخص واحد، وقد تكون الاختلافات مقصودة للتمويه. اعتقد هيس أن هذا ما جعل هينينج لوب مُضطربًا، ودفعه إلى الكذب بشأن فتاتي سيير لاسين.

دافع لوب عن نفسه باتباعه القواعد، وأسلوبه في التعامل مع الحالات: أُنجِز كل شيء وفقًا للقواعد المتبعة، وقد أنكر الوالدان الاتهامات بسوء المعاملة. كرَّر ذلك عدة مرات، كما لو أنه من المتوقع أن يكشف الوالدان جميع أوراقهما بمجرَّد حضور ممثلي المجلس.

قال مدير القسم مقاطعًا: «لكنَّ تحقيقات الشرطة ألقت ضوءًا جديدًا على هاتين القضيَّتين. وبطبيعة الحال، سأوصي بإجراء مراجعة داخلية فورية وشاملة».

كانت هذه الجملة كفيلة بإسكات موظف الحالة، في حين واصل مديره الحديث عن الضمانات. أحسَّ هيس بألم في رأسه. وأدرك ضرورة الخضوع لاستشارة طبية عندما يزور المستشفى مساء الثلاثاء. لكنه بدلًا من ذلك، عاد إلى أودين والفوضى التي أحدثتْها في نفسه لوازم الطلاء. كان نائمًا وهو يفكر في الرجل الذي انتظر تولين مع باقة أزهار وزجاجة نبيذ. ولسبب ما أزعجه شعوره بالمفاجأة، طبعًا لديها شخص ما ينتظرها عندما تغادر. وهذا أمر لا يعنيه.

في اليوم التالي، استيقظ وهو يعاني أكثر أنواع الصداع إيلامًا في العالم. وعندها بدأ هاتفُه المحمولُ الرنينَ. كان فرانسوا الذي لم يفهم لماذا توقف هيس عن التواصل مع فريمان بعد اجتماعهما الهاتفي المُخفِق. ألم يكن يودُّ استعادة وظيفته بعد كل شيء؟ ما الذي يخطر بباله؟ قال هيس إنه سيعيد الاتصال به، ثم أنهى المكالمة. كان الأمر كما لو أن الرجل الباكستاني من الشقة «34 سي» قد سمعه يستيقظ، لأنه سرعان ما وقف في المدخل، وحدق

إلى الفوضى في الداخل، في حين أخبر هيس أن السمسار أجرى زيارة غير مثمرة في اليوم السابق.

- ماذا بشأن علب الطلاء وملمع الأرضيات في الممشى هناك؟ عليك أن تفكِّر في السكان الآخرين، كما تعلم.

قطع هيس الكثير من الوعود التي لم يفِ بها قطُّ. كان هو وتولين مشغولَيْن جدًّا في قضية سيير لاسين.

حاول هيس مجددًا: «ما الذي يمكنكَ إخباري به عن الواشي؟ هل اكتشفتَ أي شيء عندما ذهبتَ لزيارة الأُسَر التي تدَّعي أنك زرتها؟».

- لقد ذهبنا، وأجرينا تحقيقًا. وما أقوله ليس ادعاءً، لكنْ كما قلتُ...

- توقفْ عن ذلك. اغتُصِب الصبيُّ في غرفة تحت الأرض، وقُطِّعَتْ أجساد الفتاتين عدَّة مرات، لكنْ من الواضح أن لديك سببًا وجيهًا لعدم اكتشاف ذلك. كل ما أحاول تحديده هو أكنت على معرفة بالشخص الذي أرسل البلاغ.

- لا أعرف شيئًا. وأنا لا أحب لهجتكَ معي. كما قلتُ...

- لا بأس. خذ استراحة.

وصل نيلاندر. وقف عند باب المكتب، وبإيماءة منه، فهم هيس أنه يودُّ الحديث معه. كان هيس مسرورًا بالهروب من الغرفة الحارَّة إلى بئر السلَّم، حيث يمرُّ الموظفون وينظرون إليهم بفضول.

- ليس من شأنك تقييم كيفية عمل المجلس.

- حسنًا سأحاول أن أدعهم وشأنهم.

- أين تولين؟

- في المكتب المجاور هناك. تحاول مع رجال تكنولوجيا المعلومات تتبُّع مرسِل البلاغين.

- هل نعتقد بأنه القاتل؟

حاول هيس تجاهل الطعنة المزعجة التي وجهها إليه رئيسه من خلال استخدام صيغة الجماعة. يتحدث فريمان بالأسلوب نفسه، وهذا ما دفع هيس إلى التساؤل عما لو كان هو ونيلاندر خرِّيجان في الدورة نفسها.

- هذه هي الفكرة. متى يمكننا مقابلة روزا هارتونج؟

- ما الداعي إلى مقابلتها؟
- حسنًا، حول...
- لقد جرتْ مقابلة الوزيرة فعلًا. ولا تملك أي معلومات أو معرفة بأي من لورا كيار أو آن سيير لاسين.
- لكنَّ وجودنا هنا يعني ضرورة إجراء مقابلة معها مرة أخرى. أُبلِغ عن الضحيتين دون الكشف عن هُويَّتهما بهدف رعاية أطفالهما. أو ربما لم يكن هذا هو هدف القاتل على الإطلاق. ربما كان يشير فقط بإصبع الاتهام إلى نظام لا يعمل. وفي الحالتين، عليك أن تكون غبيًا حتى لا ترى الرابط مع روزا هارتونج. إنها وزيرة الشؤون الاجتماعية بعد كل شيء. وكلَّما فكرت في الأمر أكثر، كان من اللافت للنظر أن جرائم القتل تزامنت تقريبًا مع عودتها وزيرة.
- أنت تؤدي عملًا جيدًا يا هيس. ولستُ في العادة شخصًا يلاحق الناس بناء على سمعتهم. لكن يبدو الأمر كما لو أنك تصفني بالأحمق.
- لقد أسأتَ فهمي بالتأكيد. لكن، عندما تضيف إلى ذلك حقيقة أن البصمات على دميتيْ رجل الكستناء اللتين عُثِرَ عليهما في مسرح الجريمة تخصُّ ابنة روزا هارتونج، ...
- اسمعني الآن. طلبَ مني رئيسكَ في لاهاي تقييم كفاءتك المهنية. وبطبيعة الحال، أريد مساعدتكَ على العودة إلى هناك. وهذا يعني حاجتكَ إلى التركيز على ما هو مهم حقًّا. لن تُجري أي مقابلة مع روزا هارتونج، لأنها غير معنيَّة. اتفقنا؟

المعلومات المتعلقة برئيسه في لاهاي فاجأت هيس. وللحظة، أحسَّ بالذهول من هذه الإجابة. ألقى نيلاندر نظرة على تولين التي خرجت من الغرفة مع أجهزة حاسوب مكتبية في القسم.

- حسنًا، ماذا لديكِ؟
- أُرسِل البلاغان من الخادم نفسه في أوكرانيا. لكنَّ الأشخاص الذين يديرونه غير معروفين بتعاونهم مع السلطات. على العكس تمامًا. قد نتمكن من الحصول على عنوان بروتوكول الإنترنت في غضون أسابيع قليلة، ولكنها ستكون معلومات غير ذات أهمية حينذاك.

- هل يساعدنا أن أسأل وزير العدل عن استعداده للاتصال بزميله في أوكرانيا؟

- أشكُّ في ذلك. حتى لو أرادوا المساعدة، فسيستغرق الأمر وقتًا لا نملكه.

- كما أخبرتني، بين جريمتي القتل الأولى والثانية سبعة أيام فقط. وإذا كان القاتل مريضًا نفسيًا كما تقول، فلا يمكننا الجلوس هنا دون حَراك.

- قد لا نكون مُضطَّرين إلى ذلك. أُرسِل البلاغان إلى المجلس من خلال قسم الإبلاغ عن المخالفات. الأول قبل ثلاثة أشهر، والثاني بعد أسبوعين. وإذا افترضنا أنهما صدرا عن القاتل، وإذا افترضنا أنه سيحاول مجددًا...

- ...ثم وجَّه رسالة مجهولة المصدر فعلًا عن الضحية التالية.

- بالضبط. توجد مشكلة واحدة فقط. أخبروني للتو أن قسم الإبلاغ عن المخالفات يتلقَّى نحو خمس بلاغات مجهولة المصدر في الأسبوع، وتكون مُوجَّهة إلى قسم خدمات الأطفال والشباب. وبالإجمال سنويًا، يصل هذا العدد إلى مئتين وستين. لا ترتبط جميعها برعاية الأطفال، لكنْ لا يوجد نظام، لذلك لا نعرف فعلًا عدد الأشخاص الذين نتعامل معهم.

أومأ نيلاندر برأسه.

- سأتحدث مع مدير القسم. لديهم سبب وجيه لمساعدتنا. إلى ماذا تحتاج؟

- هيس؟

آلام رأسه، والأخبار عن التحالف بين فريمان ونيلاندر لم تكن عوامل مساعدة. حاول هيس التفكير بوضوح ليتمكن من الردِّ على تولين.

- تقارير مجهولة المصدر عن إهمال وإساءة معاملة الأطفال خلال الأشهر الستة الماضية. خاصة ضد الأمهات بين سن العشرين إلى الخمسين، والمطالبة بإبعاد أطفالهنَّ عن رعايتهنَّ. توجد حالات تُعومِل معها، لكن لم يُعْثَرْ على أي سبب وجيه للتدخل.

ظهر مدير القسم من الباب في الخلفية وهو يراقب المجموعة الصغيرة بترقُّب. انتهز نيلاندر الفرصة لشرح ما يحتاجون إليه.

- لكنَّ هذه القضايا لا تُحفَظ في مكان واحد بعينه. وسيستغرق الأمر وقتًا للعثور عليها.

نظر نيلاندر إلى هيس الذي بدأ يسير عائدًا تجاه الغرفة الحارَّة.

- إذن من الأفضل أن يعمل جميع من في قسمك على هذا الأمر. لدينا الكثير من الأمور الأخرى لفعلها، ونحن في حاجة إلى هذه المعلومات في غضون ساعة.

65

تبيَّن أن مجلس كوبنهاجن يتلقَّى عددًا كبيرًا جدًّا من التقارير مجهولة المصدر بشأن علاقة أمهات بأطفالهنَّ. يوجد بالتأكيد عدد كبير جدًّا من هذه الحالات. وبينما واصل الموظفون جلب الملفات الحمراء، ليضيفوها إلى المجموعة المتزايدة على الطاولة، ارتفعت خشية هيس بشأن صحة المسار الذي تتجه فيه خطتهم. لكنْ بعد محادثته مع نيلاندر، لم يعد يوجد الكثير لفعله سوى اختيار مكان والبدء. وبينما فضَّلت تولين قراءة الحالات الموجودة على محمول من طراز «آيسر» في المكتب الكبير المفتوح، جلس هيس في غرفة الاجتماعات وراح يقلِّب الصفحات التي كان بعضها لا يزال محتفظًا بدفء الطباعة.

طريقته بسيطة. يفتح ملف الحالة المعنيَّ ويفحص الرسالة المجهولة فقط. وإن لم تكن ذات أهمية، يضعها في كومة على يساره. وفي حال تطلَّبت الحالة مزيدًا من الاهتمام، وضع الملف في كومة على يمينه.

سرعان ما أدرك أن عملية الفرز التقريبي هذه أكثر صعوبة مما توقعه. تضجُّ جميع الملفات بالغضب نفسه ضد الأمهات اللواتي تعرَّفهنَّ من الاتهامات الموجَّهة إلى لورا كيار وآن سيير لاسين. غالبًا ما كُتِبَتْ في حالة من الغضب، واحتوى بعضها الآخر على تلميحات يسهل من خلالها تخمين مرسلها سواء من زوج سابق، أو عمة، أو جدة شعرت بالحاجة إلى إظهار عيوب الأم من خلال رسائل مجهولة المصدر. لكنَّ هيس لا يستطيع الجزم، وأخذت الكومة على يمينه في الازدياد. تكرار النوع نفسه من الرسائل يجعل عملية القراءة تجربة مروِّعة. روت معظمها نوع الحرب الأهلية التي وقع الأطفال ضحايا لها، وربما لا يزالون عالقين فيها، لأن جميع القضايا التي طلبها هيس هي تلك التي رُفِضَتْ فيها الاتهامات. ومع ذلك، كان القسم مُلزَمًا بالتحقيق. ومع أنه لا يعفي هينينج لوب من المسؤولية، فإن هيس لديه الآن

فهم أكبر لظروف موظف الحالة. في الغالب ما يكون الدافع وراء البلاغات مغايرًا تمامًا لمصلحة الأطفال.

بحلول الوقت الذي أنهى فيه هيس نحو أربعين ملف حالة من الأشهر الستة الماضية، وتطالب بالتدخل دون الكشف عن هوية المرسل، ازداد إحساسه بالملل. كانت مضيعة للوقت أكثر مما يتصور، حيث استغرق قرابة ساعتين، لأنه كان يضطر إلى التنقل بين ملفات الحالة لمقارنتها. والأسوأ من ذلك أن القاتل كان يمكن من حيث المبدأ أن يكتب معظمها. لم يستخدم أي شخص عبارات «عاهرة وأنانية» أو «يجب أن تعرف أكثر عن تلك المشكلات».

وضَّح أحد الموظفين أنه لا توجد حالات أخرى متطابقة مع المعايير التي قدَّمها هيس، لذلك عاد إلى استعراض الكومة المكدَّسة أمامه مجددًا. وعندما أنهى جولة الاستعراض الثانية للملفات، كان الظلام قد حلَّ خارج النوافذ المزيَّنة بالعَلم في مجلس المدينة. بالكاد كانت الساعة تشير إلى الرابعة والنصف، لكنْ أضاءت مصابيح الشوارع في «إتش سي أندرسن بوليفارد»، وتوهَّجت المصابيح المتناثرة بين الأشجار الداكنة والنحيلة على طول حدائق تيفولي. هذه المرة، اختار هيس، بصعوبة، سبعة تقارير، لكنه بعيد كل البعد عن التأكد من أن التقرير الصحيح موجود بينها. في جميع الحالات السبع، يحثُّ الواشي المجلس على إخراج طفل أو أكثر من أطفال المرأة. جميع الملفات مختلفة بشكل كبير. بعضها قصير، وبعضها الآخر طويل. وفي إحدى الحالات، ومع مزيد من التفكير، أدرك أن البريد الإلكتروني يجب أن يكون من أحد أفراد الأسرة، في حين يبدو أن رسالة أخرى من معلِّمة، لأنها تحتوي على معلومات داخلية من اجتماع عُقِدَ في نادي ما بعد المدرسة.

على أي حال، لم يستطع تخمين المُرسِل في التقارير الخمسة الأخرى. تجاهل أحدها لاستخدام لغة قديمة فيها، كما لو أنها مكتوبة من قبل أحد الجدَّيْن، والأخرى لأنها مليئة بالأخطاء الإملائية. تركه هذا أمام ثلاثة تقارير: امرأة من جامبيا اتهمها المرسل باستغلال أطفالها في عمالة الأطفال. وأم معاقة مُتهَمة بإهمال أطفالها لأنها تعيش على الدواء. وأم عاطلة من العمل مُتهَمة بممارسة الجنس مع طفلها.

حملت التقارير الثلاثة ادعاءات مُروِّعة. وصُعِقَ هيس لفكرة صحتها فيما لو كانت صادرة عن القاتل كما في حالتيْ لورا كيار وآن سيير لاسين.

سألت تولين وهي تدخل الغرفة مع حاسوبها المحمول من نوع «آيسر» تحت ذراعها: «هل توصَّلت إلى شيء؟».

- ليس تمامًا.

- لفت انتباهي ثلاثة تقارير: والدة من جامبيا، وأخرى معاقة، وثالثة عاطلة من العمل.

- نعم، ربما.

تفاجأ هيس بأن تولين اختارت الحالات نفسها التي لفتت انتباهه. في الواقع، بدأ بالتساؤل أكانت قادرة على حل القضية بشكل أفضل لو كانت بمفردها.

- أعتقد بأننا يجب أن نلقي نظرة فاحصة أكثر. ربما في جميع الحالات الثلاث.

نظرت تولين إليه بفارغ الصبر. وكان رأس هيس يؤلمه. بدا أن كل ما فعلوه دون جدوى، لكنه لا يستطيع فعل شيء آخر. حلَّ الظلام في الخارج، وهو يعلم أنه يتعين عليهما التوصل إلى قرار إذا كانا سينجزان أي شيء في ذلك اليوم.

تساءل هيس: «لا بدَّ أن القاتل خمَّن أننا سنتوصل في مرحلة ما إلى اكتشاف بلاغاته عن الضحايا، ألا تعتقدين ذلك؟».

- صحيح. وربما يكون ما نفعله جزءًا من هدفه. لكنه لا يستطيع معرفة مدى سرعة اكتشافنا إياها.

- من ثَمَّ، فإن القاتل يعرف أيضًا أننا في مرحلة ما سنقرأ البلاغين ضد لورا كيار وآن سيير لاسين، أليس كذلك؟

- علينا أن نتخذ خطوة أخرى. يمكننا الذهاب ومقابلة الجيران مجددًا.

لكنَّ هيس واصل محاولًا التمسك بسلسلة أفكاره.

«لذا، إذا كنتِ القاتل وكتبتِ أول رسالتيْن -وكنتِ تعلمين أننا سنجدهما ونشعر بذكاء كبير- كيف ستكتبين الرسالة الثالثة؟

عرف هيس أنها فهمته. حوَّلت نظرها تجاه الشاشة بين ذراعيها.

- بشكل عام، درجة سهولة القراءة ليست عالية. لكنْ إذا تلاعبنا بفكرة أنه يحاول حرفنا عمدًا عن المسار، فإننا أمام حالتين بارزتين. التقرير

الذي يحتوي على أخطاء إملائية، والتقرير الآخر المكتوب بلغة دنماركية قديمة.

سأل هيس: «أيهما أغبى؟».

مرَّرت تولين عينيها على الشاشة، وبحث هيس عن الملفين على الطاولة وقلَّبهما. في هذه المرة، عندما قرأ التقرير الغني بالأخطاء الإملائية، استيقظت غرائزه. ربما هذا هو خياله. وربما لا. وجَّهت تولين شاشتها نحو هيس وأومأت برأسها. إنه الشخص نفسه الذي اختاره. بلاغ عن جيسي كفيوم ذات الخمسة وعشرين عامًا. مقيمة في «أوربان بلان هاوسينج إستيت».

66

كانت جيسي كفيوم تسير مع ابنتها البالغة من العمر ست سنوات، عندما لمحها المعلم الباكستاني الشاب ذو العينين اللطيفتين، في الردهة قبل أن تنعطف عند الزاوية.

- جيسي، هل يمكنني التحدث معكِ لحظةً؟

حتى قبل أن تعتذر بحجة تأخرها هي وأوليفيا عن درس الرقص، استطاعت أن تدرك من وجهه الحازم أنها لن تستطيع الفرار. لطالما حاولت مراوغته -إنه ماهر جدًّا في وخز ضميرها- لكنْ عليها الآن محاولة شق طريقها للخروج. رفّت رمشيها بخفة، وأزاحت الشعر من على وجهها بأظفارها الطويلة المطلية حديثًا لتتمكن من رؤية مدى جمالها اليوم. كانت عند مصفف الشعر لمدة ساعتين. الباكستاني الوحيد في شارع «أماجر بوليفارد»، لكنه رخيص، ويقدمون خدمة الماكياج والعناية بالأظفار إذا انتظرتْ بعض الوقت، كما فعلتْ هي اليوم. كانت تنورتها الصفراء الجديدة ضيِّقة حول وركها. يبدو أنها اشترتها مؤخرًا من متجر «إتش آند إم» في المدينة لقاء 79 كرونة فقط – ويرجع السبب في ذلك إلى أنها قطعة ملابس صيفية رقيقة في آخر الموسم، وقد نجحت في إقناع البائع بالتخلي عنها لقاء هذا السعر. وهو ما لا يشكل فرقًا كبيرًا في غرضها من هذه التنورة.

لكنَّ ابتسامتها وحركة رموشها لم تكن نافعة مع المعلم. في البداية، اعتقدتْ أنها ستسمع محاضرة أخرى بشأن التأخُّر عن اصطحاب طفلتها حتى وقت قريب جدًّا من موعد إغلاق نادي ما بعد المدرسة في الخامسة؛ وكانت مستعدة بإجابة سريعة عن كيف لا يزال يُسمَح للأشخاص بالحصول على شيء ما مقابل ضرائبهم. على أي حال، سأل علي –ربما هذا هو اسمه– عن افتقار أوليفيا إلى الملابس والأحذية المناسبة للمطر والشتاء.

- حذاؤها جيد تمامًا، طبعًا، لكنها تقول إنها تشعر بالبرد عندما تبتل. وقد لا تكون أحذية عملية في الخريف.

نظر المعلم بصمت إلى حذاء أوليفيا المليء بالثقوب، وأحسَّ بأن كلمات جيسي تطلَّب منه إغلاق فمه. لا تمتلك 500 كرونة لشراء هذا النوع من الأشياء في الوقت الحالي. ولو كان لديها هذا المبلغ من المال، فإنها تفضِّل اصطحاب ابنتها بعيدًا عن الفصل الدراسي حيث يتكلم خمسون في المائة من الأطفال اللغة العربية، وينبغي الاستعانة بثلاثة مترجمين فوريين مختلفين لفهم كل كلمة تُقال في اجتماعات أولياء الأمور. لا يعني ذلك أنها تحضر تلك الاجتماعات، ولكنها سمعت ذلك.

من سوء الحظ، يوجد عدة معلمين آخرين في الجوار، لذلك اختارت جيسي الخطة البديلة.

- آه. لقد اشترينا ملابس الشتاء والمطر. لكننا نسيناها في كوخ العطلة، وسنتذكر جلبها في المرة القادمة.

لا صحَّة لهذا الكلام طبعًا. لا يمتلكان أي ملابس للشتاء أو أحذية للمطر، وبالتأكيد لا يوجد كوخ لقضاء العطلة. لكنَّ نصف زجاجة النبيذ الأبيض التي شربتها مجددًا في أوربان بلان قبل ارتداء ملابسها وقدومها ساعدتها على اختلاق القصة، كما هي الحال دائمًا.

- حسنًا، هذا جيد. وكيف تسير الأمور مع أوليفيا في المنزل؟

أحسَّت جيسي بعيون المعلمين العابرين وهي تشرح مدى سلاسة الأمور في المنزل. خفض علي صوته، وأعرب عن قلقه إزاء عدم تحقيق تحسُّن كبير في علاقة أوليفيا مع الأطفال الآخرين. يخشى أنها تفضِّل العزلة، واعتقد أنه من الجيد إجراء محادثة قصيرة أخرى قريبًا. سارعت جيسي إلى الموافقة بالود نفسه، كما لو أنه عرض عليهما رحلة إلى مدينة الملاهي مع دفع جميع النفقات.

جلست بعدئذٍ في سيارتها من نوع تويوتا أيجو الصغيرة، وارتدت ابنتها ملابس الرقص في المقعد الخلفي، ودخَّنت سيجارة من النافذة المفتوحة. أخبرت أوليفيا أن المعلم محق تمامًا في قوله، وأنها ستشتري لها قريبًا ملابس للشتاء والمطر.

- لكنْ من المهم أيضًا أن تلعبي أكثر مع الآخرين، اتفقنا؟

- قدمي تؤلمني.
- سيتوقف الألم عندما يصل إليهما الدفء. من المهم أن نذهب في كل مرة يا حبيبتي.

يقع استوديو الرقص في الطابق العلوي من «أماجر شوبينج سنتر»، وقد وصلا قبل دقيقتين من بداية الدرس. يتعيَّن عليهما صعود الدرج من موقف السيارات. طبعًا، تقف الأميرات الصغيرات الأخريات جميعًا على استعداد على الأرضية الخشبية المطلية بالورنيش بملابسهنَّ العصرية باهظة الثمن. كانت أوليفيا ترتدي فستانها الليلكي الذي اشترته من السوبر ماركت، وهو الفستان الذي ارتدته العام الماضي أيضًا. وبالرغم من مقاسه الضيِّق على الكتفين، فإنه لا يزال مناسبًا. خلعت جيسي معطف ابنتها، ورمته على الأرض، حيث حيَّتها المعلمة بابتسامة لطيفة. اصطفَّت جميع الأمهات على طول جدار واحد. شُغِلَتْ مجموعة منهنَّ في نقاش عميق عن الاستجمام، ورحلات الخريف إلى جزر كناريا، وعن أحوال أطفالهنَّ في المدرسة. حيَّتهنَّ جيسي بأدب وابتسمت لهنَّ رغم أنها تتمنى لو يذهبن جميعًا إلى الجحيم.

عندما بدأت الفتيات الرقص، نظرت بنفاد صبر حولها وهي تعدل تنورتها، لكنه لم يأتِ بعد. ووقفت لحظةً إلى جانب الأمهات، وشعرت بالإحباط. كانت متأكدة من قدومه، وحقيقة أنه غير موجود تجعلها غير متأكدة من العلاقة التي اعتقدت أنها تربطهما. إنها تشعر بالحرج في رفقة النساء الأخريات. ومع أنها خططت التزام الصمت، فإنها بدأت الثرثرة بعصبية.

- يا إلهي، ألا تبدو الأميرات الصغيرات جميلات اليوم. لا أصدق أنهنَّ يرقصن منذ عام فقط!

مع كل كلمة، كانت جيسي تشعر بغرقها أكثر في نظراتهنَّ المُشفِقة. ثم، أخيرًا، فُتِحَ الباب ودخل الاستوديو. أيضًا مع ابنته التي انطلقت إلى الأخريات وانضمَّت إلى الرقص. نظر إليها وإلى الأمهات، وأعطى إيماءة وديَّة وابتسامة، وشعرت أن قلبها قفز من صدرها. حركاته واثقة، وهو يهزُّ مفاتيح سيارة أودي التي أصبحت تعرفها جيدًا. وبينما راح يتبادل بضع كلمات مع الأمهات الأخريات اللواتي بدأن بالضحك، أدركت أنه لم ينظر إليها كما ينبغي. إنه يتجاهلها، في حين تقف إلى جانبه مثل كلبة مزعجة، وهذا ما دفعها إلى بدء حديث معه بحجة وجود أمر ما تودُّ مناقشته معه. شيء مهم عن «ثقافة الفصل الدراسي» في المدرسة - وهي كلمة التقطتها للتو من إحدى النساء

الأخريات. بدا متفاجئًا، لكنْ قبل أن يجيب، بدأت السير نحو المخرج. ألقت نظرة نحو الخلف، ولاحظت بارتياح أنه لم يستطع رفض دعوتها لمناقشة شيء مهم، وأنه مضطر إلى الاعتذار من الأمهات الأخريات ليتبعها.

عندما نزلت الدرج واندفعت من خلال الباب الثقيل إلى الممر أسفل الاستوديو، استطاعت سماع خطواته خلفها. توقفت وانتظرت، ولكنها أدركت غضبه بمجرَّد أن رأت وجهه.

– ما خطبكِ؟ ألا تفهمين أن ما بيننا انتهى؟ يجب أن تتركيني بسلام.

جذبته، حاول دفعها بعيدًا، لكنها تمسَّكت أكثر، وتحوَّلت مقاومته إلى أنين مكبوت. استدارت وانحنت إلى الأمام مستندة إلى سلة الأحذية. مدَّت يدها لتسحب تنورتها، لكنه وصل إليها أوّلًا، فمزَّق التنورة الصفراء الجديدة. لقد سمعت صوت تمزُّق القماش. وبعد أن شعرت به داخلها، دفعت وركيها نحو الخلف حتى لم يستطع تمالك نفسه. وانتهى في غضون ثوانٍ قليلة. وفي حالة تيبس، حاول لاهثًا التقاط أنفاسه. استدارت وقبَّلت شفتيه الميتتين، لكنه تراجع كما لو صعقته الكهرباء، ثم لطمها.

كانت جيسي شديدة الذهول لدرجة أنها لم تستطع الكلام. شعرت بالحرارة تنتشر على وجهها، وهو يرفع سرواله.

– هذه آخر مرة. لا أملك شعورًا تجاهك. لا شيء إطلاقًا، ولن أترك أسرتي أبدًا. هل فهمتِ ذلك؟

سمعت خطواته وصوت إغلاق الباب الثقيل. بقيتْ وحدها، وخدها يحترق. ما زالت تشعر بلمساته على جسدها، لكن الآن بطريقة تدفعها إلى الشعور بالخجل. وعلى لوح معدنيٍّ معلق على الحائط، شاهدت انعكاسًا مشوَّهًا لها. عدَّلت ملابسها، لكن التنورة ممزَّقة. كان الشقُّ واضحًا من الأمام، وعليها أن تزرِّر معطفها لإخفائه. مسحت دموعها، وسمعت الموسيقى البعيدة والسعيدة من الاستوديو فوق، واستجمعت قوتها. عادت جيسي في الطريق الذي جاءت منه، ولكنَّ باب الدرج مُوصَد في وجهها الآن. حاولت فتحه عبثًا. وعندما حاولت طلب المساعدة، لم تسمع سوى الصوت الخافت للموسيقى.

قرَّرت سلوك الطريق الآخر، من خلال ممر طويل تصطفُّ على جانبيه مواسير التدفئة، حيث لم تكن قد ذهبت إليه من قبل. لكنْ بعد ذلك بقليل يتفرَّع الممر، والاتجاه الأول الذي تختاره هو طريق مسدود. حاولت جيسي

فتح باب جديد: إنه مغلق أيضًا. تراجعت وسارت عائدة على طول ممر أنابيب التدفئة، لكنها لم تقطع عشرين ياردة قبل أن تسمع ضوضاء خلفها.

- مرحبًا؟ هل من أحد هنا؟

حاولت لحظةً أن تقول لنفسها إنه هو. لقد عاد للاعتذار، لكنَّ الصمت يخبرها بشيء آخر. مشت بارتباك. وسرعان ما بدأت في الركض. ممر يتبع الآخر، واعتقدت جيسي أنها تستطيع سماع خُطًا خلفها. لم تصرخ في هذه المرة. حاولت فتح كل باب مرَّت بجانبه. وعندما فتح أحد الأبواب أخيرًا، أسرعت إلى بئر السلَّم، وصعدت الدرج. اعتقدت أنها تستطيع سماع الباب وهو ينفتح في الأسفل. وعندما وصلت إلى سلسلة الأدراج التالية، دفعت الباب المؤدي إلى مركز التسوق الرئيسي بقوة لدرجة أنه أصدر صوتًا مدوِّيًا عند اصطدامه بالحائط.

صعدت جيسي كفيوم إلى الطابق العلوي حيث تتجول الأُسَر بعربات التسوُّق الخاصة بها على أنغام عروض الخريف. واستدارت لتواجه مدخل استوديو الرقص، فوجدت امرأة ورجلًا طويل القامة بكدمات في الوجه يستجوبون إحدى الأمهات التي أشارت صوبها.

67

لكنْ هل هي المطلوبة، أو لا؟

- لا نعرف. أحسَّت بأن أحدًا ما يلاحقها في مركز التسوُّق. والمشكلة هي أنها غير مهتمَّة بمساعدتنا. أو ربما لا تعرف أي شيء.

كانت تولين هي من أجاب عن تساؤل نيلاندر، بينما وقف هيس مُحدِّقًا إلى غرفة التحقيق من خلال المرآة أحادية الاتجاه. تكون مطلية من أحد جوانبها بحيث يستطيع رؤية جيسي كفيوم دون أن تتمكن هي من رؤيته. لم يستطع هيس أن يبتَّ في الأمر، لكنَّ حدسه يخبره أنها ربما تحتفظ بأحد الأسرار التي تهمُّ القاتل. على أي حال، هي مختلفة بوضوح عن الضحيتين السابقتين. يعتقد هيس أن لورا كيار وآن سيير لاسين كانتا من طبقة أكثر برجوازية واهتمامًا بالمظاهر، في حين تبدو جيسي كفيوم أكثر عدوانيَّة وعصيَّة على السيطرة. من ناحية أخرى، هذا بالضبط ما قد يجعلها هدفًا صارخًا. يمكنكَ تمييز جيسي من بين مئة امرأة أخرى، لِما فيها من جاذبية المرأة ورهبة الرجل. في الوقت الحالي، كانت الشابَّة تخوض جدالًا غاضبًا مع الضابط المسكين الذي يقف إلى جانب الباب، وتحاول جهدها اجتيازه. كان هيس ممتنًّا لأن مستوى صوت مكبِّر الصوت على الجدار كان منخفضًا إلى حدِّه الأدنى. كانت السماء سوداء في الخارج، وللحظة، أحسَّ هيس أنه من الأفضل أن يخفض صوت مكبِّر الصوت عند نيلاندر أيضًا.

- لكنْ إذا لم تستطع مساعدتنا، فربما أنتما تحققان مع المرأة الخطأ.

- ربما تكون منزعجة فقط. وفي هذه الحال، نحن في حاجة إلى مزيد من الوقت.

- مزيد من الوقت؟

أعاد نيلاندر كلمات تولين بنوع من الامتعاض، واستنادًا إلى خبرته مع رؤساء الشرطة، كان هيس على معرفة بما سيأتي بعد ذلك.

اتجهت تولين وهيس مباشرة من مجلس المدينة إلى أوربان بلان، حيث قرعا جرس باب جيسي كفيوم. كان الباب مفتوحًا، ولم تكن المرأة تجيب على هاتفها. لم يذكر ملف الحالة وجود أي أقارب، فقط عدد المتخصصين الاجتماعيين الذين كانوا على اتصال أسبوعي بها، كانت اتصالات تحقق من الأم وابنتها بالمعنى الحرفي للكلمة. أوضح المتخصص الاجتماعي من خلال الهاتف أنهم وافقوا على أن ترتاد الابنة دروس الرقص كل يوم جمعة في الساعة 5:15 مساءً. في الطابق العلوي من مركز أماجر للتسوق.

بمجرد العثور على جيسي كفيوم، تمكّنا من معرفة وجود خطب ما. قالت الشابة إنها شعرت بوجود شخص ما يلاحقها عندما نزلت لتضع قرص وقوف السيارات في سيارتها. سارعا إلى تفحُّص السلالم والممرات ومنطقة الطابق السفلي، لكنهما لم يجدا أي شيء مريب. لا توجد كاميرات مراقبة في الممرات، وكان موقف السيارات نفسه مزدحمًا جدًّا بالمُتسوقين في عطلة نهاية الأسبوع.

خلال مقابلتها في مركز الشرطة، أصبحت جيسي كفيوم عدوانيَّة بشكل متزايد. كانت تفوح منها رائحة النبيذ، وعندما طُلِبَ منها خلع معطفها لاحظوا أن تنورتها مُمزَّقة. قالت المرأة إنها علقت بباب السيارة، وطالبت بمعرفة سبب وجودها والتحقيق معها في مركز الشرطة. حاولوا شرح الموقف، لكنْ لم يكن لدى جيسي معلومات مفيدة. لم تشعر بأي شيء آخر سوى تعرُّضها للملاحقة. وبقدر قلقها، لم يكن ثمة شك في من أرسل بلاغًا مجهولًا بحقها إلى المجلس قبل شهرين، إذ اتُهِمَتْ بضرب أوليفيا وإهمالها.

- لا بدَّ أنها إحدى الفضوليَّات في المدرسة. دائمًا يصدرن أحكامًا سخيفة، لأنهنَّ خائفات جدًّا من أن تزوغ أعين أزواجهنَّ إلى غيرهنَّ. لكنها كانت عاجزة عن الكتابة بطريقة إملائية جيدة.

- لا نعتقد يا جيسي أن البلاغ صادر عن إحدى الأمهات في المدرسة. هل تشكّين في شخص آخر؟

لكنَّ جيسي كانت عنيدة في تكرار إفادتها. شعرتْ بالرضى أن المجلس صدَّق روايتها، بالرغم من انزعاجها الواضح من ظهورهم المتكرر كل ذلك الوقت.

- من المهم جدًّا أن تخبرينا بالحقيقة يا جيسي. هذا لمصلحتك. نحن لا نحاول اتهامكِ بأي شيء، لكنْ إذا صحَّت شكوكُنا، فقد يكون الشخص الذي وجَّه البريد الإلكتروني يسعى لإيذائك.

- من تخال نفسكَ؟

أصبحت جيسي كفيوم أكثر عدوانية. لا يحقُّ لأي شخص وصفها بالأم السيئة. لقد اعتنتْ بالفتاة بنفسها دون أي مساعدة من والدها الذي لم يدفع كرونة قطُّ في السنوات القليلة الماضية بحجة أنه كان في السجن في نيبورج بتهمة تعاطي المخدرات.

- إذا كان لديكما أي شك في كلامي، بإمكانكما سؤال أوليفيا!

لم يخطط هيس وتولين لفعل ذلك. كانت الفتاة الصغيرة بعمر ست سنوات، ولا تزال في ملابس الرقص، وتجلس في الكافتيريا مع مشروب غازي وبعض قطع الخبز المقرمش، تشاهد مقطع رسوم متحركة مع ضابطة اعتقادًا منها أن والدتها تجري فحصًا لسيارتها. كانت ملابسها رثَّة ومليئة بالثقوب، وربما كانت هزيلة وغير مُرتَّبة بعض الشيء، لكن كان من المستحيل تحديد أكانت الفتاة تتعرض لسوء المعاملة أم لا.

نظرًا إلى الظروف، لم يكن مُفاجِئًا أنها كانت هادئة. وسيبدو الأمر أشبه بالتنمُّر إذا ما بدآ طرح أسئلة ملحَّة حول طريقة أمها في معاملتها.

ومن غرفة التحقيق، سمعا جيسي كفيوم تطلق سيلًا من الشتائم وهي تخبر الحارس أنها تودُّ المغادرة فورًا. ولكن نيلاندر هدَّأها.

- لا نملك مزيدًا من الوقت. قلتما إن هذه هي الخطوة الصحيحة، لذا من الأفضل الآن الاستفادة منها أو اختيار اتجاه آخرَ.

قال هيس: «قد تجري الأمور بطريقة أكثر سرعة إذا تمكنَّا من إجراء المقابلات التي نعتقد أنها ضرورية فعلًا».

- أنت لا تشير إلى روزا هارتونج مجددًا؟

- أنا فقط أقول إنه لم يُسمَح لنا بالتحدث معها.

- كم مرة يجب أن أشرح الأمر لك؟

- لا أعلم. لقد توقفتُ عن العدِّ، لكنْ لا يبدو أن له أي تأثير.

- اسمعا! يوجد خيار آخر.

توقَّف هيس ونيلاندر عن المشاحنات، ونظرا إلى تولين.

- إذا اتفقنا أن جيسي كفيوم قد تكون الضحية المقصودة التالية، فكل ما علينا فعله من حيث المبدأ هو السماح لها بمواصلة حياتها، ونراقبها وننتظر ظهور القاتل.

حدق إليها نيلاندر، وهز رأسه.

- هذا مُحال. بعد وقوع جريمتيْ قتل، لن أُرسِل جيسي كفيوم إلى الشارع ونجلس في انتظار مختل عقليٍّ.

- أنا لا أتحدث عن جيسي كفيوم. أنا أتحدث عن نفسي.

حدَّق هيس بدهشة إلى تولين. لا يزيد طولها على خمسة أو ستة أقدام. مخلوق صغير وذكي تبدو كما لو أن هبَّة من الريح قد ترمي بها بعيدًا، لكنَّ النظر إلى عينيها يدفعكَ إلى الشك بمدى قوتك.

- أنا في طول جيسي كفيوم نفسه ولون شعرها، وبمثل قوامها تقريبًا. وإذا استطعنا العثور على دمية تشبه ابنتها، أعتقد بأننا قادرون على خداع القاتل.

حدق نيلاندر إليها باهتمام.

- متى تخططين للبدء؟

- في أقرب وقت ممكن. بحيث لا يبدأ القاتل في التساؤل عن مكانها. إذا كانت جيسي كفيوم هي الهدف، فهو يعرف روتينها. ما رأيك يا هيس؟

كان اقتراح تولين حلًّا بسيطًا. وهو في العادة يُؤيِّد الحلول البسيطة، لكنه لا يحب هذا. إنهم يجهلون الكثير من الأمور. حتى الآن كان القاتل متقدمًا عليهم بخطوة، ويعتقدون الآن أنهم يستطيعون قلب الطاولة؟

- دعونا نسأل جيسي كفيوم مرة أخرى. يمكن...

فُتِحَ الباب، وظهر تيم يانسن الذي لاحظ نظرة نيلاندر الغاضبة.

- ليس الآن، يانسن!

- الأمر عاجل. أو يمكنك تشغيل الأخبار.

- لماذا؟

اتجهت عينا يانسن إلى هيس.

- لأن شخصًا ما لم يبقِ فمه مغلقًا بشأن بصمة إصبع كريستين هارتونج. الخبر منتشر على جميع القنوات. إنهم يقولون ربما لم تُحل قضية هارتونج بعد كل شيء.

68

كانت أواني الطهو تفور على موقد الغاز الصغير في شقتها في فيستيربرو، وكانت تولين مضطرَّة إلى رفع صوت الأخبار لتعلو على صوت مروحة الشفط وجرس الباب.

- افتحي الباب للجد.
- افتحيه بنفسك.
- ساعديني أرجوكِ. أنا مشغولة بتحضير الطعام.

مشتْ لو على مضضٍ إلى الصالة الأمامية وفي يدها جهاز آي باد كالعادة دائمًا. دار جدال بينهما، لكنَّ تولين لا تمتلك الطاقة للتعامل مع الأمر الآن. لقد وضعتْ وسائل الإعلام يديْها فعلًا على المعلومات المعنيَّة ببصمات أصابع كريستين هارتونج على دميتيْ رجل الكستناء اللتين وُجِدَتَا بالقرب من جثتيْ لورا كيار وآن سيير لاسين. وبقدر ما استطاعت تولين فهمه من تصفُّحها السريع للأخبار خلال الإنترنت، جاء التقرير الأوَّل من إحدى الصحيفتين الشعبيَّتين الرئيسيَّتين في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، لكنَّ الصحيفة المنافسة استدركت الأمر سريعًا، وكان من الصعب بمكان معرفة أكانت قد استندت إلى مصدر منفصل، أم أعادت كتابة المقال الأول بكل بساطة. انتشر العنوان الصحفي –«مفاجأة من العيار الثقيل: هل لا تزال كريستين هارتونج حيَّة؟»– كالنار في الهشيم إلى كل منفذ إعلامي تقريبًا، وأشارت جميعها إلى الصحيفتين كمصدر للمحتوى. ووفقًا لـ «مصادر مجهولة من الشرطة»، ربما توجد صلة بين جريمتي القتل وقضية كريستين هارتونج بعد العثور على بصمات أصابع غامضة على دميتين لـ رجل الكستناء، ما يلقي بظلال الشك على حقيقة وفاة الفتاة. نسخة مختصرة من الحقيقة، بشكل أساسي، مع أن نيلاندر وغيره من كبار الضباط نفوا كل هذه التكهنات. كان هذا التطور

مثيرًا لدرجة أنه تحوَّل إلى الخبر الرئيسي لجميع القنوات. وبينما كادت تولين تنسى دهشتها الأولى عندما سمعت ببصمات الأصابع، فمن المؤكد أن تلك الذكرى قد عادت إليها الآن. طُرِحَتْ جميع أنواع النظريات والتخمينات، حتى إن إحدى الصحف على الإنترنت استخدمت «رجل الكستناء» للإشارة إلى القاتل. من الواضح أن هذا لم يكن سوى بداية سيل من التقارير الإخبارية. لقد فهمت تولين جيدًا سبب مغادرة نيلاندر السريعة للتركيز على الاجتماعات الاستراتيجية والتعامل مع الصحافة.

في هذا الوقت، كانت تولين تستعد لتطبيق خطتها في أوربان بلان. وافق نيلاندر على محاولتهما نصب كمين للقاتل، بالرغم من معارضة هيس إياها. أحسَّت جيسي كفيوم بإحباط شديد لدى معرفتها بأخبار منعها هي وابنتها من العودة إلى شقتهما، وباءت محاولاتها بالإخفاق. ستحصل على فرش الأسنان وغيرها من الضروريات، وستُضطَرُّ إلى قضاء بضع ليال تحت المراقبة الدقيقة في كابينة في فالبي قدَّمها المجلس للأُسَر ذات الدخل المنخفض. كانت جيسي كفيوم وابنتها على دراية بها فعلًا، بعد أن أمضت الاثنتان فيها إجازة لمدة أسبوع خلال الصيف.

كانت جيسي مستعدَّة للإجابة عن أسئلة بشأن روتين أعمالها اليومية. ومع تزايد تفصيل الأسئلة وإصرارها، أدركت مدى جدِّية الحديث عن التهديدات. أشرفت تولين على استجوابها مع هيس، واستوعبت جميع المعلومات حتى تعرف بالضبط كيف ستتصرف جيسي منذ لحظة وصولها إلى المجمع السكني في سيارتها التي كانت الشُّرطة تستخدمها أيضًا كجزء من العملية.

كانت تولين مستعدَّة للانطلاق إلى أوربان بلان فورًا، لكنِ اتضح أن روتين جيسي كان مختلفًا. في مساء كل يوم جمعة بعد دروس الرقص لابنتها، كان عليها أن تذهب مباشرة إلى اجتماع مدمني الكحول المجهولين في كريستيانشافن تورف الذي نصَّ المجلس على وجوب حضورها شخصيًّا بين الساعة 7 مساءً و9 مساءً إذا أرادت مواصلة تلقي الإعانة الأسرية كجزء من مدفوعات الرعاية الاجتماعية الخاصة بها. في العادة، تغفو ابنتها على كرسيٍّ في الممر حتى تنتهي جيسي وتعيدها إلى السيارة. لكنْ نظرًا إلى أن الوقت كان قد تجاوز السابعة فعلًا، كان القرار هو أن تبدأ تولين أداء دور جيسي كفيوم بمجرد مغادرة الأم العازبة الاجتماع.

وبينما قضت فرقة العمل وقائدها وقت الانتظار في دراسة مخططات الطوابق والطرق من أوربان بلان وإليها، أقلَّت تولين ابنتها لو من موعد لعبها مع رمضان، وعادت إلى المنزل لتحضير الباستا قبل وصول الجد لاصطحاب الصغيرة. لم تكن لو مسرورة بهذه الأخبار، لأن ذلك يعني أن تولين لن تمتلك الوقت لها في المساء لمساعدتها في الوصول إلى المستوى التالي في لعبة «صراع الأساطير» التي يبدو أنها كرَّست حياتها لها، وكان على تولين أن تعترف مجددًا بأنها قضت كثيرًا من الوقت بعيدًا عن المنزل.

- هيا تعالي، حان وقت الطعام! إن لم يكن الجد قد تناول عشاءه بعد، يمكنكما المجيء معًا.

خرجت ابنتها من الصالة الأمامية، وعلى وجهها تعابير المنتصر.

- إنه ليس الجد. إنه شخص ما من مكان عملكِ. وهو مصاب بكدمات في رأسه، وله عينان مختلفتا اللون. يقول إنه يودُّ أن يوضِّح لي كيفية الوصول إلى المستوى التالي.

69

لم تخطِّطْ تولين لإضاعة وقتها في تناول العشاء وحدها، لكنَّ ظهور هيس تحت المصباح في الصالة الأمامية غيَّر مجرى الأمور.

- أتيتُ مبكرًا لأنني تلقيتُ بعض الرسوم عن أوربان بلان والشقق. عليكِ اعتياد السرعة قبل أن نذهب.

وقبل أن تردَّ تولين، أطلَّت لو برأسها وقالت: «لكنْ عليكَ مساعدتي أولًا. ما اسمكَ؟».

- اسمي مارك. لكن، كما قلتُ لكِ، أخشى أنه ليس لديَّ الوقت لمساعدتكِ في اللعبة حاليًّا، ولكنني أحب ذلك في فرصة أخرى.

أضافت تولين بسرعة: «عليكِ أن تتناولي طعامك الآن يا لو».

- إذن، يستطيع مارك تناول الطعام معنا. هيا مارك، يمكنكَ شرح ذلك لي. لا يُسمَح لحبيب أمي أن يأكل معنا، لكنكَ لست حبيبها، لذلك فأنتَ تستطيع.

اختفت لو في المطبخ. بدا من الغريب جدًّا أن تتغلب على طفلتها، فتحرَّكت تولين جانبًا بتردُّد، ودعت هيس إلى الشقة.

وفي المطبخ، جلس هيس إلى جانب لو التي استبدلت بجهاز الآي باد حاسوبًا محمولًا، وأحضرت تولين ثلاثة أطباق. وبسحر وشهامة الأميرة، شغلت لو انتباه ضيفها. في البداية، قد يبدو ودُّها استعراض نكاية بـ تولين. لكنْ، بينما راح هيس يشرح المزيد عن اللعبة -لا يزال مصدر معرفته غامضًا- انغمست الفتاة بشكل متزايد مع نصائحه عن طريقة الوصول إلى الأرض الموعودة في المستوى السادس.

- هل تعرف بارك سو؟ إنه مشهور على مستوى العالم!

سأل هيس: «من يكون بارك سو؟».

سرعان ما وضعت لو ملصقًا وتمثالًا صغيرًا من البلاستيك للمراهق الكوري على الطاولة. بدأ الثلاثة في تناول الطعام، وتحوَّل الحديث إلى ألعاب أخرى لم تدرك تولين أن ابنتها قد سمعتْ بها، لكنِ اتضح أن هيس يعرف تلك اللعبة فقط، ولم يجرِّب أي لعبة أخرى. بالنسبة إلى ابنتها، كان الأمر أشبه بزيارة متمرِّن. عزَّزت معرفته من خلال تدفُّق سريع من الكلمات. وعندما استُنفِد الموضوع، جلبت القفص مع الببغاء- الذي سيمتلك قريبًا صديقًا له في اللعب، حتى يتمكَّنوا من إضافة المزيد من الأسماء إلى شجرة الأسرة.

- يمتلك رمضان خمسة عشر فردًا في شجرة أسرته. وأنا عندي ثلاثة فقط. خمسة، إذا حسبتَ الببغاء والهامستر. أمي لا تريد إضافة أحبائها، ولهذا السبب لم يعد لديَّ المزيد، وإلا لكان العدد أكبر بكثير.

في تلك اللحظة، تدخَّلت ترلين بحجة أن الوقت قد حان لبدء ابنتها العمل في المستوى 6. وبعد بضع نصائح أخرى من هيس، جلست لو أخيرًا على الأريكة وخاضت الحرب.

- إنها فتاة ذكية.

أومأت تولين برأسها باقتضاب، واستعدَّت لطرح الأسئلة المعتادة عن والد الفتاة وأسرتها والوضع العام التي لا تشعر برغبة في الدخول فيها. لكن بدلًا من ذلك، استدار هيس إلى سترته، ورفعها عن ظهر الكرسي، وأزال حزمة من الأوراق، ونشرها على الطاولة.

- ها نحن ذا. فلنلقِ نظرة سريعة عليها. دعينا نراجع الخطة.

كان هيس دقيقًا، واستمعت تولين بجدِّية وهي تتبع أصابعه على مخططات الأرضيات والسلالم والمناطق خارج المباني.

- سيكون المجمع السكني بكامله تحت المراقبة، لكنْ من على مسافة مناسبة طبعًا حتى لا نثير شكوك القاتل، إذا ظهر.

لم ينسَ هيس الإشارة إلى الدمية التي ستُلفُّ بلحاف لتتظاهر تولين بأنها تحمل طفلتها النائمة. لم يكن لدى تولين سوى بعض الملاحظات عن فريق المراقبة الذي تخشى أن يثير شكوك القاتل. لكنَّ هيس أصرَّ على ضرورة وجودهم.

- لا يمكننا المجازفة. إذا كانت جيسي كفيوم هي الضحية المقصودة التالية، فمن المحتمل أن يكون القاتل على دراية كبيرة بـ أوربان

بلان، وعلينا أن نكون في مكان الحادث لنتمكَّن من التدخل بسرعة. إذا وقع أي خطر، فأنت في حاجة إلى إخبارنا على الفور. ويمكنكِ دائمًا الانسحاب الآن، إذا كنتِ تفضلين أن يتولى شخص آخر المسؤولية.

- ولمَ قد أنسحب الآن؟

- لأن المسألة خطرة تمامًا.

نظرت تولين إلى العينين الزرقاء والخضراء، ولولا أنها تعرف هيس جيدًا لخمَّنت أنه قلق عليها.

- لا بأس. لا مشكلة لديَّ.

- هل هي من تحاول العثور عليها؟

غادرتْ لو الصالة الأمامية دون أن يلاحظا ذلك، ودخلت إلى المطبخ لشرب كأس من الماء. كانت تحدق إلى جهاز الآيباد الخاص بـ تولين، والمستند إلى الحائط على طاولة المطبخ ليُظهِر بداية بث إخباري آخر. كان الخبر الرئيسي هو قضية كريستين هارتونج التي راح المراسل يستذكر تفاصيلها الماضية والحالية.

- يجب ألا تشاهدي مثل هذه الأخبار. إنها ليست للأطفال.

نهضت تولين، وأسرعت إلى الشاشة وأطفأتها. وأوضحت لابنتها أنها ستُضطَرُّ إلى العمل حتى وقت متأخر. وعندما أصرَّت الفتاة على معرفة السبب قالت تولين إنهما يلاحقان شخصًا ما. لم تذكر أنهما كانا على إثر القاتل، لذلك افترضت لو أن المقصود هو كريستين هارتونج.

- ما الذي جرى لها؟

- لو! عودي إلى الداخل، واستمتعي بلعبتك.

- هل ماتت الفتاة؟

طرحت لو السؤال ببراءة واضحة كما لو أنها تسأل أما زالت توجد ديناصورات تعيش في جزيرة بورنهولم. ومع ذلك، فإن ما يكمن وراء الفضول هو القلق، ما جعل تولين تَعِدُ نفسها بأنها ستتذكر في المستقبل إيقاف أي قنوات إخبارية عندما تكون لو في الجوار.

- لا أعرف يا لو. أعني...

لم تعرف تولين ما تقول. توجد مزالق من كل جانب، بصرف النظر عن ردها.

سارعٍ هيس للإجابة بردٍّ ذكي أعاد السطوع إلى عيني الفتاة: «لا أحد يعرف حقًا. ربما تاهت. في بعض الأحيان، قد يضيع المرء ويعمل جاهدًا للعثور على طريقه إلى المنزل. ولكننا سنجدها إذا كانت تائهة».

- لم أضعْ قط. هل ضاع أطفالكَ من قبل؟

- ليس لديَّ أطفال.

- ولمَ لا؟

شاهدتْ تولين هيس يبتسم للفتاة، لكنه لم يقلْ شيئًا هذه المرة. ثم رنَّ جرس الباب في الصالة الأمامية، وانتهى الانتظار.

70

أوربان بلان مجمّع سكنيٌّ عامٌّ في غرب أماجر، على بعد ثلاثة كيلومترات فقط من مجلس المدينة ووسط كوبنهاجن. أُنشئتِ المباني في الستينيات لمواجهة النقص العام في الشقق، ولكن حدث خطأ ما. ولعدة سنوات في مطلع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، تراجعت المنطقة إلى قائمة الحكومة للأحياء اليهودية. لم يُصلِح المجلس المشكلات حتى الآن. وكما هي الحال في أودين، فإن وجود ضباط شرطة دنماركيين شاحبين يجذب الكثير من الاهتمام، حتى بملابسهم المدنية غير الرسمية. لذلك، استُعِينَ بضباط ذوي مظهر عرقيٍّ، من بين ذلك بعض المركبات في موقف السيارات المظلم على يسار الكتلة السكنية حيث تمركز هيس.

كانت الساعة تشير إلى الواحدة على الساعة الموضوعة فوق الفرن في شقة الطابق الأرضي الفارغة. كانت شقة شاغرة ومعروضة للبيع، فقررت الشرطة استخدامها للعملية. الأنوار مُطفأة. ومن نافذة المطبخ الصغير، استطاع هيس أن يرى بوضوح من خلال العقار المظلم بأشجاره العارية تقريبًا، ومنطقة اللعب والمقاعد، إلى المدخل المضيء الذي يُؤدِّي إلى السلالم والمصعد في المبنى الذي تسكنه جيسي كفيوم. ومع أن فرق المراقبة مُتأهِّبة في المكان المناسب، فإن هيس كان يحسُّ بالتوتر. توجد أربع نقاط وصول إلى مبنى جيسي، كل واحدة منها في اتجاه. وجميعها على مرأى منه أو من الضباط المتمركزين حول المبنى، ليتمكنوا من مراقبة الأشخاص القادمين والذاهبين باستمرار. نُشِرَ القناصة على الأسطح. وهم يتمتعون بالمهارة الكافية لإصابة كرونة واحدة من على بعد مائتي ياردة. وعلى بُعد دقيقتين فقط، تستعدُّ الحافلة التي تحمل فرقة العمل للتدخل فور استدعائهم من خلال جهاز الاتصال اللاسلكي. ومع ذلك، أحسَّ هيس أن ذلك ليس كافيًا.

وصلت تولين دون عوائق. تعرَّف هيس سيارةَ تويوتا أيجو الصغيرة في الحال عندما انحرفت عن الطريق ودخلت في موقف السيارات، حيث كانت مُتوقِّفة في الممر المُتفَق عليه الذي أخلته قبل لحظات بواسطة سيارة شرطة لا تحمل أي علامات.

كانت تولين ترتدي قبعة جيسي كفيوم وملابسها ومعطفها؛ استبدلت بتنورتها فقط تنورةً صفراءَ مماثلةً، ولم يكن ثمة ما يشير إلى أنها لم تكن المرأة التي كانت تتظاهر بها. أخرجت تولين الدمية في لحافها من المقعد الخلفي، وأغلقت باب السيارة بقوة -أسندت نفسها هي والطفلة إلى باب السيارة- ثم اتجهت نحو المدخل، وهي تحمل الفتاة كما لو أن جيسي كفيوم غاضبة قليلًا. تتبَّعها هيس حتى اختفت في بئر السلم، حيث أضيء مصباح. ما لم يتوقعوه هو أن المصعد كان مُستخدَمًا، واستغرق ظهوره وقتًا طويلًا. لكن، من حسن الحظ، صعدت تولين السلم ببساطة إلى الطابق الثالث، وهي تدَّعي ثقل الطفلة في كل مرة تقف فيها على الدرج.

مرَّ بها بعض السكان الآخرين في الاتجاه المعاكس، ولكنهم لم يلاحظوا أي شيء. واختفت في النهاية عن الأنظار، وحبس هيس أنفاسه حتى أضيء المصباح في الشقة ذات الشرفة الصغيرة.

مرت ثلاث ساعات حتى الآن، ولم يحدث شيء. في وقت سابق من المساء، كان الحيُّ مزدحمًا -كان الناس عائدين إلى منازلهم في وقت متأخر من العمل، أو يفكرون في الشؤون العالمية في حين تدور الأوراق حول رؤوسهم- وفي المبنى الموجود على اليمين، بدأ حفل صغير في غُرف القبو. انجرف صوت موسيقى السيتار الهندية بين المباني لعدة ساعات، لكنَّ الحفلة تلاشت تدريجيًّا، وانطفأ عدد أكبر من المصابيح في الشقق. أصبح الوقت متأخرًا.

كان المصباح في شقة جيسي كفيوم مضاءً، لكن هيس عَرَفَ بأنه سينطفئ قريبًا. كان ذلك جزءًا من روتين جيسي للذهاب إلى الفراش في هذا الوقت، على الأقل في المناسبات النادرة عندما تبقى في المنزل في ليالي الجمعة.

- 11 - 7 يتكلم. هل أخبرتكم قصة الراهبة والضباط السبعة الصغار من اليوروبول، حوِّل.

- لا. اروِها لنا إذا يا 11 - 7. نحن نسمع.

كان تيم يانسن وهو يسلّي زملاءه من خلال جهاز الاتصال اللاسلكي في محاولة خفيَّة لإحراج هيس. لا يستطيع هيس رؤيته من موقعه بجوار نافذة المطبخ، لكنه يعلم أنه يجلس في سيارة ليست بعيدة عن المدخل إلى الغرب، مع أحد الضباط الأصغر سنًّا من الأقليات العرقية. ومع أنه لا يوافق على إطلاق الفكاهات من خلال جهاز الاتصال اللاسلكي، لكنه لم يعترض. في اجتماع الفريق في مركز الشرطة، وقبل أن يذهب هيس لرؤية تولين، كان يانسن قد أعرب فعلًا عن شكوكه بشأن العملية، لأن هيس لم يكن قادرًا على تأكيد الخطر المُحدِّق بـ جيسي كفيوم. كان من الواضح أنه يشتبه في أن هيس هو الشخص الذي سرَّب الخبر للصحافة، وأن هذا النوع من الأشياء لن يمر دون عقاب. لعدة أيام، شعر هيس بعينيْ يانسن على مؤخرة رقبته كلما كان في مركز الشرطة. لكن بعد الانفجار الإعلامي في وقت سابق من تلك الليلة، كان العديد من الزملاء الآخرين يطلقون عليه الآن نظرةً مشتبهًا فيها. كان الأمر سخيفًا تمامًا. عندما بدأت الصحافة في نبش أخبار قضايا القتل، نادرًا ما كان ذلك يبشر بالخير. لذلك اعتاد هيس إبقاء الصحفيين بعيدًا عن الأنظار. في الواقع، كان تسريب الخبر أمرًا مزعجًا بالنسبة إليه – في حال وجود أي تسريب أصلًا. من الواضح أن القاتل كان على علم ببصمات الأصابع، وخطر على بال هيس أنه ربما يكون مستمتعًا بمشاهدة القسم يتحول إلى أضحوكة أمام العامة. وذكَّر نفسه بأنهم ما زالوا في حاجة إلى التحقيق في مصادر الصحف. وصل إلى جهاز الاتصال اللاسلكي عندما بدأ يانسن يروي فكاهة أخرى.

- 11-7، أرجو أن يقتصر استخدام جهاز الاتصال اللاسلكي للمسائل المعنيَّة بالعملية فقط.

- وإلا ماذا يا 7-3؟ أستتصل بالصحافة؟

سُمِعَتْ أصوات ضحك متناثرة، حتى تدخل قائد فرقة العمل وأمر بالتزام الصمت. خرج هيس من النافذة.

انطفأ المصباح في شقة جيسي كفيوم.

71

ظلَّت تولين بعيدة عن النوافذ الكبيرة المظلمة، لكنها حرصت على إحداث بعض الأصوات من غرفة إلى أخرى ليعلم القاتل أنها –أو بالأحرى جيسي كفيوم– في المنزل. على افتراض وجود القاتل طبعًا، وأنه يشاهد ما يجري.

كانت المسرحية الصغيرة في موقف السيارات ناجحة. كانت الدُّمية مناسبة تمامًا، وكان معظم الشَّعر الصناعي الأسود مخفيًّا تحت اللحاف. كانت مشكلة المصعد عقبة، لكنها حكمت على أن جيسي كفيوم كانت قليلة الصبر لدرجة أنها ستُفضِّل صعود السلالم بدلًا من الانتظار. وفي الطريق، مرَّت بزوجين شابَّيْن، لكنهما بالكاد ألقيا إليها نظرة سريعة. وفتحت الشقة بمفتاح جيسي، ثم أغلقتها بمجرد دخولها إلى الصالة.

مع أن تولين لم تكن في الشقة من قبل، فإنها كانت على دراية بتصميمها. وقد حملت الدُّمية مباشرة إلى غرفة النوم، حيث وضعتها على السرير. تضمَّنت الغرفة سريرين لها ولابنتها. كانت النوافذ مغطاة بالستائر، وتطل على كتلة خرسانية أخرى. كانت تعلم أن هيس موجود في مكان ما وراء النوافذ المظلمة في الطابق الأرضي، لكنها لم تكن متأكدة مَن الذي قد يكون قادرًا على الرؤية من الطوابق العليا، لذلك خلعت ملابس الدمية ووضعتها في الملاءات كما لو كانت تضع لو في سريرها. صدمتها كمفارقة أنها كانت تقول ليلة سعيدة لدمية بصفتها ضابطة، بدلًا من أن تكون ابنتها، ولكن الآن لم يكن الوقت المناسب لأفكار من هذا النوع. بعد ذلك، دخلت الغرفة الأمامية، وشغَّلت شاشة التلفزيون المسطحة متتبعة روتين جيسي، قبل أن تستقر على كرسيٍّ بذراعين، وظهرها إلى النافذة، وهي تتفحَّص الشقة.

آخر شخص كان بداخلها هو جيسي كفيوم نفسها. ومن الواضح أنها لم تكلِّف نفسها عناء الترتيب. كان المكان في حالة من الفوضى. العشرات من زجاجات النبيذ الفارغة، والأطباق المغطَّاة بالطعام، وعلب البيتزا والأطباق

المتسخة. لم تجد كثيرًا من الألعاب. مع أنها لم تكن متأكدة من أن جيسي كفيوم كانت تتجاهل طفلتها فعلًا، فإنه لا يبدو مكانًا جيدًا للتربية. وهذا ما ذكر تولين بطفولتها. ولما لم تكن تشعر بالرغبة في التفكير في ذلك، ركَّزت على الشاشة المسطحة.

كانت قضية كريستين هارتونج ما زالت أولويَّة، وقد أُعيدَت صياغة كل الأحداث كما لو أنها لم تُحَلَّ بعد. أشارت الأخبار إلى أن روزا هارتونج رفضتِ الإدلاء ببيان، وشعرت تولين بالأسف على الوزيرة وأسرتها، لأنها واجهت مرة أخرى ماضيًا أرادوا تركه وراءهم. وهنا، وصلت الأحداث إلى ذُروتها:

«تابعونا بعد لحظات، عندما يكون ستين هارتونج –والد كريستين هارتونج– ضيفًا معنا على أخبار المساء».

ظهر ستين هارتونج ضيفًا في آخر بث إخباري مسائي. وفي مقابلة مطوَّلة، أوضح ستين اعتقاده أن ابنته ربما لا تزال حية في مكان ما. وناشد الناس بتزويد الشرطة بأي معلومات. ووجَّه نداءً مباشرًا إلى «الشخص الذي اختطف كريستين»، وناشده لإعادتها دون أن يصيبها بأي أذى.

- نحن نفتقدها... ما زالت طفلة، وهي في حاجة إلى أبيها وأمها.

فهمت تولين سبب فعله ذلك، لكنها لم تكن متأكدة من أثر ذلك في التحقيق. جرت مقابلة لوزير العدل ونيلاندر اللذين قبلا التحدي، ونأيا بأنفسهما عن كل هذه التكهنات. ظهر نيلاندر، على وجه الخصوص، صلبًا وغاضبًا من وسائل الإعلام. لكنه تحدث باستمتاع دفعها إلى الشك بأنه كان يستمتع بهذا الاهتمام. ووسط كل ذلك، تلقَّت تولين رسالة نصيَّة من جينز يسألها فيها عما يجري، وأن الصحفيين بدأوا في الاتصال به. ردَّت بأنه من المهم ألا يدلي بأي تصريح. قال مازحًا إنه وعد بعدم فعل ذلك إذا وافقت على الركض لمسافة خمسة عشر كيلومترًا معه في صباح اليوم التالي، لكنها لم تردَّ على هذا السؤال.

انتهى هذا الصخب الإعلامي في منتصف الليل تقريبًا، تلته إعادة إذاعة مملَّة للعديد من البرامج التلفزيونية. التفاؤل والتوتر الذي شعرت به في أثناء قيادتها للسيارة من كريستيانشافن فَسَحَ المجال للشك بالتسلل تدريجيًّا. إلى أي مدى يمكن أن يكونا متأكديْن من أن جيسي كفيوم هي الشخص الصحيح؟ إلى أي مدى يمكن أن يكونا متأكدين من أن القاتل سيحاول شيئًا ما؟ عندما سمعت أن تيم يانسن بدأ بقتل الوقت بنكات سخيفة خلال جهاز الاتصال

اللاسلكي، فهمت ذلك جزئيًا. الرجل أحمق طبعًا، لكنَّ وقوعهما في خطأ هنا، سيجعلهما متأخريْن في التحقيق. تحقَّقت تولين من الوقت على هاتفها، ثم نهضتْ لإطفاء النور في الغرفة الأمامية كما هو مُتفَق عليه. وقبل أن تجلس، اتصل بها هيس.

- هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم.

أحسَّت بأنه أصبح أكثر ارتياحًا. تحدَّثا قليلًا عن الموقف. ومع أنه لم يقل ذلك، فإنها تعرف أنه في حالة تأهُّب قصوى. أكثر منها على الأقل.

قالت له: «لا تُعِرْ يانسن اهتمامك».

- شكرًا. أنا لا أهتمُّ به.

- لطالما كان يتحدث بتفاخر عن دوره في قضية هارتونج. وعندما بدأتَ أنتَ -والآن الصحافة- التشكيك في التحقيق، بدا الأمر كما لو أنكَ أطلقت النار عليه ببندقية.

- يبدو أنكِ تتخيلين فعل ذلك بنفسكِ.

ابتسمتْ تولين، وأوشكت أن تردَّ عليه، عندما تغير صوت هيس.

- يوجد شيء ما، انتقلي إلى جهاز اللاسلكي.

- ما الذي يجري؟

- افعلي ذلك، الآن.

قُطِعَ الاتصال.

عندما تركت تولين هاتفها، أدركت فجأة مدى وحدتها.

72

تسمَّر هيس متصلِّبًا عند النافذة. كان يعلم أن أحدًا لا يستطيع رؤيته من الخارج، ومع ذلك لم يتحرَّك. على بعد نحو مائة ياردة، عند المدخل في نهاية الكتلة الخرسانية لشقة كفيوم، رأى للتوّ زوجيْن شابَّيْن مع حقيبة حمل للأطفال، وهما يفتحان باب غرفة الدراجات في الطابق السفلي، ويختفيان في الداخل. تأرجح الباب الهيدروليكي ببطء شديد وأُغلِق خلفهما، ولاحظ هيس حركة في ظل المبنى المجاور. لثانية، اعتقد أن الرياح ربما حرَّكت الأشجار، لكنه لاحظ الحركة مجددًا. خيال شخص ما ركض واختفى في الداخل قبل أن يُغلَق الباب مباشرة. التقط هيس جهاز الاتصال اللاسلكي، وقال:

- ربما وصل ضيفنا. الباب على الجانب الشرقي، حوِّل.

- رأينا ذلك، حوِّل.

كان هيس يعرف ما يوجد خلف الباب، مع أنه لم يكن موجودًا هناك قطُّ. يؤدي المدخل إلى غرفة تخزين الدراجات في الطابق السفلي، ومن هناك أسفل المبنى وحتى السلالم والمصعد، ما يتيح الوصول إلى الطوابق العُليا.

غادر الشقة في الطابق الأرضي وصعد إلى بئر السلم وأغلق الباب خلفه. وبدلًا من التوجُّه إلى المخرج الرئيسي والمساحة المفتوحة بالخارج، صعد الدرج إلى الطابق السفلي. ترك الأنوار مطفأة، لكنَّه يحمل مصباحه اليدويَّ. عند الوصول إلى الطابق السفلي، عرف من تدريباته الطريق الذي يجب أن يسلكه. رفع المصباح أمامه، وركض في الممر المؤدي تحت المنطقة إلى الخارج وداخل المبنى حيث شقة جيبسي. كانت المسافة نحو خمسين ياردة. وبينما اقترب من الباب المعدني الثقيل لمبنى شقة كفيوم، سمع من خلال جهاز الاتصال اللاسلكي أن المصعد يستخدمه الزوجان مع حقيبة حمل الأطفال.

- لا بدَّ أن الشخص مجهول الهوية على الدرج، ولكنه لم يُشغِّل المصباح، لذلك لا يمكننا التأكد. حوِّل.

أجاب هيس: «نحن نجري بحثًا من الأسفل إلى الأعلى، وسنبدأ الآن».

- لكننا لا نعرف حتى ما إذا...

- سنبدأ الآن. لا مزيد من الكلام.

أوقف هيس تشغيل جهاز الاتصال اللاسلكيّ. يوجد شيء خاطئ. لا بدَّ أن الشخص قد وصل سيرًا على الأقدام فوق العشب غير المضاء، وهو ما لم يفكر فيه قطُّ. خطر على بال هيس أنه لن يتفاجأ إذا دخل القاتل من خلال إنزال نفسه من السطح، أو القفز من غطاء فتحة التفتيش. أي شيء ما عدا البهو الرئيسي. حرَّر زرَّ أمان بندقيته، وبحلول الوقت الذي انزلق فيه الباب المعدني خلفه، كان قد وصل فعلًا إلى أول بسطة درج.

73

نظرتْ تولين من النافذة. مرَّت ثماني دقائق أو تسع منذ أن أُعلِن وصول الضيف. لم تستطع رؤية أي شيء في الفناء الأمامي، وصُعِقَتْ لمدى الصمت المطبق على المجمَّع السكنيِّ. توقَّف صوت الموسيقى. يمكنها فقط سماع صوت الريح. لم تعترض على البقاء في الشقة عندما اتفقوا على تفاصيل العملية، لكنِ الآن يبدو أنها فكرة غبية. لم تكن قطُّ جيدة في الانتظار. بالإضافة إلى أنه لا يوجد باب خلفي للشقة- لا مكان للفرار عند الضرورة. لذلك، عندما سمعت طرقًا على الباب في الصالة الأمامية، شعرت بالارتياح. لا بدَّ أنه هيس أو أحد الضباط الآخرين وقد جاء لمساعدتها.

ومع ذلك، نظرت من خلال عدسة الباب، فوجدتِ الممرَّ مظلمًا ومقفرًا. لم ترَ أحدًا، سوى خزانة إطفاء الحريق في التجويف مقابل الباب. تساءلت لحظةً أكانت قد أخطأت السمع. ولكنها سمعت طرقة أخرى. حرَّرت زرَّ الأمان في سلاحها، واستعدَّت. جهَّزت سلاحها، ودوَّرتِ المزلاج إلى اليسار، وخرجت إلى الممر وبندقيتها جاهزة للإطلاق.

كانت بعض مفاتيح الكهرباء تتوهَّج بخفوت، لكنها لم تلمسها. كان الظلام أشبه بحماية لها. يبدو أن جميع أبواب الشقق مُغلَقة على طول الممر الواسع ذي الأرضية المشمَّعة. وعندما اعتادت عيناها الإضاءة المنخفضة، استطاعت رؤية كل الطريق إلى الجدار البعيد على اليسار. نظرت في الاتجاه الآخر، نحو الدرج والمصعد إلى اليمين، لكنها لم ترَ أي أحد. لا أحد في الممر.

من داخل الشقة، سمعت صوت طقطقة فوق جهاز الاتصال اللاسلكي. شخص ما ينادي اسمها بفارغ الصبر، وبدأت في التراجع نحو الباب. وبمجرد أن أدارت ظهرها إلى الممر، اندفع شخص ما خارج التجويف إلى جانب خزانة الإطفاء. كان جاثمًا متكوِّمًا على ذاته في انتظار تلك اللحظة

بالضبط. وشعرت بثقله يقذفها من خلال المدخل، لتسقط على الأرض. التفّت يدان باردتان حول حلقها، وسمعت صوتًا هامسًا في أذنها يقول:

- أيتها الفاسقة اللعينة. أعطني الصور وإلا سأقتلك.

وقبل أن يتفوّه الرجل بكلمة أخرى، كسرت تولين أنفه بضربتين سريعتين من مرفقها. ولثانية، جلس الرجل مذهولًا في الظلام. بالكاد يعرف ما الذي أصابه، قبل أن تضربه تولين للمرة الثالثة، وينهار على الأرض.

74

عندما وصل هيس إلى شقة كفيوم، كان الباب مفتوحًا. وبينما اندفع إلى الداخل مع ضابطين خلفه، استطاع سماع الرجل وهو يصرخ من الألم. ضغط مفتاح الإنارة. كانت الشقة خرابًا. وعلى الأرض، وسط الغسيل وعلب البيتزا، رقد رجل وأنفه ملطَّخ بالدماء، وكلتا ذراعيه ملتويتان خلف ظهره. جلست تولين فوقه، وأمسكت معصميه بين لوحيْ كتفه بإحدى يديها، في حين شُغِلَتِ الأخرى في تفتيشه.

- ما الذي تفعلينه؟ اتركيني أيتها الحقيرة!

عندما انتهت، سحب الضابطان الرجل لينهض على قدميه، ويداه خلف ظهره، ما جعله يصرخ بصوتٍ أعلى. كان في الأربعين من عمره تقريبًا. رجل بعضلات، يشبه بائعًا من النوع ذي الشعر المملَّس إلى الخلف، وخاتم زواج. لم يكن يرتدي سوى قميص وبنطال رياضي تحت معطفه، كما لو أنه خرج للتو من السرير. أنفه ملتوٍ ومنتفخ، وقد امتلأ وجهه بالدماء بسبب دحرجته على الأرض.

- نيكولاي مولر. مانتوافي 76، كوبنهاجن.

قرأت تولين هذه البيانات بصوتٍ عالٍ من بطاقة التأمين الصحي للرجل التي كانت موجودة بين بطاقات الائتمان والصور الأسرية في المحفظة بجيبه الداخلي، فضلًا عن هاتف محمول، ومفتاح سيارة عليه شعار «أودي».

- ما الذي يجري هنا؟ أنا لم أفعل شيئًا!

- ما الذي تفعله أنت هنا؟ سألتكَ عما تفعل هنا؟

تقدَّمت تولين مباشرة إلى الرجل، ودفعت وجهه الملطخ بالدماء إلى أعلى لتتمكن من رؤية عينيه. لا يزال يشعر بالصدمة، ومن الواضح أنه مدهوش لرؤية امرأة غريبة ترتدي زِيَّ جيسي كفيوم.

- أردتُ فقط التحدث إلى جيسي. لقد راسلتني لتقول إن عليَّ القدوم!

- هذا كذب. ما الذي تفعله هنا؟

- لم أفعلْ أي شيء! هي التي تستغلني.

- أرني الرسالة النصية. فورًا.

أخذ هيس الهاتف من تولين، وأعطاه الرجلَ. سمح له الضابطان بالذهاب، وبدأ بأصابعه الملطخة بالدماء، وهو يبكي، إدخال كلمة المرور لفكِّ قفل شاشة هاتفه.

استعجله هيس بقلة صبر وقال: «هيا، أسرع!» كان يعلم غريزيًّا أن هذا هو الرد على شكوكه، لكنه لم يعلم كيف، ولماذا.

- أرني الرسالة، هيا!

خطف هيس الهاتف من يد الرجل قبل أن يتمكن من إعادته، وحدق إلى الشاشة. لا يوجد رقم للمرسِل. كان الاسم فقط «مجهول» – وكانت الرسالة قصيرة ولطيفة، جاء فيها:

«احضر فورًا، وإلا سأرسلُ الصور إلى زوجتك».

شاهد هيس صورة مُرفَقة بالرسالة النصية، ونقر الشاشة لتقريبها. التِقطَتِ الصورة من على بعد أربع ياردات أو خمس، وقد تعرَّف هيس صناديقَ أحذية الشتاء من الممر أسفل استوديو الرقص في مركز التسوق حيث عثرا على جيسي كفيوم. يوجد شخصان قريبان جدًّا من بعضهما، ومن الواضح ما يفعلانه. في الأمام، كانت جيسي كفيوم ترتدي الملابس نفسها التي ترتديها تولين الآن، وخلفها نيكولاي مولر، وبنطاله عند كعبيه.

انفجرت آلاف الأفكار في عقل هيس، وقال: «متى تلقيتَ هذه الرسالة النصية؟».

- دعني أذهب. لم أفعل شيئًا!

- متى؟!

- منذ نصف ساعة. ما الذي يجري الآن؟

حدق هيس لحظةً إلى الرجل، وأطلق قبضته نحو الباب.

75

كانت «هاموك جاردنز» في فالبي تضمُّ أكثر من مائة قطعة أرض ومقصورة، ومغلقة لفصل الشتاء. في فصل الصيف، تُعتبَر واحدة من أكثر الوجهات حيوية في المدينة. لكنْ عندما يأتي الخريف، تُغلَق المنازل الخشبية الصغيرة والحدائق، وتبقى على حالها حتى الربيع المقبل. ينبعث ضوء من مقصورة واحدة فقط في قلب الحدائق المظلمة. إنها المقصورة التابعة لمجلس كوبنهاجن.

كانت جيسي كفيوم لا تزال مستيقظة حتى وقت متأخر. وفي الخارج، كانت الرياح تعبث بالأشجار والشجيرات، وكادت في عدَّة مرَّات تمزِّق سقف المقصورة الصغيرة المكوَّنة من غرفتين. رائحة المنزل مختلفة عنها في الصيف. ومن السرير في الغرفة المظلمة حيث تستلقي مع ابنتها الصغيرة النائمة، استطاعت جيسي أن ترى الضوء من الغرفة الرئيسية من خلال الشقِّ أسفل الباب. لم تستوعب بعد سبب وجود ضابطيْ شرطة في الجانب الآخر لحمايتها هي وأوليفيا. لطمت جيسي خد ابنتها. نادرًا ما تفعل ذلك. ومع أنها أوشكت أن تبكي، وعلى الرغم من إدراكها في لحظة تجلٍّ أن ابنتها هي الشيء الوحيد ذو المعنى في حياتها القذرة بأكملها، فإنها تدرك أيضًا أنها مُضطرَّة إلى التخلي عنها إذا كان هذا الأمر في مصلحتها.

كانت أحداث اليوم دراماتيكيَّة. أولًا مع نيكولاي الذي أهانها في مركز التسوُّق. ثم هروبها من خلال الممرات، واستجوابها في مركز الشرطة، ومن ثم إحضارها إلى هذه الحدائق المهجورة. بالرغم من إصرار جيسي على براءتها، فإنها تأثرت بالاتهامات التي سمعتها خلال التحقيق. الاتهامات بأنها ضربت ابنتها وأهملتها، كما زعم صاحب البلاغ المجهول في المجلس. أو ربما لم تكن الاتهامات هي التي أثَّرت فيها. لقد سمعتْ مثل هذه الاتهامات من قبل، طبعًا. ما صدمها كانت الجدِّية التي رافقت تلك الاتهامات. كان المحققان مختلفين

كثيرًا عن موظفي المجلس. بدا الأمر كما لو أنهما يعرفان ما حصل. أصابتها نوبة، فأخذت بالصراخ بالطريقة التي تخيَّلت أن أي أمٍّ مظلومة ستفعلها. لكنْ مهما كذبت، لم يصدقاها. ومع أنها لا تفهم سبب وجوب إبقائها هي وابنتها تحت الحراسة في كوخ رطب وبارد، فإنها تعلم أنها مخطئة. كما كانت في كثير من المناسبات.

بمجرد أن أصبحتا وحيدتين في غرفة النوم، اعتقدت جيسي في البداية أنها تستطيع استجماع قوتها. وأن تتغير بين عشيَّة وضحاها. أن تتوقف عن الحفلات والشرب، وتتوقف عن إهانة نفسها في محاولة أبدية لجعل شخص ما يلتقَّف الطُّعم، لتشعر بالحبِّ مجددًا. حذفت فعلًا معلومات نيكولاي من هاتفها، لذا لن ينتهي بها الأمر إلى الاتصال به مجددًا. لكنْ هل تستمر؟ ألن يكون هناك آخرون؟ كان قبله آخرون، والآن أصبحت حياتها الرديئة حياة أوليفيا أيضًا، وتُرِكَتْ للتعامل مع كل هذه الأشياء. مع الأيام الطويلة في المؤسسات، ومع العزلة في الملاعب، ومع أمسيات مجنونة في الحانات، وحتى الصباح مع الغرباء الذين تجرُّهم جيسي إلى المنزل لتسمح لهم بفعل ما يحلو لهم، أملًا بأن يضيفوا القليل من الحلاوة إلى حياتها. كرهت ابنتها وضربتها. في بعض الأحيان، كان بدل إعانة الطفل من المجلس فقط ما يمنعها عن التخلي عن أوليفيا.

على أي حال، وبصرف النظر عن مدى ندمها، وبصرف النظر عن مدى رغبتها في تغيير الأمور، تعلم جيسي أيضًا أنها لن تستطيع الحياة بمفردها.

انزلقت بحذر شديد من تحت اللحاف حتى لا توقظ أوليفيا. أحسَّت ببرودة الأرضية تحت قدميها الحافيتين، لكنها استغرقت وقتها لتثبِّت الأغطية حول ابنتها، قبل أن تذهب إلى الباب.

76

قرقر بطن المحقق مارتن ريكس بصوت عالٍ وهو يتنقل خلال صفحات على موقع إباحي. كان في الوظيفة لمدة اثني عشر عامًا، ودائمًا ما يشعر بالضجر عندما يُكلَّف بمهمة مثل هذه الليلة. لكنَّ هذه المواقع والسوشي كانا من بين الأشياء القليلة التي تشجِّعه على الانتظار. واصل استعراض الصفوف التي لا نهاية لها من الصور، ولم يطل به الأمر حتى تخلَّص من إحباطه بشأن هذا الحقير هيس، والانفجار الإعلامي حول قضية هارتونج.

مارتن ريكس هو اليد اليمنى لـ تيم يانسن منذ أن انتقل إلى قسم الجرائم من مركز شرطة بيلاهوج قبل ست سنوات. في البداية لم يكترثْ بالرجل الطويل المتغطرِس ذي النظرة الحادة. يانسن جاهز دائمًا بمزاحه واستخفافه؛ في حين لم يكن ريكس حادًّا في كلامه، واعتقد أنه مثل جميع الحمقى الآخرين الذين قابلهم منذ أيام دراسته واعتقدوا بأنه غبيٌّ. حتى أُتيحت له الفرصة لضربهم حتى النخاع، على أي حال. لكنَّ الأمر لم يكن كذلك مع يانسن. رأى المحقق الأكثر خبرة شيئًا في إصراره وانعدام ثقته بالناس والعالم. وخلال الأشهر الستة الأولى لـ ريكس، أمضيا الوقت معًا في السيارات، وغرف التحقيق، وغرف العمليات، وغرف تغيير الملابس والمقاصف. وعندما انتهت مدة الإرشاد الرسمي لريكس، أخبرا رئيسهما أنهما يريدان مواصلة العمل كفريق ثنائي. وبعد ست سنوات، أصبحا يعرفان بعضهما بشكل كبير. وليس من المبالغة القول إنه على الرغم من تغيُّر الرؤساء وآرائهم، فقد حققا مكانة لا يجرؤ أحد على تحدِّيها. على الأقل، ليس حتى ظهر هذا الحقير قبل بضعة أسابيع.

كان هيس شخصًا لا يعوَّل عليه. ربما كان شخصية لامعة في يوم ما منذ مدة طويلة، عندما كان في القسم، لكنه يبدو الآن كما لو أنه من القماش النخبوي المتغطرس نفسه مثل بقية أفراد اليوروبول. تذكر ريكس كم كان

وحيدًا، وهادئًا ومتعجرفًا، وكان من المريح أن يُطلَق النار عليه. لكنِ الآن يبدو أن اليوروبول لديه ما يكفي، وبدلًا من أن يكون مفيدًا، بدأ هيس في التشكيك في التحقيق الذي يُعَدُّ أعظم إنجازات ريكس ويانسن حتى الآن.

لا يزال ريكس يمتلك ذكريات مفصَّلة عن تلك الأيام في أكتوبر من العام الماضي. كان الضغط هائلًا. عمل هو ويانسن ليل نهار، وتولَّيا مسؤولية التحقيق مع لينوس بيكر، واعتقاله بعد نصيحة من مجهول، هما من بدأ البحث. وخلال جلوسه مع بيكر في أثناء استجواب آخر بعد عدة أيام، شعر ريكس أن هذا سيكون مميزًا. كانت بين أيديهما أدلة جيِّدة لإدانة الرجل. من الواضح، في النهاية، أنه لم يكن لديه خيار سوى الاعتراف. كان الارتياح هائلًا، واحتفلا بالشراب دون معنى، ولعب البلياردو في إحدى حانات فيستيربرو حتى ساعات الصباح. صحيح أنهما لم يعثرا على جثة الطفلة مطلقًا، ولكنَّ ذلك كان مجرد تفصيل بسيط.

وها هو ريكس الآن متجمِّد في أحد أكواخ فالبي، حيث يتولَّى رعاية أم عازبة، كل ذلك بسبب الحقيرين هيس وتولين. في حين ينشط باقي أعضاء الفريق، من بينهم يانسن، في أوربان بلان، حيث الإثارة، يجلس عالقًا هنا. يا له من سيناريو. سيرتاح في السادسة والنصف من صباح يوم الغد.

فجأة، فُتِحَ باب غرفة النوم. إنها المرأة التي يُفترَض به حراستها، ولا ترتدي سوى قميص تي شيرت. وضع ريكس هاتفه، وأغلق الشاشة. للحظة، كانت تتجوَّل بدهشة.

- أين الضابط الآخر؟

- ليس ضابطًا. إنه محقق.

- أين المحقق الآخر؟

مع أن هذا ليس من شأنها، أوضح ريكس أنه ذهب لشراء السوشي من فالبي لانجيد.

- ولمَ تسألين؟

- لا شيءَ. أردت فقط التحدث إلى المحققيْن اللذيْن قابلاني اليوم.

- عن ماذا؟ يمكنكِ التحدث معي.

بالرغم من وقوفها خلف الأريكة، استطاع ريكس ملاحظة قوامها الفاتن. وللحظة، تساءل أكانت لديه فرصة، أكان يملك الوقت لمغامرة سريعة معها

على الأريكة قبل أن يعود شريكه مع السوشي. إنها واحدة من خيالات ريكس الكثيرة والجامحة. ممارسة الجنس مع شاهدة تحت حمايته. لكنَّ هذا الخيال بالذات لم يتحقق.

- أودُّ إخبارهما بالحقيقة. أودُّ الاتصال بشخص ما عن وضع ابنتي مع أسرة صالحة حتى أتمكن من العمل، وتكوين ذاتي.

خيَّب جوابها آمال مارتن ريكس. أجاب بجفاف أنه سيتعيَّن عليها الانتظار. مكتب الإصلاح الاجتماعي لم يفتح بعد. من ناحية أخرى، يودُّ أن يسمع «الحقيقة»، لكنْ قبل أن تتمكن المرأة من فتح فمها، رنَّ هاتفه.

- إنه هيس. هل كل شيء على ما يرام؟

كان صوت هيث لاهثًا، ويبدو أنه يُغلِق باب السيارة خلفه، في حين يُشغِّل شخص محرك السيارة. بذل مارتن ريكس جهدًا لتبدو عليه العجرفة.

- ولمَ لا يكون الأمر على ما يرام؟ ماذا عنكَ؟

لكنَّ ريكس لم يسمع الجواب قطُّ، لأنه في تلك اللحظة، انطلق إنذار السيارة في الحديقة.

انطلقتْ صفارات الإنذار بصوت عالٍ، وبشكل متكرر، فاستدار ريكس لينظر إلى سيارته المتوقفة في الخارج. كانتِ الأضواء تُومض في عتمة الخريف مثل أنوار الاحتفال في تيفولي. وقف ريكس حائرًا في أمره. على حدِّ علمه، لا يوجد أحد بالقرب من السيارة. لا يزال الهاتف على أذنه. وعندما أخبر الحقير هيس بأمر الإنذار، لاحظ الانتباه الواضح في نبرة كلام هيس.

- ابقَ في المنزل. نحن في طريقنا إليك.

- ولمَ ستأتون إلى هنا؟ ما الذي يجري؟

- ابقَ في المنزل، واحمِ جيسي كفيوم! هل تسمعني؟

تردَّد مارتن ريكس لحظة. ثم قُطِعَ الاتصال، ولم يبقَ سوى صوت الإنذار. إذا كان هيس يعتقد أن ريكس سيتلقَّى الأوامر منه، فإن عليه التفكير مجددًا.

- ما الذي يجري؟

حدَّقت إليه الأم العازبة بقلق.

- لا شيء. ادخلي واخلدي للنوم.

لم تقتنعْ بالجواب. لكنْ، قبل أن تتمكن من الاحتجاج، سمعا صوت طفل يبكي من غرفة النوم، فأسرعت نحو الداخل.

دسَّ ريكس هاتفه المحمول في جيبه، وفكَّ حزام حامل البندقية. إنه ليس غبيًّا، وقد أدرك من المحادثة أن الوضع قد انقلب. ربما تكون هذه هي فرصته الوحيدة لإغلاق أفواههم. هيس وتولين وخاصة رجل الكستناء، وهو الاسم الذي أطلقته وسائل الإعلام على القاتل. سرعان ما ستصل قوات الشرطة، لكنَّ الساحة الآن خالية أمامه، وهو مستعدٌّ لاغتنام الفرصة.

سحب ريكس مفاتيح سيارته من سترته، وفتح الباب. رفع مسدسه بيده، وسار في ممر الحديقة كما لو أنه يخطو على سجادة حمراء.

77

لم تكنْ أوليفيا قد استفاقت بالكامل، مع أنها تجلس في السرير مستندة إلى الجدار الخشبي.

- ما الذي يجري يا أمي؟

- لا شيءَ حبيبتي. عودي للنوم.

أسرعت جيسي كفيوم وجلست على السرير، وراحت تسرِّح شعر ابنتها.

همست الصغيرة وهي تتكئ على كتف جيسي، في حين صمت صوت الإنذار: «لكنني لا أستطيع النوم في الضجيج».

- لا تقلقي، لقد توقَّف الصوت الآن. يمكنكِ العودة إلى النوم يا حلوتي.

لم يطلِ الأمر حتى عادت أوليفيا إلى النوم. وبينما كانت جيسي تراقبها، اعتقدت أنه من الأفضل قول شيء للضابط. لم يكنْ ذلك كافيًا طبعًا، وكانت تتمنى لو استطاعت إخباره بالمزيد، وأن تبوح بكل ما في صدرها. لكنَّ إنذار السيارة غيَّر المزاج فجأة. شعرت بخوف لم يتملَّكها من قبل، ولكنَّ صوت الإنذار توقف الآن. وعندما سمعت الصوت المألوف لهاتف الضابط في مكان ما في الحديقة، أحسَّت بنوع من السخف. لكنها تفاجأت بأنه لا يردُّ. استمعتْ وانتظرتْ، لكنَّ نغمة الرنين توقفت. ثم عاد الهاتف للرنين مجددًا دون رد.

في الخارج، أمسكت الرياح شعرَ جيسي. كانت تنتعل حذاءً، لكن الجو شديد البرودة. فندمت على عدم وضع بطانية حول ساقيها قبل أن تدخل من الباب. استطاعت سماع رنين الهاتف في مكان ما بالقرب من السيارة، لكنها لا تزال غير قادرة على رؤية الضابط.

- هيه؟ أين أنتَ؟

لم يجبها أحد. اقتربت جيسي بتردُّد من السياج والسيارة المتوقفة على الحصى خارج البوابة. إذا خطت خطوة أخرى، وصولًا إلى الحصى، فستتمكن

من رؤية السيارة بأكملها وربما الهاتف الذي يرنُّ في مكان قريب جدًّا. لكنها تذكرت بعد ذلك ما قاله المحققان خلال التحقيق، والخطر الذي تحدثا عنه. ومن بين الأشجار المثنية في الحديقة والشجيرات التي جُرِّدَتْ منها، أحسَّت بخطر يتسلل إلى ساقيها العاريتين، فاستدارت وجَرَتْ عائدة نحو المنزل. صعدت الدرجات الخشبية، ودخلت من الباب المفتوح، وأغلقته خلفها.

من خلال محادثة هاتفية مع الضابط قبل لحظة، علمتْ أن المساعدة في الطريق، وأخبرت نفسها أنه عليها عدم الشعور بالذعر. أدارت المفتاح في القفل، ودفعت بالخزانة ذات الأدراج نحو الباب. ثم ركضت إلى المطبخ والحمام الصغير للتأكد من أن الأبواب والنوافذ لا تزال مغلقة. بحثت عن سكين طويلة في المطبخ، وأمسكت بها. لم تستطع رؤية أي شيء من النوافذ في الحديقة الخلفية، لكنها صُدِمَتْ من الأنوار التي غمرتها. إذا كان يوجد أي شخص -ولم تعد تشك في وجود شخص ما- فسيكون قادرًا على رؤية كل خطوة تخطوها. وفي بضع خطوات، عادت إلى غرفة المعيشة. وبعد عدة محاولات محمومة للعثور على المفتاح الصحيح، تمكنت من إطفاء جميع الأضواء. وقفت جيسي بهدوء، وعيناها مثبتتان على الحديقة الأمامية. لم ترَ شيئًا. فقط الرياح التي تحاول الإطاحة بالمقصورة. وقفت إلى جانب المبرِّد الكهربائي، وأدركت أنها أوقفت تشغيله عن طريق الخطأ عندما كانت تبحث عن مفتاح الضوء. انحنت جيسي إلى الأسفل، وأعادت تشغيله، فبدأ الجهاز بالهمهمة. وفي الضوء المحمر الضعيف من شاشة العرض، استطاعت فجأة رؤية التمثال الصغير على الكرسي حيث كان الضابط جالسًا.

لبضع ثوان لم تكن تعرف ما هو. ولكنها تبيَّنته بعدئذٍ. ومع أن دمية رجل الكستناء الصغيرة كانت تبدو بريئة تمامًا، إذ رفع ذراعيه المتشابهتين بيأس نحو السماء، فإنه ملأ قلبها بالرعب. أدركت أنه لم يكن موجودًا منذ لحظة عندما خرجت للبحث عن الضابط. نظرت خلفها، فوجدت كما لو أن شيئًا ما قد ظهر من العدم أمامها، فاستجمعت كل قواها ولوَّحت بالسكين في الهواء.

78

اجتازت سيارة الشرطة البوابة الرئيسية إلى الحديقة فوق ممر الحصى. كانت مُظلِمة تمامًا بين مجموعة المنازل الصغيرة والحدائق. الضوء الطويل فقط للمصابيح الأمامية كان ينير لوحة أرقام عاكسة في الداخل. أسرعت تولين وصولًا إلى سيارة الشرطة التي لا تحمل أي علامات، وقفز هيس خلفها.

توجد عليتان من السوشي ملقاتين على الحصى، وضابط شاب منحنيًا على جسم ما. رأى هيس وبدأ الصراخ طلبًا للمساعدة، ومحاولًا بشكل محموم بكلتا يديه وقف تدفق الدم الذي يخرج من جرح عميق في حلق مارتن ريكس. كان ريكس متشنِّجًا وعيناه مثبتتين بقوة على الأشجار السوداء فوقه، فأسرع هيس نحو المقصورة. كان الباب مُوصَدًا. ركله، ودفع الخزانة ذات الأدراج بعيدًا عن الطريق. كانت الغرفة الأمامية مُظلِمة. وعندما لوَّح بمسدسه، استطاع أن يرى تدريجيًّا أن الكراسي والطاولات مقلوبة كما لو وقع عراك. في غرفة النوم، كانت ابنة جيسي كفيوم متشبِّثة باللحاف، وهي تبكي في حيرة من أمرها. لم تكن جيسي موجودة، وأشارت تولين إلى هيس أن باب المطبخ مفتوح على مصراعيه.

زوايا الحديقة الخلفية شديدة الانحدار، وفي ثلاث درجات تكون على العشب في الخلف. مرَّ هيس وتولين خلال شجرة التفاح الطويلة في وسط العشب، لكنْ لم يكن في الأفق أحد عندما وصلا إلى السياج الرفيع المجاور لمنزل الجيران. استمرَّ صف حدائق التخصيص التي عصفت بها الرياح حتى البنايات الشاهقة في الشارع. ولم يكتشفاها إلا بعد أن عادا تجاه المنزل. الفروع السفلية لشجرة التفاح لم تكن أغصانًا، ولكنها ساقا جيسي كفيوم العاريتين. كانت جثَّتها موضوعة كما لو أنها جالسة، إذ ينقسم الجذع إلى قسمين. حُشِرَتْ على طرف أكثر سماكة، بحيث تبرز ساقاها بشكل غير

طبيعي في كلا الاتجاهين. رأسها مائل وذراعاها الميتتان مدعومتان بفروع توجههما نحو السماء.

- أمي؟

سمعا الصوت المرتبِك من خلال الريح. وإلى جانب باب المطبخ، استطاعا رؤية الفتاة الباهتة التي خرجت إلى البرد. لكنَّ هيس لم يستطع الحَراك. فأسرعت تولين نحو الفتاة، وأدخلتها إلى المنزل، وبقي هيس إلى جانب الشجرة. وبالرغم من الظلام، استطاع أن يلاحظ القِصَر الواضح وغير الطبيعي لذراعيها. وكذلك الأمر بالنسبة إلى إحدى ساقيها. وعندما اقترب أكثر، شاهد دمية رجل كستناء بأذرع ممدودة من أعواد الثقاب. كانت الدمية محشورة في وضع مستقيم داخل فم جيسي المفتوح.



الثلاثاء 20 أكتوبر



79

هرولت تولين خلال المطر بين المباني بحثًا عن أي علامات أو أدلة. تسرَّبت المياه إلى حذائها. وعندما رأت أخيرًا العلامة «37 سي» كانت تشير إلى الاتجاه المعاكس.

إنه الصباح الباكر، وقد أوصلتِ ابنتها للتو إلى المدرسة. مرت أيام قليلة منذ أن كانت تجلس القرفصاء في مبنى أوربان بلان. لم تدركْ حينها أن هيس يعيش أيضًا في سكن اجتماعي. ولسبب ما، لم يفاجئها ذلك. النظرات الودية واليقظة من النساء اللواتي يرتدين النقاب والحجاب توضِّح أنها لافتة للانتباه. وبينما تبحث عن الطريق الصحيح، انزعجت مجددًا لاستحالة العثور على هيس الآن.

طيلة أربعة أيام، عملت الماكينة الإعلامية دون كلل على بث تقارير حية لا تنتهي من مسرح الجريمة، وكريستيانسبورج، ومركز الشرطة ومكتب الطبيب الشرعي. عُرِضَتْ صور للضحايا الثلاث، ومارتن ريكس، الذي لقي مصرعه على ممر الحصى في الحديقة. أُجرِيَتْ مقابلات مع الشهود والجيران والأقارب – كان ثمة آراء من الخبراء ومنتقدي الخبراء، مع تصريحات من الشرطة، ولا سيَّما نيلاندر، ممن استُدعوا مرارًا وتكرارًا للوقوف أمام الميكروفونات. وكثيرًا ما قُوطِعُوا بتصريحات منسَّقة من وزير العدل. وإضافة إلى ذلك، ظهرت قصة عن روزا هارتونج التي فقدت ابنتها وعليها الآن أن تعاني الإهانة لعلمها أن القضية ربما لم تُحلَّ بعد. وبعد أن أدرك محررو الأخبار أنه لم يتبقَّ لديهم شيء لإخباره، بدأت تكهناتهم حول موعد وقوع الجريمة الشنيعة التالية.

لم يحظَ هيس أو تولين بساعاتٍ طويلة من النوم منذ يوم الجمعة. أدَّت الصدمة الناجمة عن عمليات القتل في الحديقة إلى زيادة أعباء العمل الشاق: استجواب لا نهاية له، ومكالمات هاتفية، وجمع البيانات حول أوربان بلان ورابطة مالكي الحدائق، وفك الارتباط بين الوضع العائلي والرومانسي

لجيسي كفيوم. أُرسِلَتِ ابنتها البالغة من العمر ستَّ سنوات -التي لم ترَ والدتها الميتة- لإجراء فحص طبي، ووجد الأطباء العديد من علامات الإهمال وسوء التغذية والاعتداء الجسدي. تحدَّث إليها طبيب نفسي، وركز فقط على حزنها على وفاة والدتها. وبعد ذلك تأثر حقًّا بقدرة الفتاة الصغيرة على التعبير عن خسارتها في كلمات. وبالرغم من كل شيء، كان من الجيد أن يصطحبها جداها إسبيرج، وبدت عليهما السعادة برعايتها. كان عليهما الانتظار لمعرفة أكان سيُسمَح لهما بالاحتفاظ بها لمدة طويلة. تدخَّلت تولين، ونجحت في إبقاء الفتاة وجديها بعيدًا عن وسائل الإعلام التي بدت أكثر اهتمامًا بنقل آخر الأخبار عن رجل الكستناء.

تكره تولين أسلوب الصحافة في تصوير القتلة بهذه الطريقة. لا سيَّما أنها متيقنة من أن القاتل في هذه الحالة يريد إثارة الخوف، وربما تُحفِّزه الدعاية. لكن من الصعب الوقوف أمام الصحافة لأن فحوص الطب الشرعي والمقابلات التي لا حصر لها لم تُسفِر عن أي اختراق.

كان جينز وموظفوه يعملون ليلَ نهارَ، لكنْ دون نتيجة قابلة للتطبيق حتى الآن. ولم يتمكنوا من تتبُّع الرسالة النصية إلى هاتف نيكولاي مولر، ولا توجد بيانات شهود تشير إلى مَن كان يراقب جيسي كفيوم، ليس في أوربان بلان، أو في ذلك اليوم في مركز التسوق، مع أنهم عادوا مرة ثانية لمراجعة ملفات كاميرات المراقبة. تمامًا كما في حالة لورا كيار وآن سيير لاسين، اختفتْ آثار القاتل في الهواء.

وفقًا للطبيب الشرعي، من الواضح أن جيسي كفيوم تُوفِّيتْ في نحو الساعة 1:20 صباحًا. أُجرِيَتْ عمليات البتر بالأداة نفسها كما في الحالتين الأخريين، وكانت حية في ذلك الوقت. بالتأكيد في أثناء بتر اليدين على الأقل. يبدو أيضًا أن بصمة رجل الكستناء الصغير التي عُثِرَ عليها هذه المرة في فم الضحية، تخصُّ كريستين هارتونج. يوجد اتفاق عام، طبعًا، على أن البلاغات المجهولة عن النساء الثلاث المتوفيات يجب أن تكون موجَّهة من الشخص ذاته. لكنَّ المجلس وجميع المتخصصين الاجتماعيين لم يقدموا مساعدة حقيقية. ولم توفر رسائل البريد الإلكتروني الثلاث، واتصالات الخادم الخاصة أيَّ دليل على المرسل الحقيقي. كان الوضع يائسًا لدرجة أن نيلاندر عيَّن ضباطًا لحراسة قائمة مختصرة من النساء اللائي أُبلِغَ عن هُويَّاتهنَّ بشكل

مجهول إلى قسم الإبلاغ عن المخالفات التابع للمجلس، وقد وضع القسم في أعلى مستويات التأهب.

كان الجوُّ في مركز الشرطة شديد التأثر جرَّاء الوضع. ربما لم يكن مارتن ريكس شخصية لامعة، لكنْ بعد سنوات خدمته الست في الفريق -باستثناء بعض الغيابات- لطالما كان لاعبًا أساسيًا في المركز مثل نجم لامع فوق المدخل الرئيسي. كان خاطبًا أيضًا، وهو ما كان مفاجأة لمعظم زملائه. وفي ظهر اليوم السابق، وقفوا دقيقة صمت في المركز، وكان السكون صاخبًا. بكى الزملاء، واتخذ التحقيق ضراوة مُروِّعة تنتج دائمًا عن مقتل ضابط في أثناء تأدية واجبه.

بالنسبة إلى هيس وتولين، فإن أكبر سؤال دون إجابة كان عن قدرة القاتل على التفوق عليهم في ليلة الجريمة. كانوا ينتظرون في أوربان بلان، ولكنَّ القاتل اكتشف الأمر. لم تعرف تولين كيف حصل ذلك، لكن هذا ما جرى. ثم ذهب إلى حدائق التخصيص، وهو أمر منطقيٌّ فقط لو كان يعرف سلفًا أن جيسي كفيوم وابنتها قضتا أسبوعًا هناك خلال الصيف، ومن ثَمَّ ربما اصطُحِبَتا هناك. أرسِلَتِ الرسالة النصية إلى نيكولاي مولر قبل الجريمة -في الساعة 12:37 بالضبط صباحًا- باستخدام هاتف ببطاقة مدفوعة سلفًا من مكان ما في الحدائق، وهذا الجزء مخيف أكثر. امتلك القاتل النباهة الكافية لإغراء زوج حائر وغير مخلص للذهاب إلى أوربان بلان، والوقوع بين أيدي الشرطة. وهو ما دفع تولين إلى التفكير بأن القاتل يريدهم أن يشعروا بالإهانة والسخف. تمامًا مثلما وجَّه رسالة نصية إلى هاتف لورا كيار بعد وفاتها. هذا، بالإضافة إلى الشق الاستقصائي غير المُجدي، ما يفسر المواجهة القاسية مع نيلاندر في الليلة السابقة.

- ما الذي يخيفكَ؟ ما الذي يمنعنا من مقابلة روزا هارتونج؟

عاد هيس إلى الإصرار على ارتباط الجرائم بشكل أو بآخر بروزا هارتونج وقضية ابنتها.

- ليس منطقيًا أن نحقق في إحداها دون الأخرى. وجود ثلاث بصمات أصابع على ثلاث دمى رجل كستناء دليل واضح. ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد. في البداية، كانت يد مفقودة، ثم يدان، ثم يدان وقدم. ما الذي تعتقد أن القاتل يخطِّط لاقترافه في المرة التالية؟ لا يمكن للأمر أن يكون أكثر وضوحًا! إما أن تكون روزا هارتونج المفتاح، وإما أنها الهدف!

لكنَّ نيلاندر حافظ على هدوئه ومثابرته، وقال: «استجوبنا الوزيرة فعلًا مرة واحدة. لديها مشاغل تكفيها، ولن يقدِّم التحقيق معها أيَّ جديد».

- مشاغل تكفيها؟ بالتأكيد لا يوجد شيء أكثر أهمية من هذا؟

- اهدأ يا هيس.

- أنا أسأل فقط.

- وفقًا لأجهزة المخابرات، يوجد شخص مجهول يضايقها ويهددها على مدار الأسبوعين الماضيين.

- ماذا؟

تدخَّلت تولين، وقالت: «ولم تعتقدْ بضرورة معرفتنا هذه المعلومات؟».

- لا. لا يمكن أن يكون لهذا أي صلة بالجرائم! وفقًا للاستخبارات، وقع التهديد الأخير على غطاء محرك سيارتها الوزارية يوم الاثنين 12 أكتوبر- وهي المدة الزمنية نفسها التي كان القاتل فيها مشغولًا بمهاجمة آن سيير لاسين.

انتهى الاجتماع بحدَّة. ابتعد هيس ونيلاندر، وحاولت تولين تجاهل الشعور بأن الشقوق التي ظهرت في القسم كانت جميعها أعراضًا لحالة التحقيق.

أخيرًا، خرجت من المطر وعلى الممشى المغطَّى، ووصلت إلى المنزل رقم «سي 37» في الطرف البعيد. وجدت كومة من علب الطلاء والورنيش وأدوات التنظيف مكدَّسة على جانبي الباب. وفي وسط الفوضى توجد آلة ضخمة افترضت تولين أنها آلة صنفرة أرضية. طرقت الباب مرارًا، لكن طبعًا لا توجد إجابة.

- هل أنتِ الشخص الذي اتصل به بشأن الأرضيات؟

نظرت تولين إلى الرجل الباكستاني القصير الذي نزل لتوِّه إلى الممشى، وعند قدميه صبي صغير بني العينين. ارتدى الرجل عباءة مطر برتقالية زاهية، لكنَّ قفازات البستنة وأكياس القمامة تشير إلى أنه ربما يزيل فقط مجموعة الأوراق الميتة.

- هذا جيد، ما دمتِ محترفة. لا يتحلَّى هذا الرجل بأي براعة، لكنه يظنُّ نفسه «بوب البنَّاء»، وهو ليس كذلك. هل تعرفين «بوب البنَّاء»؟

- نعم.

- من الجيد أنه قرر البيع. هذا المكان لا يناسبه. ولكنه إذا أراد التخلُّص من هذه الشقة، فعليه أن يرمِّمها قليلًا. أعني، ما المانع من طلاء الجدران والسقف -لا يستطيع الرجل التمييز بين المجرفة وفرشاة الطلاء- لكنني لن ألمِّع أرضية شقته. ولا أريده أن يعبث بها بنفسه.

رفعتْ تولين شارة الشرطة في وجه الرجل وقالت: «أنا لا أخطِّط للعبث بها أيضًا».

ظلَّ الرجل واقفًا في مكانه، وشاهدها وهي تعود لقرع الباب.

- لن تستولي على الشقة أيضًا؟ وإلا سنعود إلى نقطة الصفر.

- لا، لستُ كذلك. هل تعرف أكان «بوب البنَّاء» في المنزل؟

- انظري بنفسك. لم يقفل الباب قطُّ.

نحَّى الرجل الباكستاني تولين بمرفقه جانبًا، ودفع الباب الذي كان عالقًا، قليلًا.

- هذه مشكلة أيضًا. من الذي يقرِّر ترك بابه مفتوحًا في هذا العقار؟ أخبرتُه ذلك، لكنه قال بأنه لا يملك شيئًا يستحق السرقة، لذلك لا يهم، ولكن – الله أكبر!

وقف الرجل الباكستاني القصير مشدوهًا. وأدركت تولين السبب. لا تحتوي الغرفة على الكثير، وتفوح منها رائحة الطلاء الجديد. توجد طاولة وعدد قليل من الكراسي، وعلبة سجائر، وهاتف محمول، وبعض علب الوجبات الجاهزة، وبعض الفراشي وعلب الطلاء على الأرضية المغطاة بالصحف. من الواضح أنه ليس مكانًا يقضي فيه هيس كثيرًا من الوقت. لسبب أو لآخر، تبادر إلى ذهن تولين أن شقة الرجل في لاهاي، أو في أي مكان يعيش فيه، ربما لم تكن مؤثَّثة ببذخ أكثر من هذه الشقة. ومع ذلك، لم يكن الداخل هو ما لفت انتباههما كانت الجدران.

كانت الملاحظات الصغيرة الممزَّقة، والصور، ومقاطع الجرائد معلقة في كل مكان، وبينها حُدِّدَتْ كلمات وحروف مباشرة على ورق الحائط. مثل نسيج العنكبوت الضخم، تنتشر المادة من خلال الجدارين المطليين حديثًا، ويربط قلم أحمر مُلح بين العناصر المختلفة بضربات وعلامات معقَّدة. من الواضح أنها بدأت في إحدى الزوايا بمقتل لورا كيار، ثم توسَّعت لتشمل عمليات القتل اللاحقة، من بين ذلك جريمة قتل مارتن ريكس. على طول الطريق،

أُضيفَتْ خطوط مختلفة بالقلم الرصاص، ورسوم لرجال الكستناء، وكذلك أسماء الأشخاص ومسرح الجريمة التي إما موضحة بالصور، وإما مكتوبة بالقلم مباشرة على الحائط. تحتوي القصاصات الموجودة على الحائط على إيصالات مجعَّدة، أو ورق مقوى ممزق من علب البيتزا. لكنْ من الواضح أن المواد قد نفدت. وفي الجزء السفلي، توجد صحيفة ممزقة تظهر عليها روزا هارتونج وتاريخ عودتها التي أضاف إليها هيس سطرًا يؤدي إلى مقتل لورا كيار. ومن هناك، تتكاثر أسطر لا تُعَدُّ أو تحصى لتصل إلى كل العلاقات الغامضة، وصولًا إلى عمود منفصل كُتِبَ فيه «كريستيانسبورج: تهديدات، مضايقات، ذكاء». في الأعلى توجد صورة صحفية قديمة لكريستين هارتونج البالغة من العمر اثني عشر عامًا إلى جانب لوحة مرسومة بالقلم. بداخلها مكتوب بأحرف كبيرة «لينوس بيكر». وهنا أيضًا توجد ملاحظات مكتوبة على الحائط. معظمها غير مقروء، ولا بدَّ أن هيس كافح للنهوض إلى هناك، حتى باستخدام السلم الصغير على الأرض.

نظرت تولين إلى شبكة العنكبوت العملاقة بشعور مختلط. عندما غادر هيس في الليلة السابقة، كان منعزلًا وصامتًا. وعندما لم تستطع اللحاق به هذا الصباح، لم تكن تعرف ما الذي يجب أن تفكر فيه. ووفقًا لما تحويه الجدران، فإن الرجل لم يستسلم. من ناحية أخرى، يوجد شيء مجنون حول ما فعله. ربما بدأ بمحاولة الحصول على نظرة عامة متماسكة، لكنَّ الأمر لم ينتهِ بهذه الطريقة. حتى مصمم التشفير الموهوب أو عالم الرياضيات حائز جائزة نوبل سيواجه صعوبة في فك شفرة أي شيء يتجاوز كون منشئ الشبكة مهووسًا أو مضطربًا عقليًّا.

أطلق الرجل سيلًا من الشتائم باللغة الباكستانية عندما رأى الجدران. ولم تتحسَّن الأمور بظهور هيس المفاجئ عند المدخل. كان مبللًا بالمطر تمامًا، مع قميصه الأسود وسرواله القصير، وحذائه الرياضي. أنفاسه متلاحقة، والبخار يتصاعد من جسده جراء الهواء البارد. بدا رياضيًّا بشكل مدهش، لكنه من الواضح أنه ليس في أفضل حالاته.

- ما الذي دفعكَ إلى هذا؟ لقد طلينا الجدران للتوِّ!

- سأطليها مجددًا. قلت بأنها تحتاج إلى طبقتيْ طلاء.

نظرت تولين إلى هيس الذي أسند نفسه إلى الجدار عند المدخل بيده اليسرى، ولاحظت أنه يحمل كيسًا بلاستيكيًّا ملفوفًا بيده الأخرى.

- كانت مطلية بطبقتين. كانت مطلية بثلاث طبقات!

سئم الولد ذو العينين البنيتين من انتظار والده، واندفع الرجل الباكستاني بامتعاضٍ نحو الممشى. ألقت تولين نظرة خاطفة على هيس قبل أن تقول.

- سأنتظركَ في السيارة. نيلاندر دعانا إلى اجتماع. سنقابل روزا هارتونج في مكتبها خلال ساعة.

80

- عذرًا على المقاطعة.

وقف تيم يانسن عند المدخل. ظهرت هالات تحت عينيه، مع نظرة شاردة، ولاحظ نيلاندر رائحة المشروبات الروحية التي تفوح منه.

- لا عليكَ. تفضل.

خلف يانسن، كان القسم مشغولًا، وقد رفض نيلاندر طلبه للبقاء في القضية بعد حفل التأبين في اليوم السابق، ومن ثَمَّ، فإنه ليس السبب الذي دعاه إلى الحضور الآن. كان هيس وتولين قد غادرا المكتب للتوِّ، ولم يردَّ يانسن عليهما التحيَّة. نظر أمامه كما لو أنه لم يسمعهما. كان هذا، من بين أمور أخرى، ما جعل دعوته فكرة جيدة.

لم يُضِعْ نيلاندر أي وقت في توصيل رسالته إلى تولين وهيس. كان على اتصال بوزارة الشؤون الاجتماعية في ذلك الصباح، وأبلغت الوزيرة هارتونج من خلال مستشارها فريدريك فوجل أنها سعيدة بالمساعدة في أي معلومات.

- لكنَّ الوزيرة ليست موضع شك، ولن يُشكَّك في مصداقيتها بأي حال. والشرط السالف هو أن ندعو ما سيجري بالمحادثة، وليس مقابلة.

خمَّن نيلاندر أن فوجل مُعارضٌ ما سيجري، وأنه نصح الوزيرة بتجنب «المقابلة» تمامًا. لذلك، لا بدَّ أنه أصرَّ شخصيًّا على المساعدة. وبالرغم من الأخبار، ظلَّ هيس الذي ازداد كره نيلاندر إياه، في المكتب.

- هل هذا يعني أنك ستعيد فتح قضية اختفاء كريستين هارتونج؟

انتبه نيلاندر إلى عبارة هيس، وقوله «اختفاء كريستين هارتونج» وليس «مقتل كريستين هارتونج».

- لا. لا مجال للنقاش في هذا الأمر. إذا لم تعِ هذا، يمكنكَ العودة إلى أوربان بلان، وقرع أجراس الأبواب.

في وقت متأخر من الليلة الماضية، كان نيلاندر يميل إلى تأجيل المقابلة مع روزا هارتونج مرة أخرى. ولكنَّ القسم يعاني الآن ضغوطات هائلة. كان المشهد الذي استقبله في حدائق التخصيص أشبه بالكابوس. وقد جاء مقتل ريكس ليتحوَّل التحقيق إلى مسألة شخصية بالنسبة إلى العديد من ضباطه. الجريمة هي ذاتها، ولا ينبغي أن يوجد فرق بين مقتل شرطي ومقتل أي شخص آخر. ولكنَّ الهجوم بدم بارد على المحقق البالغ من العمر 39 عامًا -الذي وفقًا للطبيب الشرعي أُمسِك به من الخلف، وذُبِحَ- أحدث موجة غضب في نفس كل مَن أقسم بالولاء للشرطة.

في السابعة من صباح ذلك اليوم، طُلِبَ من نيلاندر تقديم إحاطة في اجتماع إدارة الطوارئ. من حيث المبدأ، كان من السهل إخبارهم برفع سرية التأهب إلى حالتها القصوى، ومجموعات التحقيق المختلفة التي جرى إطلاقها، وبدا العديد منها واعدًا. ومع أنه لم يذكر اسمها ولا مرة، ألقت كريستين هارتونج بظلالها على عرضه التوضيحي بالكامل. بدا الأمر كما لو أنهم في انتظار انتهائه ليتمكنوا من الوصول إلى النقطة الحقيقية للاجتماع: تلك البصمات الغبية على دمى رجل الكستناء.

- في ضوء ما جرى، هل أثيرت أي شكوك حول ما توصلتم إليه في قضية كريستين هارتونج؟

صاغ نائب المفوض سؤاله بطريقة دبلوماسية لا تخلو من الإهانة المبطَّنة. على الأقل، هذا ما أحسَّه نيلاندر. كانت نقطة حاسمة في النقاش، وشعر نيلاندر بعيون الآخرين عليه. لم يكن أي من الرؤساء في الغرفة يريد أن يكون في مكانه -كان السؤال مليئًا بالألغام مثل طريق الإمداد في الشرق الأوسط- لكنَّ نيلاندر أجاب. فيما يخص قضية هارتونج وحدها، لم تظهر أي دلائل تدل على أن القضية لم تُحلَّ. كان التحقيق شاملًا جدًّا. ودُرِسَتْ جميع الاحتمالات واستُكشِفَتْ، حتى عُرِضَت الأدلة أمام المحكمة التي أصدرت حكمها في حق القاتل.

من ناحية أخرى، صحيح أنه عُثِرَ على ثلاث بصمات أصابع تعود إلى كريستين هارتونج على دمى رجل الكستناء التي وُجِدَتْ في مسارح الجريمة الثلاثة. وليس بالضرورة أن يعني هذا شيئًا محددًا. قد يكون توقيعًا من نوع ما، أو وسيلة لانتقاد الوزيرة وسلطات الرعاية الاجتماعية. لهذا السبب، ينبغي طبعًا إبقاء الوزيرة تحت حراسة مشددة. وربما جاءت الدُّمى من كُشك كريستين هارتونج قبل وفاتها. لم تظهر أي دلائل حتى الآن تشير إلى أن الفتاة لا تزال حية. ولإبقاء رؤسائه صامتين، اقترح نيلاندر أنه ربما حاول القاتل

زرع بذور الشك وعدم اليقين. ومن ثَمَّ، فإن عليهم التركيز على الحقائق، والتفكير في الواقع كالمحترفين.

- لكنْ بحسب الشائعات، يوجد بعض المحققين المشككون في هذا الرأي.

- لا بدّ أنك أخطأت السمع. ربما يوجد شخص واحد فقط يحاول التحذلق. ولا نستغرب هذا الأمر من شخص لم يكن جزءًا من التحقيق الشامل الذي أجريناه العام الماضي.

سأل أحد كبار مفتشي الشرطة: «من هو الشخص الذي تقصده؟».

أوضح نائب نيلاندر أنه كان يتحدث عن مارك هيس، ضابط الاتصال الذي واجه مشكلات في لاهاي، واستُبعِدَ مؤخرًا ريثما يُبَتُّ في شأن مستقبله. ومن استنكار الآخرين، استشعر نيلاندر أنهم لم يفكروا كثيرًا في أن ضابط اتصال يزيد من توتر العلاقة مع اليوروبول. كان يعتقد أن المناقشة قد انتهت، لكنَّ نائب المفوَّض واصل الحديث قائلًا إنه يتذكر هيس جيدًا، ويعرف حقيقة أن الرجل لم يكن أحمق. قد يكون هيس صبيًّا غير تقليدي، لكنه واحد من أفضل المحققين الذين وطئت أقدامهم القسم على الإطلاق.

- لكنني أسمعكَ تقول إنه أخطأ التقدير تمامًا. هذا شيء مطمئن، لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار ما سمعتُه من وزير العدل في الإذاعة قبل ساعة، ونفيه المتكرر لدواعي بدء البحث مجددًا في قضية كريستين هارتونج. من ناحية أخرى، نحن أمام أربع جرائم قتل أحدها لشرطي. ومن المهم أن نتحرك الآن. نحن نعيق بعضنا في حال لم نتحقق من كل شيء، في حين نحاول تلميع صورنا.

نفى نيلاندر محاولته تلميع صورة أي أحد، لكنَّ الشكوك بقيت تحوم فوق طاولة الماهوجني في قاعة الاجتماع. من حسن الحظ، كان ذكيًّا بما يكفي ليضيف أنه كان على وشك أن يصدر أمرًا بإجراء مقابلة أكثر تفصيلًا مع الوزيرة هارتونج في ذلك اليوم بالتحديد. فقط للتحقق مرة أخرى مما لديها من معلومات قد تساعد على إلقاء القبض على القاتل.

غادر نيلاندر قاعة العرض ورأسه مرفوع، دون أن يكشف عن القلق الدفين الذي بدأ يقضُّ مضجعه: أنه ربما ارتكب خطأً في قضية هارتونج.

استذكر تفاصيل القضية في ذهنه مرات عدَّة، لكنه لم يستطعِ التحقق من مكمن هذا الخطأ المزعوم. في الوقت نفسه، يعرف أنه سيُحرَم من أي ترقية في المركز أو غيره ما لم يتوصلْ إلى حل للقضية قريبًا.

- يجب أن تعيدني إلى القضية.
- لقد تحدَّثنا في هذا الأمر يا يانس. لن تعود إلى القضية. عُدْ إلى المنزل. خذ إجازة لمدة أسبوع.
- لن أعود إلى المنزل. أريد تقديم المساعدة.
- مستحيل. أنا أعرف مكانة ريكس بالنسبة إليكَ.

لم يجلس تيم يانسن على الكرسيِّ الذي عرضه عليه نيلاندر. وبدلًا من ذلك، ظلَّ واقفًا وعيناه مثبتتان على الفناء ذي الأعمدة خارج النافذة.

- ما الذي يجري الآن؟
- الكثير من العمل الشاق، والطويل. سأخبركَ عندما نتوصل إلى أي شيء.
- إذن، هل ما زالا يحققان مع الجميع؟ أقصد هيس وتلك الحقيرة؟
- عُدْ إلى المنزل يا يانسن. أفكارك مُشوَّشة. عُد إلى المنزل، ونمْ.
- إنه خطأ هيس. ألا تدرك هذا؟
- القاتل وحده مذنب في مقتل ريكس. أنا من أعطيتُ الإذن بالعملية، وليس هيس. وإن كنتَ ستغضب من أي شخص، وجِّه غضبك إليَّ.
- لم يكن ريكس ليغادر المنزل بمفرده لولا هيس. هو من دفعه إلى ذلك.
- لا أفهم ما تقصده.

لم يجب يانسن في البداية.

- لم ننمْ جيدًا طيلة ثلاثة أسابيع... بذلنا قصارى جهدنا حتى توصَّلنا أخيرًا إلى الدليل، وحصلنا على الاعتراف... وبعد ذلك، جاء هذا الوغد من لاهاي، وبدأ في نشر الشائعات عن كيفية تلفيق الأدلة.

خرجت الكلمات ببطء، وعينا يانس سارحتان.

- لكنكما لم تلفِّقا أي شيء، وحُلَّتِ القضية. أليس كذلك؟

لم يُجِبْ يانس مرة أخرى. بعدئذٍ، رنَّ هاتفه، وغادر للرد على المكالمة. شاهده نيلاندر وهو يغادر. فجأة، أحسَّ للمرة الأولى أنه يتمنى أن يتوصل هيس وتولين إلى شيء من زيارتهما للوزيرة.

81

حمل موظفو وزارة الشؤون الاجتماعية الصناديق، ووضعوها على طاولة اجتماعات بيضاوية بيضاء في وسط الغرفة ذات السقف العالي.

بنبرة مهذَّبة، قال رئيس الموظفين: «أفترض أن هذا يكفي. أخبراني إن احتجتما إلى أي شيء آخر. حظًّا طيبًا»، ثم اتجه نحو الباب.

للحظة، تكدَّست الصناديق تحت نور الشمس، وتراقصت جزيئات الغبار فوقها، قبل أن تتجمع السُّحب خارج النوافذ مرة أخرى، ولم يبقَ في القاعة سوى ضوء مصابيح «باول هينينجسن». بدأ المحققان العمل على المجلدات الموجودة في الصناديق. على أي حال، بالنسبة إلى هيس، كانت أحلام اليقظة تشلُّه. كان قبل أيام قليلة فقط في غرفة اجتماعات أخرى مع كومة مشابهة من الحالات، ويبدو كما لو أن القاتل قد دفعه إلى أحد كوابيس كافكا المتمثِّلة في قضايا جديدة عليه قراءتها. وكلما زاد عدد المجلدات التي يحسبها هيس في الصناديق، أدرك بشكل أكثر وضوحًا أنه في حاجة إلى فعل شيء مختلف تمامًا. أن يخرج عن المألوف، ويفعل ما لا يمكن التنبؤ به. لكنه لا يعرف كيف.

وضع أمله في المقابلة مع روزا هارتونج. وبعد بعض المحادثات غير ذات الصلة مع مستشارها فوجل الذي أكد لتولين وهيس أن هذه لم تكن مقابلة بل محادثة، ذهب الثلاثة إلى مكتبها، حيث كانت الوزيرة في انتظارهما. ادعت أنها لا تعرف شيئًا عن النساء المقتولات، مع أنهما جاءا على ذكرهنَّ بالتفصيل واحدة بعد الأخرى. بالنسبة إلى هيس، كان من الواضح أن الوزيرة كانت تُحاول بصدق أن تتذكر أكانت قد صادفت الضحايا أو أفراد أُسرهنَّ من قبل، لكن لا يبدو أنها فعلت ذلك. حتى إنه اضطر إلى مقاومة الشعور بالتعاطف. روزا هارتونج، امرأة جميلة وموهوبة فقدت ابنتها، وتحوَّلت في وقت قصير إلى امرأة هزيلة ومكسورة. كانت عيناها مرتبكتين، ضعيفتين، مثل حيوان

مُطارَد. وبينما كانت تتأمل الصور والأوراق، كان هيس يراقب ارتجاف يديها النحيفتين، حتى بالرغم من حرصها على إيقاف هذا الرجفان.

ومع ذلك، حافظت على الحديث بنبرة نشيطة. كان متيقنًا أن روزا هارتونج هي مفتاح الحل. بين النساء المقتولات شيء مشترك. في جميع الحالات الثلاث، تعرض الأطفال للإيذاء المروِّع، أو لسوء المعاملة في المنزل. في جميع الحالات، أرسل القاتل بلاغًا من مجهول يوصي بتلقِّيهم الرعاية. وفي جميع الحالات، كان النظام قد برَّأ عن طريق الخطأ الأُسَر من الشك، وأهمل أهمية التدخل. ولأن الضحايا قد تُرِكُوا جميعًا مع دمية رجل الكستناء التي تحمل بصمة ابنة روزا هارتونج، فمن المحتمل أن القاتل أراد محاسبتها. لذلك، لا بدَّ أن القضايا تعني شيئًا للوزيرة.

- أعتذر منكما، فأنا لا أعرف شيئًا عنهنَّ.
- ماذا بشأن التهديدات التي تعرضتِ لها مؤخرًا؟ أتفهَّم أنكِ تلقيت بريدًا إلكترونيًّا مزعجًا، وكتب أحدهم كلمة «قاتلة» على سيارتكِ الوزارية. هل لديكِ أي فكرة عمَّن فعل ذلك؟ أو لماذا؟
- طرح رجال المخابرات عليَّ السؤال نفسه. لكنني لا أستطيع التفكير في أي شخص.

تجنَّب هيس عامدًا ربط التهديدات بجرائم القتل، لأنه إذا تعرَّضت السيارة للتخريب في الوقت نفسه الذي تعرضت فيه آن سيير لاسين للهجوم، فيجب أن يكون الأمران مستقلين. إلا إذا كانوا يتعاملون مع شخصين. لكنْ حتى الآن لم يكن يوجد ما يشير إلى ذلك. وفقدتْ تولين صبرها.

- لكنكِ بالتأكيد تعرفين ما يدور حوله هذا الأمر؟ من الواضح أنكِ لستِ محبوبة بين جميع الأوساط، ويجب أن تعرفي أكنتِ قد فعلتِ شيئًا يدفع شخصًا ما إلى الانتقام؟

احتجَّ مستشار الوزيرة فوجل على نبرة صوتها، لكنَّ روزا أصرَّت على محاولة المساعدة. لكنها لم تكن تعرف كيف. لطالما عُرِفَتْ ببذل قصارى جهدها في مصلحة الأطفال. وكانت توصي دائمًا بإبعادهم عن الأهل في حال ثبت تعرُّضهم للإيذاء. كان هذا جزءًا من السبب الذي دفعها للطلب من المجالس إعداد قسم خاص للإبلاغ عن المخالفات، ومن بينها القسم في مجلس المدينة. كانت احتياجات الأطفال قضيتها الرئيسية، وكان أول شيء

فعلته عند اختيارها وزيرةً هو تشجيع المجالس على تعزيز أنشطتها في هذا المجال. وبعد بعض حالات الإهمال غير السارَّة بشكل غير اعتيادي بين بعض مجالس جوتلاند، أصبحتِ الحاجة واضحة، لكن من الواضح أن ذلك خلق لها بعض الخصوم. ليس أقلهم بين المجالس والأُسَر التي شعرت بآثار قمعها.

- لكنْ، ربما يوجد شخص يعتقد أنكِ خذلتِ الأطفال، أليس هذا ممكنًا؟
- لا. لا يمكنني تخيُّل ذلك.
- ولمَ لا؟ بصفتك وزيرة، ربما يسهل تشتيت انتباهكِ...
- لأنني لستُ كذلك. لا يعني ذلك أن هذا ليس من شأنكما، لكنني كنتُ طفلةً مكفولةً، وأعرف بالضبط ما يعنيه ذلك. ولا أخذل الأطفال أبدًا.

اشتعلتِ النيران في عينيها عندما قالت روزا هارتونج هذه الجملة. وبالرغم من سعادة هيس بالسؤال، فإنه فهم فجأة سبب شهرة هارتونج. بعد بضع سنوات صعبة كونها وزيرة، كانت لا تزال تتحلى بالصدق الذي حاول جميع السياسيين استحضاره أمام الكاميرات. لكن، في حالة هارتونج، كان الأمر غريزيًا.

- ماذا بشأن دمى رجل الكستناء؟ هل يمكنكِ التفكير في أي سبب يريد أي شخص أن يواجهكِ برجال الكستناء، أو الكستناء عامة؟

كان توقيع القاتل غير اعتيادي. وإذا كان هيس محقًّا في أن هارتونج هي المفتاح، فقد كان يرجو أن تتمكن من إضافة شيء ما للقضية.

- لا يا للأسف. كل ما يمكنني قوله هو أن كريستين كانت تمتلك كُشكًا في الخريف. وعندما تجلس هي وماتيلد إلى الطاولة، و... ولكنني أخبرتكما بذلك فعلًا.

حاولت الوزيرة إيقاف الدموع، وحاول فوجل قطع المقابلة، لكنَّ تولين اعترضت بأنهما ما زالا في حاجة إلى مساعدتها: لأن الوزيرة شجَّعت دخول المزيد من الأطفال إلى رعاية المجالس، فإن تولين وهيس يرغبان في الاطلاع على جميع القضايا التي تُعومِلَ معها خلال مدة ولايتها. قد يكون القاتل شخصًا مُتورِّطًا، وربما يكون حريصًا على الانتقام من الوزيرة والنظام الذي تمثله. وبإيماءة منها، أرسلت روزا هارتونج فوجل للتحدث مع مدير الموظفين للاهتمام بطلبهما. نهض هيس وتولين، وشكراها على وقتها عندما فاجأتهما بسؤال.

- قبل أن تغادرا، هل يحتمل أن ابنتي لا تزال حية؟

لم يكنْ أي منهما يعرف ماذا يقول. كان سؤالًا واضحًا، لكنهما لم يكونا مستعديْن للإجابة. أخيرًا، سمع هيس نفسه يرد.

- حُلَّتْ قضية ابنتكِ. اعترف رجل، وحُكِمَ عليه.

- لكنَّ البصمات... ثلاث مرات؟

- إذا كان القاتل لا يحبكِ لأسباب خاصة به، فسيكون هذا أقسى شيء يمكن أن يجعلكِ أنت وأسرتكِ تؤمنون به.

- لكنكما لستما واثقيْن.

- كما قلت...

- سأفعل أي شيء تطلبانه مني. لكن عليكما إيجادها.

- لا نستطيع ذلك. كما قلت...

لم تقلْ روزا هارتونج أي كلمة أخرى. نظرت إليهما بعينيْن مشرقتيْن حتى وصل فوجل لاصطحابها. بعدئذ، خُصِّصَتْ غرفة اجتماعات لـ هيس وتولين، وأصدر نيلاندر تعليمات مستعجلة لعشرة محققين لمساعدتهما على فحص ملفات القضية.

دخلت تولين مع صندوق آخر، ووضعته على الطاولة.

- كان يوجد صندوق آخر. سأتصفَّح الملفات من خلال جهاز الحاسوب المحمول في الغرفة المجاورة. هيا بنا!

تبدَّد التفاؤل الذي شعر به هيس عندما سُمِحَ لهما بالحديث مع الوزيرة. ها هما مجددًا يجلسان ويقرآن. ركام من الطفولة المروِّعة، والشعور الجريح، وتدخلات المجلس والإخفاق؛ ربما يريد القاتل مواجهة الشرطة والسلطات بكل شيء. أدرك هيس أنه لم ينمْ كثيرًا. كان عقله مشتتًا، وهو يكافح للتركيز. هل القاتل موجود بين الأطراف المتضررة في ملفات القضية المطروحة على المنضدة؟ يبدو الأمر منطقيًا، لكن هل القاتل منطقي؟ لا بدَّ أنه توقَّع سلفًا أنهم سيخوضون في تفاصيل هذه الملفات بدقَّة. فلمَ المخاطرة بجرِّهما تجاهه؟ ولماذا يصنع رجالَ الكستناء؟ لماذا يبتر اليدين والرجلين. ولماذا يكره الأمهات دونًا عن الآباء؟ وأين كانت كريستين هارتونج؟

تأكد هيس أن محفظته البلاستيكية موجودة في جيبه الداخلي، ثم اتجه نحو الباب.

- سنرحل يا تولين. أخبري الآخرين بأن يتصلوا بنا إذا وجدوا أي شيء.

- لماذا؟ إلى أين سنذهب؟

- سنعود إلى نقطة البداية.

اختفى هيس من خلال المدخل دون انتظار ليرى أكانت تولين خلفه. وفي طريقه نحو الخارج، ألقى نظرة على فريدريك فوجل، الذي أومأ برأسه وداعًا وأغلق باب مكتب الوزيرة.

82

- لكن لماذا نتحدث عن قضية هارتونج إذا كان نيلاندر يقول بأنها غير ذات صلة؟

- لا يوجد دليل. إذا كان الأمر يتعلق بالمناجل وتقطيع أوصال الخنازير، فأنا سأخرج، ويمكنكَ أن تسأله.

كانت تولين واقفة في الجانب الآخر من مختبر جينز. أومأت برأسها بانفعال نحو هيس الذي أغلق الباب حتى لا يسمع أحد ما يقوله. توجها مباشرة من مكتب الوزيرة ومن خلال المدينة إلى حيث جينز مع أقفاصه الزجاجية والمعاطف البيضاء. وفي الطريق، طلب هيس من تولين التأكُّد من وجود جينز، في حين كان مشغولًا في محادثة على هاتفه المحمول. بدا جينز مسرورًا بتلقي مكالمة تولين، ربما لأنه لم يتوقع ذلك. لكنه أصيب بخيبة أمل عندما عرف أن هيس يودُّ الحديث معه حول بعض الأمور. كانت تولين تأمل أن يكون جينز مشغولًا جدًّا. لكنْ، من الواضح أن الاجتماع الذي أُلغِيَ قد منحه بعض الوقت. وأحسَّت تولين بالندم على اتصالها. كانوا واقفين بجانب المكتب حيث عُرِضَتْ عليهم أولى بصمات أصابع كريستين هارتونج. لكنْ هذا يبدو منذ وقت طويل. جهاز اللحام وأدوات مختلفة على مصدر حرارة في الخلفية وضَّحت لـ تولين أن جينز كان يسخِّن البلاستيك لاختبار مرونته. ولكنَّ عينيه الآن مثبتتان على هيس الذي اقترب من طاولة المكتب.

- لأنني أعتقد أن قضية هارتونج ذات صلة. لكنني لم أكن أنا أو تولين موجودين في التحقيق. لهذا، أنا في حاجة إلى المساعدة. وأنت الشخص الوحيد الذي أثق به. إذا كنتَ قلقًا بشأن التورُّط، يمكنك قول ذلك، وسنخرج فورًا.

ابتسم جينز وقال: «أنا فضوليٌّ. ما دمتَ لن تطلب مني تقطيع خنزير آخر، فلا بأس بذلك. ما هذا؟

- الدليل ضد لينوس بيكر.

- كنتُ أعرف.

نهضت تولين من على الكرسي الذي جلست عليه للتو، لكنَّ هيس أمسك بيدها.

- أصغي إليَّ. نحن حتى الآن نفعل ما يتوقعه القاتل فقط. نحن في حاجة إلى العثور على طريق مختصر بشكل أو بآخر. إذا كان البحث في القضية القديمة مضيعة للوقت، فسنُثبِتُ ذلك مرة واحدة وإلى الأبد الآن. وبعد ذلك سأبقي فمي مغلقًا. حول كريستين هارتونج أيضًا.

ترك هيس يدها. وقفت تولين هناك لحظةً، قبل أن تعود إلى كرسيِّها. أدركت أن جينز لاحظ أن هيس مدَّ يده لإمساك يدها. ولسبب ما، أحرجها أنها لم تستطع سحب يدها بكل بساطة. فتح هيس ملفَ قضية سميكًا.

- بعد ظهر يوم 18 أكتوبر من العام الماضي، اختفتْ كريستين هارتونج في طريق عودتها إلى المنزل من جلسة تدريب كرة اليد. أُبلِغ عن اختفائها بسرعة إلى الشرطة، وبدأ التحقيق بجدية عندما عُثِرَ على دراجتها وحقيبة ملقاة في الغابة بعد بضع ساعات. استمرَّ البحث ثلاثة أسابيع، لكنْ بدا الأمر كأنها اختفت في الهواء. ثم حصلوا على معلومات سريَّة، من مجهول، توصيهم بالبحث في منزل رجل معين، لينوس بيكر، 23 عامًا، كان يعيش في شقة بالطابق الأرضي في مجمع في بيسبيرج. هل يبدو الأمر صحيحًا حتى الآن؟

- نعم. كنتُ حاضرة على التفتيش بنفسي، واتضح أنها نصيحة في محلِّها.

لم يُعرْ هيس بالًا لهذه الملاحظة، واستمرَّ بدلًا من ذلك في تقليب الملف، وقال: «ذهبوا إلى لينوس بيكر، وحققوا معه حول كريستين هارتونج، وأجروا بحثًا، كما تقولين. بدا الرجل مريبًا. لا وظيفة ولا تعليم ولا علاقات اجتماعية. شخص يعيش بمفرده، ويقضي أيامه أمام الحاسوب، ومعظم دخله من البوكر من خلال الإنترنت. والأهم من ذلك، أنه قضى ثلاث سنوات في السجن بجريمة اغتصاب أم وابنتها المراهقة في منزل في فانلوز الذي كان قد اقتحمه في

سن الثامنة عشرة. أُدين بيكر عدة مرات أيضًا بجنح على سلوكيات غير لائقة، وكان يخضع للعلاج من مشكلات نفسية في عيادة محلية. ولكنه أنكر منذ البداية علمه بأي جريمة ضد كريستين هارتونج».

- قال بعدئذٍ إنه عاد إلى طبيعته على ما أعتقد. لكننا فتحنا حاسوبه المحمول. فنِّيو التكنولوجيا فعلوا ذلك.

- بالضبط. حسبما فهمتُ، تبيَّن أن لينوس بيكر قرصانٌ إلكتروني من الدرجة الأولى. تعلَّم ذلك بنفسه مع الاجتهاد والمثابرة. ومن المفارقات أن اهتمامه بأجهزة الحاسوب قد نشأ بسبب دورة لتكنولوجيا المعلومات في السجن. واكتشفوا أنه لمدة ستة أشهر على الأقل كان قادرًا على اقتحام أرشيف الشرطة الرقمي لصور مسرح الجريمة، والنظر إلى صور الجثث.

كانت نيَّة تولين التزام الصمت لتوفير الوقت، لكنْ في هذه المرحلة عليها تصحيح ما قاله هيس.

- من الناحية الفنية، لم يخترق. كل ما فعله كان اعتراض ملف تعريف ارتباط تسجيل الدخول من أحد أجهزة الكمبيوتر التي سُجِّلَ الدخول إليها في النظام. ولأن النظام كان قديمًا وغير آمن، فقد تمكن من خداعه من خلال إعادة إرسال ملف تعريف الارتباط. من الشائن أن النظام لم يُستبدَل منذ زمن بعيد.

- حسنًا. في كلتا الحالتين، كان في إمكان بيكر الوصول إلى مئات الصور من مسارح الجريمة التي تعود إلى سنوات، ولا بدَّ أن اكتشاف هذا الأمر شكَّل صدمة.

قاطعهما جينز قائلًا: «لم تكن مجرَّد صدمة. كانت أشبه بقنبلة نووية. تمكَّن الرجل من الوصول إلى شيء لا يُفترَض لأحد سوانا الوصول إليه. وظهر أيضًا من بيانات المستخدم الخاصة به أنه استخدمها للوصول إلى بعض أسوأ عمليات القتل التي ربما وجدها.

- هذا ما فهمتُه أيضًا. جرائم قتل النساء بدوافع جنسية بشكل رئيسي. يبدو أن النساء اللواتي جُرِّدْنَ من ملابسهنَّ وشُوِّهْنَ كانت من بين المواد المفضلة لديه. لكنه ذهب أيضًا لاستعراض الجرائم ضد الأطفال، ولا سيَّما الفتيات القاصرات. اعترف بيكر بأن لديه دوافع سادية، ويثيره

النظر إلى الصور. لكنه ما زال ينكر أنه وضع إصبعًا على كريستين هارتونج. وفي تلك المرحلة، لم يكن هناك ما يشير إلى وجوده. صحيح؟

- نعم صحيح. حتى درسنا زوجًا من أحذيته.

- أخبرني عن الحذاء.

- الأمر بسيط نوعًا ما. فحصنا كل شيء في الشقة، من بين ذلك حذاؤه الرياضي الأبيض القديم الذي وُضِع على جريدة في خزانة ملابس. كشف تحليل التربة في المداس عن تطابق مائة في المائة مع نوع التربة في منطقة الغابات حيث عُثِرَ على دراجة وحقيبة كريستين هارتونج. لا شكَّ في ذلك. لكنْ بعد ذلك بدأ يكذب طبعًا.

- هل تقصد بالكذب تفسيرَه لزيارة تلك البقعة من الغابة؟

- بالتأكيد. كما فهمتُ، قال إنه جُذِبَ إلى مسرح الجريمة -كما هي الحال مع الصور الموجودة في الأرشيف- وعندما سمع نبأ اختفاء كريستين هارتونج، خرج بالسيارة إلى الغابة. عليك أن تسأل تيم يانسن أو أحد الآخرين، لكنني أعتقد أنه ادعى أنه كان يقف خلف طوق الشرطة مع المتفرجين الفضوليين الآخرين، وشعر بالإثارة الجنسية لوجوده في مكان الحادث.

- سأعود إلى ذلك. لكن الحقيقة هي أن الرجل ما زال يؤكد أنه لم يقتل كريستين هارتونج. كان لديه المزيد من الصعوبات العامة في تفسير سلوكه. واعترف بأنه يعاني انقطاعًا في الوعي -جزء من تشخيصه بأنه مصاب بالفصام وجنون العظمة- لكنه استمر في إنكار جريمة القتل، حتى بعد العثور على السلاح الملطَّخ بدماء كريستين هارتونج. أقصد المنجل الذي اكتُشِفَ على رف في المرأب إلى جانب سيارته.

وجد هيس ثغرة في ملف القضية.

- لم يعترفْ بالجريمة إلى أن استجوبه يانسن وريكس، وواجهاه بصور السلاح. هل هذا صحيح؟

- لا أعرف شيئًا عن مجريات التحقيق، لكن البقية تبدو صحيحة.

- جيد. هل يمكننا الذهاب الآن؟

نظرتْ تولين بحدَّة إلى هيس.

- لا أستطيع أن أرى الهدف من وراء كل هذا. أليس كل هذا سخيفًا تمامًا؟ من الواضح أن الرجل كان مريضًا في رأسه، لذلك لا معنى لإضاعة الوقت عليه في حين يهرب قاتل آخر.

- لا أعتقد أن لينوس بيكر يتمتع بصحة جيدة. المشكلة ببساطة هي أنني أعتقد أنه كان يقول الحقيقة حتى اليوم الذي اعترف فيه فجأة.

- أوه.

- ما الذي تعنيه؟

ازداد فضول جينز، وراح هيس ينقر ملف القضية.

- مرتان في العام السابق لقضية هارتونج، أُلقِي القبض على لينوس بيكر بسبب سلوكه غير اللائق. المرة الأولى في فناء خلفي لسكن طلابي في أودنسي، حيث تعرَّضت شابة للاغتصاب والقتل من قِبل صديقها قبل بضع سنوات. والمرة الثانية في أماجر كومون، حيث قُتِلَتِ امرأة قبل عشر سنوات على يد سائق سيارة أجرة وأُلقِيَتْ في الأدغال. في كلتا الحالتين، شوهد بيكر وهو يمارس العادة السرية في مسرح الجريمة القديمة، ثم أُلقِي القبض عليه، وحُكِمَ عليه بعقوبة بسيطة.

- ما المهم في ذلك؟

- ببساطة، ربما قرر لينوس بيكر زيارة موقع اختفاء كريستين هارتونج في الغابة بمجرد سماعه الخبر على التلفاز. قد يكون الأمر غير منطقيٍّ للآخرين، ولكنَّ هذا منطقي جدًّا بالنسبة إلى رجل بميوله.

- نعم، لكنْ من المؤكد أن النقطة المهمة هي أنه لم يقلْ ذلك مباشرة. ربما هو شخص بريء. لكنْ من المضحك أنه لم يقدم هذا التفسير إلا بعد تحليل الأحذية الرياضية.

- لستُ متأكدة من غرابة هذا الأمر. ربما كان يأمل في البداية ألا يكتشف أحد آثار التربة. مرت ثلاثة أسابيع، بعد كل شيء، ومن دون معرفة لينوس بيكر شخصيًّا. يمكنني أن أتخيل أنه راهنَ على عدم الاضطرار إلى قول أي شيء بشأن رغبته في زيارة مسرح الجريمة. ولكنه بعد ذلك واجه تحليل التربة، فاضطُرَّ إلى قول الحقيقة.

نهضت تولين على قدميها، وقالت: «نحن ندور في حلقات مفرغة. لا أفهم سبب افتراضنا المفاجئ لاعتبار الحجج اليائسة لمريض نفسي مُدان هي الحقيقة، لذلك سأعود إلى الوزارة الآن».

- لأن لينوس بيكر كان في الغابة. في الوقت الذي قاله بالضبط.

سحب هيس محفظة بلاستيكية من جيبه الداخلي، وأخرج كومة من الأوراق المطبوعة المجعَّدة. وقبل أن ينقلها إلى تولين، لاحظت أنها المحفظة نفسها التي لمحتها في يده في أودين ذلك الصباح، عندما ظهر بعد الجري.

- تحتفظُ المكتبة الملكية بالمقالات والصور في أرشيفها الرقمي. ومن بين الصور التي التُقِطَتْ في الموقع ذلك المساء في الغابة، وجدتُ هذه الصورة. تُظهِر الورقة المطبوعة العلوية الصورة كجزء من مقال في إحدى الصحف الصباحية في اليوم التالي لفقدان الفتاة. وكانت الأخرى صورًا مقرَّبة.

ركَّزت تولين عينيها على مجموعة صغيرة من الأوراق المطبوعة. كان الجزء العلوي لصورة رأتها من قبل. كانت نسخة بقياس 1:1 من إحدى الصور الأولى التي تتذكرها من التغطية الصحفية للقضية. تُظهِر الصورة قسمًا من الغابة، مضاءً جيدًا، يعجُّ بالضباط ووحدات الكلاب- ويُفترَض أنها كانت عن عمليات البحث. تبدو قاتمة، ما يمنح المشاهد إحساسًا بأهمية الموقف. وبعيدًا في الخلفية، يتجمَّع الصحفيون والمصورون وغيرهم من المتفرجين الفضوليين خلف طوق من الشرطة. وكانتْ تولين على وشك الاحتجاج مرة أخرى بأنهما يضيِّعان الوقت. ثم، في الورقة المطبوعة التالية، رأته. كانت الصورة حبيبيَّة المظهر بفعل نقاط البيكسل. كانت لقطة مقرَّبة لجزء من الوجوه، وأدركت تولين فورًا أنها لشخص من بين الحشد الذي يقف وراء الطوق. في الخلف، وبشكل مختفٍ تقريبًا خلف أكتاف الآخرين، وفي الصف الثالث أو الرابع، برز وجه لينوس بيكر. جعل تقريب الصورة عينيه تبدوان مثل الثقوب السوداء غير الواضحة، ولكنَّ ملامحه والشعر الخفيف المتناثر لم يدعا أي مجال للشك.

- السؤال هو، طبعًا، كيف يمكن أن يقف هناك عندما ادَّعى لاحقًا أنه كان يقود سيارته شمالًا مع جثة كريستين هارتونج في تلك اللحظة بالذات، بحثًا عن مكان لدفنها.

- يا للهول...

أخذ جينز مجموعة المطبوعات من تولين التي وقفت دون أن تعرف ما تقول.

- لماذا لم تقلْ شيئًا من قبل؟ لماذا لم تخبرْ نيلاندر؟
- اضطُررتُ إلى التحقق مرة أخرى من الوقت الذي استغرقتُه مع المصور الذي التقطها. تأكدت من التقاط الصورة في ذلك المساء بالتحديد. ولم أعرفْ ذلك إلا ونحن في طريقنا بالسيارة إلى هنا. وبالنسبة إلى نيلاندر، اعتقدتُ أنه من الأفضل أن نناقش الأمر نحن الاثنين أولًا.
- لكنَّ هذا لا يبرِّئ بيكر. نظريًّا، كان في إمكانه قتل كريستين هارتونج، وإخفاء جثتها في السيارة، ثم العودة إلى الغابة لمشاهدة أنشطة الشرطة قبل التوجُّه شمالًا.
- نعم. رأينا هذا النوع من السلوك من قبل. لكنْ كما قلت، من المدهش أيضًا أن المنجل كان خاليًا تمامًا من غبار العظام، إذا كان قد بتر أوصالها حقًّا. لذلك يبدأ الغموض في...
- لكن، لماذا يعترف لينوس بيكر بشيء لم يفعله؟ لا معنى لذلك.
- الاحتمالات كثيرة. لكن أعتقد أننا يجب أن نسأله بأنفسنا. بصراحة، أرى أن القاتل في قضية كريستين هارتونج هو نفسه الذي نلاحقه الآن. وإذا حالفنا الحظ، يمكن أن يساعدنا لينوس بيكر.

83

كانت مدينة سلاجيلس تبعد مسافة مائة كيلومتر تقريبًا. ووفقًا لنظام تحديد المواقع العالمي، ستستغرق الرحلة نحو ساعة وخمس عشرة دقيقة. لكنْ، عندما انعطفت تولين نحو أرض المعارض القديمة بالقرب من جرونينجن حيث يقع مستشفى الأمراض النفسية والجناح الآمن، لم تمرَّ أكثر من ساعة.

كان من الجيد الهروب من حدود المدينة ومشاهدة المناظر الطبيعية الخريفية للحقول والغابات المتناثرة بألوان الأحمر والبني والأصفر. سرعان ما اختفت الألوان وبدأ الخريف باكتساب لون رمادي. حاولت تولين الاستمتاع بالمنظر، مع أن ذهنها كان شاردًا في ما جرى في مختبر الطب الشرعي.

توسَّع هيس في نظريته التي شرحها بحضور جينز. إذا كان لينوس بيكر بريئًا من أي جريمة ضد كريستين هارتونج، فلا بدَّ أن شخصًا آخر وجَّه عمدًا الشكوك إليه. من نواحٍ عدَّة، كان كبش فداء مثاليًّا، مع ملفِّه الجنائي الشائن، وحالته النفسية التي لا بدَّ أن تلفت انتباه الشرطة بمجرد دخوله دائرة الضوء. لكنَّ القاتل -وهنا لم يكن هيس يعني به لينوس بيكر- يجب أن يكون قد خطَّط كل هذا منذ مدة طويلة، وربما لغرض محدَّد يتمثل في جعل كريستين هارتونج تبدو كما لو أنها قُتِلَتْ ودُفِنَتْ. النصيحة المجهولة عن لينوس بيكر التي أدت إلى إغلاق القضية، تبدو الآن موضع شك.

في البداية، استجوب هيس جينز بشأن التحقيق في المكالمة الهاتفية التي قادت الشرطة إلى بيكر. هُرِعَ جينز مباشرة إلى لوحة المفاتيح للتحقُّق من التفاصيل في التقرير الفني. اتَّصِلَ بالهاتف المجهول إلى خط أرضي في وقت مبكر من صباح أحد أيام الاثنين، ولكن يا للأسف ليس إلى خط الطوارئ رقم (112) الذي يسجل جميع المكالمات تلقائيًّا. الغريب في الأمر هو أن المكالمة جاءت من خلال خط مباشر إلى المكتب الإداري الخاص بـ نيلاندر.

لم يكن هذا في حد ذاته مريبًا بالضرورة؛ بعد كل شيء، نُشِرَتْ أرقام الاتصال بـ نيلاندر في جميع وسائل الإعلام آنذاك، ومن المنطقي أن يرسل شخص ما يتابع القضية معلوماته إليه. يبدو أن المكالمة قد صدرت من هاتف محمول ببطاقة مدفوعة سلفًا وغير مسجلة. لذلك كان من المستحيل تتبع المُخبِر. وهناك أصبح الطريق مسدودًا. وفقًا للتقرير، لم يتمكن السكرتير الذي أجرى المكالمة من إعطاء أي حساب بخلاف أن المتحدث هو «رجل يتحدث الدنماركية»، وأنه قال بإيجاز إنه يجب التحقق من لينوس بيكر، والبحث في محل إقامته فيما يخص قضية هارتونج. تكرر اسم لينوس بيكر، ثم انقطع الخط.

طلب هيس من جينز بعدها مراجعة الأدلة الجنائية مرة أخرى في أقرب وقت ممكن. في اللحظة التي ركز فيها التحقيق على بيكر، ربما أُغفِلَتْ خيوط أخرى لم تبدُ ذات أهمية- وكانت تلك هي الخيوط التي تثير اهتمام هيس الآن. سيستغرق الأمر بعض الوقت، لكن جينز كان على استعداد لمنحه فرصة. ومع ذلك، فقد سأل عما كان من المفترض به قوله إذا شاهده أي شخص وهو يُقلِّب في تقارير هارتونج حول الآثار والأدلة المادية.

- قل إنني طلبتُ منكَ ذلك حتى لا تقع في المشكلات.

تساءلت تولين لحظةً ما المفترض أن تقوله. لم يكن في ذهنها شك أن التطورات الراهنة. تقع تحت المظلة العامة للأشياء التي لا يحبها نيلاندر، وإذا قُبِضَ عليها فقد يؤثر ذلك في فرصها في الانضمام إلى المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية. ومع ذلك، لم تستطعِ الاتصال بنيلاندر. وبدلًا من ذلك، اتصلت بأحد المحققين في أثناء قراءة الملفات في مكتب الوزيرة، بحثًا عن أعداء محتملين لروزا هارتونج. لا شيءَ جديد في هذا الصدد، باستثناء حقيقة أن معظم الحالات تضمنت شعورًا قويًّا وكراهية تجاه السلطات. لذلك عندما اقترح هيس عليهما محاولة ترتيب مقابلة مع لينوس بيكر، وافقت. ثم اتصلت هاتفيًّا بالجناح الآمن حيث كان بيكر محتجزًا. كان الطبيب النفسي الاستشاري في اجتماع، لكنَّ هيس طلب التواصل مع معاونه موضحًا أنهما في طريقهما إليه، ويتوقع وصولهما في غضون ساعة.

- هل تستطيعين الحضور؟ لستِ مضطرة إلى ذلك إذا أحسستِ أن ذلك قد يعرِّضك للخطر.

- لا بأس، كل شيء على ما يرام.

كانت تولين لا تزال تشكُّ في الفائدة من هذه الزيارة. رجَّحت أن لينوس بيكر كان صادقًا في اعترافه باقتراف الجريمة. لا يزال في إمكانه الظهور خلف طوق الشرطة في الغابة. من خلال ما عرفته عن تيم يانسن، وكذلك عن مارتن ريكس، لم يكونا بالتأكيد خائفين من تطبيق بعض القسوة -أو ما هو أسوأ- إذا دعت القضية إلى استخدامها لسحب اعتراف من المشتبه فيه. على أي حال، وبصرف النظر عن ممارساتهما، حظي لينوس بيكر بالعديد من الفرص لسحب اعترافاته. فلماذا يكون الاعتراف خاطئًا؟ على الرغم من حالته الذهنية المزعومة، تذكر بيكر الأحداث بأكملها. وافق على سيناريو اقترافه الجريمة منذ تجوُّله بالسيارة خلال وقت ما بعد الظهر، عندما شاهد فتاة تحمل حقيبة رياضية، حتى وقت لاحق من الليلة نفسها، عندما وجد نفسه مع جثة في الغابة شمالًا. وصف الاعتداء الجنسي والخنق، ووصف قيادته السيارة مع الجثمان، وحيرته فيما قد يفعله به. حتى إنه اعتذر لوالدِي الفتاة خلال إفادته في المحكمة.

لا بدَّ أن هذه هي الحقيقة. وأي شيء آخر كان غير واقعي. هذا هو آخر ما فكرتْ فيه تولين قبل أن تتوقف خارج بوابات المنشأة الآمنة.

84

شُيِّدَتِ الوحدة الآمنة مؤخرًا. وهي تقع في قطعة أرض خاصة بها على شكل مربع بالقرب من مستشفى الأمراض النفسية. تحدُّها من الجوانب الأربعة جداران بارتفاع ستة أمتار، مع خندق عميق بينهما. نقطة الوصول الوحيدة هي من الجنوب، حيث يتاخم نظام البوابات موقف السيارات. وقف هيس وتولين أمام كاميرا المراقبة، ومكبِّر الصوت إلى جانب البوابة الثقيلة.

خلافًا لـ هيس، لم تَزُرْ تولين أيَّ جناح آمن من قبل. لكنْ من الواضح أنها سمعت عن هذا المكان. المنشأة هي أكبر مؤسسة للطب النفسي الشرعي في البلاد، وهي موطن لأخطر المجرمين. وقد أُدين نزلاؤها البالغ عددهم ثلاثين شخصًا بمرسوم خاص، وهو إجراء يمكن للمحاكم استخدامه في الحالات النادرة إذ يوجد سبب لافتراض أن الفرد يُشكِّل خطرًا مستمرًّا على الآخرين. ونظرًا إلى أن هذا الخطر ناتج عن مرض عقلي، يُنقَل الفرد إلى وحدة الطب النفسي الآمنة -جناح الطب النفسي المختلط وسجن شديد الحراسة- ويُحتوَى هناك طيلة مدة العقوبة غير المحددة. ومن بين السجناء الذين يشار إليهم على أنهم مرضى، قتلة ومولعون بالأطفال، ومغتصبون متسلسلون، ومولعون بإشعال الحرائق عمدًا. وبعضهم مصابون بأمراض مستعصية، لن يُنظَر إليهم أبدًا في إعادة الاندماج في المجتمع.

فُتِحَتِ البوابة الكهربائية، وتبعت تولين هيس في نوع من المرأب الفارغ، حيث يجلس حارس في انتظارهما خلف زجاج مضاد للرصاص. استطاعا أن يشاهدا خلفه حارسًا آخر أمام مكتب شاشات المراقبة. عدد كبير من شاشات المراقبة. وحسب الطلب، سلَّمت تولين هاتفها وحزامها ورباط حذائها. وفي حالتها هي وهيس، طُلِبَ منهما تسليم أسلحتهما. ولكنَّ الهاتف كان الأكثر إيلامًا، لأن تولين ستُحرَم من فرصة الاتصال بزملائها في الوزارة، وهو ما لم تتوقعه. أعفاها ماسح ضوئي للجسم من أي عمليات بحث إضافية. انتظرت

بعدئذٍ هي وهيس في المرأب ريثما فُتِحَتْ بوابة أخرى. دخلا أكثر ضمن سلسلة من البوابات. وكلما أُغلِق أحدها، فُتِحَ آخر وصولًا إلى باب معدنيٍّ ثقيلٍ في نهاية الغرفة حيث يوجد ممرِّض مع شارة تحمل الاسم «هانسن».

- أهلًا بكما. اتبعاني من فضلكما.

مع ممراته المُنَارة، وإطلالته الرائعة على الفناء، يبدو الجناح للوهلة الأولى كأنه مركز تدريب حديث، حتى تدرك أن معظم المفروشات مُثبَّتة على الأرض أو الجدران طبعًا. صوت خشخشة المفاتيح موجود دائمًا، ونظام البوابات المتشابكة مستمر، تمامًا كما في أي سجن عادي. وبينما انتقلوا إلى عمق المنشأة، لمحوا بعض المرضى على الأرائك، وعلى طاولات تنس الطاولة. رجال غير حليقي اللحى، وبعضهم يُعالَجون بوضوح، ومعظمهم يتجولون في صندل يسهل ارتداؤه. شاهدت تولين مرضى مع ملامح حزينة. ذكَّرها منظرهم بالمقيمين في دار رعاية المسنين. وتعرَّفت عددًا قليلًا منهم من خلال الصور الصحفية. ومع أن وجوههم تبدو قديمة ومملة، فإنها تعلم أن لديهم جرائم بحق شخص ما.

- هذا مزعج جدًّا. لا أعرف لماذا لم أدركْ ذلك من قبل.

لم يكن مستشار الطب النفسي فايلاند سعيدًا برؤيتهما. ومع أن هيس قد شرح زيارتهما لنائبه، فإنه يتعين عليه الآن أن يروي القصة مجددًا.

- أعتذر جدًّا، لكننا في حاجة إلى الحديث معه.

- لينوس بيكر يُحرِز تقدمًا في علاجه. لا يمكن مواجهته بأخبار الموت والعنف؛ إنه بالضبط الشيء الذي قد يعيده إلى الوراء. لينوس بيكر من مرضانا الذين يُحظَر عليهم الوصول إلى أي أشكال الوسائط باستثناء برنامج طبيعي مدته ساعة واحدة يوميًّا.

- نحن نودُّ فقط سؤاله عن أشياء تحدَّث عنها في السابق. من المهم أن نتحدث معه. إذا لم تسمح لنا بالوصول، فسيتعين عليَّ الحصول على أمر قضائي بذلك. ولكنَّ أي تأخير، قد يؤدي إلى خسارة الأرواح.

أدركتْ تولين أن المستشار لم يكن مستعدًّا لهذه الإجابة. تردَّد قليلًا. من الواضح أنه ليس مُغرَمًا بالتراجع.

- انتظرا هنا. إذا وافق على ذلك، فلا بأس. لكنني لا أجبره على فعل أي شيء.

عاد المستشار بعد لحظات. أعطى هانسن إيماءة وأخبرهما أن لينوس بيكر وافق على لقائهما قبل أن يختفي.

ألقى هانسن نظرة خلفه، ثم بدأ في إخبارهما بالإجراءات الأمنية.

- ممنوع إجراء أي اتصال جسدي. إذا بدا الاضطراب على بيكر، حتى عن بعد، فأنتما في حاجة إلى سحب حبل الطوارئ في غرفة الزوار. سنكون خارج الباب مباشرة إذا وقع أي طارئ. لكنْ من الأفضل ألا يحدث ذلك. هل هذا واضح؟

85

مساحة غرفة الزوار كانت خمسة أمتار في ثلاثة. كانت النوافذ السميكة المقوَّاة تجعل القضبان غير ضرورية، ما يُوفِّر إطلالة خالية من العوائق على الفناء الأخضر والجدار الذي يبلغ ارتفاعه ستة أمتار خلفه. وُضِعَتْ أربعة كراسي بلاستيكية صلبة بدقّة حول طاولة زاوية صغيرة مثبَّتة بمسامير على الأرض. كان لينوس بيكر جالسًا فعلًا على أحدها عند دخول تولين وهيس.

كان رجلًا قصير القامة بشكل مُلاحَظ. ربما خمس أقدام وخمس بوصات. شاب بلا شعر تقريبًا. وجه طفولي، لكنه قوي البنية. يشبه إلى حد ما لاعب الجمباز مع بنطال رياضي رمادي وقميص أبيض.

- هل تسمحان لي بالجلوس إلى جوار النافذة؟ أفضل الجلوس إلى جوار النافذة.

نهض بيكر، ووقف يحدق إليهما مثل تلميذ متوتر.

- طبعًا. خذ راحتك.

عرَّف هيس نفسه وتولين. ولاحظت تولين أنه يبذل قصارى جهده ليكون ودودًا وموثوقًا. أنهى المقدمات بشكر بيكر على وقته.

- لديَّ كل الوقت هنا.

تحدَّث بيكر من دون سخرية أو ابتسامة. كانت عبارة بسيطة، وعيناه تلمعان في وجههما بصعوبة. بينما كانت تولين جالسة على أحد الكراسي المثبتة بمسامير أمام الشاب، بدأ هيس في توضيح أنهما جاءا لأنهما في حاجة إلى مساعدته.

- لكني لا أعرف مكان الجثة. أنا آسف جدًّا، لكنني حقًّا لا أستطيع تذكُّر أي شيء بخلاف ما قلتُه لكم فعلًا.

- لا تقلق بهذا الشأن. نحن هنا بخصوص شيء آخر.

- هل أنتما معنيان بالقضية؟ أنا لا أتذكركما.

بدا بيكر خائفًا قليلًا، مع عينين تطرفان بلا ذنب. جلس مستقيمًا على كرسيِّه، وراح يقضم أظفاره الحمراء بقلق.

- لا. نحن لم نكن في القضية.

بدأ هيس يسرد الكذبة التي اتفقا عليها. أظهر شارة اليوروبول الخاصة به، ووضح أنه يعمل محللًا لملفات تعريف في لاهاي. من خلال رسم خرائط لشخصيات وسلوكيات أفراد مثل لينوس بيكر، يمكن أن يساعد المحللون على حل جرائم مماثلة. جاء هيس إلى الدنمارك لمساعدة زملائه الدنماركيين، من بينهم تولين، على إنشاء قسم مماثل. قال إنهم يُجرُون محادثات مع نزلاء مختارين لتعرُّف أنماط ردود أفعالهم في المدة التي سبقت جرائمهم، ويأملون أن يشارك بيكر.

- لكنْ لم يخبرني أحد بقدومكما.

- لا. كان هناك خطأ. كان من المفترض أن تُبلَغ في وقت سابق حتى تتمكن من الاستعداد. لكنني أخشى أن يكون هناك سوء فهم. الأمر متروك لكَ تمامًا إذا كنت تريد المساعدة. إذا كنت تفضل ذلك، يمكننا الذهاب.

نظر بيكر من النافذة، وعاد إلى قضم أظفاره. للحظة، كانت تولين متأكدة من أنه سيرفض.

- أريد ذلك. من المهم أن أساعد الآخرين، أليس كذلك؟

- بلى، بالضبط. شكرًا لك. هذا لطف منك.

قضى هيس الدقائق القليلة التالية في التحقُّق من الحقائق المختلفة مع لينوس بيكر. العمر، ومكان السكن، والوضع العائلي، والدراسة، والسجل التاريخي لدخوله المستشفى. جميع الأسئلة غير المؤذية وغير ذات الصلة التي يعرفان إجابتها سلفًا. وكان الغرض منها بناء الثقة، وجعل بيكر يشعر بالأمان. يجب أن تعترف تولين بأن هيس بارع في هذا الأمر. وتخلصت من الشكوك حول اكتشاف قصتهما الملفَّقة. لكنَّ الأداء يستغرق وقتًا، وتشعر كما لو أنهما يجلسان في عين العاصفة، ويدوران في حماقة لا فائدة منها، في حين تستعر العاصفة في الخارج. أخيرًا، وصل هيس إلى اليوم السابق للجريمة.

- قلتَ إن اليوم كان غامضًا بالنسبة إليكَ. تتذكره فقط في ومضات.
- نعم. كنت أعاني فقدان ذاكرة مؤقت. أصابني مرضي بالدُّوار، ولم أنمْ طيلة يومين. قضيتُ الكثير من الوقت مع الصور في الأرشيف.
- أخبرني كيف بدأ الأمر مع الأرشيف.
- كان نوعًا من أحلام الطفولة. إذا كان في إمكاني وصفه على هذا النحو. أعني، كانت لديَّ تلك الحوافز...

توقف بيكر، وخمَّنت تولين أن جزءًا من علاجه النفسي يتضمن عدم إذعانه لساديَّته وشغفه بالموت.

- ...ومن الأفلام الوثائقية عن الجرائم، كنت أعرف بوجود صور التُقِطَتْ في مسارح الجريمة. لم أكن أعرف مكان حفظها، حتى استطعتُ الولوج إلى الخادم في قسم الطب الشرعي. وبعد ذلك كان الباقي سهلًا للغاية.

تدرك تولين صحَّة كلامه. الدفاع الوحيد عن ضعف أمان النظام كان استبعاد فكرة أن يعمد شخص إلى اقتحام الأرشيف الرقمي للضحايا، وصور مسرح الجريمة. كانت تلك هي الحالة حتى نجح بيكر في اختراق الحاجز الأمني الإلكتروني.

- هل أخبرتَ أي شخص بما وصلتَ إليه؟
- لا. كنتُ أعلم أن هذا غير مسموح لي. لكن،... كما قلت...
- ما الذي فعلته بكَ الصور؟
- في الواقع، فكرت في أن الصور... جيدة بالنسبة إليَّ. لأنني بتلك الطريقة كنت أتحكم بـ... دوافعي. لكني أدرك اليوم أنها لم تكن كذلك. لقد أشعرتْني بالإثارة. جعلتني أفكر في شيء واحد فقط. أتذكر أنني شعرت أنني في حاجة إلى هواء نقي. لذلك تجولت جولة. ولكن يصعب عليَّ تذكُّر ما جرى بعد ذلك.

دُهِشَتْ تولين من نظرة بيكر المتأسِّفة. وبالرغم من البراءة والطفولية على وجهه، فإنها شعرت بالقشعريرة تسري في جسدها.

- هل يعرف أي شخص حولك بما تعانيه من فقدان مؤقت للذاكرة؟ أو هل أخبرتَ أحدًا بذلك؟

- لا. لم أرَ أحدًا في ذلك الوقت. كنت ألازم المنزل في معظم الأوقات. ولا أخرج إلا للتنزُّه ورؤية المناظر.

- أي مناظر؟

- مسارح الجريمة. القديمة منها والجديدة. في أودين، على سبيل المثال، وفي أماجر كومون، حيث اعتُقِلْتُ. وفي أماكن أخرى أيضًا.

- هل أصبتَ بفقدان مؤقت للذاكرة في تلك المناسبات أيضًا؟

- ربما. لا يمكنني التذكر. أعني، هذه هي الحال مع الفقدان المؤقت للذاكرة.

- ما الذي تتذكره عن بقية اليوم الذي وقعتْ فيه الجريمة؟

- لا أذكر الكثير. من الصعب قول ذلك، لأن الأمور اختلطت عليَّ بعد ما اكتشفته لاحقًا.

- هل يمكنكَ أن تتذكر، على سبيل المثال، أكنتَ قد لاحقت كريستين هارتونج في الغابة؟

- لا. ليس تمامًا. لكنني أتذكر الغابة.

- لكن، إذا كنتَ لا تتذكر ذلك، فكيف عرفتَ أنكَ من هاجمها وقتلها؟

للحظة، بدت على بيكر الدهشة. بدا متفاجئًا، كما لو أنه تقبَّل ذنبه منذ مدة طويلة.

- لأن... ذلك ما قيل لي. وقد ساعدوني على تذكُّر أشياء أخرى.

- من؟

- حسنًا، الضباط الذين استجوبوني. لقد وجدوا أشياء، كما تعلم. التربة تحت حذائي. والدماء على منجل كنت قد اعتدت استخدامه...

- لكنْ حتى تلك المرحلة، كنتَ تقول إنك لم تفعل ذلك. هل تذكرتَ المنجل بنفسكَ؟

- لا، ليس في البداية. لكنْ بعد ذلك بدأتِ الأمور تشير إلى هذا الاتجاه.

- عندما عُثِرَ على المنجل، قلتَ إنك لم ترَه من قبل. لا بدَّ أن شخصًا ما وضعه على الرف في المرأب المجاور لسيارتكَ. لم تعترف إلا في مقابلة لاحقة، وقلتَ إنه لكَ.

- نعم، هذا صحيح. لكنَّ الأطباء أوضحوا أن هذه هي الآثار الجانبية لمرضي. إذا كنتَ مصابًا بالفصام وجنون العظمة، فإنَّ عقلكَ يتحايل مع الواقع.
- إذن، لا يمكنك التفكير في من كان سيضعه هناك، لو وُضِعَ هناك فعلًا؟
- لكن ذلك لم يحدث... أنا من فعل ذلك. لا أعتقد أنني أبلي بلاءً حسنًا مع كل هذه الأسئلة...

نظر لينوس بيكر بارتباك نحو الباب، لكنَّ هيس مال نحوه وحاول لفت انتباهه.

- لينوس، أنتَ بخير. أريد أن أعرف أكان أي شخص قريبًا منك خلال تلك المدة. شخص يعرف عن تفاصيل حياتك. شخص ما أسررتَ له؛ شخص قابلته فجأة، أو راسلته من خلال الإنترنت، أو...
- لكنْ لم يكن هناك مثل هذا الشخص. أنا لا أفهم ما تريد. أعتقد أنني أودُّ العودة إلى غرفتي الآن.
- لا تغضب يا لينوس. إذا قدمتَ لي يد المساعدة، أعتقد أنه يمكننا معرفة ما حدث في ذلك اليوم. وما الذي جرى بالضبط لـ كريستين هارتونج.

حدَّق بيكر إلى هيس بنظرة من الشك، وهمَّ بالوقوف.

- هل تعتقد ذلك؟
- نعم، أعتقد ذلك بالتأكيد. عليكَ فقط أن تخبرني بمن كنتَ على اتصال به.

نظر هيس بثقة إلى لينوس بيكر. وللحظة، بدا على وجه لينوس بيكر ملامح خجل طفولي مما قاله هيس للتوِّ. ولكن ذلك تحول بعدئذٍ إلى ضحك.

انفجر لينوس بيكر ضاحكًا. حدقت تولين وهيس بذهول إلى هذا الرجل الصغير الذي يحاول عبثًا كبح ضحكاته. عندما بدأ أخيرًا في الكلام. بدا الأمر كما لو أنه خلع قناعًا، ولم يعد هناك أي أثر للشك أو التوتر.

- لماذا لا تسألني فقط عما تودُّ معرفته حقًّا؟ تخطَّ كل هذا الهراء، وادخل في صلب الموضوع.
- ماذا تعني؟
- ماذا تعني؟

قلَّد بيكر صوت هيس، وأدار عينيه بابتسامة مزعجة.

- أنت متشوق إلى معرفة سبب اعترافي بجريمة، إذا كنتُ لم أقترفها.

حدقت تولين إلى لينوس بيكر. كان التحوُّل مذهلًا. الرجل مجنون. مجنون تمامًا. وللحظة، أحسَّت تولين بضرورة مناداة المستشار ليتمكن بنفسه من رؤية التطور في حالة بيكر. لكنَّ هيس حاول الحفاظ على رباطة جأشه.

- حسنًا. لماذا اعترفتَ إذن؟

- اغربا عن وجهي. هذا ما يدفعونه لكَ لمعرفته. هل أعادوكَ حقًّا إلى هنا من يوروبول لاستجرار هذا الهراء مني، أو أنها مجرد شارة من الورق المقوى أظهرتها لي سابقًا؟

- لينوس، أنا لا أفهم ما تقول. لكنْ إذا لم تكن لديك علاقة بكريستين هارتونج، فلم يفتِ الأوان بعد لقول ذلك. يمكننا مساعدتكَ على إعادة قضيتكَ إلى المحكمة.

- لكنني لا أحتاج إلى المساعدة. بافتراض أننا ما زلنا نعيش في مجتمع يلتزم بالقانون، سأعود على الأرجح إلى المنزل مرة أخرى بحلول عيد الميلاد على أبعد تقدير. أو بمجرد انتهاء رجل الكستناء من حصاده.

كان وقع الكلمات على تولين كالمطرقة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى هيس الذي جلس كعمود من الحجر. بيكر يعرف. يبتسم. وبينما حاولت تولين التصرُّف كما لو أن شيئًا لم يحدث، بدا الأمر كما لو أن الليل قد حلَّ فجأة في الغرفة.

- رجل الكستناء...؟

- نعم. رجل الكستناء. سبب وجودكما هنا. هانسن الصغير واللطيف، والضخم، نسيَ أنه لا تزال لدينا خدمة الأخبار النصية على الشاشة المسطحة في الغرفة المشتركة. ثمانية وثلاثون حرفًا فقط في كل سطر، ولكن لا يزال بإمكانك فهم شيء منه. لماذا لم تحضرا قبل الآن؟ لم يردكَ المدير أن تتلاعب بقضيته اللطيفة والمرتَّبة، أليس كذلك؟

- ما الذي تعرفه عن رجل الكستناء؟

- مرحى يا رجل الكستناء. أهلًا يا رجل الكستناء...

دندن بيكر اللحن بسخرية. وفقد هيس صبره.

- سألتك عن معلوماتك بشأن رجل الكستناء.
- فات الأوان. إنه في طريقه إلى الأمام. لهذا السبب أنتما هنا، تتوسلان إليَّ. لأنه يستهزئ بكم. لأنه ليست لديكما فكرة عما يجب فعله.
- هل تعرف من هو؟
- أعرف ما هو. إنه السيد. وقد جعلني جزءًا من خطته. وإلا لما اعترفتُ أبدًا.
- أخبرنا من هو يا لينوس.
- أخبرنا من هو يا لينوس.

أعاد لينوس بيكر كلمات هيس مجددًا.

- ماذا عن الفتاة؟
- ماذا عن الفتاة؟
- ماذا تعرف؟ أين هي؟ ما الذي حدث لها!
- هل يهمُّ؟ لا بدَّ وأنها حظيت ببعض المرح...

راقبهما لينوس بيكر ببراءة. وانتشرت نظرة سافلة على وجهه. لم تحظَ تولين بالوقت للتدخل عندما نهض هيس فجأة واندفع نحوه. لكنَّ بيكر كان مستعدًّا. وفي تلك اللحظة بالذات، سحب الحبل. دق ناقوس الخطر مع عواء يصمُّ الآذان. وبالثانية نفسها بالضبط، فُتِحَ الباب المعدني، ودخل الرجال ذوو الأكتاف العريضة. وعاد لينوس بيكر من جديد إلى ما يشبه التلميذ ذي التعابير الخجول.

86

كانت البوابة تفتح ببطءٍ، إلا أن هيس لم يستطع الانتظار. وبينما كانت تولين تستعيدُ متعلقاتهما من الحارس خلف الزجاج المضاد للرصاص، شاهدتْه يشقُّ طريقهُ من خلال البوابة المفتوحة جزئيًّا ويدلفُ نحو موقفِ السيَّارات. وبينما تبعته، كانت الرِّيحُ الرطبةُ الباردةُ تعطيها إحساسًا بالحرية. ودفعت بالهواءِ المنعِشِ إلى رئتيها لتتخلَّص من لينوس بيكر.

طُرِدَا بتهوُّرٍ من المنشأة. طلب الاستشاري ويلاند شرحًا للحادثة التي وقعت في غرفة الضيوف. بدا بيكر مقنعًا، وخائفًا وقلقًا، وجفل بعيدًا عن هيس وتولين كما لو أنه عانى دمارًا نفسيًّا أو جسديًّا. بالنِّسبة إلى المستشار، كان يشكو أن هيس «جذبه» وطرح عليه «أسئلةً غريبةً عن الموت والجريمة»، ووقف المستشار إلى جانبه. كان من غير المجدي المجادلة ضد ادعاءاته، فلا هيس ولا تولين ظنَّا أنَّه من الضروري أن يسجِّلا محادثتهما مع بيكر، وطبعًا، كانت هواتفهما بحوزة الحارس تحت كل الظروف. كانت قيادة السيارة حتى هنا كارثةً حقيقيةً، ولم يحسِّن من مزاجها الاستماع لبريدها الصوتي في أثناء عبور موقف السيارات. عندما كانا في الداخل، رنَّ هاتفها سبع مرات، وما إن استمعت للرسالة الأولى حتى بدأت الركض تحت المطر نحو السيارة.

- علينا العودة إلى الوزارة، لقد وجدوا حالاتٍ علينا التحقق منها.

وصلتْ تولين إلى السيارة وفتحتها، إلَّا أنَّ هيس بقي واقفًا تحت المطر.

- الوزارة غير مهمَّة. لن يكون القاتل موجودًا في أي ملف قضيَّةٍ قد يقودنا إليه. ألم تسمعي ما قاله بيكر؟

- سمعتُ مجنونًا يثرثر، وأنت تفقدُ صوابك، لا شيء آخر.

فتحتْ تولين الباب وصعدت إلى السيارة، ورمتْ مسدسَ هيس وأغراضه على المقعد بجانبها. تفحَّصت الساعة على لوحة القيادة، وأدركت أنهما لن

يصلا إلى المدينة قبل حلول الظلام، وأنَّها ستُضطرَ إلى أن تطلب من جدٍّ لو أن يرعاها مجددًا. وما كاد هيس أن يضع رجلًا واحدة على الرصيف حتى شغَّلت محرك السيارة وانطلقت على الطريق.

وبينما كان هيس يصفق باب السيارة، قال: «كان بيكر على علم سالف بقدومنا. كان يتوقع ذلك منذ لحظة إدانته. إنه يعرف عمَّن نبحث».

- لا، هو لا يعلم شيئًا. لينوس بيكر ليس إلا مجرمًا جنسيًّا منحرفًا قرأ بعضًا من النُّصوص التلفزيونيَّة. أراد أن يستثيرنا ويعبث بنا، وأنت ابتلعت الطعم. فيمَ كنت تفكِّر؟

- إنَّه يعلم من أخذها.

- لا يعلم شيئًا أبدًا. هو أخذها بنفسه. العالم بأكمله يعرف أنَّ الفتاة ماتت ودُفِنَتْ. أنت الوحيد الذي لم يستوعب الفكرةَ بعد. لماذا قد يعترف بجريمة لم يرتكبها.

- لأنه اكتشف فجأة من ارتكبها. اكتشف أنَّ من ارتكبها هو أحدٌ ما كان بيكر مستعدًّا بكلِّ سرور أن يتحمل الَّلائمة عنه، لأنَّه بعقله المريض كان يستشعر أنَّ كلَّ ذلك كانَ جزءًا من خطةٍ أعظم. أحدٌ ما كان معجبًا به وكان يعتبره قدوةً له. وبمن يمكن أن يقتدي لينوس بيكر؟

- بلا أحد. الرجل مجنون. كل ما يهمه هو الموت والدمار.

- تمامًا. أحدٌ ما خبيرٌ بما يبجِّلُه بيكر. شيء ما يجب أن يكون قد رآه في أرشيف الجرائم الذي اخترقه.

بدت الكلمات أكثر وضوحًا. وداست تولين المكابح متجنِّبةً بالكاد تصادمًا بالمركبةِ الضخمةِ التي كانت تحرث الطريق الرئيسي تحت المطر. وأزَّ صفٌّ طويلٌ من السيَّارات خلف الشاحنة، وشعرت تولين بنظرات هيس إليها.

- أنا آسف. لقد تجاوزتُ حدودي. كان ذلك خاطئًا. لكنْ إذا كان لينوس بيكر كاذبًا، فإنَّ ذلك يعني أن لا أحد أبدًا يعرف ماذا حدث لكريستين هارتونج. ولا حتى إذا كانت ميتة، أم لا.

لم تُجِبْ تولين. وزادت السرعة مجددًا في حين كانت تتصل برقم على هاتفها. كان لدى هيس وجهة نظر. استغرق الاتصال دقيقة، لكنْ بعدها أجاب جينز. الاتصال سيئ، ويبدو كأنَّه هو في سيارة أيضًا.

- أهلًا. لماذا لا أتمكن من الاتصال بك؟ كيف جرى الأمر مع بيكر؟

- أنا اتصل بك بشأن هذا الموضوع. هل تستطيع الدخول إلى جميع صور مواقع الجرائم التي وضع يديه عليها؟ الصور التي اخترقها؟

بدا جينز متفاجئًا.

- أفترض ذلك. لكن عليَّ أن أتحقق. لماذا؟
- سأشرح لكَ لاحقًا. ولكن علينا أن نعرف بالتحديد الصور التي اهتمَّ بها بيكر. يجب أن نتمكن من تعقُّب أيِّ صور بالضبط كانت المفضَّلةَ لديه. أن نضع لائحةً بالصورِ التي بحث عنها أكثر من غيرها. إلى جانب الصور التي حمَّلها، إذا وُجِدَتْ. نعتقد بإمكانية وجود دليل فيها، ولذلك نحن في حاجة إليها بأسرع ما يمكن. فقط كنْ متأكدًا أن نيلاندر لا يلاحظ أي شيء من هذا. اتفقنا؟
- نعم، هذا جيد. يمكنني الاتصال بفنِّيي الطب الشرعي عندما أعود. ولكن أليس عليَّ الانتظار ريثما نعرف أكان يانسن على ما يرام؟
- يانسن؟
- ألم يتصلْ بكِ؟

شعرت تولين بطعنة انزعاج. لقد نسيتْ كل ما يخص يانسن منذ مواجهتهما الأخيرة معه في ذلك الصباح عندما تركا مكتب نيلاندر. كان يبدو كرجل ميت. صامتًا ومنسحبًا. ولكنها شعرت بالطمأنينة عندما رأت نيلاندر يناديه لمكتبه ليتحادثا، وتأملت أن الموضوع سينتهي بالنسبة إليه بأن يُرسَل إلى منزله. شيء ما أخبرها أن الأمر ليس كما يبدو.

- ما السبب الذي قد يدعو يانسن إلى الاتصال؟
- للحصول على العنوان في سيدهافنين. لقد سمعتُه من خلال لاسلكي الشرطة منذ قليل يطلب الدعم لأن لديه إحساسًا بأن المشتبه فيهم قد يكونون في الداخل.
- المشتبه فيهم؟ أيُّ مشتبه فيهم؟ يانسن لا يعمل على هذه القضية حتى.
- آه. حسنًا. هو لا يبدو بأنَّه يعرف ذلك. ففي هذا الوقت بالذات هو يبثُّ عنوانًا حيث يعتقد بأنَّ القتلة يختبئون.

87

في المقعد الأمامي من سيارة الشرطة الخاصة به، تفحَّص تيم يانسن مشط الرصاص قبل أن يعيده بنقرة إلى مسدسه من نوع «هيكلر آند كوتش». يفصله عن وصول الدعم عشر دقائق على الأقل، ولكن ذلك ليس مشكلة، إذ لم يخطط لانتظارهم على كل حال. ربما قاتل ريك في داخل البناء، ويفضل يانسن أن يبتدئ المواجهة أو التدخل الأول وحيدًا. على الأقل، يعرف رفاقه مكانه الآن في حال تعرض لأي مشكلة. وعندما يسألونه عن سبب دخوله، يستطيع الادعاء بأنه لم يكن لديه خيار، وأن الوضع فرض ذلك قبل وصول الدعم. شعر يانسن بالرياح الباردة على وجهه عندما خرج من السيارة. كان الحي الصناعي القديم في سيدهافنين مزيجًا من مستودعات، أبنية جديدة للتخزين الذاتي، وساحات لتجميع الخردة، وحفنة من المساكن المحشورة بين المناطق الصناعية. تطاير الرمل والقمامة في الهواء، ولم تكن في الشارع مركبات، في حين حثَّ يانسن الخطى تجاه البناء.

كان البناء قبالة الشارع مكوَّنًا من طابقين. ويمكن بسهولة الخلط بينه وبين أي مبنى سكني عادي. لكنه وبينما اقترب أكثر، رأى بقايا لائحة على الحائط المتهالك معلنةً أن البناء كان فيما مضى بيت بغاء. كانت نافذة المحل إلى جانب الباب الرئيسي مغطاة من الداخل بقطعة من مادة سوداء، حاجبةً بذلك المنظر عن الشارع، ولذلك مشى يانسن في الطريق الخاص حتى الفناء. لا بدَّ أن البناء المستطيل الكبير إلى الخلف قليلًا عن البناء الآخر المواجه للشارع هو المسلخ القديم: على طول البناء توجد منصات تحت البوابات الكبيرة كانت تُستخدَم للتحميل والتنزيل. وأبعد من ذلك، تحيط بالمسلخ حديقة بسور مكسور وثلاث من شجر فاكهة أو أربع تبدو كأنها مُمزَّقة بفعل الرياح. استدار يانسن نحو البناء الأمامي، ولاحظ بابًا خلفيًّا. لم يجد لافتة، لكنْ توجد ممسحة أرجل وإناء مزروعٌ فيه شجرة تنوب ذابلة. رفع يده وطرق

الباب، في حين حرر مسمار الأمان في مسدسه «هيكلر آند كوتش» في جيب معطفه.

بالنسبة إلى يانسن، بدت الأيام منذ موت مارتن ريكس أشبه بالحلم. كانت اللاواقعية قد أطبقت عند رؤية جسد شريكه المسجى وسط أضواء سيارات الإسعاف الوامضة، ونباح كلاب الشرطة المُجهَدة من البحث في كل ركن وزاوية من الحدائق. وعند وصوله من أوربان بلان، لم يدرِ شيئًا عن مصير صديقه. وعندها، فجأةً، وجد نفسه يحدق إلى شيءٍ لا يمكن استيعابه. وللوهلةِ الأولى لم يعتقد بأنَّه يمكن لهذا المخلوق الشاحب شحوب الموت أن يكون زميله. بدا كأن الموت عاق وصولَ ريكس إلى مسدسه الخامل المرمي تحت قدميه. ومع أن يانسن ظل يتوقَّع لساعاتٍ طويلة بأنَّ ريكس سينهض ويصرخ بوجه أحدٍ ما لتركه على الحصى طويلًا، فإنَّ ذلكَ لم يحدث.

أصبحا شريكين تقريبًا بمصادفة محضة، ولكنهما كانا على وفاقٍ منذُ اليوم الأوَّل على ما يذكرُ يانسن. إذ كان لدى ريكس الصفات التي تؤهله ليكونَ شريكًا متجانسًا. لم يكن ذكيًّا بشكلٍ خاص، ولا سريعَ البديهة – في الحقيقة، نادرًا ما تكلم لمدةٍ طويلةٍ في أيِ مناسبة– وما إن تكسبه إلى جانبك، في كل الأحوال، سيصبح وفيًّا ومرنًا تمامًا. وأكثر من ذلك، كان لدى ريكس قلة ثقة في مكانها تقريبًا بكل الناس وكل الأشياء. على الأغلب لأنَّه كان محطَّ الإغاظة والمضايقة طيلةَ طفولته، ويانسن فهم تمامًا كيف يمكن لمقدرة الرجل أن تظهر. إذا كان هو الرأس، فإنَّ ريك كان الجسد، وسرعان ما تشاركا نفورًا فطريًّا من رؤساء العمل والمحامين، ولا أحد منهما أصلًا كان يعرف أي شيءٍ عن عمل الشرطة. سَجَنَا معًا الكثير من راكبي الدَّرَّاجات، الباكستانيين، ومعنِّفي الزوجات، والمغتصبين والقتلة. حتى إنَّه كان يجب أن يُمطَرا بالأوسمة والميداليات إلى أن يصل بهما العمر إلى سنِّ التقاعد. لكنْ لم يتعامل معهما المجتمع هكذا. إنَّ نِعَمَ العالم ليست موزَّعةً بإنصاف. لقد تكلَّما عن ذلك كثيرًا بين بعضهما عندما كانا يحتفلان في البارات والأندية إلى أن يسقطا مغشيًّا عليهما من تأثير السُّكر، أو يترنَّحا بجانب الملهى الليلي الصغير في كاتر أستيربو.

كلُّ ذلكَ انتهى. والشكر الوحيد الذي سيحصل عليه ريك يتمثَّل في نقش اسمه إلى جانب بقية الأسماء على حائط التذكارات في مركز الشرطة. لم يكن يانسن متورِّطًا عاطفيًّا، ولكن هذه الفكرة أثَّرت فيه عندما مشى خلال الباحة

المليئة بالأعمدة في أثناء عمله صباح أمس. كان قد لزم البيت طيلة يومين. في ليلة الجريمة، كان مصدومًا لدرجة أنّه لم يتمكّن من الإسهام بأيِّ شيءٍ سوى نقل خبر مقتل ريك لزوجته. لاحقًا في تلك الليلة، استيقظتْ زوجته لتجده جالسًا بلا مبالاة في الغرفةِ الزُّجاجيَّة غير المضاءة في فانلوس. في اليوم التالي، ذهبت أسرته إلى حفلةِ عيدِ ميلادٍ، وبدأ هو تركيب مكتبته من علامة «إيكيا» في غرفة الصبيان. لكنَّ تعليمات التركيب لم تكن مفهومة. ونحو الساعة العاشرة والنِّصف كان قد بدأ شرب النبيذ الأبيض. وعندما عادت زوجته إلى المنزل بعد الظهر مع الأولاد، كان هو يتمدد في الظِّل في الحديقة الخلفية منتقلًا من النبيذ إلى الفودكا ومشروبات الطَّاقة. وعندما استيقظ فيما بعد ليجد نفسه على الأرض، عرف بأنَّ ما يحتاج إليه هو العودة إلى العمل بأسرع ما يمكن.

كان الاثنين هو اليوم الأول لعودته. وكان مركز الشرطة أشبه بخليَّةٍ من النشاط والتصميم، وأومأ الناس له بتعاطفٍ. طبعًا رفض نيلاندر إعادته إلى القضية، وبدلًا من ذلك جمع عددًا من الزملاء في غرفة تبديل الملابس، وأوضح لهم ضرورة إخباره شخصيًا فور ظهور أي مستجدات في الجريمة. لم يوافق البعض على الفكرة، في حين شاركه آخرون الرأي بأنَّ ريك مات بسبب عدم كفاءة تولين وهيس فيما يخصُّ القضية. وفوق كل ذلك، لا بدَّ من أنَّ أحدهما، على الأغلب هيس، كان قد تكلَّم للصحافة. وشكوكه المستمرة حول قضية هارتونج كانت تمثِّل صفعةً أكبر ولا سيَّما أنَّ ريك قد قُتِلَ الآن. من سوء الحظ، كانت المماطلة مستمرَّة عندما أُرسِلَ زملاؤه إلى مكتب الوزيرة في ذلكَ الصَّباح. مهَمَّةُ يانسن كانت بلا أهميةٍ قطٌّ، ولذلك بدلًا من الذهاب معهم، قاد سيَّارتَه إلى ضاحيةِ جريف. اشترى ست زجاجات من المشروب من كُشكٍ على الطريق، وشربَ بضعًا منها قبل أن يطرق باب تلك الشقة الأرضية إلى جانب محطةِ الترام، حيث عاش ريك.

وجدَ حبيبته تبكي بمرارة. كان قد دخل الشَّقة للتَّوِّ وقبل الدَّعوةَ إلى كوبٍ من الشاي عندما اتصل به أحد المحققين من الوزارة. كانوا قد خرجوا ببعضِ الاحتمالات حول بعض الأشخاص الذين لديهم أسباب وجيهة ليكرهوا الدولة، والنظام، ووزارة العلاقات الاجتماعية، والعالم برمَّتِه.

استمع يانسن للخيارات وبدا له أنَّ إحدى القضايا تحمل دافعًا أقوى من الأخرى. أنهى المكالمة الهاتفية بعد تأكده أن هيس وتولين لم يُبلِّغا

بالمعلومات بعد، قدَّم أعذاره لحبيبةِ ريك، وقاد مباشرةً نحو العنوان في سيدهافنين.

«من هذا؟» جاء صوتٌ من خلف الباب.

- نحن من الشُّرطة، افتح الباب!

طرق يانسن الباب بعصبيَّةٍ، في حين أطبقت يدهُ على السلاح في جيبه. فُتِحَ الباب وأطلَّ وجهٌ مجعَّدٌ من ورائه بقلقٍ. كانت عجوزًا، واستطاع أن يشمَّ خلفها رائحةَ سجائرٍ وطعام فاسد.

- يجب أن أتحدَّث مع بينيديكت سكانس وآسجر نيرجارد.

حصل يانسن على الأسماء من زملائه في الوزارة، ولكنَّ العجوز هزَّت رأسها.

- إنَّهما لا يعيشان هنا الآن. انتقلا منذ ستة أشهر.

- انتقلا؟ إلى أين؟

- لا أعلم. لم يقولا. لمَ هذه الأسئلة؟

- هل تعيشينَ هنا بمفردكِ؟

- نعم. ولكنني لا أذكر أني سمحتُ لكَ بالحديث معي بهذه الأريحيَّة.

تردد يانسن للحظة. لم يكن يتوقع هذا. سعلت العجوز وشدَّت ثوبها الصُّوفي إلى جسدها ليقيها البرد.

- هل يمكنني مساعدتكَ بشيء؟

- انسي الموضوع. أعتذر على الإزعاج. إلى اللقاء.

خطا يانسن بعيدًا عن الباب الذي أغلقته العجوز. لوهلة، بدا أنه لا يعرف ما عليه فعله. ردَّةُ فعلِ المرأة أربكته. كان على وشك العودة إلى دفء سيَّارته والاتصال بزملائه في الوزارة عندما وقع نظره على نافذةٍ في الطَّابقِ الأول. خيِّل إليه أنَّه رأى لعبةً بعصافيرَ صغيرة لتزيين سرير الأطفال تتدلَّى من السَّقف. يانسن يعرف تمامًا بأنه لو كان كلام السيدة صحيحًا حول انتقال بينديكيت سكانس وآسجر نيرجارد، فما الداعي إلى وجود هذه اللعبة.

طرق الباب مجددًا، وبقوةٍ أكبر هذه المرة. وعندما فتحت العجوز البابَ أخيرًا، دفعها متجاوزًا إيَّاها مستلًّا سلاحه. صرخت السيدة معترضة. مشى بعزمٍ في الممر الضيِّق نحو المطبخ، وعبر إلى الغرفةِ الأماميَّة التي كانت فيما

مضى أرضَ المتجر. وما إن تأكَّد من خلوِّها، اتجه نحو السلالم ليجد الساحرة العجوز تقف في طريقه.

- تحركي!
- لا يوجد شيءٌ هناك. لا يمكنك أن...
- اصمتي وتحركي.

أزاحها جانبًا، وصعد السلالم ترافقه احتجاجات المرأة وراءه. كان السلاح جاهزًا وإصبعه متيبِّسةٌ على الزِّناد. فتح بابًا تلوَ الآخر. أولُ بابين يفضيان إلى غرف نوم. لكنَّ الباب الأخير لغرفة طفل. تدلَّت اللعبة التي تزين السرير بسلامٍ فوق السرير الفارغ. ولوهلةٍ، بدا ليانسن أنَّه ارتكب خطأً. ومن ثَمَّ لاحظ الحائطَ خلف الباب، ومباشرةً تيقَّن أنَّه قد حلَّ لغز مقتل مارتن ريكس.

88

حلَّ الظلام. تغادر العربات الأخيرة سيدهافنين في هذا الوقت عادةً تاركةً الشوارع مهجورةً. لكنْ ليس اليوم. خلف الأبنية المتداعية التي كانت فيما مضى واحدةً من المسالخ الكبرى في كوبنهاجن، كان الشارع يعجُّ بالشرطةِ وفنِّيي الطب الشَّرعي مع حقائبهم الخفيفة. شكَّلت السيارات طابورًا، وأضواء المصابيح تومض من كلِّ نافذةٍ في المبنى الأمامي. ومن الغرفة القابعةِ في الطَّابق الأرضي، كان هيس يسمع صوت العجوز تبكي بين الفينة والأخرى في أثناء الاستجواب. كان الصوت يمتزج بتعليماتٍ سريعة، وبأصواتِ خطواتٍ، وبرسائل لاسلكيَّةٍ مشوشة، ولكنَّ المحادثة بين تولين ويانسن عند الباب كانت تعلو فوق كل الأصوات.

- لكنْ، من دعاك إلى المجيء إلى هنا؟

- ومن قال إني تلقيتُ دعوة؟ ربما كنت خارجًا بجولةٍ في السيَّارة.

- ولمَ لمْ تتصل؟

- بمن أتصل؟ بكِ وبهيس؟ ما فائدة ذلك لي؟

كانتِ الصورة تعود بالكاد إلى سنتين مضتا. كان زجاج الصورة مغبرًّا، ولكنها مؤطَّرةٌ بشكل جميلٍ بحوافٍ سوداء اللون، وموضوعةٌ على الوسادة إلى جانب دمية وخصلة شعرٍ بيضاء رفيعة. الأم الشابة التي في الصورة تقف إلى جانب مهدٍ، وتحمل بين يديها طفلًا ملفوفًا ببطانيةٍ، وتبتسم للكاميرا. يبدو التعبير على وجهها متكلَّفًا، ومترافقًا بتعبٍ وإرهاق شديدين. ولأنَّ المرأة ما زالت ترتدي زيَّ المشفى المجعَّد، افترض هيس أنَّ الصورة قد التُقِطَتْ في المشفى بعد ولادتها بوقتٍ قصير. عينا المرأة تبدوان غير مبتسمتين. يوجد شيءٌ هشٌّ، شيءٌ ما في تعبيرها يبدو منفصلًا عن الواقعِ، كما لو أنَّها كانت قد سُلِّمَتِ الطفل للتوِّ، وتحاولُ أن تؤدي دورًا لم تتدرب عليه جيِّدًا.

لا بدَّ أن المرأة التي في الصورة -بينيديكت سكانس- هي نفسها الممرِّضة الجميلة ذات الوجه الحزين التي قابلاها هو وتولين في جناح الأطفال في مستشفى ريجز عندما حققا مع حسين ماجد حول ماجنوس كيار وصوفيا سيير لاسين. لقد طالَ شعرها منذُ تاريخ التقاط الصورة، وتقدَّمت بالعمر واختفت ابتسامتُها. ولكنَّها هي ذاتها، وحاول هيس جاهدًا فهم الصلة.

كانت المحادثة مع لينوس بيكر تتكثَّف في داخله كورم خبيثٍ منذ أن ترك مع تولين جناح المرضى النفسيين الآمن. انصبَّت كل طاقته وتركيزه على إمكانيَّة تتبُّع القاتل من خلال الصور التي قرصنها بيكر. لكن بدأت الأخبار تتسلسل بعد ذلك. أوَّلًا من قِبَلِ جينز، ثم من أحد المحققين في الوزارة الذي اندفع نحو سيدهافنين بعد طلبِ يانسن الدعمَ. لا يتطلب الموضوع الكثير من المخيِّلة لاكتشاف أن يانسن قد أُعلِمَ بالتطورات من قِبَلِ أحد المحققين الذين كانوا يتفحَّصون الملفات في الوزارة، ولكنَّ هذا التفصيل الدقيق يبدو تافهًا بالمقارنة مع التقدُّم المفاجئ المتعلِّق ببينديكت سكانس، وحبيبها.

- إلى أين وصل التحقيق؟

كان نيلاندر قد وصل لتوِّه، وبدا يانسن مرتاحًا للمقاطعة.

- إنَّ عقدَ الإيجار باسم بينيديكت سكانس. ثمانية وعشرون عامًا، ممرضة في مشفى ريجز، هي وحبيبها، أُبعِد عنهما طفلهما بواسطة مجلس كوبنهاجن منذ ثمانية عشر شهرًا، ثم أُرسِلَ إلى أسرةٍ بالتبني، وأخذت بينيديكت سكانس إجراءً قانونيًّا. كما لجأت إلى الصِّحافة، وهاجمت وزيرة العلاقات الاجتماعية لتشجيعها المجلس على أخذ المزيد من الأطفال للرعاية.

- روزا هارتونج؟

- نعم. وقد دعمت الصحافة القضية إلى أن اكتشفوا مصادفةً أن المجلس قد نقل الطِّفل لسببٍ وجيه. ومن ثمَّ دخلت القضيَّةُ طيَّ النسيان. لكنْ ليس بالنسبة إلى بينيديكت سكانس وحبيبها، إذ تُوفِّي الطفل بعد ذلك بمدة قصيرة. أُرسِلَتْ سكانز بعيدًا إلى جناحٍ مُقفَل، ولم يُسمَح لها بالعودة حتى ربيع هذا العام. حيث استعادت عملها القديم، وانتقلت إلى هنا مع حبيبها. لكنْ كما يمكنكَ أن تلاحظ، لم ينسيا قطُّ ما حدث.

تفحَّص هيس الجدار دون أن يصغي إلى الحديث. كان يعرف أغلب المعلومات سابقًا بفضل نسخٍ من ملفات القضيَّة من مجلس كوبنهاجن التي أحضرها بدوره محققٌ آخر من الوزارة. كان شباب بينيديكت قد تبعثر بين حياة الليل ومدة تدريبٍ لم تكتمل في متجر لبيع الملابس حتى الواحدة والعشرين من عمرها، إذ قُبِلَتْ في مدرسة التمريض في كوبنهاجن. أتمَّتِ الدورة بعلاماتٍ جيدة، والتقت حبيبَها، أسجر نيرجارد الذي كان يكبرها ببضع سنوات في المدرسة الثانوية في تينجبيرج، في الوقت نفسه تقريبًا. وفي الوقت الراهن، يقضي نيرجارد خدمته جنديًّا في ثكنات سلاجيلس، ونُقِلَ فيما بعد إلى أفغانستان. وأنشآ معًا منزلًا في المسلخ المتداعي. حصلت بينيديكت سكانس على عمل ممرضةً في قسم طب الأطفال بمشفى ريجز. وفي الوقت نفسه، كانت هي وحبيبها يحاولان أن يُرزَقا بطفلٍ. اعتمادًا على ملاحظات العاملين في القضيَّة، ما إن أصبحتْ بينيديكت حاملًا حتى بدأت تمر بحالاتِ قلق، وبمشكلاتٍ متعلقةٍ بتقدير الذَّات. وفي السادسة والعشرين من عمرها، رُزِقَتْ صبيًّا قبل تمام الحمل بشهرين، ما حرَّض بدوره ذُهان النفاس لديها. ولم يبدُ أن والد الطفل قد قدَّم أي مساعدةٍ تُذكَر. وجد العامل على القضيَّة بعد ذلك أنَّ الجنديَّ ذا الثمانية والعشرين عامًا كان انطوائيًّا وغيرَ ناضجٍ فعلًا. حتى إنَّه كان في بعض المناسبات عدوانيًّا إذا ما استفزَّته بينيديكت سكانس. كان المجلس قد فعلَ أقصى ما باستطاعته ليقدِّم الدَّعم من خلال عدة برامج مختلفة. ولكن مشكلات بينيديكت النفسية تفاقمت بعدَ نحو ستة أشهر، وجرى تشخيصها بداء ثنائي القطب. وعندما لم يتمكَّنا من تحمل مسؤولية الأسرة بعد عدَّة أسابيع، توجَّه المجلس إلى الشرطة التي نفذت المداهمة – وهذا ما تبيَّن فيما بعد أنَّه القرار الصحيح. كان الطفل ذو الأشهر السبعة يرقدُ في مهده فاقدًا الوعيٍ، ممتلئًا بالقذارة والقيء، مع علامات سوء تغذية مثيرة للقلق. وفي المشفى تبيَّن أنَّ الطفل كان مصابًا بربو مزمن مع حساسيَّةٍ غذائيَّةٍ جعلت من الخطر جدًّا بالنسبة إليه تناولَ مكعبات الشوكولاتة المليئة بالفستق التي كانا يعطيانه إياها.

ومع أنَّ هذا التدخُّل قد أنقذَ حياةَ الطفل، فإنه جعل بينيديكت سكانس غاضبةً جدًّا. جرى التحقيق معها عدة مرات. وكانت في كلِّ مرَّة تعبِّر عن سخطها من الطريقة التي عُومِلَتْ بها أسرتُها. في أحد السطور التي وردت على لسانها في ملف القضية، قالت: «إذا كنتُ أمًّا سيِّئةً، فثمَّة العديد منهنَّ».

ولأنَّ المجلس لم يجعل من إهمال الطفل قضيَّة علنيَّة، بدا أنَّ لدى سكانس حجَّة جيدّة. ولكنَّ ذلك انتهى عندما ظهرت روزا هارتونج، وذكَّرت الصحافة والمجلس معًا أنه لمصلحة الأطفال العليا يجب تفسير المادة رقم 42 من القانون المعنيِّ بأدقِّ ما يمكن. صمتت الصحافة تمامًا. وبعد ذلك جاء الموت المأساويُّ للطفل جراء المرض الرئوي قبل اصطحابه إلى الرعاية بشهرين فقط. تلقَّت بينيديكت النبأ من الموكَّل بالقضية بطريقةٍ عنيفةٍ. وتحوَّلت زياراتها إلى قسم الأمراض النفسيَّة للمرضى الخارجيين إلى إقامةٍ طويلةٍ في سكانت هانز في روسكيلد. ومن ثمَّ خُرِّجَتْ في الربيع، وعادت إلى عملها القديم في مشفى ريجز، لكنْ مع وقف التنفيذ.

فكرةٌ مخيفةٌ، لأنَّ الحائط وراء الباب يوضِّح بما يكفي قدرة هذه المرأة على فعل أي شيء، ولكن ليس في المجال الصِّحي.

دفعت هذه الفكرة هيس إلى الارتجاف.

قال يانسن مخاطبًا نيلاندر: «أعتقد أنها وحبيبها شريكان في هذا معًا. لا بدَّ أنَّهما شعرا بالظلم. ما دفعهما إلى حياكة هذه الخطة في رأسيهما الصغيرين والمريضين ليسخرا من الوزيرة، ويجعلاها تبدو سخيفةً. وليفضحا النظام، ويعاقبا النساء اللواتي لم يعتنين بأطفالهنَّ. وكما يمكنكَ أن ترى، لم يعد بالضرورة التساؤل عمَّن آلَ المجدُ المتوَّجُ».

لم يكن يانسن مخطئًا فيما يخص هذا الجانب. فبينما كان قسمٌ من الغرفة مُخصَّصًا كضريحٍ للطفلِ الميِّتِ، أفشى القسم الآخر هوسًا مَرضيًّا بروزا هارتونج. من أقصى اليمين إلى أقصى الشِّمال، كان الحائطُ ممتلئًا بقصاصاتٍ من مقالاتِ مجلاتٍ وعناوين عن اختفاء ابنتها، ومن بينها لقطاتٌ من الصحافةِ الصفراء عن الوزيرة الثكلى. وعلى صورةٍ للوزيرة تبدو فيها مرتديةً الأسود في الجنازة ومنهارةً من الحزن، وجدت كلمات ملصقة بسخرية مثل «قُطِّعَتْ أعضاؤها ودُفِنَتْ»، أو «اغتُصِبَتْ قبل أن تُقطَّع». وُجِدَتْ عدة عناوين تشرح حالة الوزيرة مثل «روزا هارتونج محطَّمة» أو «يقتُلها الحزن»، ومن ثَمَّ تقفز القصاصات بالزمن إلى الأمام. وعلى الجانب الأيمن من الحائط تحت عنوان «عودة هارتونج»، توجد صور أحدث ربما تعود إلى ثلاثة أشهر أو أربعة لا أكثر. في إحدى المقالات المعلَّقة على الحائط، توجد دائرة مرسومة بخطِّ اليد حول عودة الوزيرة إلى البرلمان يوم الثلاثاء الأول من أكتوبر، وإلى جانبها

عُلِّقَتْ ورقة من القياس المتوسِّط فيها صور شخصيَّة متعددة لابنتها مع الكلمات «أهلًا بعودتِكِ. ستموتين أيَّتها العاهرة».

الأمر الأكثر إثارة للقلق كان ما تُفسِحه هذه القصاصات من مجال لسلسلة أخرى من الصور. لكنْ، هذه المرة، لم يكن مصدر الصور من الجرائد. كانت صورًا ملتقطة من فيلم مُصوَّرٍ على ما يبدو بعد نهاية سبتمبر، قبل أن يضع الخريف رحاله بشكلٍ كامل. صور من بيت الوزيرة مُلتَقَطة من زوايا مختلفة. لزوجها، ولابنها، ولقاعة الرياضة، ولسيارتها الوزارية، ولمكتبها الوزاري وكريستيانسبورج، والكثير من صور خرائط جوجل تبيِّن الطرق المؤدِّية إلى مركز المدينة.

كانت المادة المعروضة دامغة. كانت تقوِّض بيت الورق الهش الذي أوشك هيس أن يبنيه عندما ترك وحدة الأمن. هل كانت الزيارة للينوس بيكر دون جدوى؟ بذل جهده، لكنه لم يتمكَّن من إعادة بناء الموضوع، ولم يكن هذا الأمر هو الشيء الوحيد الذي يزعجه. لا بدَّ من وجود تهديد آخر. شيءٌ ما قريبٌ جدًّا. شيءٌ ما يتطلَّب انتباههم الكامل في الوقت الحالي. تمامًا في هذه النقطة التي اعتقدوا بها أنهم أنهوا القضية تقريبًا، لذلك تابع هيس تفحُّص الجدار، واستجوب نيلاندر يانسن.

- وأين الزوجان الآن؟

- اختفى أيُّ أثر للمرأة في مشفى ريجز منذ بضعة أيام عندما اتصلت وأعلمتهم بأنها مريضة. ولا نعرف أيضًا أي شيء عن مكان حبيبها. نحن لا نعرف عنه سوى القليل. إنهما ليسا متزوجيْن، ولذلك كل شيء باسم بينيديكت سكانس. ولكننا نستحضر حاليًّا أوراقه من الجيش. هل أُعلِمَتِ المخابرات بما وصلنا إليه؟

- أوه، نعم. الوزيرة بأمان. لكنْ من هذه المرأة في الطابق الأوَّل؟

- هي والدة أسجر نيرجارد. لقد عاشت هنا أيضًا على ما يبدو. تقول إنها لا تعلم مكانهما، لكنَّ التحقيق معها لم ينتهِ بعد.

- ولكننا نعتقد أنَّ هذين الزوجين الشابيْن مسؤولان عن جرائم القتل؟

سمع هيس مقاطعة تولين قبل أن يتمكن يانسن من الإجابة، عندما انتبه فجأةً إلى عددٍ من الملصقات على الحائط. بعض الأوراق الممزَّقة بقيت محشورة تحت ملصقة أو اثنتيْن كما لو أنَّ صورةً قد مُزِّقَتْ بسرعة.

- لا يمكننا التأكيد حتى الآن. وقبل أن نقفز إلى أي نتائج علينا أن...

وبنبرة مستغرِبة، قال يانسن: «ما الذي علينا معرفته أكثر؟ يا إلهي! ألا يكفي ما نراه».

- تمامًا! لدينا كل هذه الأدلة عن روزا هارتونج، لكنْ لا شيء قطُّ عن المرأة الضحية. إذا كان الزوجان مسؤولين عن الجرائم، إذن لا بدَّ من وجود شيء ما حولها هنا، لكنْ لا يوجد!

- لكنَّ المرأة عملت ممرضة في قسم حيث -ربما- قابلت على الأقل اثنيْن من الضحايا مع أولادهنَّ. هل ذلك خارج الموضوع أيضًا؟

- لا، ذلك ليس خارج السياق. من الواضح أن علينا اعتقالهما واستجوابهما. ولن يكون ذلك سهلًا الآن بعد أن عرف العالم بأكمله أننا نبحث عنهما!

لم يستطعْ هيس إيجاد الصورة التي يفترض وجودها ملصقة على الحائط. وفي الخلفية، سمع صوت نيلاندر يقول ببرود:

- من وجهة نظري، كان لدى يانسن كامل الحق بأن يتصرَّف يا تولين. حسب كلام المحلل النفسي في وحدة بيكر -الذي كان من اللطف بمكان ليتصل بي قبل عدَّة دقائق- أنت وهيس ضايقتما بيكر على الرغم من أوامري الخاصَّة بعدم التعرُّض له. هل لديكِ أي توضيح؟

عرف هيس أن هذه هي اللحظة الأمثل للدفاع عن تولين، ولكنه استدار نحو يانسن بدلًا من ذلك.

- هل يمكن يا يانسن أن تكون المرأة قد أزالت أي شيء قبل قدومك إلى هنا؟

- ماذا كنتما تريدان من لينوس بيكر؟

استمرَّت المحادثة خلفه، في حين حاول أن يكتشف المكامن المحتملة لإخفاء شيء في حال كانت الشرطة تقرع الباب. وعندما حرَّك الخزانة ذات الأدراج بعيدًا عن الحائط، سقطت صورة متجعِّدة على الأرض، وسارع لالتقاطها وفتحها.

ظهر في الصورة شاب طويل القامة، توقَّع هيس أنه أسجر نيرجارد. كان واقفًا إلى جانب سيارةٍ حاملًا بيده علَّاقة مفاتيح. كان يرتدي بذلةً سوداء مرتبةً، والسيارة السوداء تلمع تحت ضوء الشمس كما لو أنَّها قد طُلِيَت وغُسِلَتْ للتوِّ. وتبدو البذلة والسيارة الألمانية الثمينة على تناقضٍ جليٍّ مع المسلخ

القابع خلفهما. لم يتمكن هيس في البداية من فهم الدافع الذي جعل والدة أسجر نيرجارد تتخلَّص من هذه الصورة بالذات، لكنْ عندها، لفتت السيارة انتباهه. وعندما عاد إلى التدقيق في ملصقات الجدار، ومقارنتها بسيارة روزا هارتونج، تلاشت جميع شكوكه. كانت سيارتها مطابقةً تمامًا لسيارة أسجر نيرجارد التي في الصورة. وقبل أن يستطيع التفوُّه بكلمة واحدة، أطلَّ جينز برأسه من الباب، ودخل بزيِّه الأبيض المعهود.

- عذرًا على المقاطعة. ولكننا بدأنا للتو بتفتيش بناء المصنع القديم، وهناك شيء يجب عليكم رؤيته. يبدو أن إحدى الغرف كانت مجهَّزة لاحتجاز شخص ما لوقت طويل جدًّا.

89

الوقتُ متأخِّر من وقت ما بعد الظهر، والطريق السريع «إي 20» في جنوب كوبنهاجن مزدحم بشدَّة. أطلق أسجر بوق السيارة ليُخلي الحارة الخارجية من الطريق أمامه، ولكنَّ صف الحمقى أمامه يصرُّ على القيادة بحذر بسبب الأمطار، فقاد على الحافَّة الداخلية بعصبية. كانت سيارة الوزيرة من طراز «أودي إيه 8 – 3.0»، وهذه هي أول مرة يطلق العنان لمحرِّكها فعليًّا. لم يهتم بجذب الانتباه، وكل ما يشغل باله هو الفرار. انقلب كل شيء رأسًا على عقب. ويدرك أسجر جيِّدًا أنَّها ليست سوى مسألةِ وقتٍ قبل أن تعرف الشرطة أنَّه وبينيديكت وراء ما وقع – إن لم يكونوا قد عرفوا ذلك فعلًا.

سار كلُّ شيء حسب المخطَّط حتى ما قبل خمس وثلاثين دقيقة. نجح في اختلاق حجَّة غياب بملاحقته الوغدَ الصغيرَ إلى قاعة التنس وإلقاء التحية بسرعة على المدير الذي كان دائمًا يرغي ويزبد قبل التدريب عند تفقُّد الشباك. ثمَّ ألقى تحية الوداع، وقاد السيارة إلى ما وراء القاعة ليصفَّها بين أشجارِ التنوب، قبل أن يدخل من الباب الجانبي الذي تركه مفتوحًا جزئيًّا عندما تَبِعَ الصَّبيَّ إلى الداخل. كانت القاعة فارغة بمعظمها في ذلك الوقت، ما سهَّل عليه التسلُّل خفية إلى غرف تبديل الملابس. كان الصبيُّ مشغولًا بتبديل ملابسه، ولم يسمع أي شيء. لكن، بينما وقف أسجر كالمهرِّج مرتديًا القفازات والقناع ويحضِّر الكلوروفورم، سمع خطواتٍ تقترب. كان المدير يتأهَّب للدخول. وبالرغم من أن أسجر نجح في تدبُّر أمره لخلع القناع، لكنه كان مُحرَجًا من أن يشاهده جوستاف واقفًا في الغرفة. لكنَّ المدير بدا مرتاحًا.

- آه. أنت هنا. المخابرات يتصلون بي. طلبوا مني العثور على جوستاف لأنهم لم يستطيعوا إيجادك. ويمكنك أن تكلِّمهم بنفسك الآن.

أعطى الهاتف لـ أسجر. أحد حرَّاس هارتونج المتغطرسين أمره بإيصال جوستاف إلى والدته في الوزارة، حيث توجد حالة طارئة، فقد وجدت

الشرطة العنوان الذي يقيم فيه المشتبه فيهما بالجريمة. مسلخٌ مهجور في سيدهافنين. شعر أسجر بغصَّةٍ في حلقه. ومن ثمَّ أدرك، على أي حال، أن الشرطة لا تعرف حتى الآن أنَّه هو من يبحثون عنه. وُبِّخَ لعدم الردِّ على هاتفه، ومن ثمَّ غادر القاعة مجددًا مع الوغد الصغير. تبعهما المدير بعينيه، ولذلك كان عليه أن يُقحِم جوستاف في السيارة، مع أن لا شيء من هذا يهمُّ الآن. فالوزارة هي آخر مكان سيذهب إليه أسجر.

- لماذا نتجه من هذه الطريق؟ إنه ليس الطريق المؤدي إلى...

- أغلق فمك القذر، وأعطني هاتفكَ.

بدا الصبي في المقعد الخلفي للسيارة متفاجئًا جدًّا، لدرجة أنه لم يستطع الردَّ.

- أعطني هاتفك. هل أنت أصمٌّ؟

أطاع جوستاف الأمر. وفور وصول الهاتف إلى يد أسجر، رماه من النافذة المفتوحة خارجًا، وسمع صوت ارتطامه وتحطُّمه على الأسفلت المبتلِّ وراءهما. أدرك أسجر أنَّ الصبي في حالة رعبٍ، ولكنَّه لا يبدي أي اهتمامٍ. الشيء الوحيد الذي يهمُّه الآن هو المكان الذي يجب أن يفرَّ إليه مع بينيديكت، لأنهما لم يضعا أي خطة للهروب. تخيَّل أسجر أنهما سيتواريان عن الأنظار قبل أن تشتبه الشرطة في أي شيء. ولكنَّ ذلك لم يحدث. كانت أفكار مخيفة تتخبَّط في رأسه، لكنه يعرف أن بينيديكت ستسامحه. ليس الملام على إخفاق الخطة. لا بدَّ أنها ستفهم. وما داما بقيا معًا، فإن كل شيء سيبقى على ما يرام.

أحسَّ أسجر بهذا الشعور منذ أن رأى عينيها السوداوين أول مرة. التقيا في المدرسة الثانوية القديمة في تينجبيرج بستائرها المفتوحة. كان يكبرها بعدة سنوات، وأحبَّها منذ ذلك الوقت. فعلَا الكثير معًا. دخَّنا السجائر، ثملا، استلقيا على العشب إلى جانب الطريق الدائري، وقالا للعالم بأكمله أن يغرب عن وجهيهما. كانت بينيديكت الفتاة الأولى التي نام معها. ولكنه طُرِدَ بعد ذلك من المدرسة بسبب كثرة المشاجرات العنيفة التي يتشاجرها. وعندما انتهى به المطاف في مركز للأحداث في جنوب جوتلاند، فَترت علاقته بها. وبعد نحو عشر سنوات، التقاها مصادفة في مُلتقى للهبيين في كريستيانيا، حيث كانت مع واحدة من صديقاتها الممرضات من المشفى. وفي اليوم التالي تمامًا كانا يناقشان الانتقال للسكن معًا.

أحب أسجر حياتهما معًا، وأحبَّ أنها أحسَّت بالحماية والأمان معه، مع أنه كان يعلم في أعماقه أنها أقوى منه بكثير. المدة التي أمضاها في المؤسسة العسكرية صقلت شخصيَّته. ولكنه استقال بعد مهمتين في أفغانستان قاد فيهما شاحنات عسكرية لنقل الجنود والمؤن. كان قد بدأ يعاني نوبات ذعر، وغالبًا ما استيقظ ليلًا مبللًا بعرقه مع إحساسٍ طاغٍ بالهشاشة. لكنْ لطالما أخذت بينيديكت بيده، أمسكتها بيدها، وهدَّأته. على الأقل حتى النوبة القادمة. كلما عادت إلى المنزل بعد مناوباتها، كانت تخبره عن الأطفال الذين كانت تعالجهم في جناحها في المشفى. وفي أحد الأيام، أخبرته بأنها تريدُ أُسرةً. رأى أسجر في وجهها كم عنى لها ذلك. وسرعان ما وجدا مكانًا رخيصًا مليئًا بالغرف في مكان كان مسلخًا سابقًا -حيث لم يتخيَّل أحد العيش هناك- وعندما حملت بينيديكت، تأكَّدا من أن يسجل أسجر عنوان أحد أصدقائه الجنود القدامى كعنوانِ إقامةٍ له. وبهذه الطريقة ضمنا قدرتهما على الاستفادة من الامتيازات الخاصَّة بالأم العازبة التي كانا يحتاجان إليها.

لم يتمكن أسجر من فهم ما حدث لها بعد الولادة. وبدأ يفكر في أن الطفل هو الملام. أخذه للعناية كان صدمة بالتأكيد، ولكنه، من ناحيةٍ أخرى، لم يتعلَّق بالطفل قطُّ. بعد الولادة، كان يعمل لساعاتٍ إضافيةٍ طويلة عاملَ سقالة من أجل زيادة الدخل. وفي عينيه، كانت بينيديكت أمًّا جيدة، بالتأكيد أفضل بكثير من أمِّه التي كانت تصرف الدخل على الخمر أو الحشيش. اتصلت بينيديكت بالمحامين، بالجرائد ومحطات التلفزة، شاتمةً تلك الحمقاء العاهرة روزا هارتونج. لكنَّ كل ذلك لم يؤدِّ إلى شيء. وشرحت كثيرًا بعينين مليئتين بالدموع أن الصحفيين لم يعودوا يريدون مساعدتهما. ثم بعد ذلك بمدة قصيرة مات الصبي جراء مرض بالرئة، أو شيء من هذا القبيل. وغيَّرَ ذلك كلَّ شيء. احتُجِزَتْ بينيديكت بالقوة بسبب جدالٍ مع أحد المسؤولين عن مكتب الرعاية. وكان على أسجر أن يقود سيارته يوميًّا بعد العمل إلى روسكيلد ليزورها في الجناح النفسي. في البداية، كانت ملامحها جامدة جراء ما تتناوله من أدوية. وقدَّمت له إحدى الطبيبات شرحًا مستفيضًا وغير متجانس دفعه إلى الرغبة في ضرب الحائط. وبالرغم من قراءته البطيئة والمؤلمة، فإن أسجر بدأ بقراءة الجرائد والمجلات لـ بينيديكت، وبصوتٍ عالٍ. الذهاب بعدئذ إلى البيت، ودخول المسلخ ليلًا، جعله يشعر بالوحدة والعجز. كان عليه أن يثمل ليتمكن من النوم أمام التلفاز. لكنْ، عندما فُقِدَتِ ابنة الوزيرة الخريف الماضي، بدأ إحراز تقدم.

كانت خسارة الوزيرة لابنتها مصدر راحة كبيرة لـ بينيديكت. وفي ظهيرة يوم ما، بعد أن جاء من عمله، وضعت بينيديكت الصحيفة نفسها أمامه على الكرسي ليقرأها لها بصوتٍ عالٍ. كان ذلك هو اليوم الذي أُنهِيَ فيه التحقيق وأُغلِقَتِ القضيَّة. بدأت المقالات تتناقص تدريجيًا، ولكن بينيديكت عادت إلى الابتسام مجددًا. وعندما أتى الثلج، وتجمَّدت البحيرة خلف المشفى، بدآ الخروج سيرًا على الأقدام في مشاوير طويلة. وفي الربيع الباكر، تمامًا عندما ظنَّ أسجر أنَّهما سيضعان القصَّة بأكملها وراءهما، أعلنت الجرائد أن هارتونج ستعود إلى العمل بعد العطلة الصيفية. وقد كُتِبَ أنَّها كانت تتطلع بفارغ الصبر إلى العودة إلى العمل. أمسكت بينيديكت يد أسجر وشدَّت عليها. وعرف أسجر بأنَّه مستعدٌّ لفعل أيِّ شيء، ما دامت يدها ممسكةً يده.

فكرتهما الأولى كانت تتمثل في تهديد هارتونج من خلال إيميلاتٍ مُرسَلة من مجهول، واقتحام منزلها وقلب كل شيء رأسًا على عقب. وربما حتى اختطافها وتركها بعد ذلك على قارعة الطريق. لكنْ عندما زارت بينيديكت موقعها الإلكتروني بحثًا عن عنوان بريدها الإلكتروني، ظهر إعلان ينصُّ على أنَّ الوزارة تبحث عن سائقٍ جديد. وبدأت الخطة حينها تبدو أكثر تماسُكًا.

ملأت بينيديكت استمارة التسجيل الخاصَّة بأسجر، ولم يمضِ وقت طويل حتى دُعيَ إلى الوزارة ليجري مقابلة مع موظف هناك. كان من الواضح أنَّه ليس لدى الأغبياء هناك أي فكرة عن الصِّلة التي تربطه ببينيديكت، وخلافها مع الوزيرة. يُفترَض بأن ذلك يرجع إلى تقديم عنوان سكن مختلف عن سكن بينيديكت. وفي المقابلة، ركزوا على التاريخ العسكري القوي الخاص بأسجر. وأنه كان مرنًا دون أي التزاماتٍ أسرية. ثم أجرى حديثًا قصيرًا مع ضابطٍ في الأمن كان يفترض به تصوير المقابلات المختلفة. وعندما أُخبِرَ لاحقًا بأنَّه حصل على الوظيفة، احتفل مع بينيديكت بجمع صور لابنة الوزيرة من الفيسبوك لجعل الإيميل جاهزًا ليرحِّب بعودة الوزيرة إلى العمل.

في أول أيام أسجر في العمل الجديد، التقى روزا هارتونج للمرة الأولى. أخذها بالسيارة من أمام فيلتها المُترَفة في أوستيربو. أمره فوجل بذلك. هذا الرجل المتعجرِف الذي لم يستطع أسجر مقاومة إغراء لكمه. وبعد ذلك بمدة قصيرة، كتبا على عجل على سيارة الوزيرة مستخدميْن دم بعض الفئران من المسلخ. وبعد ذلك تفتق ذكاؤهما عن عدد من المقالب الدنيئة الحاقدة، عندما بدأت حالات القتل الغريبة الظهورَ فجأة مع دمى رجال الكستناء، وبصمات الأصابع الغامضة. وجُرَّت هارتونج إلى الدوامة. كان ذلك الجزء جيدًا بالنسبة

إليه، وبالنسبة إلى بينيديكت أيضًا. لكنْ، بعد ذلك أُلقيَت القنبلة؛ ابنة هارتونج التي ظنَّ العالم بأكمله أنَّها قُتِلَتْ، ربما حية بعد كل ما جرى.

الموضوع بحدِّ ذاته كان محفِّزًا لهما، ولكنَّ روزا هارتونج أصبحت الآن محميَّة من عملاء الاستخبارات. وحتى بالنسبة إلى أسجر، كان من المستحيل عليه الوصول إليها. ولذلك، سألته بينيديكت عن الوغد الصغير بدلًا منها. وبعد تفكير، تقبَّل فكرة أن اختطاف الصبي يستحق الجهد أكثر. وفكَّر أسجر أن الشرطة ستعتقد أن المجرم هو من خطف جوستاف. والآن، وبينما ينعطف بعيدًا على الطريق السريع، لم يستطع إلَّا أن يقدِّر السخرية الكامنة بأنه هو وبينيديكت مطلوبان من أجل جرائم لا يعلمان عنها أيَّ شيء.

طَرَقَ المطر الزجاج الأمامي للسيارة، واضمحلَّ الضوء الأخير من النهار عند وصوله إلى الموقف الجانبي. استطاع أخيرًا رؤية الشاحنة التي أخذاها اليوم صباحًا من هيرتز. ولكنه تعمَّد الوقوف بعيدًا بنحو عشرين مترًا، وأطفأ المحرِّك. أخذ أسجر أشياءه من صندوق التابلوه، واستدار قليلًا نحو الصبي.

- عليكَ البقاء هنا حتى يأتي أحد ما ويجدك. ستبقى هنا، هل تفهم؟

أومأ الصبي بخنوع. خرج أسجر، وصفق الباب، وركض تجاه بينيديكت التي خرجت من الشاحنة، ووقفت في انتظاره تحت المطر مع أنها لا ترتدي سوى سترة خفيفة، وقبعة حمراء.

لا تبدو راضية. لا بدَّ أنها كشفت أن الأمور لم تجرِ وفقًا للخطة. وبأنفاس متقطعة، شرح لها أسجر ما جرى.

- نحن أمام خيارين فقط يا عزيزتي؛ إما أن نهرب من هنا حالًا، وإما نقود تجاه أقرب نقطة شرطة لنخبرهم بكل شيء قبل أن تتجه الأمور إلى الأسوأ. ما رأيكِ؟

لكنَّ بينيديكت لم تبدِ أيَّ استجابة. ولا حتى عندما فتح باب السيارة المغلقة التي استأجراها، وأخذ المفاتيح بيده. وقفت في المطر، محدِّقةً إلى مكانٍ ما خلفه بتلك النظرة الصامتة الجدية التي أخرست صوت ضحكتها وابتسامتها منذ أمدٍ بعيد. وعندما نظر أسجر من فوق كتفه، أدرك أن وجه الوغد الصغير المُتَّكئ على زجاج نافذةِ السيارة الوزارية هو ما تركِّز بينيديكت عليه. وفجأة أدرك أسجر أنَّها لن تغيِّر رأيها أبدًا.

90

في أثناء نزولها السلالم خلف عميل الاستخبارات خارجةً من مكتب رئيسة الوزراء، حاولت روزا هارتونج جاهدةً الاتصال بـ ستين على جهازه الخلوي، لكنْ دون جدوى. كانت تتوق إلى الحديث معه، فهي تعلم أنه سيشاركها الأحاسيس التي تعتمل داخلها في هذه اللحظات. منذ دقائق قليلة، قاطع العميل اجتماعها ليعلمها أن الشرطة أجرت مداهمة، ووجدت ما يُفترَض به أن يكون مخبأ القاتل. حاولت روزا كبت عواطفها لمدة طويلة، لكنْ بعد أن جعلها ستين تدرك وجود معنًى ما لبصمات كريستين هارتونج على دمى رجل الكستناء، بدأت تستسلم للحنين. قد يكون الاكتشاف الذي توصَّلت إليه الشرطة هو القفزة التي ينتظرانها؛ ومع ذلك، ثمة شيء ما يجعلها قلقة وغير مرتاحة.

عندما وصلت روزا إلى باب «برينس يورجن جارد»، وهو المكتب الاحتياطي لرئيسة الوزراء، وجدت عددًا من العملاء في انتظارها. تولُّوا أمر حمايتها وهم يرشدونها إلى سيارة سوداء، وبعد أن اجتازت السيارة مسافة المائة ياردة وصولًا إلى مبنى وزارة العلاقات الاجتماعية، كرروا التدابير الاحترازية في أثناء خروجها وتوجهها إلى المدخل الرئيسي.

تجاهلت روزا أسئلة الصحفيين الذين أقاموا ما يشبه المخيَّم أمام الباب. وعندما دخلت مُجتازةً الحراس، وجدت ليو واقفةً إلى جانب المصعد منتظرةً إياها لمرافقتها إلى الطابق العلوي. لم تكن لديها أي نيَّة للإدلاء بتصريح للصحافة، إلَّا أن الصحفيين، ومنذ أن سمعوا بالأخبار المثيرة عن كريستين، حاولوا عددًا لا يُحصَى من المحاولات. في البداية، كانت حانقة وغاضبة من ستين عندما بدأ يهذي عن بصمة إصبع كريستين، وصديقتها ماتيلد، ودمى رجال الكستناء، ودمى حيوانات الكستناء. كانت تعلم بأنَّه يثمل، وبأنَّه يبذل جهدًا كبيرًا كلَّ يومٍ ليتظاهر بالقوَّة، ولكنه في الحقيقة كان هشًّا، وربما

أكثر منها. تناقشا معًا عن أهميةِ بصمة الإصبع على دمى الكستناء في موقع الجريمتين الأوليين. تكلَّما عن مدى أهمية ذلك، وإذا ما صنعت ماتيلد وكريستين فعلًا دمى الكستناء في السنة السابقة. ولكنها أدركت أنَّ كل ما قالته لم يكن مهمًّا، لأنه لم يكن في الإمكان ثنيُ ستين عن عزمه. ربما لم يكن ثمة من يقف إلى جانبه، لا في البيت ولا في الشرطة، ولكنه أقنعها أخيرًا. ليس لأنَّه بدا منطقيًا، لكنْ لأنَّها صدَّقته. لأنَّها أرادت أن تصدقه. لم يعد ستين الرجل غير المرئي الذي كانه لأشهرٍ عدَّة. وعندما سألته عن رأيه بشأن وجود ابنتهما حيَّة، أومأ برأسه إيجابًا، وأمسك يدها، وانفجرت هي بالبكاء. بعد ذلك مارسا الحب للمرة الأولى منذ أكثر من ستة أشهر، وأخبرها بخطته. دعمته دون أن تعرف إذا كانت قادرة على المضيِّ قدُمًا معه في الخطَّة. لكنْ بعد ذلك في مساء يوم الجمعة أعلن أنه يؤمن أن كريستين ما زالت حية. ثمَّ، وتمامًا كما فعل السنة الماضية، شجَّع الناس على الإدلاء بمعلومات عن القضيَّة، وناشد الخاطفين لإطلاق سراحها. حاولت روزا أن تُهيئ جوستاف قدر الإمكان، ولكنَّه كان غاضبًا، ولم يتمكن من فهم ما يجري. تعاطفت روزا مع ارتباكه وتردده. وندمت تقريبًا على قرارهما. وفي وقتٍ متأخر من تلك الليلة، أُعلِمَ ستين وروزا بأن دميةَ كستناء جديدة تحمل البصمة ذاتها قد وُجِدَتْ في موقع جريمة — كانت تلك الدمية الثالثة. ورفعت الأخبار معنوياتهما عاليًا، مع أنَّ رئيس قسم الجرائم ومحققيْن كانا موجودين، أخبراهما بضرورة التريُّث في التفاؤل.

ظهرت جميع الرسائل التي وصلت من الناس ذوي النوايا الحسنة بلا فائدة. ولم تأتِ التحقيقات التي أجراها ستين بنفسه عن أنشطة كريستين يوم اختفائها بأي نتيجة. في عطلة نهاية الأسبوع، أعاد رسم جميع الممرات التي كان من الممكن لكريستين أن تسلكها من قاعة الرياضة، آملًا العثورَ على أي احتمالات أو شواهد يمكنها المساعدة في حل اللغز. كونه مهندسًا معماريًا، كان قادرًا على الوصول إلى مخططات نظام الصرف الصحي، والأقنية، ومحطات توليد الكهرباء الثانوية التي ربما استُخدِمَتْ لإخفاء كريستين بسرعة بعيدًا عن الأعين. كان ذلك شبيهًا بالبحث عن إبرة في كومةٍ من القش. ولكنَّ روزا شعرت بالتعاطف عندما رأت كمَّ التكريس الذي بذله من أجل المهمة. ولذلك كانت تتطلَّع بفارغ الصبر لتخبره بالأخبار التي قاطعت اجتماعها منذ

بضع دقائق. ذلك الاجتماع الذي لم يكن جيدًا، والذي بدأ عندما حيَّتها رئيسة الوزراء على الباب.

- تفضلي يا روزا، كيف حالك؟

وضمَّتها إليها.

- لا أشعر بأفضل حال. شكرًا. حاولت الاتصال بـ جيرت بوكيه عدة مرات لعقد اجتماع آخر، لكنني لم أحصل منه على أي إجابة. ولهذا، أعتقد أن علينا البدء بالتفاوض مع الطرف الآخر بأسرع ما يمكن.
- لم أكن أعني بوكيه، من الواضح الآن أنه لا يودُّ الجلوس معنا. قصدتكِ أنت وستين.

ظنَّت روزا أنه كان من المفروض مناقشة المفاوضات الخاصة بالميزانية. ولكنَّ وزير العدل كان هناك أيضًا، وخطَّة الاجتماع كانت مختلفة تمامًا بشكلٍ واضح.

- أرجوك لا تسيئي فهمنا. نحن نتفهَّم وضعكِ فعلًا، لكنْ، كما تعلمين، اتخذت الحكومة العديد من الإجراءات لتحسين الصورة العامَّة هذا العام. والوضع الحالي بالتأكيد لا يساعد أبدًا. إن ظهور ستين في الإعلام يوحي بنقد أعمال وزير العدل الذي شرح مرارًا وتكرارًا بأن التحقيق قد تم بشكل مُكثَّف في قضية كريستين المأساوية. لم يُترَك ولا تفصيل صغير دون تدقيق. قُدِّمَ كلٌّ ما من شأنه مساعدتكما. وأنتِ بنفسكِ عبَّرتِ عن امتنانكِ لذلك. لكنِ الآن، ثمة تشكيكٌ جدِّيٌّ في مصداقيته.

تدخَّل وزير العدل مقاطعًا: «سأقول تشكيكٌ في مصداقية الحكومة بأكملها. لقد أُمطِرَ مكتبي بالمكالمات ليلًا ونهارًا. يرسل الصحفيون طلبات حرية المعلومات إلى كلِّ مكان. والمعارَضة تريد إعادة فتح القضيَّة. حتى إنَّه كان هناك عددٌ من المكالمات التي طالبت بجرِّي إلى اجتماعٍ رسميٍّ لمناقشة الموضوع. وكل ذلك كان مقبولًا من جهتي، لكنْ هذا الصباح طُلِبَ من رئيسة الوزراء نفسها التعليق على القضيَّة».

- لم تكن لديَّ النيَّة للتصرُّف على هذا النَّحو، طبعًا، ولكنَّ الضغط لا يمكن تخيُّله.
- ماذا تريدني أن أفعل.

- أطلب منكِ الاتصال بالخط الرسمي لمكتب وزير العدل. وتتنصَّلي مما يقوله ستين. أفهم بأنَّ ذلك سيكون صعبًا، ولكنني أحتاج إليك الآن لتُظهري بأنكِ كنتِ عند حسن ظنِّي بكِ، وأنك استحققتِ الثقة التي منحتكِ إيَّاها عندما سمحتُ لك بالعودة إلى منصبكِ.

شعرت روزا بالغضب. أصرَّت أنَّ في القضيَّة عددًا من النقاط الغامضة. حاولت رئيسة الوزراء التوصُّل إلى مساومة، لكنَّ وزير العدل كان يزداد إحباطًا قبل أن يُقاطعوا. لم تلقِ روزا بالًا. تركت رسالةً صوتيَّةً على بريد ستين الصوتي عندما كانت تدخل المكتب برفقة ليو.

سأل فوجل: «كيف جرت الأمور مع رئيسة الوزراء؟».

- لا يهم. ماذا تعرف أنت؟

وفي مكتبها، اجتمع فوجل مع عميلي استخبارات، وإنجلز وبعض الزملاء الآخرين، في حين جلست للاستماع لإحاطاتهم بالوضع. منذ عشر دقائق، أعطى عميل في الاستخبارات الوزارةَ اسمَ الشخص الذي يستأجر العقار في سيدهافنين، وحدَّد إنجلز مباشرة ملف القضيَّة باسم بينيديكت سكانز. أعادوا دراسة الملف من أجلها، على الرغم من أنَّ روزا تذكرتها، رمق إنجلز وفوجل بعضهما في محاولة لفهم ما يجري. تلقَّى أحد العملاء مكالمةً هاتفية وخرج من الغرفة للرد عليها. سمعت روزا العميل الثاني يسألها أكانت تتذكر أي اتصال مع بينيديكت سكانس، أو مع صديقها، فيما يخص القضية. حتى الآن لم يتمكنوا من رسم صورةٍ له، لكنْ يوجد الكثير من الصور القديمة لبينيديكت سكانز.

- هذه هي.

تعرَّفت روزا المرأةَ الشابةَ ذات العينين السوداوين الغاضبتيْن. إنها المرأة التي اصطدمت بها في الردهة منذ أكثر من أسبوع. كانت ترتدي حينها قبعة حمراء وسترة، وحسبما تذكرت، كتب أحدٌ ما بالدم على سيارتها في اليوم نفسه.

- يمكنني أن أؤكد ذلك. لقد رأيتُها أنا أيضًا.

أكَّد العميل ما قاله فوجل، وتابع إنجلز القراءة في ملف القضية: أُخِذَ ابن بينيديكت سكانز للرعاية الاجتماعية، ولكنَّ الطفل مات بشكلٍ مأساوي مع الأسرة التي تبنَّته. شعرت روزا بالضِّيق فجأة.

- لماذا لم يصل جوستاف حتى الآن؟

أمسك فوجل يدها وقال: «سيجلبه السائق الآن، وسيكون كل شيء على ما يرام يا روزا».

- ما الذي تتذكرينه أيضًا عن بينيديكت سكانز؟ هل كانت برفقةِ أحدٍ ما في ذلك اليوم في كريستيانسبورج؟

كان سؤال العميل ملحًّا، ولكنَّ إحساس الانزعاج عند روزا أصبح لا يُحتَمَل. ولسببٍ غير واضح، خطر لروزا فجأةً أنَّ السائق سأل أكان جوستاف سيذهب إلى التنس معه أم مع ستين. ولكن ما جعلها تتجمَّد هو صوت إنجلز.

- من الواضح أننا لا نعرف الكثير عن صديق بينيديكت، أب الطفل المتوفى، سوى أنَّه كان مُرسَلًا في مهمَّةٍ إلى أفغانستان كسائق واسمه أسجر نيرجارد.

توقَّف فوجل مصدومًا، وتبادلا النظر.

- أسجر نيرجارد؟

- نعم...

تفقدت روزا أحد البرامج على هاتفها الخلوي، وقفز فوجل من كرسيه بعنفٍ لدرجة أنَّه انقلب خلفه. استخدمت برنامجًا آمنًا باسم «جِد طفلي»، ثبَّتته هي وستين السنة الماضية للاحتفاظ بالمعلومات عن موقع الهاتف الجوَّال الخاص بـ جوستاف. ولكن خريطة تحديد الموقع تبدو الآن فارغة، ما يعني أن هاتف جوستاف لا يبثُّ أي إشارة. وقبل أن تتمكن روزا من قول ذلك بصوتٍ عالٍ، دخل العميل من الباب وخفض الهاتف عن أذنه. وفي اللحظة التي ترى وجهه فيها، شعرت بالأرض تغور من تحت قدميها، تمامًا كما حدث عندما اختفت كريستين.



91

بدا أن هيس كان شاردًا عمّا يقال لعدة دقائق. جلس إلى يسار تولين إلى الطاولة الطويلة في غرفة العمليات، وعيناه شاخصتان إلى النوافذ المُشرِفة على الباحة الخلفية التي باتت تغرق الآن في الظلمة. وتضجُّ حوله أصوات مشغولة، ومتوترة، لتذكِّر الجميع بمدى فداحة الوضع. لقد كان هنا سابقًا. مكان وجودك في العالم غير مهم، ما دامت القصة تبدو ذاتها دائمًا عندما يتعلق الأمر بالخطف. باستثناء الأبعاد العميقة التي تتخذها القضية إذا ما كان الضحية ابنًا أو ابنةً لإحدى الشخصيات السياسية البارزة.

وُجِدَت سيارة هارتونج الوزارية منذ نحو خمس ساعاتٍ متروكةً عند محطة قطارٍ جنوب غرب كوبنهاجن. وليس هناك أيُّ أثرٍ للصبي، أو لـ بينيديكت سكانس وأسجر نيرجارد. لا توجد طلبات من الخاطفين أيضًا. وأطلق إيجاد السيارة الفارغة واحدة من أضخم عمليات البحث في التاريخ الدنماركي. الحدود، والمطارات، ومحطات القطار، والجسور، والعبَّارات والسواحل، جميعها أُخضِعَتْ للحراسة أو للتفتيش. وشعر هيس كما لو أنَّ جميع سيارات الشرطة أُرسِلَت إلى الشوارع تأكيدًا أن عملية البحث جارية. كانت العملية تجري تحت قيادةٍ مُشتَركة من الاستخبارات وشرطة كوبنهاجن. حتى إن العديد من عناصر الدفاع المدني سُحِبُوا من العشاء، وأُرسِلُوا إلى كآبةِ الخريف. شارك أيضًا زملاء من النرويج، والسويد وألمانيا بالإضافة إلى الإنتربول واليوروبول. ولكنَّ هيس رجا ألّا يؤدي أي منهم دورًا في عملية البحث. إذا تواصلت معهم السلطات الدولية فسيكون بسبب أنَّ الخاطفين قد قطعوا العديد من الحدود، وفي هذه الحالة ستكون فرصة العثور على جوستاف هارتونج ضئيلة جدًّا، ولا سيَّما فرصة العثور عليه حيًّا. وبحكم التجربة في قضايا الخطف، فإن الفرص تكون أفضل خلال الأربع وعشرين ساعة الأولى بعد العملية، إذ تكون الآثار واضحة. وبمرور كل يوم، تصبح

الفرص أقل وأضعف. ويدرك هيس من إحصائيات لاهاي أن هذه التقديرات مبنيَّة على حالات حقيقية لأطفال مفقودين. حاول هيس التفكير في أيِّ شيء آخر غير قضية الخطف التي كان مشاركًا فيها منذ أعوامٍ خَلَتْ، والتي تطلَّبت تعاون جهازي الشرطة الفرنسي والألماني. في تلك القضية، اختفى طفل بعمر عامين من كارلسروه، والخاطف الذي يتكلَّم الفرنسيَّة طلب من والد الضحية الذي كان يعمل مديرًا لبنك ألمانيٍّ مبلغًا قدره مليونا يورو فديةً. كان هيس وقتها موجودًا على عملية التبادل، ولكنَّ الفدية لم تُسلَّم في المكان المُتَّفَق عليه. وبعد شهر، عثروا على جثة الصبي في جورة للصرف الصحيِّ على بعد خمسمئة متر من بيت مدير البنك. وبالفحص الطبي، وُجِدَ أنَّ جمجمة الصبي مكسورة لأنَّ الخاطف رماه على الأسفلت عندما فرَّ هاربًا تمامًا في يوم الخطف ذاته. لم يُقبض على القاتل قطُّ بعدئذٍ.

ظروف اختفاء جوستاف هارتونج مُختَلِفة. ومن حسن الحظ، ثمة أسباب تدفع إلى التفاؤل. يحقق المحققون الآن مع زملاء أسجر نيرجارد في الوزارة وفي كريستيانسبورج، في حين حقق آخرون مع زملاء بينيديكت سكانز في مشفى ريجز. وحتى الآن، لا يستطيع أحد التكهُّن بالوجهة التي قصدها الثنائي مع الصبي، ولا يزال من الباكر جدًّا حسم الإمكانيات. تصدَّرت صور الصبي الأخبار، وهذا ما صعَّب على الخاطفين السفر معه علنًا، ولهذا وجهان؛ سيئ وجيد. أما الجانب الجيد فهو أن أغلب المواطنين سيتمكنون من تمييزه، وإخبار السلطات فور رؤيته. والجانب السيئ هو الضغط الذي سيشعر به الخاطفان، ما قد يقودهما إلى اتخاذ قرار كارثي. كان هذا الموضوع محطَّ جدال كبير بين الموظفين الكبار وعملاء الاستخبارات، لكنْ حُسِمَ الجدل في النهاية: أصرَّت أسرة هارتونج على إعلان الإنذار حول الصبي مُسكِتةً بذلك جميع الأصوات الأخرى. كانت الأسرة قد مرَّت بكابوس مشابه منذ عام، ولم تتعافَ منه حتى الآن. وها قد بدأ الآن كابوس جديد آخر. لم تترك جادة واحدة من دون تفتيش. وإلى جانبه يسمع صوت تولين الغاضب مُخاطبًا جينز، الذي يطلعهما على آخر المستجدات من موقعه في قسم العلاقات الخارجية من خلال مكبر الصوت في هاتف نيلاندر الموضوع على الطاولة.

- لكنْ ألا توجد أي أخبار حول تقفِّي أثر هاتفيهما؟

- لا. أسجر نيرجارد وبينيديكت سكانز أطفآ هواتفهما الساعة 4:17 من بعد ظهر هذا اليوم الذي نتوقعه افتراضًا توقيت الخطف. ربما لديهما هواتف أخرى غير مسجلة، لكنْ لا يمكننا...

- ماذا عن الأجهزة اللوحية أو الحواسيب المحمولة الخاصة بهما في منزلهما؟ كان هناك على الأقل جهاز لوحي واحد، وكمبيوتر محمول من ماركة «لينوفو». وقد نجد فواتير رقمية عن رحلات طيران، أو حركة سفن أو قطارات. هل توجد أي مدفوعات من خلال بطاقات الائتمان؟

- كما قلتُ، لم نجد حتى الآن أي شيء ذا فائدة. وسنستغرق بعض الوقت قبل استرداد الملفات المحذوفة من جهاز اللينوفو، لأنه تحطَّم و...

- هذا يعني أنك لم تصل إلى شيء البتَّة. لا وقت لدينا لهذا! كل ما أنت في حاجة إليه هو استخدام برنامج استرداد الملفات المحذوفة على جهاز اللينوفو. أعني...

- جينز يعرف ما يفعله يا تولين. أخبرني يا جينز بما يستجدُّ معك.

- طبعًا. سأعود إلى مخبري.

أغلق نيلاندر الهاتف، ووضعه في جيبه. ووقفت تولين تمامًا كملاكمٍ أُخبِرَ بأنَّه لا يستطيع المشاركة في الجولة.

أكمل نيلاندر: «هل من شيء آخر؟ نحن سنمضي».

وضع يانسن دفتر ملاحظاته على الطاولة.

- تكلَّمتُ مع الطبيب النفسي في المشفى في روسكيلد. ليس لدينا أي شيء يمكننا استخدامه. لكنْ مما لا شكَّ فيه أنَّ بينيديكت سكانز قد مرَّت بأزمة كبيرة منذ موت الطفل. أصرَّت مستشارة نفسية أن المرأة قد تعافت تمامًا من الصدمة خلال مدة بقائها في المشفى، ولكنها لا تستطيع تقييم إمكانية وقوع سلوك عدواني. ويا له من خبر عظيم ومطمئن عندما تضع في حسبانك أن بينيديكت سكانز تعمل في جناح الأطفال.

- إذن، لا معلومات عن مكانها. ماذا عن أسجر نيرجارد؟

- جنديٌّ سابق، في عمر الثلاثين. أُرسِلَ إلى أفغانستان بمهمة سائقٍ مرتين مع المجموعتين القتاليتين 7 و11. سجلُّه نظيف. ولدى سؤالنا

رؤساءه السابقين من الضباط، أخبرنا بعضهم أنهم يعتقدون أنَّه ترك الجيش لأسبابٍ تتجاوز مجرَّد إحساسه بالملل.

- قل ما عندك.

- قال بعضهم إنه كان يعاني ارتجافًا في يديه، ويتحاشى الاختلاط بالآخرين. أصبح مزاجيًّا وعدوانيًّا، فضلًا عن إصابته بمرض اضطراب الكرب التالي للصدمة الذي لم يتلقَّ أي علاج له. كيف وافقتِ الاستخبارات على توظيفه سائقًا في الوزارة. لا يمكنني تخيُّل ذلك.

- أيًّا ممن تكلمت معهم لا يعرف مكانه؟

- لا. ولا حتى والدته. على الأقلّ، هذا ما تقوله هي.

- إذن، سندعو إلى اجتماع، وسنواصل العملية. الجميع مُستنفَرون، لكنَّ ذلك ليس كافيًا على ما يبدو. لا شك لدينا في الدافع بالنسبة إلى قضية هارتونج، لذلك يجب أن نركز جهودنا على إيجاد الصبي. في الوقت الراهن، سنحوِّل جميع مصادرنا عن التحقيق في الجرائم الأربع التي ارتكباها، حتى يظهر الصبي سالمًا.

- إن كانا هما من ارتكب تلك الجرائم.

كانت هذه أول مرة يتكلَّم فيها هيس في الاجتماع. نظر نيلاندر إليه كما لو أنه شخص غريبٌ يقف بالباب، ويريد الدخول. وتابع هيس حديثه قبل أن يغلق الباب.

- حتى الآن، لا نملك ما يثبت تورُّط الزوجين في الجرائم التي وقعت. لقد أرسلا إلى روزا هارتونج تهديدات بالموت، وخطَّطا عملية خطف ابنها ونفَّذاها. لكنْ لا صلة لهذا الأمر بالضحايا. ولدى أسجر نيرجارد حجَّة غياب على الأقل لواحدة من الجرائم. وفقًا للاستخبارات، عندما قُتِلَتْ آن سيير لاسين، كان أسجر يقف مع روزا هارتونج ومساعدها في الباحة قرب الوزارة.

- لكنَّ بينيديكت سكانز لم تكن معهما.

- لكنَّ هذا لا يعني أنها هي من قتلت آن سيير لاسين. فما دافعهما إلى ذلك؟

- لا أريد سماع هذه الدفاعات المُشوَّشة بعد زيارتكَ لـ لينوس بيكر. بينيديكت سكانز وأسجر نيرجارد هما المشتبه فيهما الرئيسيان في القضية. وسنسمع دفاعاتكما الواهية لاحقًا.

- لكنني لا أحاول الدفاع عن...

- يا هيس. لو أنكَ وتولين أمضيتما الوقت بفعَّالية أكبر في دراسة القضية في الوزارة، لكنتما توصلتما إلى بينيديكت سكانز وأسجر نيرجارد بشكل أسرع، ولما كان جوستاف الآن بحوزتهما. هل تفهم ما أقول؟

صمت هيس. خطرت على باله الفكرة ذاتها. وللحظةٍ، شعر بالذنب، على الرغم من علمه بعدم وجود مُسوِّغ. غادر نيلاندر الغرفة، وتبعه يانسن والبقية. في حين التقطت تولين معطفها من الكرسي وراءها.

- المهم الآن هو إيجاد الصبي. فإذا لم يكونا مرتكبي الجرائم، فسنثبت ذلك لاحقًا.

لم تنتظر لتسمع جوابًا. راقبها هيس وهي تتجه نحو الممر، ثم استرق النظر من وراء الزجاج نحو المحققين الذين يتجوَّلون خارجًا بالعزيمة والتصميم اللذين يُلاحظان عندما تقترب قضية ما من نهايتها. وبالرغم من ذلك، لم يستطع هيس مشاركة هذا الشعور. أحسَّ كما لو أن خيوط الدمى ما زالت تتدلى من السقف. وقف، وذهب خارجًا لاستنشاق بعض الهواء النقي.

92

في العادة، لا يخشى أسجر الظلام. اعتادت عيناه التأقلمَ بسرعة، واستعاد هدوءه وإحساسه العام بالسيطرة على الأمور، حتى وهو يقود السيارة الآن بأقصى سرعة تحت المطر الغزير.

كان يستمتع بالقيادة ليلًا في أفغانستان، عندما كان مُوكَلًا بنقل العتاد والمؤن من مخيمٍ إلى آخر بعد مغيب الشمس أحيانًا. وبالرغم من الأخطار المرتبطة بمثل هذا النوع من المهمات، فإنها كانت تمنحه شعورًا مختلفًا. على أي حال، كان يعشق وجوده وراء عجلة القيادة. كان ذلك يمنح عقله نوعًا من السلام. وكان مدى رؤيته يتغيَّر وفقًا للمشاهد المحيطة به. في أفغانستان، تعلَّم أن يُفضِّل القيادة الليلية على غيرها على الرغم من عدم توافر الكثير من الأشياء لرؤيتها. كانت الظُّلمة تُشعره بالحماية، وتمنحه هدوءًا وتوازنًا نفسيًّا كان يفتقدهما آنذاك. ولكنَّه لا يحسُّ بشيءٍ من هذا الآن. بدا الطريق الرمادي محاطًا بغابةٍ كثيفةٍ من الجانبين. ومع أنَّه بالكاد استطاع الرؤية، ولكنه كان يحس بأن الخطر قد يقفز في وجهه من قلب الظلمة، ليبتلعه في أي دقيقة. أحسَّ بالقشعريرة تسري في جسده، وبازدياد الضغط في أُذنيه. وضغط دوَّاسة السرعة كما لو أنه يحاول الهروب من ظلِّه.

انتشرت حواجز الشرطة في كل مكان. واضطُرَّا إلى تغيير اتجاههما عدة مرات. في البداية، توجها نحو ميناء جيدسير، ومن ثم إلى العبَّارة السويدية في هيلسينجور، ولكنهما وُوجِهَا بسيارات الشرطة مع أضوائها المُشوِّشة للرؤية. ولم يكن من الصعب معرفة وجهتهما. وضع أسجر أمامه الآن خط سير باتجاه سييلاندز أود، حيث تغادر العبَّارات ضفة شبه الجزيرة. يبدو جسر «جريت بيلت» الكبير مكشوفًا جدًّا، ما يستثنيه من الخيارات. ولكنَّ أسجر يرجو أن تكون العبَّارة المغادرة دون حراسة، مع أنَّ ذلك قد يبدو احتمالًا بعيدًا. كان عقله يتخبَّط بالأفكار حول ما عليهما فعله في حال أُغلِقَتْ

جميع الطرق في وجهيهما. ولم تكن لديه أدنى فكرة عن خطوته التالية. وكانت بينيديكت غارقة في الكآبة والصمت في المقعد المجاور له.

لم يكن إحضار الطفل فكرة أسجر، ولكن هذا ليس الوقت أو المكان المناسب لمناقشة ذلك. هو يتفهَّم. لو أنَّهما استسلما، لاعتُبِرَتْ أفعالهما أقرب إلى المقلب. ولَمَا فهمت الوزيرة الحقيرة ما اقترفته في المقابل. تليق بها الجحيم. ولم يشعر أسجر بتأنيب الضمير لاختطافه الصبي. فوالدته هي المُلامة لوجوده الآن مرميًّا في مؤخرة الشاحنة.

ضغط أسجر المكابح. أحسَّ لوهلةٍ بأن الشاحنة خرجت عن السيطرة على الأسفلت الزَّلِق. خفف السرعة، ثمَّ أعاد المركبة إلى مسارها. وبعيدًا أسفل الطريق، استطاع تمييز الأضواء الزرقاء من خلال الأشجار المبللة. ومع أن سيارات فرق المطاردة لا تبدو واضحة لعينيه، فإنَّه كان يعرف حق المعرفة أنها ستكون في انتظاره على حاجزٍ جديد بعد المنعطف القادم. خفَّف السرعة مُجددًا حتى توقَّفت الشاحنة تمامًا.

- ماذا نفعل؟

لم تُجِبْ بينيديكت. استدار أسجر وبدأ يُسرع تجاه الطريق مُناقِشًا خياراتهما بصوتٍ عالٍ. وعندما تكلَّمت أخيرًا، لم تقل ما توقعه منها.

- توجَّه نحو الغابة، عند المنعطف القادم.

- لماذا؟ ماذا سنفعل هناك؟

- انعطف نحو الغابة، قلتُ لك!

عندما وصلا إلى المخرج التالي، انعطف أسجر تجاه الغابة. وسرعان ما بدأ السير في طريقٍ أضيق، مليءٍ بالحفر والتعرجات. وعندها فهم ماذا تريد بينيديكت. لقد أدركت بالتأكيد ما يحيط بهما، فقررت أن يلتجئا إلى الغابة وينتظرا مرور العاصفة. أسجر هو الجندي، لذلك كان يُتوقَّع منه الخروج بهذا الحل. ولكنها كانت دائمًا صاحبة الحلول. وبعد أن قادا لمدة ثلاث دقائق أو أربع، أصبحت الغابة كثيفة بما يكفي لتغطيتهما. فطلبت منه بعصبيَّة إيقاف الشاحنة.

- لا. ليس بعد. علينا أن نتقدم أكثر. سيروننا إذا...

- أوقف الشاحنة، أوقف الشاحنة الآن!

ضغط أسجر المكابح، وتوقفت المركبة. أطفأ المحرك، وبقيت المصابيح الأمامية مضاءة. جلست بينيديكت ساكنةً لحظةً. لم يتمكن من رؤية وجهها. كان يسمع صوت أنفاسها، ووقع حبات المطر على السقف. فتحت صندوق التابلوه، وأخرجت منه شيئًا قبل أن تفتح باب الشاحنة.

- ماذا تفعلين؟ لا وقت لدينا للتوقف هنا!

صفقت بينيديكت الباب. وللحظة، جلس أسجر في المركبة يسمع صدى صوتِه. وعلى ضوء المصابيح الأمامية رآها تمشي نحو مُقدِّمة الشاحنة، وتنعطف لتتجاوز بابها، فتح الباب وخرج.

- ماذا تفعلين؟

تجاوزتْه، ومشت بتصميمٍ نحو الباب الخلفي للشاحنة. لمح أسجر الأداة الحادة في يدها اليمنى، وتذكر أنه في ذلك الصباح ترك سكينه الحربية في صندوق التابلوه عندما أخذ الشاحنة من هيرتز. وأدرك ما هي على وشك فعله. ولدهشته، أحسَّ ببعض الشعور تجاه الشقيِّ الصغير. أمسك بينيديكت، وأحس بقوتها، ومدى رغبتها في اقتراف ذلك.

- دعني، دعني. أقول لك اتركني!

تعاركا في الظلام. وشعر أسجر بجرح السكين في مكان ما بفخذه في أثناء محاولتها التحرر من قبضته.

- إنه مجرَّدُ صبي! لم يفعل أي شيء ضدنا!

تدريجيًّا، تمكن من سحبها أقرب إليه. ارتخت ذراعاها، وبدأت بالنحيب. تمكنت الدموع منها، ولم يعلم أسجر كم من الوقت وقفا هكذا في الغابة، لكنه بدا دهرًا. كانت تلك هي اللحظة الأروع منذ وقتٍ طويل. أدرك أن بينيديكت راودتها الفكرة ذاتها. كان هول القوى الموجَّهة عليهما قويًّا، ولكنهما ما زالا معًا. لم يستطع رؤية وجهها حينذاك، لكن الدموع تلاشت، وتمكَّن من أخذ السكِّين من يدها، ورماها أرضًا.

- حسنًا. فليخرج الصبي. الأسهل لنا أن نكون وحدنا. وما إن يظهر الصبي، ستخفف الشرطة حدة عملياتها للبحث عنا. اتفقنا؟

كان أسجر متأكدًا من أنه الحل الأمثل لهما، وشعر بجسدها قريبًا جدًّا من جسده. مرَّر يده على وجهها متحسِّسًا ملامحها، ومسح دموعها. تعلَّقت بيده، وسحب بيده الأخرى الباب المنزلق جانبًا. لو أخبرا الصبي بالاتجاه الصحيح،

لوصل إلى أقرب حاجز للشرطة خلال عدة ساعات، وذلك سيعطيهما الوقت اللازم.

ضجةٌ ما جعلت أسجر يتوقف، ويراقب الظلمةَ حوله بإمعان. كان صوتًا بعيدًا لمحرِّك سيارة يقترب شيئًا فشيئًا. نظر إلى الأسفل نحو الطريق الذي سلكاه ويده ما زالت بيد بينيديكت. على مسافة خمسين ياردة تقريبًا، لمعت الأضواء الأمامية لسيارة قادمة، وسرعان ما غمرهما الضوء. توقفت السيارة، وبعد أن تفحصهما السائق للحظة، أُطفِئَ المحرِّك والأضواء الأمامية.

أصبح الظلام دامسًا أمامه على الطريق. تفجَّرت آلاف الأفكار داخل رأس أسجر. في البداية، اعتقد أنها سيارة شرطة مُتَخَفِّية. ولكنَّ الشرطة لن تكون بهذا الهدوء في هكذا موقف. ثم خطر له أن يكون مزارعًا أو حارس غاباتٍ. ومن ثم صُدِمَ بإدراكه أن السبب الوحيد الذي سيجعل أي أحد يقود في الظلمة على هذا الطريق الوعر وفي هذه الساعة بالذات هو إيجادهما. لكنْ لا يمكن أن يكون قد رآهما أحد عند انعطافهما ودخولهما الغابة. وتأكد منذ مدة طويلة من عدم إمكانية تتبع هاتفيهما.

شعر أسجر بيد بينيديكت تشدُّ على يده. وعندما سمع صوت باب يُفتَح، طرح سؤالًا بقي بلا جواب في الظلام.

- من أنت؟

وكرَّر السؤال. ومن صوت الخطوات المُقتَرِبة، أدرك أنه سيعرف الجواب سريعًا. وعلى الفور، انحنى ليلتقط السكين من بين الأعشاب.

93

أفرغت تولين القمامة على صفحتي جريدة على أرضية المطبخ، وتناولت شوكة من الدرج، وبدأت بالتقليب. كانت ترتدي قفازين مطاطيين، ورائحة الطعام العَفِن، وأعقاب السجائر والحاجات الفاسدة تملأُ منخريها، بينما تقلبها أملًا في اكتشاف أدلة عن وجهة الثنائي. كان جينز قد فتَّش المكان بأكمله مع فنيي قسم العلاقات الخارجية في وقت باكر من صباح ذلك اليوم. على أي حال، لطالما فضَّلت تولين العمل بنفسها. ولكنها لم تجد شيئًا. حاجات الحياة اليومية التي تُشتَرى من المتجر، مع إيصال متعلِّق بالتنظيف الجاف، من المفترض أن يكون إيصال تنظيفِ ملابس أسجر نيرجارد التي ارتداها عندما أقلَّ روزا هارتونج. تركت تولين القمامة على حالها. كانت في القسم المأهول من المسلخ القديم. وباستثنائها هي وبعض الدوريات التي تراقب الأبنية من مسافة قريبة، لم يكن هناك أحد في المكان. كان عليها الاعتراف بأن جينز وجماعته قاموا بعملهم على أكمل وجه حتى الآن. لم يوجد أي شيء يشير إلى الوجهة التالية للثنائي، ولا أي إشارة إلى أنهما وضعا خِطَطًا للهروب أو مخارج بديلة. في وقت سابق من ذلك اليوم، أكدوا أن واحدًا من المخازن الباردة في المسلخ كان مُجهَّزًا بفراش موضوع على الأرضية، مع لحاف، وحمام متنقل، وبعض من مجلات الأطفال، ما يبيِّن أنهما أعدَّا المكان لاحتجاز جوستاف هارتونج.

تسببت هذه الفكرة بقشعريرة سرت في جسد تولين. لم تلاحظ في البيت أي شيء يوحي بأنهم يتعاملون مع قَتَلَة من ذوي الدم البارد. ليس بالطريقة التي تخيلتهما فيها، على أي حال. كان من الواضح أن أسجر نيرجارد يعيش هنا، وليس في الغرفة التي استأجرها مع زميل سابق له. وكان ولعه بالفن الياباني الذي يُصوِّر نساءً عاريات واضحًا. ولكنَّ ذلك كان أكثر الأشياء جِديَّةً بالنسبة إلى شخصيته كما تُظهِرها ممتلكاته. فوق كل ذلك، بدا أنه من محبِّي الأعمال الهزليَّة زمن السبعينيات، والأفلام الدنماركية من بطولة ديرتش باسر

وأوف سبروجو؛ وأفضل وصف لهذه الأفلام هي أنها جميعًا مصوَّرة في مناطق خضراء غارقة بالشمس والرايات الدنماركية ترفرف فيها عاليًا. شاهد هذه الأفلام والمسلسلات على جهاز تشغيل الأقراص الرقمية مُغْبَرٍّ خلال جهاز تلفزيون بشاشة مُسطَّحةٍ قديمة، مُستلقيًا على أريكة جلديةٍ قذرة. ولكنَّ ذلك لم يعطِ تولين أي انطباعٍ عن شخصية مصابة بالجنون أو بمرض نفسي.

كانت الدلائل المرتبطة بشخصية بينيديكت مُقلِقة أكثر: كتبًا تشرح قدرة المجلس على أخذ الأطفال إلى الرعاية، ومقاطع مطبوعة من قانون التأمين الاجتماعي مدروسة ومشروحة، بالإضافة إلى مجلات قانونية عن رعاية الأولاد، وعناوينَ أُخرى مُشابهة. وجدوا ضمن متعلقاتها العديد من الملفات والمجلدات مُكرَّسة لقضية طفلهما الصغير، وموزعة في عددٍ من الأدراج في غرفة الجلوس، إضافة إلى المراسلات التي تمت بينها وبين السلطات، ومحاميها الذي عيَّنته المحكمة. وعلى كلِّ صفحةٍ تقريبًا، أضافت ملاحظات مكتوبة بخطِّ اليد، بعضها مقروء، ولكنها مليئة بعلامات التعجب والاستفهام. وكان الغضب والإحباط المُختبئان خلف هذه العلامات واضحين جدًّا. توجد مجلدات صور لبينيديكت من أيام الدراسة أيضًا. وإحدى تلك الصور كانت لها مع أسجر نيرجارد على العشب خارج سور بشع من الخرسانة، بالإضافة إلى شهاداتٍ وأوراق من تدريب التمريض الخاص بها، ودورات إضافية عن الحمل والولادة.

كلَّما شاهدت تولين أكثر، تأكدت أن هذين الزوجين ليسا القاتلين اللذين كانت تحقق مع هيس في قضيتهما. كان من الصعب تخيُّل أنهما تدبَّرا مراوغة التحقيق في جريمة كُبرى للعديد من الأسابيع، ولذلك خَلُصَتْ إلى نتيجة مفادها أنَّ هيس كان على حق عندما شكَّ في الأمر.

عندما رأت جدران شقته في نورريبرو ذلك الصباح، بدأت تظنُّ أنَّه بدأ يبتعد عن صُلب القضيَّة. وأنه ببساطة لم يستطع تقبُّل أن الفتاة هارتونج قد ماتت منذ زمن طويل. ومما لم يغير رأيها ذاك اقتراحه تلك الزيارات غير الشرعية لجينز ووحدة الأمن. ومن ثَمَّ ذكَّرت نفسها بأنها لا تعلم أي شيء عن هيس وماضيه، إلَّا أن رحلتهما معًا لمقابلة بيكر تركت العديد من علامات الاستفهام. ويمكنها أن تتخيل نفسها الآن مع هيس يحاولان الحديث معه مجددًا عن الجرائم، وكريستين هارتونج.

على أي حال، جوستاف هارتونج هو المهم الآن. وعندما انتهت تولين من تفتيش الأدراج في غرف النوم، نزلت إلى الطابق الأسفل. وإذا انطلقت بالسيارة الآن نحو قسم العلاقات الخارجية، فإنها ستتمكن من مساعدة جينز

مع حاسوب اللينوفو الذي يبدو مليئًا بالأسرار. كانت قد التفَّت حول الزاوية أسفل السلالم، وبدأت تمشي في الممر عندما سمعت صوتًا ضعيفًا، فتوقفت فجأة. كان مُنَبِّهًا يصدح في مكانٍ ما خارج المنزل. كان الصوت أبطأ بإيقاعه من أن يكون منبه سيارة، ولكنه بالإلحاح نفسه. استدارت ومشت من خلال المطبخ، ووصلت إلى الممر الذي يقود إلى المسلخ. فتحت الباب، وبدأت تسمع الصوت بوضوح أكبر. القاعة الكبيرة مظلمة، فتوقَّفت غير مُتأكدة من مكان مفاتيح الإضاءة. وصعقها إدراكٌ بأنه إن لم يكن الزوجان هما وراء الجرائم، فمن الممكن أن يكون القاتل الحقيقي مُختبئًا في مكان ما في الظلام. حاولت إبعاد الفكرة عن رأسها، فليس من سبب يدعو إلى الاعتقاد بأنه سيظهر هنا الآن. ومع ذلك، سحبت مسدَّسها، وحررت مسمار الأمان. وعلى ضوء هاتفها، شقَّت تولين طريقها من خلال المسلخ القديم. تحركت تجاه الصوت مارَّةً بقسمٍ باردٍ تلوَ الآخر. ومن ضمنها ذاك الذي كان مُعدًّا لاستقبال جوستاف هارتونج. كان بعض هذه الأقسام فارغًا تمامًا، باستثناء خطافات تعليق اللحوم المُتَدلِّية من السقف. ولكنَّ أغلبها كان مُكتظًّا بصناديق وخردةٍ قديمة.

توقفت قريبًا من الباب المُفضي إلى القسم الأخير. كان الصوت صادرًا من الداخل. وقفت على بُعد خطوتين تقريبًا، قبل أن تُدرك أنه لا بدَّ أن نيرجارد كان يستخدمها كنادٍ رياضي. على ضوء هاتفها، استطاعت أن ترى عدة أوزان تمرين قديمة، وقضيب حديد لرفع الأثقال، ودراجة رياضية، وكيس ملاكمة مع حذاءٍ عسكريٍّ مُوحِل، وزي مموَّه. أكثر ما لفت انتباهها كان الرائحة الكريهة. ومع أنها في مسلخٍ غير مُستخدم، فإنَّها لم تشم رائحة اللحم الفاسد في أي واحدة من الغرف السابقة التي مرت بها. ولكنها تشمها في هذه الغرفة. عبرت الفكرة رأسها برعب قبل أن تلاحظ حركة في الزاوية. ومع أن الحيوانات كانت في بقعة الضوء الصادر من هاتفها، فإنَّها لم تُبدِ أي ردة فعلٍ. أربعة جرذان أو خمسة كانت تصدر أصواتًا أسفل ثلاجة صغيرة قديمة موضوعة في الزاوية إلى جانب بعض أدوات البَستَنَة، ولوح حديدي مطوي. كانت الشاشة في مقدمة الثلاجة تومض وتصدر صوتًا متقطعًا. ربما لأن الفئران قضمت الشريط المطاطي الذي يغلف أسفل الباب، ما تسبب بفتحه قليلًا. اقتربت تولين من الثلاجة، ولكنَّ الفئران لم تفرَّ هاربة إلا بعد أن ركلتها بقدمها، وتوقفت على مَقرُبة، راكضةً ذهابًا وإيابًا، بهيستيرية. وعندما فتحت تولين بابي الثلاجة لتنظر ما في داخلها، كان عليها أن تغطي فمها بيدها لتمنع نفسها من التقيُّؤ.

94

- لكنْ، هل أنت متأكد تمامًا؟ كانت بينيديكت سكانز تعمل في مناوبة ليلية يوم الجمعة 16 أكتوبر حتى السبت 17 أكتوبر؟
- نعم، مئة بالمئة. أكَّدت لي ذلك الآن رئيسة الممرضات في القسم. كانت في المناوبة نفسها معها.

شكر هيس المحقق، وأنهى المكالمة تمامًا عند وصوله إلى الطابق الذي يحوي مكاتب روزا هارتونج. كانت الساعة قد قاربت الحادية عشر ليلًا، وكان المكتب مليئًا بالتوتر والأعصاب المشدودة والهواتف التي ترن. ما زال بعض المحققين يستجوبون الموظفين. امرأتان بعينين حمراوين تتهامسان جانبًا، وعدد من الأكياس البيضاء مع وجبة سوشي مُبَعثَرة على الطاولة. ومن الواضح أنَّ أحدًا لم يجد الوقت لتناولها.

- هل الوزيرة في مكتبها؟

أجابت الموظفة هيس بإيماءةٍ من رأسها، واتجه نحو الباب الأحمر وهو يتذكر كلمة السر للجهاز اللوحي الذي استعاره منذ دقائق في غرفة استراحة السائقين في كريستيانسبورج. كانت تولين محقّة عندما قالت إن الصبي هارتونج هو أهم من أي شيء آخر حاليًا، ولذلك قاد هيس سيارته مباشرةً من دائرة الشرطة إلى الوزارة للمساعدة على البحث عن أي معلومات مُتعلِّقة بالثنائي أو سلوكهما من خلال استجواب الناس الذين كانوا على تواصل يومي معهما. وبسرعة جدًّا، تبيَّن أن الجميع لا يعرفون شيئًا عنهما. أتمَّ المحققون عملهم على أكمل وجه. ولن يخرج هيس بأي جديد إذا استجوب الناس مجددًا. لم يكن نيرجارد على علاقةٍ جيدة بأي أحد. وبالتأكيد، لم يكن ليتحدث عن حياته الخاصة أو عما يفعل في أوقات فراغه، أو عن أي شيء آخر قد يثير الاهتمام. وبدلًا من ذلك، سمع هيس الكثير عن وصف شخصية نيرجارد. اعتقد

البعض أن السائق يبدو غريب الأطوار نوعًا ما، وهادئًا، وربما خطرًا قليلًا، ولكن هذه الأوصاف كانت تحمل علامات إدراكٍ مُتأخر بالنسبة إلى هيس. جميع محطات التلفزة كانت تبثُّ بكثافة عن عمليات البحث عن جوستاف هارتونج، مُعطيةً أوصاف الخاطفيْن المُفتَرَضيْن الذي تبين أن أحدهما هو السائق الشخصي لروزا هارتونج. اجتمع جيش من سيارات البث المباشر والصحفيين في المربع الضيق أمام مبنى الوزارة لالتقاف أي خبر. وعمَّمت وسائل الإعلام أوصاف أسجر نيرجارد. بالنسبة إلى هيس، اقتنع بالأجزاء التي تُوَصِّف نيرجارد كشخصٍ انطوائيٍّ وبسيط قليلًا، ومتقوقع على نفسه، وأنه كان يقضي استراحاته بالتدخين وإجراء المكالمات الهاتفية إلى جانب قناة الماء؛ خلافًا لزملائه الذين كانوا يفضلون دفء غرفة استراحة السائقين في كريستيانسبورج.

زار هيس المكان بنفسه، وأخبره أحد السائقين القدامى بأنَّه ساعد نيرجارد مراتٍ عدَّة بنظام الإقفال في الموقف التابع للوزارة، حيث كانت السيارات الوزارية تُركَن خلال الليل. ذلك التفصيل وحده، أبدى أنَّه من الصعب أن يكون أسجر وحبيبته هما من خططا للجرائم الدقيقة التي أودت بحياة لورا كيار، وآن سيير لاسين، وجيسي كفيوم.

وهذا ما تأكَّد لهيس عندما أطلعه أحد السائقين من زملاء أسجر على جدول الأعمال الرقمي الخاص بالسائقين. كانت جميع النشاطات المختلفة للسائقين مُراقَبة من كثب من خلال هذا النظام. وكانت مسؤولية السائقين الشخصية إدخال أماكن وجهاتهم مع مواعيدها، بالإضافة إلى ماذا كانوا يفعلون في أثناء تلك الأوقات. لفت انتباه هيس موعد مُعيَّنٌ في الجدول الخاص بأسجر، فعاد إلى الوزارة. عندما كان على الطريق اتصل بأحد المحققين المُوكَّلين بالتحقيق في مكان عمل بينيديكت سكانز، وذلك ما دفعه إلى المجيء إلى الوزارة للتحدث مع روزا هارتونج.

عندما دخل هيس إلى مكتب الوزيرة، لاحظ القلق الشديد على وجهها بشأن مصير ابنها. كانت يداها ترتجفان، وعيناها خائفتان وحمراوان وملطختان بالكحل بالرغم من محاولتها تنظيفهما. كان زوجها هناك أيضًا، مستغرقًا في مكالمةٍ هاتفية. وبدا أنه على وشك إنهاء مكالمته عند رؤية هيس، لكنْ هزَّ هيس رأسه إشارةً منه إلى أنَّه لم يأتِ بأي أخبارٍ جديدة. اختارت روزا هارتونج وزوجها البقاء في الوزارة لأن عليهما الإجابة عن بعض التساؤلات

بشأن أسجر، وسيبقيهما الموظفون حولهما على اطلاع مباشر بما يجري. اعتقد هيس أنهما فضَّلا عدم البقاء وحيدين في المنزل، ومواجهة مخاوفهما. وفي الوزارة، يمكنهما على الأقل الشعور بأنهما يفعلان شيئًا ما، كسؤال المحققين عن أي مستجدات.

وبينما واصل ستين هارتونج مكالمته، نظر هيس إلى روزا وأشار برأسه نحو طاولة الاجتماعات.

- هل يمكننا الجلوس للحظة؟ لديَّ بعض الأسئلة التي أرجو منكِ الإجابة عنها. سيساعدنا هذا كثيرًا.

- هل توصلتم إلى أي جديد؟ ما الذي يحدث الآن؟

- يا للأسف، لا جديد. لكنَّ الجميع مستنفرون. وجميع مركباتنا تجوب الشوارع، والحدود بأكملها تحت المراقبة.

كان الخوف واضحًا في عينيها، وعلم هيس معرفتها بأن ابنها في خطر حقيقي. وكان عليه تحويل مسار المحادثة. وهكذا، وفي اللحظة التي تقبَّلت فيها أنه لا يحمل أخبارًا جديدة، وضع الجهاز اللوحي على الطاولة.

- في يوم الجمعة 16 أكتوبر في الساعة 11:57 ليلًا، كتب سائقكِ أسجر نيرجارد في سجله الإلكتروني بأنه وصل إلى المكتبة الملكية ليُقلَّكِ بعد مهمة. كتب بأنه بقي منتظرًا حتى الساعة 12:43 صباحًا في البهو. ثم كتب: «انتهينا اليوم، أنا أقود نحو المنزل». هل ذلك دقيق؟ هل انتظركِ في البهو ولم يقلَّكِ حتى ذلك الوقت؟

- لا أفهم سبب أهمية ذلك؟ ما علاقة الأمر بـ جوستاف؟

لم يُرِدْ هيس إثارتها أكثر بإخبارها أنه في تلك الليلة تحديدًا وقعت الجريمتان الثالثة والرابعة. إذا كانت المعلومات في السجل صحيحة، فإنه من غير الممكن أن يتمكن أسجر نيرجارد من الوصول إلى الحديقة المعنيَّة في الوقت المناسب ليقتل جيسي كفيوم ومارتن ريكس، ويبتر يدين وقدمًا قبل أن يصل هو مع تولين إلى هناك. والآن بعد أن علم هيس أن بينيديكت سكانز كانت في مناوبة في قسم الأطفال في الليلة ذاتها، أصبح هذا السؤال حاسمًا.

- لا أستطيع إخباركِ حاليًا عن سبب أهمية السؤال. ولكن إجابتك ستساعدنا كثيرًا، فأرجو أن تتذكري جيدًا. هل كان ينتظر فعلًا في البهو؟ وهل لم تعودي إلى المنزل حتى الساعة الواحدة إلَّا الربع؟

- حسنًا، لا أعرف لِمَ كتب ذلك في سجلِّه. لم أعمل في تلك الليلة، ولذلك بالتأكيد لم أكن هناك.

حاول هيس إخفاء صدمته.

- لم تكوني هناك؟

- لا. فريدريك، فريدريك فوجل، مستشاري، اعتذر بالنيابة عني في تلك الليلة.

- هل أنت متأكدة أنكِ لم تكوني هناك في تلك الليلة؟ لأن أسجر نيرجارد كتب...

- أنا متأكدة تمامًا. لقد اتفقنا أنا وفريدريك أن نمشي، لأن الوزارة لم تكن بعيدة. لكنْ تحدثنا عن ذلك قبل بضع ساعات. كان زوجي سيشاهد التلفاز، ولم يظن فريدريك أن إلغاء المواعيد سيكون مشكلة. وكان ذلك مريحًا جدًّا لي، لأنني أردت الحضور مع جوستاف على أي حال.

- لكنْ، إذا ألغى فوجل مواعيدك، فلِمَ يبيِّن السجل أن السائق...

- لا أعلم. عليك سؤال فريدريك.

- وأين هو؟

- قال بأن عليه فعل شيء ما. أنا متأكدة من أنه سيرجع قريبًا. ولكني أريد الآن أن أعرف ماذا فعلتم للعثور على جوستاف؟

كان مكتب فريدريك فوجل الواسع فارغًا ومظلمًا. خطا هيس إلى الداخل، وأغلق الباب خلفه. كانت غرفةً جميلة. حميمية وأشبه بركن، خلافًا للمكاتب الباردة والجافة في الوزارة. وجد نفسه يفكر أن النساء يعتقدنَ أن هكذا مكان مُرَفَّه يبدو مُثيرًا. مصابيح من نوع فيرنير بانتون، وسجادات خشنة، وأرائك إيطالية منخفضة مع العديد من الوسائد الناعمة. كل ما كان ينقص هو بعض أغاني مارفن جاي. ولوهلة، تساءل هيس عن سبب شعوره بالغيرة لأنه لن يمتلك يومًا الطاقة اللازمة لترتيب هكذا شيء بهذه الطريقة.

لم تكن أول مرة يتساءل فيها هيس عن مكان المستشار الوزاري هذا المساء. كان يعلم بأن المحققين استجوبوا فوجل ذا السابعة والثلاثين عامًا عن أسجر نيرجارد نحو الساعة السابعة. وأن فوجل لم يكن قادرًا على تقديم أي مساعدة أكثر من ذلك. ومع هذا، وعندما وصل هيس إلى الوزارة منذ ساعات، كان المستشار قد ذهب على ما يبدو في جولةٍ في البلدة، بحسب

كلام الموظفة. وهذا ما صدم هيس، آخذًا بعين الاعتبار أن وزيرته في أزمة، وتلاحقها الصحافة.

لم يكن هيس يعرف الكثير عن فوجل. أخبرته روزا سابقًا بأنه دائمًا كان خيرَ سندٍ مُعينٍ لها. درسا العلوم السياسية معًا في جامعة كوبنهاجن لعدة سنوات، قبل أنْ يفترق طريقاهما بعد دخول فوجل إلى كلية الصحافة. بقيا بعد ذلك على اتصال، وظلَّ فوجل صديقًا للأسرة. عندما عُيِّنَتْ روزا هارتونج وزيرة، كان فوجل هو الخيار الأمثل ليكون مستشارها. قدم لها فوجل دعمًا كبيرًا مع أسرتها خلال العام الذي تلا اختفاء كريستين، وكان عاملًا أساسيًّا في تشجيعها للعودة مجددًا.

- ماذا قال بشأن آمالك أنت وزوجك بخصوص وجود ابنتكما حيَّة؟

- فريدريك شخصٌ شديد الحرص. في البداية، ربما كان خائفًا على منصبي الوزاري، ولكنَّه يدعمنا الآن أنا وزوجي بالكامل.

ومن دون قصد، نقر هيس فأرة جهاز ماك بوك الموضوع على الطاولة. بدأ مؤقت الشاشة بعرض صور مختلفة لـ فوجل في مواقف مهنيَّة متعددة: صورة وهو موجود في مقر الأمم المتحدة في بروكسل، وأخرى له وهو يصافح المستشار الألماني في النادي في كريستيانسبورج، وثالثة له في نيويورك أمام المبنى التذكاري لبرجي التجارة العالميين، وصورة تجمعه مع روزا هارتونج وهما يزوران مخيمًا للأمم المتحدة لمساعدة الأطفال. لكنْ ضمن كل صور العمل هذه، فجأةً بدأت تظهر صورٌ شخصية لـ فوجل مع أسرة هارتونج: في أعياد ميلاد الأولاد، في ألعاب الكرة ورحلات إلى تيفولي. جميعها صورٌ أسرية تقليدية يوجد فيها فوجل.

في البداية، حاول هيس إقناع نفسه أنها صور عادية، وأنَّ الوضع لا يخرج عن الإطار المألوف، إلى أن أدرك فجأة وبشكل صادم ما جعله يشعر بغرابة الموقف. لم يرَ صورة واحدة لـ ستين هارتونج. ولا أي صورة. وبدلًا منها، كانت تظهر صور فوجل مع الأطفال وروزا، كما لو أنهما زوجان.

- أخبرتني سكرتيرة الوزيرة أنكَ تود الحديث معي.

فُتِحَ الباب، ووقعت عينا فوجل على هيس، وبدأ ينقلهما بين هيس والشاشة أمامه التي ما زالت تُضيء وجه هيس. كان معطفه مبللًا بالمطر، وشعره البني مُشَعَّثًا، حتى مرر يده من خلاله وأعاده إلى حاله.

- ما الوضع الآن؟ هل وجدتم السائق؟
- ليس بعد، لم نجده ولم نجدك أنت أيضًا.
- كنت في اجتماع في البلدة. كنت أحاول الحدَّ من فرص التربُّص والاستغلال التي يمارسها الإعلام. ماذا بشأن حبيبة السائق؟ لا بدَّ أنك استخدمت وقتك في شيء مفيد؟
- نحن نعمل على ذلك. أريد الآن مساعدتَكَ في أمر آخر.
- لا وقت لديَّ لأي شيء. أسرع قليلًا لو سمحت.

لاحظ هيس أن فوجل أغلق جهاز الحاسوب بحركة طبيعية عندما رمى معطفه على الكرسي، وأخرج هاتفه.

- يوم الجمعة 16 أكتوبر، ألغيتَ مهمة مسائية للوزيرة في المكتبة الملكية. كنتَ قد هاتفتها في وقت أبكر من ذاك المساء، وأخبرَتكَ بأن زوجها سيشاهد التلفاز. وأنت قلت لها بأنكَ تستطيع إلغاء الموعد ببساطة.
- ربما يكون هذا الأمر صحيحًا، فيما عدا أن الوزيرة لا تحتاج إلى إذنٍ مني لإلغاء مواعيدها. هذه القرارات تتخذها بنفسها.
- لكنني أفترض بأن الوزيرة تفعل ما تنصحها أنت به عمومًا؟
- لا أعرف كيف يمكنني الإجابة عن هذا السؤال. لمَ تسأل؟
- لا مشكلة. ولكنكَ أنت من تقدمت بالعذر؟
- اتصلتُ بمنظم الاجتماع، وألغيتُ الموعد بالنيابة عن الوزيرة.
- وهل أخبرتَ أسجر نيرجارد أن الوزيرة ألغتْ موعدها، وأنه ليس مضطرًّا إلى اصطحابها إلى المنزل بعد الموعد؟
- نعم. فعلت ذلك أيضًا.
- ولكنَّ سجله الإلكتروني يبين أنه كان يعمل في تلك الليلة. وأنه كان في الانتظار في البهو الخاص بالمكتبة الملكية من نحو ما بعد منتصف الليل وحتى الواحدة إلا ربعًا، وأنه انتظر الوزيرة حتى يقلَّها إلى المنزل.
- ومن يصدِّق أي كلمة كتبها؟ ربما احتاج إلى هذا كحجة غياب عن شيء آخر كان يفعله. أنا متأكد تمامًا بأنني أعلمته بالإلغاء. لكنْ، على أي

حال، ألا تعتقد بأن هذا كله مضيعة للوقت، في حين لا يزال أسجر نيرجارد مفقودًا؟

- لا، لا أعتقد ذلك. هل أخبرتَ أسجر نيرجارد بالإلغاء ذاك المساء، أم لم تفعل؟

- كما أخبرتكَ. أنا متأكد تمامًا. أو ربما وكَّلت شخصًا آخر بهذه المهمة.

- من؟

- ما المهم في ذلك؟

- إذن، ربما أنت لم تخبره، وهو فعلًا كان ينتظر في البهو؟

- إذا كان الحديث سيتجه نحو هذا المسار، فأنا مشغول، وليس عندي وقت.

- ماذا كنتَ تفعل أنت في ذلك المساء؟

كان فوجل يتجه نحو الباب، ولكنه توقف ورمق هيس.

- أفترض أنكَ كنت سترافق الوزيرة إلى المكتبة الملكية. ولما كان الموعد قد ألغي، فإنه لا بدَّ أنك فعلت شيئًا آخر. فما الذي فعلته إذن؟

عبرت ابتسامة سخرية على وجه فوجل، وقال: «أنت لا تلمِّح إلى شيء أعتقد بأنك تفكر فيه؟».

- ما الذي أفكر فيه برأيك؟

- أنت تحاول معرفة ما كنتُ أفعله في لحظة معينة وقعت فيها جريمة ما، بدلًا من التركيز على خطف ابن الوزيرة، ولكنني أرجو أن أكون مخطئًا.

لم يقل هيس شيئًا، وواصل النظر إليه.

- إذا كنتَ تودُّ معرفة ذلك حقًّا، فأنا عدتُ إلى شقتي، وشاهدت بث ستين هارتونج، وجهَّزت نفسي للنوم. كنتُ وحيدًا. لا شهود على ذلك. ولديَّ الكثير من الوقت لأرتكب جريمة، وألعب بدمى الكستناء طوال الليل. هل هذا ما تريد سماعه؟

- ماذا عن ليلة الجمعة 6 أكتوبر؟ أو 12 أكتوبر نحو الساعة السادسة؟

- أظن أن الأفضل هو إخبارك بذلك في تحقيق رسميٍّ، بوجود محاميّ الشخصي. وحتى ذلك الحين، أفضل أن أواصل عملي. وأعتقد أن عليكَ متابعة عملكَ أيضًا.

أومأ فوجل برأسه مُودِّعًا. لم يُرِدْ هيس أن يسمحَ للرجل بالذهاب، ولكنَّ هاتفه رنَّ في تلك اللحظة، وعبر فوجل الباب. كان هيس على وشك إخبار نيلاندر بشكوكه، واكتشافاته عندما أوقفه نيلاندر قائلًا: «أخبر الجميع بأن يوقفوا التحقيق فورًا في الوزارة وفي كريستيانسبورج».

- لماذا؟

- لأن جينز تتبَّع سكانز ونيرجارد. أنا متوجه إلى هناك الآن مع قوة مداهمة.

- إلى أين؟

- منطقة غرب هولباك. في مكان ما في الغابة. استطاع جينز فتح جهاز اللينوفو، ووجد رسالة صوتية واردة إلى شاحنة من شركة هيرتز في صندوق الوارد. اتصلَ بالشركة، ووجد أنهم أجَّروا الشاحنة المذكورة هذا الصباح من محطة فيستيربورت، وتمكَّنا من تتبُّعها. يبدو أنهم يضعون أجهزة تتبع في جميع المركبات التابعة لهم من أجل حالات السرقة. أخبر الجميع بذلك، ثم عُد إلى المركز واكتب تقريرك.

- لكنْ، ماذا بشأن...

كان نيلاندر قد أغلق الخط. أعاد هيس هاتفه إلى جيبه مُحبَطًا، وأسرع تجاه الباب. وبعد أن أطلع أحد المحققين على تعليمات نيلاندر، اندفع مُسرعًا تجاه الممر. وفي طريقه، ألقى نظرة خاطفة على مكتب الوزيرة من خلال الباب المفتوح: شاهد فوجل وذراعه تلفُّ روزا هارتونج.

95

بالرغم من الأمطار، فإن الرحلة تجاه شمال غرب زيلاند لا تستغرق أكثر من أربعين دقيقة. ومع ذلك، بدا هذا الوقت دهرًا. وفور وصوله إلى الطريق الذي يجتاز الغابة، وجد هيس المنعطف الذي يحتاج إليه. كانت سيارات قوات التدخّل الفارغة مركونة على حافة الطريق بالقرب من الشاحنة الداكنة، وإلى جانبها العديد من سيارات المداهمة. وبعد أن أظهر بطاقته من خلال النافذة لشرطيين مبتلَّيْن تمامًا بالمطر، سُمِح لـ هيس بإكمال طريقه. السماح له بالمرور يعني أن العملية قد انتهت. لم يكن يعلم النتيجة على وجه التحديد، ولم يُرِدْ إضاعة الوقت بسؤال الشرطييْن اللذيْن على الأغلب لم يكونا على دراية كافية كونهما وُضِعَا على الطريق الرئيسي.

قاد هيس بسرعة، وأجبر نفسه على تهدئة السرعة على الطريق الوعر. تجاهل أوامر نيلاندر بشأن العودة إلى مركز الشرطة. وفي طريقه، قرر استطلاع المعلومات بشأن فريدريك فوجل. ربما كان عليه فعل ذلك في وقت مبكر أكثر.

شيء ما يخبره أن أسجر سيؤكد وجوده في العمل حتى ساعة متأخرة ليلة 16 أكتوبر. تكلم هيس للتو مع سكرتيرة الوزيرة التي أكدت أن أسجر اتصل في تلك الليلة بعد منتصف الليل بنصف ساعة، وسأل عن المكان الذي ذهبت إليه الوزيرة، وأنه ينتظرها في بهو المكتبة الملكية. وقالت إنها اعتذرت له لأنَّ أحدًا لم يخبره بالإلغاء. وإذا كان هذا صحيحًا، فلا بدَّ أنَّ أسجر لديه شهود آخرون رأوه هناك. وإذا كانت سكانز في مناوبتها في مشفى ريجز، فإنَّ ذلك يعني أن الثنائي ليسا من قتل جيسي كفيوم ومارتن ريكس، وهذا ما يجعل فوجل أكثر إثارة للشبهات. لا يبدو أن لديه حجة غياب في أي من جريمتي الحديقة، ولا يطيق هيس صبرًا لسؤال أسجر عن مكان وجود فوجل في أوقات الجريمتين الأخريين. وقد يعرف شيئًا ما عن العلاقة بين فوجل

وروزا هارتونج. ربما اكتشف دافعًا لم يلاحظه هو وتولين سابقًا. وشعر بالحاجة إلى الاتصال بتولين مرة أخرى. حاول الاتصال بها مرتين في طريقه من كوبنهاجن.

كانت أنوار المصابيح الأمامية تقترب في الاتجاه المعاكس على طول الطريق الضيق المرصوف بالحصى. وكان عليه الانحراف جانبًا للسماح لسيارة إسعاف بالمرور. صفارات الإنذار لم تنتهِ، ولم يستطع هيس معرفة أكان ذلك جيدًا أم سيئًا. وخلفها سيارة شرطة غير مميَّزة. ولمح نيلاندر بشكل عابر في المقعد الخلفي، مستغرقًا في محادثة على هاتفه. واصل القيادة ليجتاز صفوفًا متتالية من ضباط قوة المهام عائدين نحو الطريق الرئيسي، وفي وجوههم الجادة أحسَّ بوجود الموت. عندما وصل إلى الطوق، أدرك أن الوضع ليس كما كان يأمل.

يوجد المزيد من رجال الشرطة على مسافة أبعد قليلًا، ومنطقة تقارب عشر ياردات في عشر مضاءة بشدة بالأضواء الكاشفة. ووسط المنطقة، توجد شاحنة تحمل شعار «هيرتز» على ظهرها. أحد الأبواب الأمامية مفتوح، وكذلك الباب المنزلق، وإلى جانب العجلة الأمامية اليسرى يوجد جسم مغطى بملاءة بيضاء. وجسد آخر على بعد نحو عشرة أمتار.

خرج هيس من السيارة دون أن يأبه بالمطر أو الريح. الوجه الوحيد الذي تعرَّفه هو وجه يانسن. ومع أنهما لم يكونا على علاقة طيبة، فإنه اقترب من يانسن.

- أين الصبي؟

- ما الذي تفعله هنا؟

- أين هو؟

- الصبي بخير. يبدو أنه لم يُصَب بأذى، لكنهم سيصطحبونه للفحص ونحن نتحدث.

أحس هيس بالارتياح. لكنه عرف الآن هوية الجثمان الراقد على الأرض تحت الغطاءين الأبيضين.

- عثرتْ عليه فرقة المهام، وأخرجته من الشاحنة. سار كل شيء على ما يرام، لذلك لا فائدة من وجودك هنا يا هيس.

- لكن، ما الذي جرى؟

- ذهبا جميعًا إلى الجحيم. وجدناهما على هذه الحال.

رفع يانسن الملاءة عن الجثمان أمام الشاحنة. الشاب الذي عرف هيس أنه أسجر نيرجارد، كان ميتًا وعيناه مفتوحتين، وجذعه مليئًا بجروح الطعنات.

- نفترض أن المرأة جُنَّت. نحن على بعد ستة كيلومترات عن أحد حواجزنا. لذلك قادا السيارة إلى هنا للابتعاد عن الأنظار. ولا بدَّ أنها أدركت أنها وقعت أخيرًا. في البداية، استخدمت السكين العسكرية على صديقها، ثم قطعت شريانها السباتي. كانت الجثتان دافئتين عندما وصلنا. لذلك، لا بدَّ أن ذلك وقع خلال الساعتين الماضيتين. ولن أشعر بالأسف عليهما - أفضل لو رأيتهما يتعفَّنان لمدة ثلاثين عامًا عقابًا على ما فعلاه بـ ريكس.

شعر هيس بالمطر يتساقط على خديه. أسدل يانسن الغطاء على الجثة، وبقيت يد نيرجارد الميتة بارزة. وللحظة، بدا لـ هيس كما لو كان يمدها تجاه جسد بينيديكت سكانز المغطَّى بالطين على بعد أقل من ثلاثين قدمًا.

96

- لكن ماذا قالوا؟ لا بدَّ أنهم يعرفون شيئًا الآن؟

تعرف روزا أن فريدريك فوجل لا يملك الإجابات، لكنَّ الأسئلة تُطرَح على أي حال.

- إنهم يفحصون ويحققون. وسيتصل رئيس قسم الجرائم بنا في أقرب وقت...

- هذا ليس جيدًا بما فيه الكفاية. اسألهم مرة أخرى يا فريدريك.

- روزا.

- لدينا الحق في معرفة ما يجري!

قرر فوجل ممازحتها، على الرغم من معرفتها أنه من غير المجدي أن يتصل فوجل بمركز الشرطة مجددًا. كانت ممتنَّة في أعماقها لمساعدته، لأنها تعلم أنه سيفعل كل ما في وسعه، حتى لو لم يوافق على أساليبها. لطالما كان هكذا. ولا تستطيع روزا الانتظار أكثر. إنها الساعة 1:37 صباحًا، خمس عشرة دقيقة منذ أن أحضرت هي وستين وفوجل جوستاف إلى المنزل من مستشفى ريجز. ضايقت الضابطين اللذين وقفا لحراستهما خارج المنزل، واللذين حرصا على إبعاد جيش الصحفيين. ولكنَّ الضباط لا يعرفون شيئًا. رئيس فرقة الجرائم وحده من يستطيع إعطاءهما إجابات شافية عن الأسئلة عن كريستين.

بدأت روزا في البكاء بمجرَّد دخولها مع هيس إلى قسم الطوارئ في مستشفى ريجز، حيث أُحضِر جوستاف الذي بدا قذرًا بعض الشيء بعد محنته، لفحصه. كانت تخشى وقوع الأسوأ، لكنه لم يُصَب بأذى، وسُمِحَ لها باحتضانه. كان يعاني بعض الإصابات الواضحة. والآن، وبعد جلوسه في مكانه المعتاد في زاوية المطبخ، راح يأكل شطائر الحبوب الكاملة مع فطيرة

الكبد التي صنعها له ستين للتو. وبالكاد يعرف أنه كان في خطر مميت. صعدت إليه، وداعبت شعره.

- هل تودُّ تناول أي شيء آخر؟ يمكنني إعداد المعكرونة لك، أو...
- لا شكرًا. أفضل أن ألعب «فيفا».

ابتسمت روزا. كانت إجابته دليلًا صحيًا. لكنْ، ثمة الكثير من الأسئلة التي تودُّ الحصول على إجاباتها.

- ما الذي جرى يا جوستاف؟ ماذا قالا أيضًا؟
- أخبرتكِ.
- أخبرني مرة أخرى.
- أخذاني معهما وحبساني في الشاحنة. ثم قادا السيارة وقتًا طويلًا. ثم أوقفا الشاحنة قبل أن يبدآ بالعراك. لكنَّ السماء كانت تمطر بغزارة، حتى إنني لم أستطع سماع ما كانا يقولانه. ثم ساد صمت طويل حقًا. ثم جاء رجال الشرطة وفتحوا الباب. وهذا كل ما أعرفه.
- لكنْ، ما الذي كانا يتجادلان حوله؟ هل قالا أي شيء عن أختك؟ أين كانا يتجهان بالسيارة؟
- أمي...
- الأمر مهم يا جوستاف!
- حبيبتي، تعالي معي.

جذب ستين روزا إلى غرفة المعيشة حتى لا يسمعها جوستاف، لكنها رفضت أن تهدأ.

- لماذا لم تعثر الشرطة على أي أثر لها حيث كان يعيش الخاطفان؟ لماذا لم يجعلاهما يقولان أين هي؟ لماذا لم نُخبَر بأي شيء؟!
- لا بدَّ من وجود أسباب كثيرة لهذا. الشيء المهم هو أنهم وجدوا الخاطفين. وأنا متأكد من أنهم سيجدونها الآن. لا أشك في ذلك أبدًا.

كانت روزا تتمنى أن يكون ستين محقًّا. تمسكت به قريبًا منها حتى تتأكد من أن أحدًا لا يراقبهما. استدارت، ورأت فوجل في المدخل. وقبل أن تسأل، قال إنه لا فائدة من الاتصال بالمركز. وصل رئيس قسم الجرائم للتوِّ.

97

مع أن نيلاندر يعرف أنه كان داخل هذه القاعة قبل نحو تسعة أشهر، وأبلغ أسرة هارتونج أن قضية ابنتهم قد أُغلِقَتْ أخيرًا، فإنه لا يتذكر الغرفة. أحسَّ أن الزمن يعيد نفسه. وبدأت الأفكار الخاطفة تتلاحق في ذهنه. لا بدَّ أن هذا هو الجحيم بذاتها. أن يُضطَرَّ المرء إلى تكرار المشاهد المروِّعة نفسها مرارًا وتكرارًا. لكن نيلاندر يعرف أيضًا أن هذه الزيارة ضرورية، وأنه سيشعر براحة أكبر بمجرد عودته إلى الخارج. في رأسه، كان يفكر في المؤتمر الصحفي الذي سيعقده بمجرد عودته إلى المركز، وإحاطة كبار الضباط. على عكس الاجتماعات السابقة خلال الأسبوعين الماضيين، فإن هذا الاجتماع سيكون مكللًا بالانتصار.

لم تكن مثل هذه النتيجة مرجحة قبل ساعات فقط، عندما وصل إلى الغابة مع فرقة المهام الخاصة حيث وجدوا بينيديكت سكانز وأسجر نيرجارد جثتين هامدتين على الأرض. شعر بالارتياح، طبعًا، للعثور على ابن الوزيرة سالمًا في الشاحنة. ولكنَّ مقتل الخاطفين حرمه من الحصول على التفسيرات والاعترافات اللازمة لإنهاء القضية إلى الأبد. ومع ذلك، وبينما كان جالسًا في المقعد الخلفي للسيارة، نظر إلى سيارة الإسعاف التي تحمل ابن الوزيرة، وتساءل عن الطريقة التي سيُخرِس بها أفواه المشككين، اتصلت تولين. من المفارقات، حقًا، أنها يجب أن تكون هي من تخبره عما اكتشفوه في الثلاجة الصغيرة في المسلخ القديم، ما جعله يعتقد أن هيس قد ابتعد عن القضية، فأصبحت أكثر سخطًا مما هي عليه في العادة. لكنَّ الأخبار كانت تقريبًا مثالية لليوم. طلب منها على الفور الاتصال بجينز وتأمين الأدلة. وبعد إغلاق الخط، لم يعد خائفًا من المشككين في المؤتمر الصحفي، أو مركز الشرطة.

- هل جوستاف بخير؟

خاطب نيلاندر ستين وروزا هارتونج اللذين حضرا إلى القاعة، وأومأ ستين برأسه.

- نعم. يبدو أنه بخير. إنه يتناول طعامه الآن.

- يسرُّني سماع ذلك. لن أزعجكما لمدة طويلة. لقد جئتُ ببساطة لأعلمكما أنه بقدر ما نشعر بالقلق، فإن قضايا القتل قد أُغلِقَتِ الآن، وأننا...

- ماذا اكتشفت عن كريستين؟

قاطعت روزا هارتونج كلام نيلاندر. لكنه مستعد للإجابة. قفز مباشرة إلى الجزء الذي يشرح فيه بهدوء وخطورة أنه يا للأسف لا يوجد شيء جديد بشأن ابنتهما.

- وُضِّحَتِ الظروف المحيطة بوفاة ابنتكِ العام الماضي. والقضية الحالية لا تغير هذه الحقيقة. لأنني كنت أحاول إخباركِ طوال الوقت، فهما سلسلتان مختلفتان تمامًا من الأحداث. وستحصلين طبعًا على وصف كامل للقضية الحالية بمجرد اكتمال تحقيقاتنا.

استطاع نيلاندر أن يشاهد الإحباط يغمر كلا الوالدين، إذ بدآ في التحدث مع بعضهما مطالبيْن بمزيد من التفاصيل.

- لكنْ، ماذا بشأن البصمات؟

- لا بدَّ أنها تعني شيئًا ما؟

- ما الذي قاله الخاطفان؟! ألم تقابلهما؟

- أتفهم إحباطكما. لكن يجب أن تثقا بتحقيقنا. لقد فتَّش فريقي السيارة التي عُثِرَ فيها على جوستاف، وكذلك محل إقامة الخاطفين وأماكن عملهما. لكنهم لم يعثروا على أي دليل على أن كريستين لا تزال حية. لا يوجد دليل، في الواقع، على أن الخاطفيْن كانت لهما علاقة بها على الإطلاق. أخشى أنهما قد انتحرا فعلًا عندما وجدْناهما. نفترض أنهما تجنبا التعرُّض للاعتقال والعقاب، حتى لا يُقدِّما لنا أي إجابات. لكنْ، كما قلتُ، لا يوجد ما يشير إلى أن استجوابهما كان سيعطينا أي شيء جديد عن ابنتكِ.

أدرك نيلاندر أنهما لا يودان التخلي عن الأمل الذي يتمسكان به. وازداد اندفاع روزا هارتونج وشراستها.

- لكنكَ قد تكون مخطئًا! لا تمتلك أدلَّة دامغة! وجدتم دمى رجل الكستناء التي حملت بصماتها. وإذا لم تجد أي دليل على كريستين، فربما يكون ذلك لأنهما ليسا القتلة الحقيقيين!

- نحن نعلم حقيقة أنهما كذلك. مع يقين مائة في المائة.

وصف نيلاندر الدليل القاطع الذي وجدوه في المسلخ الصناعي القديم ذلك المساء. كان يفكر في الدليل مع وخز من السعادة في بطنه. لكنْ عندما أنهى كلامه، رأى في عينيْ روزا هارتونج أنه قضى على أملها الأخير. نظرت إليه دون أن تراه. وفجأة، وجد صعوبة في تخيُّل أن هذا الإنسان سيشفى. أحسَّ بالإحراج. من دون وعي، أحس بالرغبة في إمساك يدها، وإخبارها أن كل شيء سيكون على ما يرام. لا يزال لديهما ابن. لا يزال لديهما بعضهما. لا يزال لديهما الكثير ليعيشا من أجله. لكن بدلًا من ذلك، سمع نيلاندر نفسه وهو يتمتم شيئًا ما عن كيف أنه لا يستطيع أن يقدم شرحًا مريحًا حول كيفية وصول دمى رجل الكستناء التي تحمل بصمات أصابع كريستين إلى حيازة القتلة. ولكنَّ هذا لا يغير النتيجة.

لم تسمع الوزيرة كلامه. اعتذر نيلاندر، وتحرك إلى الخلف خلال القاعة حتى شعر بأنه يستطيع السماح لنفسه بالاستدارة. وبمجرد خروجه من الباب الأمامي وإغلاقه، كان لا يزال أمامه عشرون دقيقة قبل لقائه مع كبار الضباط. لكنَّ أنفاسه كانت متسارعة، وأسرع نحو سيارته.

98

ركض هيس فوق البلاط الرطب في الفناء الفارغ. كان يستطيع سماع البث الليلي على الشاشة المسطحة في غرفة الحراسة عند مدخل مركز الشرطة- إنهم يُقدِّمون تقارير مباشرة من مقر إقامة روزا هارتونج في أوستيربرو. لكنه تجاهل ذلك.

وعندما وصل إلى قمة الدرج في القاعة المستديرة، وسار في الممر إلى القسم، ألقى نظرة على علب البيرة التي تُفتَح للاحتفال بإغلاق القضية. كان يومًا طويلًا يقترب من نهايته، لكنه لم ينتهِ بعد بالنسبة إلى هيس.

- أين نيلاندر؟

- نيلاندر في اجتماع.

- يجب أن أتحدث إليه. الأمر غاية في الأهمية. يجب أن أراه الآن!

أشفقت عليه السكرتيرة، واختفت من خلال باب غرفة الاجتماعات، وانتظر هيس في الخارج. كان حذاؤه موحلًا، وملابسه مبللة بالمطر. يداه ترتجفان، ولا يعرف أكان ذلك هياجًا، أم إنه من برد الغابة حيث أمضى الساعات القليلة الماضية متحديًا بعناد توسلات الطبيب الشرعي للسماح له بالعمل في سلام. لم يكن عبثًا.

- ليس لديَّ وقت الآن. سيبدأ المؤتمر الصحفي بعد لحظة.

ظهر نيلاندر مودعًا مجموعة من كبار الشخصيات. من تجربته، عرف هيس أن هذه هي اللحظة التي يتطلع إليها كل قائد شرطة: القدرة على إعلان إغلاق القضية علنًا حتى تتفرق الصحافة. لكنه يحتاج إلى الحديث معه قبل أن يلتقي الصحافة. لذلك تبعه في الممر، وأوضح له أن القضية لم تنتهِ بعد.

- لست متفاجئًا من قولك هذا يا هيس.

- لم نجد ما يشير إلى أن بينيديكت سكانز وأسجر نيرجارد يعرفان النساء المقتولات. لم نجد في مقتنياتهما ما يلمح إلى وجودهما في أي مكان بالقرب منهنَّ.

- لست متأكدًا من أنني أتفق معك تمامًا في هذه النقطة.

- يوجد شيء آخر. لم يكن لديهما الدافع لقتلهنَّ. ولا أي دافع لقطع أيديهنَّ وأقدامهنَّ بهذه الطريقة. كان غضبهما موجهًا ضد روزا هارتونج، وليس ضد النساء أو الأمهات عامة. من الناحية النظرية، كانت سكانز قادرة على الوصول إلى السجلات الطبية الخاصة بأطفال الضحايا بفضل عملها في المستشفى. لكنْ، إذا كانت هي ونيرجارد من قدَّم هذه التقارير حقًا إلى المجلس، فلماذا لم نعثر على دليل بهذا الشأن؟

- لأننا لم ننتهِ من التحقيق يا هيس.

- ثالثًا، لدى سكانز ونيرجارد حجة غياب دامغة عن مقتل جيسي كفيوم ومارتن ريكس ليلة 16 أكتوبر. إذا اتضح أن نيرجارد كان في بهو المكتبة الملكية، فلن يكون باستطاعة أي منهما ارتكاب جرائم القتل تلك الليلة، ما يعني أنه من غير المحتمل أن يكونا قد ارتكبا جرائم القتل الأخرى أيضًا.

- لا فكرة لديَّ عما تتحدث عنه. لكنْ، إذا كان لديك دليل، فأنا أحب سماعه.

وصل نيلاندر إلى غرفة العمليات، وبدا مستعدًّا لتسلم أوراقه الخاصة بالمؤتمر الصحفي. لكنَّ هيس اعترض طريقه.

- لقد تحدثتُ للتوِّ مع الطبيب الشرعي. يبدو أن بينيديكت سكانز قطعت شريانها السباتي، لكنْ عندما تعيد بناء الحركة يكون ذلك أمرًا غير طبيعي، ويمكن تفسيره بأن شخصًا ما حاول جعل الأمر يبدو كأنه انتحار.

- لقد تحدثتُ إليه أيضًا. وأكد اعتقاده بأنها من فعل ذلك بنفسها.

- جروح الطعنات على جذع نيرجارد مرتفعة أيضًا قليلًا بالنسبة إلى طول سكانز. وإذا تخيلتَ أنها وصديقها سيموتان معًا، فلماذا كانا مستلقيين على بعد عشرة أمتار من بعضهما، كما لو كانت تحاول الهرب؟

كان نيلاندر على وشك أن يقول شيئًا ما، لكنَّ هيس لم يمنحه الفرصة.

- لو كانا قادرين على اقتراف جرائم القتل هذه، فلن يكونا بالغباء الكافي لاختطاف الصبي في شاحنة مُستأجَرة يسهل تعقبها!

- إذن، ما الذي تعتقد أنه يجب فعله، لو كان الأمر متروكًا لك؟

تفاجأ هيس بسؤال نيلاندر. واستطاع الشعور بنفسه ينجرف بعيدًا في خياله في أثناء الحديث. استطاع سماع نفسه وهو يفكر في لينوس بيكر وأرشيف صور مسرح الجريمة التي يحتاجون إلى التحقق منها في أسرع وقت ممكن. تذكَّر للتو إحدى تقنيات تكنولوجيا المعلومات بشأن المادة التي طلب من جينز توفيرها في وقت سابق من اليوم.

- علينا التحقق من مستشار هارتونج. أعني فريدريك فوجل. لا سيَّما بشأن أكانت لديه حجة غياب في وقت وقوع الجرائم!

- هيس، أنت لم تستمع للرسالة التي تركتها لك على هاتفك...

استدار هيس نحو صوت تولين وأدرك أنها دخلت الغرفة. كانت تحدق إليه وتحمل في يدها حزمة صغيرة من الصور.

- أي رسالة؟

- أخبريه بسرعة يا تولين. ليس لديَّ وقت.

اتجه نيلاندر نحو الباب، ولكنَّ هيس أمسكه من كتفه.

- ماذا بشأن البصمات على دمى رجل الكستناء؟ لا يمكنكَ الذهاب إلى هناك، والقول إن القضية قد حُلَّتْ قبل أن نكتشف حقيقة هذا الأمر! ثلاث نساء مقتولات يمكن أن يصبحن أربعًا إذا ارتكبتَ خطأً الآن!

- أنا لا أخطئ! أنت الوحيد الذي لا يفهم ذلك.

تخلَّص نيلاندر من يد هيس، وأومأ برأسه إلى تولين، واهتم بترتيب هندامه. حدَّق هيس إلى وجهها باستفسار وبتردد عندما مررت له الصور. وجد نفسه يحدق إلى الصورة العليا. كانت صورة لأربع أيادٍ بشرية منشورة وملقاة على رف في الثلاجة.

- وجدتُها في ممتلكات سكانز ونيرجارد. في ثلاجة صغيرة بأحد مخازن التبريد في المسلخ القديم...

وبذهول، مرَّر هيس الصور المختلفة للأيدي الأنثوية المبتورة، وتوقف عند صورة مختلفة: قدم أنثى مزرقّة، مقطوعة عند الكعب، وملقاة في درج أكثر هشاشة مثل تركيب لـ داميان هيرست.

بدا هيس مرتبكًا، وقد خانته الكلمات.

- لكن... لماذا لم يعُثَرْ على هذه من قِبل الفنيين في وقت سابق اليوم؟ هل كان المكان مغلقًا؟ هل يستطيع أي شخص وضعها هناك؟

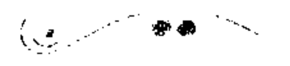
- عد إلى المنزل يا هيس.

عندما رفع ناظريه، قابلته نظرات نيلاندر.

- ماذا بشأن البصمات؟ فتاة هارتونج... إذا توقفنا عن البحث، وإذا لم تكن الفتاة ميتة...

اختفى نيلاندر خلال المدخل، تاركًا هيس في حالة من الذهول. وعندما نظر إلى تولين بعد لحظة، سعيًا للحصول على موافقتها، وجد أنها تنظر إليه بتعاطف. كانت عيناها قاتمتين ومتعاطفتين، لكن ليس بسبب كريستين هارتونج. ليس بسبب فتاة فُقِدَتْ ولم يُعثَر عليها قطُّ. ليس بسبب بصمات أصابع غامضة على دمى رجل كستناء، لكنْ بسببه. في عينيها، يستطيع أن يرى أنها تعتقد أنه فقد حسَّه السليم وقدرته على الحكم. وملأه هذا بالرعب، لأنه غير متأكد من أنها مخطئة.

ترنح هيس إلى الوراء من خلال الباب وانحرف إلى أسفل الممر، وسمعها تنادي اسمه. تحت المطر في الخارج، اندفع من خلال الفناء. ومع أنه لم يستدر، فإنه شعر بها وهي تنظر إليه من النافذة. وقبل الخروج مباشرة، انطلق في الجري.



الجمعة 30 أكتوبر



99

إنها أول مرة يتساقط فيها الثلج هذا الشتاء حسبما يتذكر هيس. اليوم قبل الأخير من شهر أكتوبر، ولكنَّ سماكة الثلج في الخارج وصلت إلى سنتيمترين أو ثلاثة، وما زال يتساقط في الخارج خلف النوافذ الطويلة للصالة الدولية في المطار، حيث دخَّن سيجارة «كَمِلْ» علَّها تعينه على تحمُّل الرحلة إلى بوخارست قبل أن يتلاشى تأثيرها.

لاحظ هيس تساقط الثلوج قبل 45 دقيقة، عندما أغلق باب شقته للمرة الأخيرة، وخرج في الهواء البارد، ونزل الدرج إلى سيارة الأجرة المنتظرة. كان ضوء النهار قد أعمى عينيه، وشعر بالارتياح عندما عثرت يداه على نظارة شمسية مكسورة في جيبه الداخلي- لم يكن متأكدًا من وجودها هناك. لم يكن متأكدًا من أمور كثيرة عمومًا. ومع ذكرياته غير المريحة بعد استيقاظه صباحًا، فإن حقيقة عثوره على النظارات الشمسية في المكان الذي افترض وجودها فيه منحه الشعور بأنه سيشهد يومًا جيدًا بعد كل ما جرى. وعلى الطريق في السيارة، استمتع بمشاهدة ملامح الخريف التي بدأت تُدفَن ببطء. واستمرَّ شعوره الجيد في حين اجتاز رجال الأمن، واختلط في الجو العالمي للمطار. أصبح هيس محاطًا بالسياح والأجانب الآخرين الذين يتنقَّلون مع لغاتهم المختلفة. وأحسَّ فعلًا كما لو أنه غادر كوبنهاجن. تفحَّص لوحة المغادرة، وارتاح لمعرفة اقتراب مغادرة رحلته في الطائرة. لم يؤثر الثلج في الطائرات بعد، علامة أخرى على أن الحظ يقف إلى جانبه. تناول حقيبته المليئة بالممتلكات القليلة التي أحضرها، وتوجه إلى البوابة. وعندما لمح انعكاسه على زجاج متجر ملابس، ذُهِلَ لأن ملابسه قد تكون أقل ملاءمة للمناخ في بوخارست مما كانت عليه في كوبنهاجن. هل الجو دافئ في بوخارست، أو أنه سيصادف الثلوج والصقيع؟ ربما من الأفضل له شراء

سترة وزوجين من أحذية «تيمبرلاند» في مبنى المطار. لكنَّ رغبته الكبيرة في المغادرة جعلته يكتفي بقطعة كرواسان ووجبة سريعة من «ستاربكس».

جاء الضوء الأخضر من لاهاي مساء أمس على شكل مكالمة من سكرتيرة فريمان، وتذكرة ذهاب فقط إلى رومانيا. ومن المفارقات أن هيس في وضع أسوأ بكثير الآن مما كان عليه عندما فقد شعبيته، وأُرسِلَ إلى كوبنهاجن قبل أكثر من ثلاثة أسابيع. على مدى الأيام العشرة الماضية، كان يُكثِر من تناول الكحول في حانات كوبنهاجن. وبالكاد كان قادرًا على التحدث بوضوح عندما تلقَّى المكالمة. وبعد لحظة، أُوصِلَ بـ فريمان نفسه، وأبلغه رئيسه بإيجاز أن التقييم قد انتهى لمصلحته.

- عليكَ أن تفهم أن أي هفوة من الإهمال أو العصيان، أو مجرد تلميح بالاختفاء، سيجعلكَ في ورطة مجددًا، ولن تتذوق طعم الراحة بعدها. تكلم عنكَ رؤسائكَ في كوبنهاجن بإيجابية، وأكدوا دوافعكَ الجيدة، لذلك لن يصعب عليكَ الامتثال.

تجنب هيس الحديث بجمل طويلة، واكتفى بالموافقة. لم يكن هناك سبب لتوضيح أن التقييم الإيجابي لـ نيلاندر كان مستندًا إلى رغبته في إبعاده عن طريقه. وبمجرَّد وصول الرسالة، سارع هيس إلى الاتصال بـ فرانسوا ليشكره على مساعدته. كان احتمال العودة إلى حياته المريحة في الـ يوروبول يمثل ارتياحًا كبيرًا. وبعد جولة في بوخارست، طبعًا، سيعيش في أحد الفنادق مع قضية أوروبية جديدة. ولكن أي مكان آخر لا بدَّ أنه أفضل من هذا المكان.

كانت الأمور سيئة مع الشقة أيضًا. لم يُوقِّع على العقد بعد، ولكنَّ المدهش أن الوكيل العقاري تمكَّن من العثور على مشترٍ. بشكل أساسي، افترض هيس أن السبب هو موافقته على تخفيض السعر بمقدار 200 ألف كرونة في أحد أيام السُكْر. في وقت متأخر من الليلة الماضية، ترك هيس مفاتيحه مع المشرف على المبنى الذي بدا مرتاحًا تمامًا للتخلص منه -كما هي الحال مع نيلاندر والرجال في مركز الشرطة- حتى إن الرجل راح يغني ويرقص في وقت سابق من هذا الأسبوع للتعبير عن سعادته بتلميع الأرضيات وتجميل الشقة، لأن هذا يعني أن هيس سينجح في بيعها. شكره هيس، لكنَّ الحقيقة هي أنه لم يحظَ بالوقت لإصلاح الشقة حتى تخلَّص من مشاغله، وتأكده من عدم اضطراره إلى العودة إليها.

الجزء الوحيد من أعماله غير المكتملة كان موقفه المُحرِج مع نايا تولين. وكان الأمر غير مهم لدرجة أنه بالكاد فكَّر في أهميته. في آخر مرة رآها، كان لديه انطباع واضح بأنها اعتقدت أن نظرياته عن فتاة هارتونج جاءت نتيجة عقل غير متزن. حكمت عليه بأنه عاجز عن تقييم الأشياء حسب حقيقتها، لمجرد أنه كان يعاني مشكلات. على الأرجح، أخبرها شخص ما منذ زمن طويل عن ماضيه، والأسباب التي قد تجعل المرء يعتقد ذلك- وربما كانت على حق. على أي حال، لم يُهدِر وقتًا أطول بعد في التفكير في دمى رجل الكستناء وبصمات الأصابع منذ تلك الليلة. حُلَّتِ القضية -الأطراف المبتورة التي اكتُشِفَتْ في المسلخ القديم جعلت ذلك واضحًا- والآن بعد أن اصطفَّ في طابور عند بوابة المطار، وبطاقة صعود الطائرة جاهزة على هاتفه، تذكر مستغربًا شدة رفضه. الأشياء الوحيدة التي ستطارده منذ مدة وجوده في كوبنهاجن هي عينا تولين الحازمتان، وحقيقة أنه لم يتصلْ بها ليودعها. لكنَّ كل هذا قابل للإصلاح، أو على الأقل، هذا ما فكر فيه في أثناء صعوده على متن الطائرة، وجلوسه في المقعد «12 بي».

نظرة مشمئزة من رجل الأعمال بجانبه أخبرت هيس أن رائحة المشروبات الروحية تفوح منه. لكنه غاص بعمق في مقعده طيلة قيلولة دامت ساعة أو اثنتين. وعد نفسه باحتساء بعض المشروبات ليضمن بعض النوم الهانئ، عندما تلقى رسالة بالإنجليزية من فرانسوا.

- سأقلُّك من المطار. وسنذهب مباشرة إلى المقر. تأكد من قراءة ملف القضية قبل وصولك!

كان هذا الأمر غائبًا عن باله، لكنْ لا مشكلة – ما زال قادرًا على قراءة ملف القضية إذا أجَّل نومه وبدأ الآن. فتح على مضض البريد الوارد على هاتفه لأول مرة منذ أكثر من أسبوع، ليكتشف أنه لم يتلقَّ المادة. فوصلته رسالة نصية أخرى من فرانسوا الذي اعتذر عن تأخره في الإرسال.

- تحقق من بريدك مرة أخرى. سأرسل إليك القضية من خلال البريد الإلكتروني في الساعة 10:37 مساءً، أيها الدنماركي الأحمق والكسول.

اكتشف هيس سبب عدم تلقيه البريد الإلكتروني من فرانسوا. أحد الملفات الضخمة المرفقة برسالة بريد إلكتروني ملأ جلَّ المساحة المتاحة في صندوق الوارد الخاص به، ما أدى إلى حظر كل شيء آخر. كانت الرسالة من أحد فنيي الطب الشرعي الرقمي، وتبيَّن أن الملف هو المادة التي طلبت

تولين الحصول عليها من جينز بعد زيارتهما لـ لينوس بيكر التي حث هيس الفنيين على إرسالها في وقت لاحق من الليلة ذاتها. على وجه التحديد، كانت قائمة الصور المأخوذة من أرشيف مسرح الجريمة التي جذبت انتباه بيكر قبل اعتقاله واعترافه.

ولما كانت رسالة البريد الإلكتروني لم تعد مهمة الآن، كان هيس على وشك حذفها، ولكنَّ الفضول تغلب عليه. لم يكن لقاء لينوس بيكر ممتعًا، لكنْ من وجهة نظر مهنية، فإن نفسيته مثيرة للاهتمام. ولدى هيس الوقت: لا يزال هناك ركاب يتجوَّلون في الممرات للعثور على مقاعدهم. نقر الملف مرتين. استغرق الأمر لحظة، وشاهد بعدئذٍ عرضًا كاملًا للصور التي لفتت انتباه لينوس بيكر. وبالرغم من الشاشة الصغيرة لهاتفه، فإنه لم يستطع التحمُّل.

للوهلة الأولى، تضم قائمة بيكر المفضلة حصريًا صورًا من مسرح الجريمة تُظهِر النساء المقتولات. تتراوح أعمارهنَّ بشكل أساسي بين الخامسة والعشرين والخامسة والأربعين، والعديد منهنَّ على الأرجح أمهات، على الأقل بناءً على الأشياء المنتشرة حولهنَّ، أو المرئية في الخلفية: جرارات بلاستيكية، وأسرَّة لعب متنقِّلة، ودراجة ثلاثية العجلات وما شابه ذلك. بعض الصور بالأبيض والأسود، ولكنَّ أغلبها صور ملوَّنة. وتمثل عامة جرائم قتل امتدَّت على مدى سنوات عدَّة، من الخمسينيات إلى لحظة القبض على بيكر. نساء عاريات، نساء بملابس، بشعر أسود، بشعر ناصع، كبيرات وصغيرات. جرائم قتل بالرصاص، أو الطعن، أو الخنق، أو الغرق، أو الضرب حتى الموت. وبدا الاغتصاب سببًا واضحًا لمقتل بعضهنَّ. أساليب ساديَّة وغريبة. كان من الصعب على هيس فهم أسباب النشوة الجنسية التي تبعثها مثل هذه الصور في نفس لينوس بيكر. لاقى مشقَّة في ابتلاع الكرواسان. وبينما همَّ للخروج من الملف، مرَّر سريعًا إلى رأس القائمة -وهي عادة قديمة عنده- تبيَّن أن حجم البيانات كبير جدًّا على هاتفه، وتجمَّدت الشاشة على صورة لم يلاحظها في المرة السابقة.

كانت صورة عمرها نحو الثلاثين عامًا، التُقِطَتْ في الحمام، والتعليق المكتوب على الآلة الكاتبة في الأسفل هو «مون آيلاند، 31 أكتوبر 1989». جسد امرأة عارية ملقًى ومشوَّهًا على أرضية من الطين، مُلطَّخًا بالدماء السوداء والمُتجمِّدة. ربما كانت في الأربعين من عمرها، لكن من الصعب الجزم بذلك، لأن وجهها تعرَّض للضرب لدرجة يصعب معها تعرُّفها. كانت

عملية البتر هي ما لفت انتباه هيس. بُتِرَتْ ذراع وساق منفصلة عن الجذع. يبدو أن العملية تطلَّبت عدة محاولات- كما لو تم الأمر باستخدام فأس ثقيلة بنصل مثلم. شهدت وحشية الهجوم على شهوة القاتل للدماء. وبالرغم من مشاهدته مثلَ هذه المناظر من قبل، فإن هيس شعر باهتمام إزاءها.

- أرجو من جميع الركاب الجلوس في أماكنهم.

شُغِلَ موظفو مقصورة الطائرة بحشو آخر قطع حقائب يد في مكانها، وأعادت المضيفة الهاتف إلى الحائط بجوار قمرة القيادة.

اتضح أن صورة المرأة العارية في الحمام هي الأولى ضمن سلسلة قصيرة من صور جرائم القتل التي يبدو أنها ارتُكِبَتْ في المنزل نفسه، وتحت التسمية التوضيحية نفسها: «مون آيلاند، 31 أكتوبر 1989». رقد صبي وفتاة في عمر المراهقة قتيلين في المطبخ. كان الصبي مُلقًى على فرن، والفتاة ممددة عبر الطاولة، ورأسها في وعاء من العصيدة. كلاهما مصاب بطلقات نارية. مرَّر هيس الصور، وتفاجأ بأن الضحية التالية كانت لضابط قديم في الشرطة، مات في الطابق السفلي. ونظرًا إلى حالة وجه الرجل، يبدو أنه قُتِلَ بالفأس أيضًا. كانت الصورة هي الأخيرة في السلسلة. وكان هيس على وشك العودة إلى صورة المرأة المقطَّعة على أرضية الحمام عندما لفت انتباهه فجأة الرقم الموجود بين قوسين والمصاحب لصورة الشرطي. «(37)». اتضح لـ هيس أن هذا الرقم هو ملاحظة الفني لعدد المرات التي نقر فيها لينوس بيكر على تلك الصورة.

- يجب إطفاء جميع الأجهزة الإلكترونية لو سمحت.

أومأ هيس إشارة إلى فهمه للمضيفة التي واصلت إيصال الرسالة إلى الصف التالي. من غير المنطقي أن يكون بيكر قد نظر إلى صورة لشرطي مقتول سبع وثلاثين مرة. ليس عندما كان من الواضح أنه فضَّل النساء. تحقق هيس سريعًا من بعض الصور الأخرى. وبحث الآن عن العدد الصغير المصاحب لكل صورة. لكنَّ أيًّا منها لم تكن بمثل أهمية صورة رجل الشرطة المقتول. ولا حتى المرأة في الحمام، التي ظهر بجانبها الرقم «(16)».

شعر هيس بانزعاج في معدته. لا بدَّ من وجود شيء مهم في صورة الشرطي القتيل في الطابق السفلي، وحاول لحظةً استبعاد احتمال أن الفنيَّ ارتكب خطأً. من زاوية عينه، رأى المضيفة تتجه عائدة من خلال الطائرة، ولعن الشاشة الصغيرة- عليه أن يستخدم أصابعه المهتزة، وعقله نصف

المخمور لتكبير الصورة والبحث عن التفاصيل التي أغفلها. المهمة مستحيلة. سرعان ما سبحت عيناه في وحدات بكسل لا تُقدِم أي فكرة عن سبب تركيز لينوس بيكر على هذه الصورة بالذات.

- حان الوقت لإطفاء هاتفك لو سمحت!

لم تتحرك المضيفة في هذه المرة. وأوشك هيس أن يستسلم عندما تحرَّكت أصابعه على الشاشة، فتحركت الصورة لتركز على بعض الرفوف فوق الشرطي؛ فتصلَّب هيس. لم يستوعب عقل هيس ما رآه في البداية، لكنه بعد تصغير الصورة قليلًا، أحسَّ بأن الزمن توقف.

على جدار القبو فوق جسد الشرطي ثلاثة رفوف خشبية متهالكة. جميعها مليئة بالدمى الصغيرة الطفولية: دمى تمثل رجال كستناء، وسيدات كستناء، وحيوانات من الكستناء. كبيرة وصغيرة، بعضها غير مكتمل، ولا تزال أطرافها مفقودة، وبعضها الآخر مُغطًّى بالتراب والقذارة. كانت جميعها مرصوفة وصامتة، بعيون فارغة، مثل جنود صغار، جيش جبار من المنبوذين.

دون أن يتمكن من شرح السبب، أدرك هيس مباشرة أن هذا هو دافع بيكر لمشاهدة الصورة سبعًا وثلاثين مرة. أحسَّ بأن الطائرة بدأت بالتحرُّك. وقبل أن تتمكن المضيفة من إيقافه، أسرع باتجاه مقصورة القيادة.

100

كانت صالة رجال الأعمال في مطار كوبنهاجن شبه مهجورة، وتفوح منها رائحة العطور والقهوة الطازجة والخبز المخبوز حديثًا. لكنَّ الأمر استغرق أكثر من خمس دقائق من الجدال مع المضيفة عند المدخل قبل أن يُسمَح لـ هيس بالدخول. وجهها الشاب مكتمل بمثالية. ومع أنها تبتسم وتومئ برأسها بسرور، بدا من الواضح أنها تجد صعوبة في الربط بين مظهره وسلوكه وشارة الشرطة الأوروبية التي حاول مرارًا استخدامها للإشارة إلى أنه في مهمة حسَّاسة. وصل حارس أمن صومالي، وتحقق من الشارة، فسمح لـ هيس بدخول صالة رجال الأعمال.

اتجه هيس مباشرة إلى أجهزة الكمبيوتر الثلاثة المتاحة للضيوف في الجزء الخلفي من الصالة. بعض الأشخاص الموجودين في القاعة كانوا مشغولين بهواتفهم الذكية، ووجبات فطور وغداء منخفضة السعرات الحرارية على الطاولات المستديرة. لم يكن واضحًا أكانت الكراسي الطويلة الفارغة أمام الشاشات قد استخدمها أشخاص سوى الأطفال الذين يُجرُّون أحيانًا في رحلات العمل. استقرَّ هيس على لوحة المفاتيح، وراح يشتم بصوت خافت ريثما يُسجِّل الدخول، والتنقل من خلال نظام أمان يوروبول قبل الوصول إلى صندوق بريده الوارد. كان يعلم بوجود العديد من الرحلات المغادرة إلى بوخارست في ذلك اليوم، حتى لو كان ذلك يعني التوقف في مكان ممل في ألمانيا، لكنَّ التأخير سيزعج فريمان إذا عرف به. ومع ذلك، يشعر هيس أنه مضطر إلى ذلك. وبمجرد فتحه قائمةَ الصور الخاصة بـ بيكر، ومشاهدته دمى الكستناء، نسي كل شيء عن رئيسه.

على الشاشة الأكبر، بدت الدمى الصامتة في الصورة –التي يرجع تاريخها إلى ثلاثين عامًا تقريبًا– أكثر غرابة. لكن هيس ما زال غير مدرك لأهمية ما اكتشفه. من الواضح أن بيكر أولى قيمة كبيرة للصورة. هذا واضح من عدد

مرات المشاهدة، فضلًا عن حقيقة أن الضحية ليست من النوع المفضل لديه. لكن ما قيمتها؟ في أول مرة شاهدها -منذ نحو ثمانية عشر شهرًا، عندما اخترق الأرشيف- لم يكن هناك شيء في الصحافة أو في أي مكان آخر عن قاتل غامض قتل النساء، وترك دمى رجل الكستناء في مسرح الجريمة. لم يكن هذا القاتل موجودًا حتى في الوقت الذي شاهد فيه بيكر الصورة أصلًا. وبناء عليه، من غير المنطقي أن يكون الرجل مفتونًا بجيش دمى الكستناء المصنوعة يدويًا. ومع ذلك، ما من شك في ذهن هيس أنه كان كذلك.

وللحظة، تساءل هيس أكان قد أثار اهتمام بيكر شيء ما قرأه في ملفات القضية حول الجرائم في مون آيلاند عام 1989. ربما يفسر تقرير الشرطة هذا الاهتمام، وربما، على سبيل المثال، أدرك أنه على معرفة بأحد الضحايا أو مسرح الجريمة، أو ربما عثر على بعض المعلومات الأخرى ذات الصلة التي جعلته يفحص ويعيد فحص صورة الشرطي المقتول والدمى. لكن لم تكن في المادة التي اخترقها بيكر ملفات حالة. ليس لقضية مون آيلاند، أو أي قضية أخرى. كان أرشيفًا للصور الملتقطة في مسرح الجريمة، بكل بساطة. لا شيء آخر. كانت التقارير موجودة في أرشيف رقمي آخر، وإذا لم تخنه ذاكرته، فإن بيكر لم يدخل أي شيء باستثناء الأرشيف المحدد الذي منحه منفذًا لإشباع ميوله الجنسية.

لم يكن هيس حكيمًا. عادت إليه أحلام اليقظة مجددًا، وبدأ يندم على الطرق على باب قمرة القيادة كالمجنون، وإجبار الطيار الناطق بالألمانية على السماح له بالنزول من الطائرة. كان الأجدر به السفر إلى بوخارست. لكان وصل في الموعد المحدد. تحركت عيناه إلى لوحة المغادرة، لكنه رأى وجه لينوس بيكر، وسمع صوت ضحكاته. قرر هيس تمرير الصور مجددًا، وبدأ من أعلى القائمة من خلال سلسلة الجرائم البشعة. صورة بعد أخرى، وجريمة مروِّعة بعد أخرى، دون أن يتوصل إلى أي تفسير عن مكامن متعة بيكر في مشاهدة مثل هذه الصور. افترض هيس أن ذلك يرجع إلى علَّة مرضيَّة لن يدركها سوى المنحرفين من أمثال بيكر. وفجأة، أحس أنه يفهم. فهمها حتى قبل أن يشاهدها؛ فهمها لأنها قد تكون أكثر الأشياء المرعبة التي قد يتخيلها المرء. وفي الوقت نفسه، من الصعب تخيُّلها لدرجة أنها قد تبعث النشوة في نفس لينوس بيكر.

عاد إلى البداية، وتصفَّح الصور التي بات يعرفها. وفي هذه المرة، راح يبحث عن شيء واحد فقط. لم يعد ينظر إلى موضوع الصور، لكنْ إلى كل شيء آخر- المقدمة، الخلفية، الأشياء، أي شيء يبدو ظاهريًا من دون أهمية. وفي الصورة التاسعة، وجد ما كان يبحث عنه. إنه من مسرح جريمة آخر بعنوان «ريسكوف، 22 سبتمبر 2001». للوهلة الأولى، لم يكن في الصورة ما يميزها عن البقية. امرأة شقراء في الخامسة والثلاثين تقريبًا من العمر، ترقد ميتة على الأرض في شيء يشبه الغرفة الأمامية لمنزل أو شقة. كانت ترتدي تنورة بنية داكنة، وقميصًا أبيض ممزقًا، وحذاء بعقب عال، انكسر عقب واحد منها. وفي الخلفية، تبدو الدُّمى وسرير لعب متنقِّل للأطفال، في حين كانت الطاولة الموجودة على اليسار مرتَّبة بأناقة لشخصين، لكنَّ الوجبة لم يمسسها أحد. كانت جريمة القتل مسعورة، بعيدة عن أي ضوابط، ويُفترض أنها ارتُكِبَتْ في الجانب الأيمن من الصورة، حيث انقلب كل شيء وتناثرت الدماء. لكنَّ سرير اللعب هو ما لفت انتباه هيس. سرير اللعب المتنقِّل ودمية رجل الكستناء الصغيرة والخجول المتدلية من الحافة إلى جانب «خشخيشة» الأطفال.

ارتفعت الدماء وأصوات الطنين في رأس هيس وأذنيه. وواصل بحثه. بدا كما لو أن عينيه أَلِفتا المطلوب، وراحت تنجذبان إلى الهدف المطلوب. كان كل شيء آخر دخيلًا. لا شيء في العالم سوى الدمية الصغيرة، وعند الصورة الثالثة والعشرين، توقف مرة أخرى.

«نيبورج، 2 أكتوبر 2015». هذه المرة شابة في سيارة سوداء صغيرة. التُقِطَتِ الصورة من خلال الزجاج الأمامي. كانت تجلس في مقعد السائق، والجزء العلوي من جسمها يرتكز على مقعد سيارة طفل إلى جانبها. كانت ترتدي ملابس أنيقة، كما لو أنها كانت في طريقها إلى -أو من- موعد. قُلِعَتْ إحدى عينيها، لكن لا توجد دماء تقريبًا في الصورة، وبدا القاتل أكثر تحكمًا في أفعاله بالمقارنة مع الجريمة في ريسكوف. من مرآة الرؤية الخلفية في المقدمة، تتدلى دمية صغيرة لرجل الكستناء. لم تكن الدمية واضحة تمامًا، لكنها موجودة بالتأكيد.

بقيت نحو أربعين صورة، لكنَّ هيس سجل الخروج، ونهض على قدميه. وفي طريقه إلى أسفل المصعد نحو الطابق الأرضي، خطر على باله أن جرائم القتل المنتشرة على مدار نحو ثلاثين عامًا، لا يمكن أن يقترفها القاتل نفسه.

هذا مستحيل. قد يلاحظ شخص ما. شخص ما كان سيفعل شيئًا ما. لا شيء مميز بالضرورة في دمى رجل الكستناء تلك. وبالتأكيد، ليس في الخريف. هل وقع هيس فريسة تهيؤاته؟

ومع ذلك، لم يستطع هيس التوقف عن تصوُّر لينوس بيكر، في حين راح يملأ الأوراق في مكتب تأجير السيارات، وينتظر تسلُّم المفاتيح. هذا هو الرابط الذي صنعه بيكر. دمية رجل الكستناء هي توقيع المجرم الذي يضرب مرارًا وتكرارًا. وبمجرد حصوله على المفاتيح، أسرع إلى موقف السيارات. كان الثلج يتساقط بكثافة أكثر من ذي قبل.

101

تجنَّبت تولين النظر مباشرة إلى عيون المحققيْن اللذيْن نظرا من على شاشاتهما، في حين راحت تفرغ خزانة ملابسها، وتُغلِق الباب المعدني بقوة قليلًا. تجنبت عمدًا لفت الانتباه إلى حقيقة أن هذا هو آخر يوم لها في القسم، ولا تريد تغيير ذلك الآن. ليس من شأن هذا أن يحدث فرقًا. لن تفتقد أحدًا، وبالتأكيد، لن يفتقدها أحد. فضَّلت ذلك من اليوم الأول، ومن المناسب لها أن تبقى غير مرئية قدر الإمكان حتى تخرج من المبنى. صادف أن قابلت نيلاندر قبل بضع دقائق، عندما مرَّ بها مع مجموعة من مساعديه بعد المؤتمر الصحفي الأخير. كان موضوع المقابلة اليوم هو ما قدَّمته نتائج الفحص النهائي للطبيب الشرعي، وتحليل الحمض النووي. تساءلت تولين أكان السبب الحقيقي هو ببساطة أن نيلاندر يستمتع بالأضواء. هكذا يبدو الأمر، على أي حال، وهو يقف إلى جانب وزير العدل ببدلته الأنيقة، ليقول بأن عمليات البحث التي أجراها فريق محققيه كانت نقطة التحوُّل الحاسمة في التحقيق.

توقَّف نيلاندر ليتمنى لها حظًا سعيدًا.

- وداعًا تولين. سلامي لــ فينجر.

كان يقصد إيزاك فينجر، الضابط الأعلى الجديد المسؤول عن تولين في المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية. رأت في تعليقه أنه يشعر الآن بأن التوازن بين الإدارات قد تغيَّر، وأن تولين لا بدَّ أن تندم على اختيارها. كادت تنسى التغيير الوظيفي الذي بدأته بنفسها حتى اتصل بها رئيس المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية شخصيًا يوم الاثنين، وهنأها على إغلاق قضية القتل.

- لكنَّ هذا ليس السبب الذي دعاني إلى الاتصال. أرجو أن تكوني ما زلتِ مهتمة بالعمل معنا؟

عرض عليها فينجر المنصب، مع أنها في النهاية لم تتقدم بطلب، ولم تحصل على توصية من نيلاندر. إذا قبلت الوظيفة، سيعمل فينجر على ترتيب الجانب العملي مع نيلاندر. ويمكنها أن تبدأ العمل في المركز بعد عطلة الخريف المتأخرة. بالنسبة إلى تولين، أصبح الأمر كالتالي: ستقضي أسبوعًا كاملًا مع لو، ومع نفسها. ومع أن الأمور سارت بطريقة ما على ما يرام، فإن تولين قضت الأيام القليلة الماضية في محاولة لطمأنة نفسها أن القضية قد اختُتِمَتْ بشكل صحيح.

كان اكتشاف الأيدي المقطوعة لـ آن سيير لاسين وجيسي كفيوم، فضلًا عن قدم جيسي في الثلاجة الصغيرة للمسلخ القديم دليلًا لا يمكن دحضه، لدرجة أن تولين لم ترَ أي خيار منطقي آخر سوى تصديق التفسيرات التي قدَّمها نيلاندر. أثار هيس بعض الأسئلة دون إجابة، بالتأكيد، لكن الاحتمال الكبير ظلَّ قائمًا بأن مشكلاته الشخصية جعلته يركز عليها.

كانت هذه وجهة نظر نيلاندر غير العاطفية، على أي حال. وأسرَّ لـ تولين أن خروج هيس أصلًا من القسم ومن كوبنهاجن كان مدفوعًا بمأساة شخصية. لا يعني ذلك أنه يعرف الكثير عن ذلك، لأنه في تلك الأيام لم يكن نيلاندر موجودًا في القسم، ولكنَّ الفكرة كانت أنه في إحدى ليالي شهر مايو قبل أكثر من خمس سنوات، تُوفِّيَتْ زوجة هيس البالغة من العمر تسعة وعشرين عامًا في حريق اندلع في شقتهما في فالبي.

تركت المعلومات انطباعًا واضحًا عند تولين. بحسب تقرير الشرطة الذي بحثت عنه في قاعدة البيانات، ورد أن الحريق اندلع في نحو الثالثة فجرًا، وانتشر بسرعة مذهلة. أُخلِيَ المبنى، لكنَّ شراسة النيران جعلت من المستحيل على رجال الإطفاء الوصول إلى الشقة في الطابق العلوي. وبعد إخماد الحريق، عُثِرَ على جثة الشابة المتفحمة في غرفة النوم. ومن خلال الهاتف، أُبلِغ زوجها «المحقق في قسم الجرائم الكبرى، مارك م. هيس» الذي كان في ستوكهولم يحقق في قضية ما.

ظل سبب الحريق مجهولًا. تُحقِّقَ من وجود خلل في الأسلاك، أو مصابيح الزيت، أو الحرق المتعمد، لكنْ لم يُتوصَّل إلى استنتاجات نهائية دامغة. كانت المرأة حاملًا في شهرها السابع، وتزوَّج الزوجان قبل شهر واحد فقط.

أثار التقرير انزعاج تولين. فجأة، أصبحت تعرف كثيرًا من المعلومات عن شخصية هيس. ومن ناحية أخرى، كان من المستحيل فهمه. على أي حال، لم يعد من المنطقي التفكير في الأسئلة التي أثارها هيس، وربما كان هذا هو السبب في أنها شعرت بالارتياح عندما سمعت نائب المفوض يخبر نيلاندر في وقت سابق من ذلك اليوم أن هيس قد أعيد إلى لاهاي، وأنه في طريقه إلى مهمة ما في بوخارست. كان هيس يغادر البلاد، وبالتأكيد إلى ما هو في مصلحته. حاولت التواصل معه عدة مرات في ذلك الأسبوع، لكنه لم يتصل مرة أخرى. وقد أزعجها الأمر عندما سألتها لو عن موعد مجيء «الرجل ذي العيون الملوَّنة» لمعرفة المستوى الذي وصلت إليه في لعبة «صراع الأساطير». حصل الشيء ذاته عندما اتصلت للسؤال عن ماجنوس كيار الذي نُقِلَ إلى دار للأيتام ريثما تعثر السلطات على أسرة مناسبة لتبنِّيه. قال أحد الإداريين إن الصبي يتحسَّن، لكنه سأل عدة مرات عن «الشرطي». لم تكن تولين متأكدة من كيفية الرد على ذلك. قرَّرت استبعاد هيس من عقلها، وعادة ما وجدت أنه من السهل تجاهل مثل هؤلاء الأشخاص. سيباستيان، على سبيل المثال: مع أنه لا يزال يترك رسائل على بريدها الصوتي، فإنها لم تشعر بالحاجة إلى الاتصال به مرة أخرى.

نايا تولين؟

عندما عادت إلى مكتبها الفارغ، وجدت ساعي بريد ينظر تجاهها. وبالرغم مما وعدت نفسها به، فإن هيس كان أول شخص خطر على بالها عندما شاهدت باقة الأزهار. كانت زهور خريف لا تعرف أسماءها، بألوان صفراء وبرتقالية وحمراء. لم تكن الزهور تعني الكثير لها قطُّ. وقَّعت على تسلُّم الباقة، قبل أن يسرع ساعي البريد إلى المغادرة في حذائه المخصَّص لركوب الدراجات. فتحت تولين البطاقة، واعتبرت نفسها محظوظة لأن زملاءها اجتمعوا حول الشاشة المسطحة في الكافيتريا، حيث يُبَثُّ المؤتمر الصحفي لـ نيلاندر على الهواء مباشرة.

- شكرًا على رحلة الجري. حظًّا سعيدًا لكِ في المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية. ابتعدي عن ذلك المكتب ☺.

ابتسمتْ تولين للحظة، ثم ألقت ببطاقة جينز في سلة المهملات. وبحلول الوقت الذي اختفت فيه على الدرج، مُتوجِّهة إلى الحرية وحفلة عيد الهالوين

في مدرسة لو، تركت الباقة في مكتب الإدارة، حيث تعلم أنها ستكون محل تقدير.

لا يزال الثلج يتساقط خارج مركز الشرطة، وانزعجت تولين لأنها لم تفكر في استئجار سيارة قبل أن تبدأ عملها في المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية. سرعان ما تبلل حذاؤها الرياضي، فأسرعت إلى بيرنستورفسجيد باتجاه المحطة الرئيسية حيث ستستقل المترو إلى محطة ديبولسبرو.

لم يكن الثلج قد بدأ بعد في التساقط عندما قابلت جينز ذلك الصباح؛ اختارت الاحتفال بآخر يوم لها في فرقة جرائم القتل بقبول دعوته أخيرًا للذهاب للركض. لن يعودا زميلين الآن، وبدا أن هذه طريقة لطيفة لإنهاء علاقتهما. بالإضافة إلى ذلك، كانت لديها أجندتها الخاصة. وافقا على الجري على طول ستراندفين، لذلك قابلت جينز في السادسة خارج مبناه في أحد المجمعات الجديدة الجذابة في نوردهافن. تفاجأت أن جينز لديه المال للعيش في هذا المكان. ومن ناحية أخرى، كانت هذه الحالة المالية منطقية في ضوء الدقة التي يتحلى بها.

كان الجزء الأول من السباق تجربة جيدة، خاصة مشاهدة شروق الشمس فوق أوريسند، وقد أمضيا بعض الوقت في مناقشة التحقيق. كيف تطورت رغبة بينيديكت سكانز وآسجر نيرجارد للانتقام في أعقاب مأساتهما؛ كيف جمعت الممرضة معلومات عن الأطفال الذين تعرضوا لسوء المعاملة، والأمهات اللواتي اختِرْنَ ضحايا، كيف استخدم الزوجان مقهى إنترنت مع إمكانية الوصول إلى خادم بريد إلكتروني أوكراني لإرسال بلاغات مجهولة بدلًا من أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهما، وكيف تُغوضِي عن محتويات الثلاجة الصغيرة في أثناء البحث الجنائي الأولي. لم يُعثَر على الهراوة والمنشار المستخدم لقتل الضحايا وتشويههم، لكنْ كونها ممرضة، كانت بينيديكت سكانز قادرة على الوصول إلى الأدوات من غرفة العمليات التي كانت في طور الفحص والاختبار.

لم يرَ جينز سببًا للشك في نتائج التحقيق، مع أن تولين شكَّت في أنه كان مهتمًّا بالجري أكثر من محادثتهما. أعربت عن أسفها لأنها أخبرته عن حبها للجري مسافات طويلة، لأنه سرعان ما اتضح أنه كان عليه أن يتراجع حتى لا يتفوق عليها. بعد ثمانية كيلومترات، استدارا وتخلَّفت وراءه مثل عداءة كسولة في سباق مع رياضي كينيٍّ. وعندما لاحظ تأخرها بعدة أمتار، خفف

سرعته، وسمح باستمرار المحادثة. إذا اعتقدتْ أن دعوة جينز كانت ذريعة للتقرب منها، فقد أخطأتْ كثيرًا: كان شغوفًا بالجري بقدر شغفه بعمله في المعمل.

لم تكن أنفاس تولين تساعدها على الحديث لبقية المسار. لكنْ، عندما توقَّفا عند الإشارة الحمراء في شارلوتينلوند فورت، أعربت عن إحباطها لأنهما ما زالا غير قادرين على تفسير سبب ترك دمى رجل الكستناء التي تحمل بصمات أصابع فتاة هارتونج في مسرح الجريمة. لم توجد أي أدلة عن رجال كستناء في ممتلكات الزوجين الشابين؛ وبقيت كيفية حيازة سكانز ونيرجارد إياها لغزًا محيرًا.

اقترح جينز: «إذا كان نيلاندر على حق، اشترى الزوجان هذه الدمى لسبب ما من الكشك الذي أقامته كريستين هارتونج وصديقتها قبل أن تختفي».

- لكن، ما نسبة هذا الاحتمال؟ لا يعتقد ستين هارتونج أن الفتيات صنعن رجال كستناء في ذلك العام.
- ربما خانته الذاكرة. سكانز كانت مريضة في روسكيلد في تلك المدة. لكنْ، من السهل على نيرجارد التجول في الحي، والبدء في وضع أساس العمل حتى في ذلك الوقت.
- ثم وقعت المصادفة أن يسبقه لينوس بيكر؟ بالمصادفة، وفي اللحظة نفسها تقريبًا؟

هزَّ جينز كتفيه، وابتسم.

- هذه ليست نظريتي. أنا مجرد فنِّي.

ربما لن يحصلوا على إجابة قاطعة أبدًا، لكنْ كان ثمة شيء مقلق بشأن دمى رجال الكستناء. كما لو أنهم أغفلوا التحقق عن شيء ما، أو نسوا أخذه بعين الاعتبار. ولكن بعد ذلك، وصلت هي وجينز أخيرًا إلى محطة سفانيمولن، وبدأ الثلج في التساقط، واندفعت تولين إلى ملجأ المنصة وواصل جينز الجري، وأخذ لفة سريعة قليلًا حول المنتزه.

- أنا أبحث عن «ثري إيه»؟
- ابحثي عن الفصل. اتبعي الضوضاء.

أزالت تولين الثلج عن ملابسها، ومرت بجوار المدرسين في الغرفة المشتركة المزينة بمناسبة عيد الهالوين. وصلت إلى المدرسة التي تقع في شارع جانبي ليس بعيدًا عن محطة ديبولسبرو. في الوقت المحدد بالضبط. وعدت نفسها بأن تكون هكذا دائمًا من الآن فصاعدًا. لطالما وصلت متأخرة، أو لم تصل مطلقًا، إلى الاجتماعات المدرسية المختلفة. واستطاعت أن تلمح وميض المفاجأة على بعض وجوه الوالدين عندما دخلت الفصل. كانوا يقفون إلى جانب صف من القرع المنحوت على طول الجدران، ويتدافع الأطفال بمرح في أزياء الهالوين الخاصة بهم. عيد الهالوين هو يوم الغد وهو يوم عطلة نهاية الأسبوع، لذلك قررت المدرسة إقامة الحفلة اليوم. ترتدي الفتيات ملابس السحرة، ويرتدي الأولاد أزياء الوحوش، وارتدى كثير منهم أقنعة مخيفة. كل واحد أكثر دموية من الآخر. وأصدر بعض الآباء أصوات خوف مصطنع من الأطفال الذين يجرون حولهم بسرعة. كانت المعلمة –امرأة في عمر تولين– ترتدي أيضًا ملابس ساحرة، في ثوب أسود طويل، وجوارب شبكية سوداء وحذاء أسود. كل شيء مُتوَّج بمكياج أبيض طباشيري، وأحمر شفاه، وقبعة سوداء حادَّة. بدت كشخصية من فيلم تيم بيرتون، وليس من الصعب اكتشاف سبب تحسن مزاج الآباء خصوصًا في وقت بعد ظهر يوم الجمعة هذا.

للحظة، لم تستطع تولين رؤية لو أو جدها بين أولياء الأمور والوحوش الصغيرة المتعطِّشة للدماء. لكنها لاحظت بعد ذلك قناع الزومبي المطاطي بجمجمته المُنقسِمة، والدماغ الأصفر على جبهته. القناع المطاطي من لعبة تسمى «بلانتس آند زومبيز»، وكان الزي الوحيد الذي أرادته لو سحبت تولين إلى متجر الكتب المصوَّرة في سكيندرجيد أمس. وهي الآن تقف مع جدها الذي يُعدِّل الجمجمة حتى لا ينزلق الدماغ حول رقبتها.

– مرحبًا ماما. هل عرفتني في هذا الزي؟

– لا، أين أنتِ؟

نظرت حولها، وعندما عادت إلى الوراء رفعت لو القناع المطاطي لتكشف عن وجهها المنتصر المتعرق.

– إنه أنا من سيحمل اليقطين إلى الحفلة أمام الآخرين.

– رائع. أتطلع إلى رؤية ذلك.

- أستبقين، وتشاهدين؟

- طبعًا، بكل تأكيد.

سأل أكسل وهو يمسح جبين لو: «هل تريدينني أن أحمل الدماغ قليلًا حتى لا تموتي من ضربة الشمس؟».

- لا يهم يا جدي.

مع قناع الزومبي المتدلي من رقبتها، اندفعتْ لو من خلال الغرفة تجاه رمضان الذي كان يرتدي زي الهيكل العظمي.

- هل كل شيء على ما يرام؟

نظر إليها أكسل، وهي تعلم أنه يقصد آخر يوم لها في مركز الشرطة.

- حسنًا. كل شيء جاهز.

كان أكسل على وشك قول شيء ما، ولكنَّ المعلمة صفقت بيديها للفت انتباه الجميع، وقالت: «حسنًا، سنبدأ! يا أطفال، تعالوا إليَّ هنا». قالت ذلك بنبرة سريعة، قبل أن تلتفت إلى أولياء الأمور.

- قبل أن نتوجه إلى الغرفة المشتركة للحفلة، نحتاج فقط إلى إنهاء أسبوع المشروع في الخريف. أعدَّ الأطفال ثلاثة عروض تقديمية، وهم يتطلعون إلى عرضها لكم!

لا تزال الزخارف جاهزة للحفلة، وكذلك ملصقات أشجار الأسرة. لم تحضر سوى مرة واحدة أحد العروض الذي أدى فيه الأطفال شيئًا ما عن السيرك، حيث تضمنت إحدى التمثيليات أطفالًا يزحفون ثلاث مرات من خلال طوق هولا هوب يرتدون زي الأسود. صفق الأهل بهيستيريَّة جعلت أصابع قدمي تولين تنقبض.

لم تختلف الأمور كثيرًا في هذه المرة. قدَّمت المجموعة الأولى من الأطفال ملصقات عليها أغصان وأوراق صفراء ضاربة إلى الحمرة من الغابة، في حين يبتسم الأهل ويشاهدون كل شيء من الكاميرات على هواتفهم. أدركت تولين أن الأمر سيستغرق وقتًا طويلًا قبل أن تتوقف عن ربط الأوراق الحمراء والصفراء بالمشهد المخيف للورا كيار وآن سيير لاسين وجيسي كفيوم، والعرض التقديمي التالي -مجموعة الصف من دمى الكستناء- لم يُحسِّن مزاجها.

وأخيرًا جاء دور لو. كانت هي، ورمضان، وعدد قليل من الأطفال الآخرين إلى جانب مكتب المعلمة، حيث أعلنوا أنه يمكن تناول الكستناء أيضًا.

- لكن عليك أن تقطعها أولًا! وإلا فستنفجر في الفرن! يجب تحميصها بدقة في درجة حرارة 225، ومن ثَمَّ تناولها مع الزبدة والملح!

كان صوت لو واضحًا ومشرقًا، وغمرت تولين الدهشة: لم تُبْدِ ابنتها الصغيرة الشبيهة بالمحارب أي اهتمام سابق بما يخص المطبخ. جرى تمرير بضعة أوعية من الكستناء المحمصة بين أولياء الأمور، في حين اتجهت المعلمة إلى رمضان الذي من الواضح أنه نسي نصَّه.

- رمضان، ما الذي يجب أن تتذكره إذا كنت تشوي الكستناء، وتود تناولها؟

- عليك أن تختار النوع المناسب. تلك التي تسمى الكستناء الصالحة للأكل.

- صحيح. هناك الكثير من أنواع الكستناء المختلفة، لكنَّ بعضها فقط صالح للأكل.

هزَّ رمضان رأسه، وأخذ قطعة كستناء وقضمها بصوت عالٍ، في حين ابتسمت والدته وأبوه بفخر، واستمتعا بالتقدير الذي سمعاه من آباء آخرين. بدأت المعلمة حكاية للأطفال عن كيفية تحضير الكستناء ليتناولها الوالدان، لكن تولين لم تكن تصغي.

- ما الذي تقصدينه بقولك عن وجود أنواع كثيرة من الكستناء؟

جاء السؤال بعد فوات الأوان، وخارجًا عن سياقه. نظرت المعلمة إلى تولين بدهشة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى بعض أولياء الأمور الذين توقفوا عن الضحك.

- اعتقدتُ أنه يوجد نوعان فقط من الكستناء. الكستناء الصالحة للأكل، ثم تلك التي تصنع منها دمى رجال الكستناء؟

- لا. في الواقع توجد عدة أنواع مختلفة. لكنِ الآن رمضان سوف...

- هل أنتِ متأكدة؟

- متأكدة تمامًا. لكننا الآن سوف...

- كم عددها؟

- عدد ماذا؟

- ما عدد أنواع الكستناء المختلفة الموجودة؟

ساد الهدوء في الغرفة. نقل أولياء الأمور أنظارهم بين تولين والمعلمة، حتى إن الأطفال ظلوا صامتين. كان سؤال تولين الأخير حادًّا واستقصائيًّا، ومجرَّدًا من النبرة الهادئة. تردَّدت المعلمة وابتسمت في حيرة من أمرها. لم تكن لديها أي فكرة عن سبب هذا الاختبار المفاجئ.

- لا أعلم حقًّا العدد الصحيح. لكنْ توجد أنواع مختلفة من الكستناء الصالحة للأكل. هناك مثلًا الكستناء الأوروبية، والكستناء اليابانية، وهناك أنواع مختلفة من كستناء الحصان. لذلك، على سبيل المثال...

- ما النوع المستخدم في تصنيع حيوانات الكستناء؟

- حسنًا، جميعها. لكن أكثرها شيوعًا هنا هي كستناء الحصان...

لم يتكلم أحد. كان الأهل ينظرون إلى تولين، وهي تحدق إلى المعلمة. وفي مكان ما في زاوية عينها، استطاعت رؤية ابنتها في واحدة ربما تكون أكثر لحظات حياتها إحراجًا. ولم تمضِ ثوان، حتى خرجت تولين من الباب. وبينما كانت تجري في الساحة المشتركة نحو المخرج، عاد الهرج والمرج إلى حفلة الهالوين مجددًا.

102

- إذا جئتِ لتتحدَّيني في سباق آخر، فسيتعيَّن عليكِ الانتظار حتى الأسبوع المقبل.

ابتسم جينز. كان يقف إلى جانب حقيبة سفر مستطيلة وأخرى صغيرة، وهو مشغول بارتداء معطف من الجلد زيتي اللون، في حين دخلت تولين إلى المختبر الكبير. كانت تعرف من موظف الاستقبال الذي التقاها أن جينز عاد لتوه من مسرح الجريمة، وأنه سيتجه الآن لحضور مؤتمر يُعقد في مركز معارض هيرنينج خلال عطلة نهاية الأسبوع. ومع ذلك استطاعت أن تجد سبيلها إلى مكتبه. حاولت فعلًا الاتصال به على الهاتف خلال قدومها في السيارة، لكنها لم تنجح، وكانت مرتاحة للعثور عليه في القسم، مع أنها جاءت في وقت غير مناسب.

- لستُ هنا لهذا السبب. أنا في حاجة لمساعدتك.
- هل يمكننا مناقشة الأمر في الطريق إلى السيارة؟
- دمى الكستناء التي وجدناها مع الضحايا، تلك التي عليها بصمات كريستين هارتونج، ما نوعها؟
- نوع ماذا؟

بدأ جينز إطفاء مصابيح الهالوجين، لكنه توقف لحظة، ونظر إليها.

- ماذا تقصدين؟

صعدت تولين على الدرج، وأدركت أنها لا تزال تلهث.

- للكستناء أنواع مختلفة. فما نوع الكستناء التي استُخدِمَتْ في صناعة الدمى؟
- لا أذكر...

- هل كانت من نوع كستناء الحصان؟
- لماذا تسألين؟ ما الذي جرى؟
- ربما لا شيء. إذا كنتَ لا تتذكر، يجب أن يكون في أحد التقارير المعملية الخاصة بك.
- أنا متأكد من هذا، لكنني فقط...
- جينز، لم أكن لأطرح عليك هذا السؤال لولا أهميته. هل يمكنك التحقق الآن؟

ومع تنهيدة، غرق جينز في الكرسي أمام الشاشة الكبيرة. وبعد ثوانٍ، دخل إلى النظام، وتابعت تولين ما يفعله على الشاشة المثبتة على الحائط خلفه. وصل جينز إلى أحد المجلدات، ومرَّر بين تقارير مرقمة مختلفة قبل تحديد أحدها، ونقره نقرًا مزدوجًا. كان حجم الأرقام والتحليلات هائلًا، لكن جينز انتقل بسرعة خلال التقرير بفضل درايته الواضحة بمحتوياته. وتوقف عند فقرة معينة تحمل علامة «الأنواع والأصل».

- في الجريمة الأولى، أي لورا كيار، كانت بصمة الإصبع على نوع صالح للأكل من الكستناء. نوع محدد اسمه «كاستانيا ساتيفا إكس كريانتا». هل أنتِ راضية الآن؟
- ماذا بشأن الجرائم الأخرى؟

نظر جينز إليها قليلًا، كما لو أراد إخبارها بأن هذا ليس الوقت المناسب للمزاح.

- هيا، الأمر مهم!

بحث جينز مجددًا على مكتبه الرقمي، ودخل إلى تقرير آخر، وكرر الإجراءات. وعندما انتهى، عرفتْ تولين الإجابة قبل أن يقولها بصوت عالٍ.

- في الجرائم الأخرى، كانت النتيجة واحدة. نوع الكستناء هو «كاستانيا ساتيفا إكس كريانتا». شيء آخر؟
- هل أنتَ متأكد تمامًا؟
- هذا الجزء من التحليل أجراه مساعدي، لأنني كنت أركز على بصمة الإصبع نفسها. لذلك، طبعًا، لا يمكنني ضمان...
- لكنك لا تعتقد أن مساعديك يمكن أن يخطئوا ثلاث مرات متتالية؟

- لا، لا أعتقد ذلك. ولعدم وجود خبراء في الكستناء، فإن الإجراء المعتاد هو العثور على خبير لتحديد الأنواع. أظنهم فعلوا ذلك. الآن، هل تمانعين في إخباري بالقصد من هذا السؤال؟

صمتت تولين. أجرت مكالمتين من سيارة الأجرة: واحدة مع جينز، والأخرى مع ستين هارتونج. ردَّ هارتونج على المكالمة بصوت هامد. وبإحساس بالذنب، اعتذرت عن إزعاجها وأوضحت أنها كانت على وشك الانتهاء من تقريرها، وتحتاج إلى تذكير نفسها بنوع الكستناء الذي كانت تملكه الأسرة في المنزل، والنوع الذي استخدمته كريستين وصديقتها في صنع الدمى المصنوعة من الكستناء. لم يكن لدى هارتونج الطاقة للإحساس بالمفاجأة. وعندما أضافت أن الأمر مجرد إجراء شكلي، أجاب دون تعليق آخر. كانت شجرة الكستناء الكبيرة في الحديقة هي من نوع كستناء الحصان.

- هذا يعني أننا في مشكلة. علينا التواصل مع هذا الخبير، وفورًا.

103

الأرض الفاصلة بين البوابة الحمراء ومطعم «بيتر ليبس هوس» في «دير بارك» كانتْ مغطاة بالثلج، واختارت روزا هارتونج الركض على طريق الحصى بدلًا من طريق الأسفلت الذي يبدو زلقًا مثل الصابون. عندما وصلت إلى نهاية الطريق، نظرت إلى مدينة الملاهي التي كانت مُغلَقة في مثل هذا الوقت من العام، وألعابها مهجورة. ثم انعطفت يمينًا، متجهة إلى أحد الممرات التي تحميها الأشجار، فلم يمسسها الثلج تقريبًا. لا تريد ساقاها الاستمرار، لكنَّ الهواء بارد، فأجبرتِ نفسها على المضي قدمًا على أمل أن يؤدي الجري إلى التخلص من مزاجها اليائس.

لم تغادر منزلها في «آوتر أوستيربرو» منذ عشرة أيام. خارت جميع قواها التي استجمعتها للعودة إلى الوزارة عندما انطفأت آمالها بعودة كريستين. اكتسى كل شيء باللون الرمادي، وأصبح غير مهم، تمامًا كما كان الحال عليه في الشتاء والربيع السابقين. ومع أن فوجل وليو وإنجلز كانوا طيبين للغاية، وشجعوها على العودة إلى الوزارة، فإن ذلك لم يكن له أي تأثير. بقيت في المنزل، وبصرف النظر عما قالوه، عرفت روزا أن أيامها وزيرةً باتت معدودة. أدلت رئيسة الوزراء ووزير العدل بتصريحات علنية مليئة بالتعاطف، ولكن خلف الكواليس، لم يكن من شك في أن مسيرة روزا الحزبيَّة قد انتهت. ولن يمضي وقت طويل حتى تُبعَد، إما لأنها عصت رئيسة الوزراء، وإما لأنها تبدو غير مستقرة، ولم تكن روزا شديدة الاهتمام بهذا الأمر.

على أي حال، لم تستطع تجاهل حزنها. وفي ذلك الصباح، زارت طبيبها النفسي الذي نصحها بالعودة إلى تناول مضادات الاكتئاب. ولذلك، أجبرت نفسها على ممارسة رياضة الجري بمجرد عودتها إلى المنزل -بالطريقة التي اعتادت أن تفعلها بعد الغداء عندما كانت تعمل من المنزل- ولكنَّ السبب الرئيسي اليوم هو أنها تأمل أن يساعدها الجري على توليد ما يكفي

من الإندورفين لتحسين مزاجها قليلًا، ومنحها القوة لمقاومة سلسلة أخرى من الحبوب.

من الأسباب الأخرى لهروبها، هو أن بعض الرجال كانوا يأتون لأخذ المتعلقات الخاصة بـ كريستين. بعد الجلسة، كانت روزا يائسة بما يكفي لاتباع نصيحة طبيبها النفسي للتخلُّص من هذه الأغراض نهائيًا. وبهذه الطريقة، سيسهل عليها التخلي عن الماضي. قال إنه عمل رمزي من شأنه مساعدتها على المضي قدمًا. لذلك اتصلت روزا بشركة نقل، وحددت لزوجها المتعلقات المطلوبة في غرفة نوم كريستين: أربعة صناديق كبيرة من الملابس والأحذية، بالإضافة إلى مكتبها وسريرها، حيث جلست روزا كثيرًا. حصل الزوجان على رقم متجر خيري في «نورد فريهافنسجيد» الذي اتصلت به روزا لتخبرهم أن شاحنة ستصل إليهم قريبًا وفيها بعض الصناديق والأثاث؛ ثم غادرت وذهبت إلى «دير بارك».

وفي الطريق، تساءلت عما لو كان من الأفضل لها الاتصال بـ ستين لإخباره بالقرار، لكنها لم تستطع مواجهته. بالكاد تحدثا. كان المسؤول من قسم الجنايات واضحًا في كلامه، لكنَّ ستين بقي متمسِّكًا بآماله، وكان الأمر أكبر من طاقتها على التحمُّل. رفض التوقيع على الأوراق التي تعلن وفاة كريستين، على الرغم من أنه كان هو الذي طلب من المحامي إرسالها. وحتى دون أن يخبرها، كانت روزا تعلم أنه ينتقل من باب إلى آخر في أحياء قد تكون كريستين مرَّت بها يوم اختفائها. كان شريكه، بيارك، هو من أخبرها بذلك. تحدث بقلق عن امتلاء مكتب ستين بمخططات أنظمة الصرف الصحي، والأحياء السكنية، وشبكات الطرق، ومخططات أخرى لا صلة لها بوظيفته، وكيف كان يقود سيارته كل صباح دون أن يفصح عن وجهته. وبالأمس، قرر بيارك أن يتبعه، ووجده يتجوَّل بقلق في منطقة من المنازل بالقرب من المجمع الرياضي. لكن ربما أحسَّ بيارك بالندم على إجراء تلك المكالمة، لأن ردة فعل روزا كانت الاستقالة. كانت عمليات بحث ستين عقيمة. على أي حال، ومجددًا، كانت واحدة من بين العديد من العمليات العقيمة المشابهة. كان عليهما البقاء متماسكين معًا، والتفكير في جوستاف، لكنهما لا يملكان القوة الكافية لذلك الآن.

عندما وصلت روزا إلى البوابة الحمراء مرة أخرى، ركضت حتى نقطة الإنهاك. شعرت بعرَقها باردًا وغير مريح. وخرجت أنفاسها من فمها كالدخان،

واضطرت إلى الاتكاء على البوابة الخشبية قبل أن تعود إلى سيارتها. وفي طريق عودتها إلى المنزل، متجاوزة تمثال كنود راسموسن ومحطة بنزين آرني جاكوبسن، لاحظت صدعًا صغيرًا بين السحب في السماء. أصبح الجوُّ صافيًا لمدة وجيزة، وأطلَّت أشعة الشمس ليلمع الثلج تحته كسجادة من البلورات المتلألئة. وكان عليها أن تُغمِض عينيها قليلًا حتى لا تُصاب بالعمى. وعندما استدارت إلى طريقها الخاص، أدركت أن تنفُّسها مختلف عما كانت عليه عندما غادرت. أهدأ قليلًا – كما لو أن تلك الأنفاس تصل حتى أسفل حجابها الحاجز، دون أن تُحتجز في مكان ما بين حلقها وصدرها كحوض مسدود. وفي أثناء التسلق، رأت المسارات العريضة للشاحنة في الثلج، وشعرت بالارتياح قليلًا لأنها فعلت ذلك. من عادتها أن تمشي إلى الجانب الخلفي من المنزل، حتى باب غرفة المرافق. لطالما اعتادت الدخول من هذا الباب بعد عودتها من الجري، فتتجنَّب تلطيخ الصالة بالوحل والأوساخ. لا يمكن أن تتضايق من التمدد: كل ما تريد فعله هو الدخول والاسترخاء على الأريكة قبل أن تتغلب عليها الأفكار الخاصة بمتعلقات كريستين التي اختفت إلى الأبد. تكسَّر الثلج المتساقط حديثًا تحت قدميها. وبينما كانت تدور حول ركن الشرفة الخلفية، توقفت.

ترك شخص ما شيئًا على السجادة أمام الباب. لم تستطع معرفة ماهيته في البداية. وعندما اقتربت خطوة، لاحظت أنه إكليل دقيق أو زخرفة من نوع ما، فذهبت أفكارها نحو أعياد الميلاد، ربما بسبب الثلوج. لم تدرك أنها مصنوعة من دُمى رجل الكستناء حتى انحنت لالتقاطها. كانت مرتَّبة في شكل إكليل، وهي تمسك بأيدي بعضها بعضًا لتشكيل دائرة.

جفلت روزا، ونظرت حولها بحذر، لكنها لم ترَ أحدًا. كل شيء في الحديقة، من بينها شجرة الكستناء القديمة، كان مغطى بثلج جديد دون أي آثار. والآثار الوحيدة هي لأقدامها. نظرت خلفها نحو الإكليل، والتقطته بحذر، ثم دخلت. طُرِحَتْ عليها أسئلة بشأن دُمى رجل الكستناء وأهميتها المحتملة عددًا كبيرًا من المرات، ولم تستطع تذكُّر أي شيء باستثناء الدمى التي اعتادت كريستين وماتيلد صناعتها على مائدة العشاء كل عام. ومع ذلك، وبينما أسرعت صعود الدرجات نحو الطابق الأول وهي لا تزال في حذاءيها المبللين، وتنادي جليسة الأطفال، أحسَّت باختلاف ومرض كبير، وبطريقة لم تفهمها قطُّ.

عثرت روزا على جليسة الأطفال في غرفة كريستين الفارغة وهي تنظف السجادة حيث كانت الصناديق والأثاث. نظرت الفتاة بدهشة عندما أطفأت روزا المكنسة الكهربائية، ومدت يدها بالإكليل.

- أليس، من ترك هذا بالخارج؟ كيف وصلتْ إلى هنا؟

لكنَّ جليسة الأطفال لم تكن تعرف أي شيء. لم تر إكليلًا من قبل، ولا تعرف متى وُضِعَ خارج باب غرفة المرافق، أو من وضعه.

- هذا مهم يا أليس!

كرَّرت روزا أسئلتها، وأصرَّتْ أنَّ الفتاة المرتبكة لا بدَّ أنها رأت شيئًا ما. وباستثناء رجال شركة النقل، لم ترَ جليسة الأطفال أيَّ شخص منذ خروج روزا. ولم تدرك روزا أنها بدأت الصراخ طلبًا لإجابات لم تمتلكها جليسة الأطفال، إلى أن لاحظت الدموع في عينيْ أليس.

- أعتذر يا أليس. أنا آسفة جدًّا...

- يمكنني الاتصال بالشرطة. هل تودِّين أن أتصل بالشرطة؟

نظرت روزا إلى الإكليل الذي وضعته على الأرض لتحتضن جليسة الأطفال الباكية. تكوَّن الإكليل الصغير من خمس دمى من الكستناء مرتبطة بعضها ببعض بسلك فولاذي. بدت مثل تلك الدمى التي عرضتها عليها الشرطة، لكنَّ روزا لاحظت الآن أن اثنتين منهم أطول من الثلاثة الأخرى. وكأنَّ الدميتين الطويلتين هما الوالدان. أبوان من الكستناء يمسكان بأيدي أطفال من الكستناء، كما لو أنها أسرة ترقص في حلقة.

ومضت الفكرة في ذهن روزا. تعرَّفت معنى الإكليل، وفهمت على الفور سبب وضعه خارج بابها من بين جميع الأبواب، حتى تجده هي من بين جميع الناس. تذكرت متى شاهدتها أولًا ومن أعطاها إياها – ولماذا. بدا كل شيء واضحًا، لكنَّ الفطرة السليمة لا تزال تحاول إخبارها بأن هذا الشيء مستحيل. لا يمكن أن يكون هذا هو السبب. لقد مضى وقت طويل جدًّا.

- سأتصل بالشرطة الآن يا روزا. من الأفضل الاتصال بالشرطة.

- لا! لا تتصلي بالشرطة. أنا بخير.

تركت روزا أليس تذهب. وبينما نزلت إلى سيارتها وقادت مبتعدة، أحسَّت بأن شخصًا ما يراقبها؛ أن شخصًا ما كان يراقب منذ مدة طويلة جدًّا.

104

بدت القيادة إلى المدينة تستغرق دهرًا، مع تأخيرات لا نهاية لها. غيَّرت الممرات كلما استطاعت ذلك. عند المثلث، ثم بعدها بجانب حدائق القلعة، سارعت من خلال المعبر على الرغم من أضواء المرور الحمراء. عاد فيض الذكريات إلى ذهنها. استطاعت أن تتذكر بعضها على وجه اليقين، وبقي بعضها الآخر غامضًا، كما لو أن دماغها قطَّعها معًا لإعطاء المعنى الكامل للشيء كله. عند وصولها إلى الوزارة، تساءلت عن مكان إيقاف السيارة بشكل لا يلفت الانتباه إليها. وبعد أن تمكَّنت من العثور على مكان، أسرعت تجاه المدخل الخلفي. اتضح لها أنها نسيت بطاقة الدخول الخاصة بها، لكنَّ الحارس لوَّح لها.

- ليو، أحتاج إلى مساعدتك.

وفي مكتبها، وجدت سكرتيرتها في منتصف اجتماعها مع شابتَيْن تعرُّفتهما روزا كونهما عضوتَيْن جديدتَيْن في طاقم العمل. بدت دهشة ليو واضحة لرؤية روزا، وتوقف الحديث.

- نعم طبعًا. سنتابع حديثنا لاحقًا.

صرفت ليو المرأتين اللتين نظرتا إلى روزا بفضول وهما في طريقهما للخروج. اتضح لها أنها لا تزال في ملابسها الرياضية المبللة، والطين على حذائها.

- ما الذي جرى؟ هل أنت بخير؟

لم يكن لدى روزا الوقت لاستيعاب قلق ليو.

- أين فوجل وإنجلز؟

- لم يظهر فوجل اليوم، وأعتقد أن إنجلز يحضر اجتماعًا في مكان ما في المبنى. فهل أستدعيهما؟

- لا، لا يهم. ربما يمكننا العثور عليهما بأنفسنا. للوزارة الحق في الوصول إلى سجل المجلس الخاص بالأُسر الحاضنة والأطفال تحت الرعاية، أليس كذلك؟

- بلى... لماذا؟

- أحتاج إلى معلومات عن إحدى الأُسر الحاضنة. الشخص الذي أبحث عنه هو من مجلس أودشيرد. ربما يرجع التاريخ إلى عام 1986، لكنني لست متأكدة.

- عام 1986؟ حسنًا، لا أعتقد أن الملف سيكون ضمن المنظومة الرقمية...

- فلنحاول ذلك! اتفقنا؟

بدا القلق واضحًا على ليو، وشعرت روزا بالندم.

- يجب ألا تسألي عن السبب يا ليو. ساعديني فقط إذا سمحت.

- حاضر...

جلست ليو قبالة حاسوبها المحمول إلى الطاولة، ورمقتها روزا بنظرة ممتنة. سجّلت الدخول إلى السجل الخاص بمجلس أودشيرد، ومُنِحَتْ حق الوصول، وسحبت روزا كرسيًّا وحركته قريبًا من الشاشة.

قالت ليو: «كانت الأسرة الحاضنة تُسمّى بيترسن. عاشوا في أودشيرد، في 35 كيركيفج. اسم الأب بول، يعمل مدرِّسًا. والأم كيرستن، تعمل في الخزف.

تنقّلت أصابع ليو بسرعة من خلال لوحة المفاتيح وهي تكتب المعلومات.

- لا شيء آخر. هل لديكِ أرقام هوياتهم؟

- لا. لكنني أذكر أن لديهم ابنة بالتبنّي. روزا بيترسن.

بدأت ليو بكتابة رقم الهوية الذي أعطتها روزا إياها، لكنها توقفت مؤقتًا ونظرت إلى روزا.

- لكن هذا أنت، أليس كذلك؟

- بلى. ابحثي فقط. لا يمكنني إخباركِ بالموضوع، لكنْ عليكِ أن تثقي بي.

أومأت ليو برأسها، وواصلت البحث. وبعد ثوانٍ قليلة، وجدتا ما تبحثان عنه.

- روزا، رضيعة. وُلِدَتْ باسم جول أندرسن. وتُبنِّيَتْ من بول وكيرستن بيترسن...

- استخدمي أرقام هوياتهما الآن، وابحثي عن قضية ترجع إلى العام 1986.

نفَّذت ليو ما قالته لها روزا، وأعادت البحث. وبعد بضع دقائق من الكتابة، هزَّت رأسها.

- لا شيء من عام 1986. كما قلتُ، لم ينتهوا من رقمنة كل شيء، لذا ربما...

- جرِّبي عام 87 أو 85. يوجد صبيٌّ انضمَّ إلى أسرتنا، وكذلك أخته.

- هل تعرفين اسم الصبي، أو...

- لا، لا أملك أي معلومات. لم يبقيا هناك طويلًا. بضعة أسابيع أو أشهر...

استمرَّت ليو في الكتابة في أثناء المحادثة، لكنها توقفت. وتسمَّرت عيناها على الشاشة.

- ربما توصَّلتُ إلى شيء، في عام 1987. توك بيرينج، وشقيقته التوأم، أستريد.

رأت روزا أن ليو وصلت إلى صفحة فيها رقم ملف وبعض النصوص. كان الخط قديم الطراز، يكشف أن الملف قد كُتِبَ في الأصل على آلة كاتبة. الأسماء لا تعني شيئًا لها. ولا حقيقة أنهما توأم، لكنها تعرف أنهما يجب أن يكونا من تبحث عنهما.

- يبدو أنهما مكثا معكم لمدة ثلاثة أشهر قبل نقلهم.

- أين حُوِّلَا؟ أريد أن أعرف ما جرى لهما.

فسَحت ليو مجالًا كي تقترب روزا من الشاشة، وتتمكن من رؤية الملف القديم والقراءة بنفسها. وعندما انتهت من قراءة الصفحات المطبوعة الثلاث للمتخصص الاجتماعي، كان جسدها كله يرتجف. انهمرت الدموع على خديها، وأحسَّت كما لو أنها ستتقيأ.

- روزا، ماذا جرى؟ لا يعجبني هذا. هل أتصل بـ ستين، أو...

هزت روزا رأسها. التقطت أنفاسها، وأجبرت نفسها على قراءة النص مرة أخرى. هذه المرة لأنها تعتقد أنه لا بدَّ من وجود رسالة لها. شيء يريدها

صاحب إكليل الكستناء أن تفهمه. أم إن الأمر جاء بعد فوات الأوان؟ هل الرسالة المروِّعة ببساطة أن هذا هو سبب كل ما يجري؟ أستُعاقَب باضطرارها إلى العيش مع تلك المعرفة إلى بقية حياتها؟

في هذه المرة، أخذت روزا كل التفاصيل، وبحثت بشكل محموم عن أدلة عمَّا يجب فعله بعد ذلك. وفجأة فهمت. عندما وقعت عيناها على اسم المكان الذي أُخِذَ فيه التوأم. أصبحت الأمور واضحة، وأدركت أنه لا بدَّ لها من التوجه إلى ذلك المكان. لا بدَّ أن يكون هناك.

وقفت روزا، وحفظت العنوان الموجود في الملف.

- هل يمكنكِ أن تخبريني بالموضوع إذا سمحتِ يا روزا؟

لم تُجِبْ على ليو. اكتشفتْ للتو رسالة نصية من رقم غير معروف على هاتفها الذي وضعته على المكتب. كان رمزًا تعبيريًّا لشخص يضع إصبعه أمام فمه، وعرفتْ روزا أن عليها التزام الصمت إذا أرادتْ أن تعرف ما حدث لـ كريستين.



105

كان الثلج يتساقط بغزارة، والمناظر الطبيعية التي يراها هيس خلال الزجاج الأمامي كانت بيضاء وغير واضحة المعالم. وعلى الطريق السريع، كان الأمر محتملًا لأن جرَّافات الثلج كانت تتحرك صعودًا وهبوطًا، لكنه الآن انتهى من الطريق السريع «إي 47» وهو يقود سيارته في الطريق الريفي نحو فوردينجبورج، واضطُرَّ إلى ابطاء سرعته حتى 20 كيلومترًا في الساعة ليتجنَّب الاصطدام بالسيارات التي أمامه.

وفي طريقه للخروج من كوبنهاجن ومن خلال زيلاند، اتصل بالشرطة المحلية في ريسكوف ونيبورج، ولكنه لم يحصل منهم على مساعدة كبيرة. كانت المعلومات عن مقتل ريسكوف عام 2001 محدودة للغاية. ولوقوع الجريمة قبل سبعة عشر عامًا، كان اهتمام شرطة آرهوس بتحقيقاته محدودًا، ونُقِلَ ثلاث مرات قبل أن تشفق عليه شرطية وتنظر في القضية: جرى تصنيفها ضمن القضايا التي لم تُحَلْ، ووُضِعَتْ على الرف. لم تكن على دراية بالأمر شخصيًّا، لكنها كانت على استعداد لقراءة أجزاء من تقرير الحالة من خلال الهاتف. لم يُثْبِتْ أي منها فائدته. الضحية، مساعدة مختبر، كانت أمًّا عازبة، وفي ليلة الجريمة، وظَّفت شخصًا للاعتناء بطفلتها البالغة من العمر عامًا واحدًا لأنها كانت تنتظر صديقًا لتناول العشاء. وعندما وصل الصديق وجدها مطعونة حتى الموت على أرضية غرفة المعيشة، واتصل بالشرطة. وبعد ذلك بعامين، أُلغِيَتْ أولويات التحقيق وجرى تعليق القضية، نفد المشتبه فيهم، ولم يعد لديهم المزيد من الخيوط لمتابعتها.

وفي ما يخص قضية نيبورج منذ عام 2015، كان الوضع مختلفًا. كانت الضحية والدة طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات، ولا يزال التحقيق جاريًا. كان والد الصبي، صديقها السابق، المشتبه فيه الرئيسي. وصدرت مذكرة توقيف بالقبض عليه، لكنْ يُعتقَد أنه مختبئ في تايلاند. كان الدافع، على ما يبدو،

مزيجًا من الغيرة والمال. كانت للرجل «علاقات بعصابة من راكبي الدراجات النارية»، وكانت نظرية المحقق المحلي هي أنه تبع الضحية في سيارتها وراقب أفعالها مع لاعب كرة قدم محترف متزوج. وفي الطريق إلى المنزل، أجبرها على الوقوف في الحارة الجانبية للطريق، ثم ضربها أو طعنها بسلاح مجهول، واخترق دماغها من عينها اليسرى. ولأن هيس لم يرجِّح احتمال أن يكون صديق الضحية السابق الذي يُفترَض وجوده الآن في باتايا، مسؤولًا عن جرائم القتل الأخيرة في العاصمة، سأل المحقق عن احتمالات وجود أيٍ مشتبه فيهم آخرين. أيِ شخص كان على اتصال بالمرأة دون أن يكون صديقًا مُقرَّبًا أو صديقًا سابقًا أو قريبًا. لكنَّ المحقق لم يعتقد ذلك. وشعر هيس أن الرجل اعتبر السؤال نوعًا من النقد غير المباشر لعمله. قرر عدم الإلحاح. وبدلًا من ذلك، تطرق إلى مسألة الدمية المعلقة من مرآة الرؤية الخلفية في سيارة المرأة.

- عندما كانت تُجرى تحقيقات مع أشخاص، وعُرِضَتْ عليهم صورًا من مسرح الجريمة، هل نوَّه أي شخص بأي شيء لافت للانتباه؟
- كيف عرفتَ ذلك؟ لماذا تسأل؟
- هل يمكنكَ إخباري عن ذلك؟

تفاجأت والدة الضحية برؤية دمية لرجل كستناء تتدلى من مرآة الرؤية الخلفية. قالت إن الضحية كانت تعاني حساسية من الجوز منذ الطفولة، لذلك كان الأمر غريبًا بعض الشيء.

لم يحبِّذ المفتش التوصُّل إلى نهايات مجهولة، وبذل جهدًا لحل اللغز. كشف الاستجواب في روضة الأطفال أن أحد الفصول كان قد صنع دمى لرجال كستناء قبل أسبوعين، لذلك لم يكن مستبعدًا أن تضع الأم أحد إبداعات طفلها في السيارة بنفسها، على الرغم من حساسيتها. بعثت المعلومات قشعريرة في جسد هيس. مع أن نظرية المفتش بدت معقولة، فإنه لم يعتقد لحظةً أنها كانت صحيحة. لكنْ من كان ليهدر الوقت في التساؤل عن وجود رجل كستناء في سبتمبر أو أكتوبر؟ ربما لا أحد. شعر هيس لحظةً أن سؤاله فتح الباب أمام شكوك جديدة وفحص ذاتي للمفتش، فأسرع لإغلاقه مرة أخرى. لم يوجد سبب لإثارة ناقوس الخطر لأنه لا يمتلك أكثر من نظريات.

ومع عدم قدرته على بحث المزيد من المعلومات بشأن هاتين الحالتين في الوقت الحالي، تحوَّل هيس إلى الجنوب على أمل العثور على شخص لمناقشة القضية من مون. ومن حسن الحظ، كانت مون خاضعة لسلطة

فوردينجبورج في أقصى جنوب الدنمارك. لذلك، لم يكن مضطرًّا إلى خوض رحلة طويلة وصولًا إلى هناك. لكنه بدأ يندم على قراره. للسبب نفسه الذي منعه من الاتصال بــ تولين أو نيلاندر، وبينما كان يسير على الدرج الزلق لمركز شرطة فوردينجبورج، كان يشك في أكان سيُضطرُّ إلى ذلك. منذ لحظة مغادرته المطار، أدرك مدى صعوبة المهمة التي حددها لنفسه. حتى لو اتضح أن الشخص نفسه كان يقتل ويُرهِب النساء لعقود، فقد يستغرق الأمر وقتًا طويلًا لإثبات أن القاتل قد قضى كل هذا الوقت في ارتكاب الجرائم. إذا كان هذا صحيحًا على الإطلاق.

في منطقة الاستقبال المزدحمة في مركز شرطة فوردينجبورج، راح هيس يُوضِّح أنه يعمل مع قسم الجرائم الكبرى في كوبنهاجن، ويرغب في التحدث إلى رئيس الشرطة المحلي. كان مركز الشرطة مزدحمًا. يبدو أنها فوضى هناك، وحوادث اصطدام السيارات كثيرة ومستمرة، لكنه وُجِّهَ بودٍّ إلى أسفل الممر، وطُلِبَ منه السؤال عن برينك.

دخل هيس مكتبًا قذرًا ومفتوحًا فيه رجل ذو شعر أحمر يبلغ من العمر نحو ستين عامًا، ووزنه مائة كيلوجرام، يرتدي معطفه ويتجاذب أطراف الحديث على هاتفه.

- اترك قطعة الخردة في مكانها إذن في حال لم تعمل. أنا في الطريق!

توقَّف الرجل وتقدم نحو المدخل، دون أن يُظهِر أي علامة على التنحي لهيس.

- يفترض بي الحديث مع برينك؟

- أنا في طريقي للخروج. عليك الانتظار حتى يوم الاثنين.

سارع هيس لإخراج شارة الشرطة الخاصة به، لكنَّ الرجل تجاوزه فعلًا واتجه نحو الممر، مرتديًا سترة باركا الخاصة به.

- الأمر مهم. لديَّ بعض الأسئلة عن إحدى القضايا، و...

- أنا متأكد من ذلك. لكنني سأذهب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. اسأل في مكتب الاستقبال. أنا متأكد من أنهم سيقدمون لك المساعدة. مع السلامة!

- لا أستطيع أن أسأل مكتب الاستقبال. الأمر يتعلق بجريمة قتل في مون ترجع إلى عام 1989.

وقف برينك بجسده الضخم في منتصف الردهة. بقي متسمِّرًا لحظة وظهره ملتف، لكنه استدار بعد ذلك ونظر إلى هيس كما لو أنه رأى شبحًا.

106

مفتش الشرطة، برينك، لن ينسى التاريخ 31 أكتوبر 1989. كل شيء آخر في مسيرته الشرطية أصبح باهتًا مقارنة بذكرياته في ذلك اليوم. وها هو ذا الآن، بعد مضيٍّ كل هذه السنوات الطويلة، يجلس متأثرًا بجثته الضخمة قبالة هيس في المكتب ذي الإضاءة الخافتة.

عندما وصل المحقق برينك إلى مزرعة أورَم بعد الظهر قبل عيد ميلاده التاسع والعشرين، كان يستجيب لنداء للمساعدة من المفتش ماريوس لارسن. كان لارسن، المعروف في تلك الأيام باسم «العمدة»، قد خرج لرؤية أورَم لأن جارًا أو اثنين اشتكيا من أن حيواناته كانت تتجوَّل في حقولهما. لم تكن تلك الحادثة هي الأولى من نوعها. أدار أورَم، وهو أب في الأربعينيات من عمره، مزرعة صغيرة، لكنه عمل أيضًا بدوام جزئي في محطة العبَّارات. لم يتدرب على الزراعة، ناهيك بالخبرة أو التفاني، وقال الناس إنه كان يحاول ببساطة كسب القليل من المال الإضافي من خلال تربية الحيوانات. اشترى المزرعة في مزاد قسري. ولما كانت الحيوانات والأكشاك ومناطق الرعي جزءًا من الصفقة، فقد حاول الاستفادة منها. لكنَّ الأمور، يا للأسف، لم تسر على ما يرام. وبشكل عام، كان «المال»، وربما «نقص المال»، هو ما يتبادر إلى الذهن في أغلب الأحيان عندما تتحول المحادثة إلى أورَم. اعتقد بعض الناس أن نقص المال هو الذي جعل أورَم وزوجته يسجلان كأسرة حاضنة. في كل مرة يُرسَل فيها طفل أو شاب للإقامة في مزرعة أورَم، ذلك يعني وجود شيك لاحق لهذه العملية. وازداد العدد بمرور السنين. ربما شعر الآخرون في المجتمع الصغير في مون أن اللطف لم يكن عنصرًا سائدًا بين أفراد الأسرة ذات العقلية الاجتماعية. ومن ناحية أخرى، كان هناك شعور بأن الأطفال الذين أخذتهم أسرة أورَم تحت جناحها، سيستفيدون من البيئة المتاحة. الكثير من الهواء النقي والحقول والحيوانات، ويمكن للأطفال تعلم المساعدة وكسب

رزقهم. كان من السهل تعرُّف صغار أورَم، سواء كانوا متبنِّين أم أصليين، في المجتمع المحلي لأنهم كانوا يرتدون ملابس رثَّة مقارنة بزملائهم في الفصل. وكثيرًا ما يرتدون ملابس غير مناسبة لهذا الموسم. صحيح، ربما كانت الأسرة تميل إلى توفير المال. لكنْ في حالة الأطفال بالتبنِّي على وجه الخصوص، فإن هذا الخجل يعود إلى خلفياتهم المؤسفة. لذا، مع أن أسرة أورَم لم تكن محبوبة بشكل خاص، فإنها تتمتع بمكانة معينة، لأنها -بالمال أو من دون مال- كانت تفعل شيئًا جيدًا للأطفال الذين لم يكن لديهم الكثير في حياتهم. لطالما شوهِد أورَم مخمورًا بقدر زائد من البيرة في أثناء عمله في محطة العبَّارات، أو في سيارته القديمة أوبل المتوقفة إلى جوار الميناء. حسنًا، كان هذا حقه.

ومع هذه المعرفة المحدودة، وصل برينك وزميل آخر إلى المزرعة قبل نحو ثلاثين عامًا، إضافة إلى سيارة الإسعاف التي طلبها العمدة. كان الخنزير الميِّت خلف الجرار نذير حمَّام الدم الذي كان ينتظرهم داخل المنزل. أُطلِق النار على طفليْ أورَم المراهقيْن على مائدة الإفطار، وقُطِّعَتِ الأم إلى قطع صغيرة في الحمَّام، وفي الطابق السفلي وجدوا جثة ماريوس لارسن التي لا تزال دافئة التي قُتِلَتْ بعدة ضربات على الوجه بالفأس نفسها المستخدمة على الأم.

لم يكن أورَم هناك. كانت سيارته أوبل القديمة في الحظيرة، لكنَّ الرجل نفسه اختفى. ونظرًا إلى حقيقة مقتل لارسن خلال الساعة الماضية، فقد عرفوا أنه لم يكن في إمكانه الابتعاد، لكنهم بحثوا في كل مكان دون نتيجة. لم يعثروا على جثة أورَم بالمصادفة إلا بعد ثلاث سنوات من قِبل مالك جديد. كانت جثته غارقة في حفرة طينية خلف المزرعة مباشرة، حيث بدا أن أورَم قد انتحر ببندقية صيد. لا بدَّ أنه فعل ذلك قبل وصول برينك وزميله مباشرةً. وفقًا للطب الشرعي، كانت بندقية الصيد الموجودة في الحفرة هي نفسها المستخدمة على المراهقيْن في المطبخ، والخنزير في الفناء، وبهذا وُضِعَتِ النقاط على الحروف، وحُلَّتِ القضية.

- ماذا جرى؟ لماذا فعل أورَم ذلك؟

كان هيس يدوِّن ملاحظاته على مجموعة من أوراق الملاحظات الصغيرة، وراح ينظر إلى الشرطي على الجانب الآخر من المكتب.

- لم نتوصَّل إلى قرار أكيد. ربما شعوره بالذنب. افترضنا أنه كان بسبب ما فعلوه للأطفال بالتبني.

- أي أطفال بالتبنِّي؟

- التوأم. الأخوان اللذان وجدناهما في الطابق السفلي.

في البداية، أجرى برينك فحصًا سريعًا للتأكد أكان التوأم -الفتاة والصبي- حيين. ثم اعتنى بهما رجال الإسعاف، في حين ركز برينك وزميله على بدء البحث عن أورَم على الأرض مع وصول المزيد من الضباط إلى مكان الحادث. لكنْ عندما عاد برينك إلى الطابق السفلي، أدرك أن المكان ليس عاديًّا.

- بدا المكان كما لو أنه زنزانة مُزوَّدة بأقفال، وقضبان على النوافذ، وبعض الملابس، وبعض الكتب المدرسية، وفِراش. لا تودُّ أن تعرف الغرض الذي استُخدِم لأجله. وفي خزانة قديمة، وجدنا كومة من أشرطة الفيديو، لذلك سرعان ما عرفنا الحقيقة.

- ما الذي كان يجري؟

- ما المهم في ذلك؟

- الأمر مهم.

حدَّق برينك إليه، وأخذ نفسًا عميقًا.

- تعرَّضت الفتاة للإيذاء والاغتصاب. بدأ يوم وصولهما، واستمرَّ طوال الوقت الذي كانا فيه هناك. أنواع مختلفة من الجنس. مع أورَم نفسه، أو مع المراهقيْن- أجبرهما أورَم وزوجته على المشاركة. على أحد الأشرطة، سحبوا الفتاة إلى حظيرة الخنازير.

صمت برينك. فرك أذنه، ورمشت عيناه. ولمعت عيناه بشكل لم يخفَ على هيس ملاحظته.

- أنا رجل قادر على تحمُّل الكثير. لكنْ في بعض الأحيان، ما زلتُ أسمع ذلك الصبي يصرخ في والدته، محاولًا إقناعها بالتدخُّل.

- ماذا فعلت الأم؟

- لا شيء. كانت هي من يُصوِّر ما يجري.

بلع برينك ريقه.

- على شريط آخر، كان في إمكانك رؤيتها وهي تحبس الصبي في القبو، وتطلب منه أن يصنع دمى رجل الكستناء حتى ينتهي التصوير. وهو يُنفِّذ الأمر. في كل مرة، كان يجري الأمر تحت ناظريها. كان الطابق السفلي مليئًا بتلك الدمى الحقيرة.

تصوَّر هيس المشهد. حُبِسَ الصبي في غرفة في الطابق السفلي من قِبل والدته بالتبنِّي، وكانت أخته تُعذَّب على الجانب الآخر من الجدار. وفي لحظة، حاول هيس تخيُّل ما قد يفعله ذلك بعقل بشري صغير.

- أودُّ الاطلاع على الملف.

- لماذا؟

- لا أستطيع تزويدكَ بمزيد من التفاصيل، لكنني في حاجة إلى معرفة مكان الصبي والفتاة اليوم. وفي أسرع وقت ممكن.

وقف هيس على قدميه لتأكيد أهمية الأمر، لكنَّ برينك بقي جالسًا.

- لأنك تُعِدُّ ملفًا خاصًّا بأحد نزلاء الوحدة الآمنة في سلاجيلس؟

رفع برينك حاجبه كأنه يسأل أكان هيس يعتبره أحمقَ. كان هذا هو التفسير الذي قدَّمه هيس له عند وصوله. رأى أنه سيكون من الأسهل التوسُّع في كذبة واحدة بدلًا من بدء كذبة جديدة، لذلك قال إنه يساعد الشرطة الدنماركية على تكوين صورة عن نزيل في منشأة آمنة، لينوس بيكر الذي كان عقله مهووسًا بشكل غريب بصورة خاصة من قضية مون التي ترجع إلى العام 1989. كلما قلَّ الحديث عن هدفه الحقيقي كان ذلك أفضل.

- أعتقد أن الوقت قد حان لوقف هذا الهراء. أعطني اسم الضابط المسؤول عنك في فرقة الجنايات.

- الأمر مهم يا برينك.

- ما الذي يدفعني إلى مساعدتك في هذا الأمر؟ أعطيتكَ فعلًا نصف ساعة كان يجب أن أستغلها في مساعدة أختي على الخروج من الثلج.

- لأنني لست متأكدًا من أن أوزم هو من قتل زميلَك، ماريوس لارسن. أو أيًا من الآخرين في القضية.

حدق إليه الشرطي. وللحظة، اعتقد هيس أنه على وشك إطلاق ضحكة مدوية. لكنْ عندما أجاب برينك، لم تبدُ عليه المفاجأة، وبدا أنه كان يحاول إقناع نفسه.

- لا يمكن أن يكون الصبي. ناقشنا الأمر حينها، لكنَّ الأمر مستحيل. كان في العاشرة أو الحادية عشر من عمره فقط.

لم يُجب هيس.

107

كانت ملفات القضية عن الجريمة المروِّعة شاملة. عملية الرقمنة في أرشيف مركز شرطة فوردينجبورج كانت متقدمة بما يكفي ليتمكن هيس من قراءتها على الشاشة بدلًا من التقليب بين التقارير المتربّة مثل التقارير الموجودة حوله، مع أنه في الواقع يفضّل ذلك. وبينما استمع بفارغ الصبر للموسيقى المحفوظة على هاتفه، مسحت عيناه الأرفف، وذُهِلَ من المعاناة الإنسانية التي يجب أن توثّقها الدولة، منسية في المحفوظات والسجلات والخوادم في جميع أنحاء البلاد.

- أنت الرقم سبعة في قائمة الانتظار.

كان برينك قد تبعه إلى الطابق السفلي وفتح الأرشيف، وهو غرفة بُدائية قذرة بها صف طويل من الأرفف التي تحمل الصناديق والمجلدات. لم تكن هناك نوافذ، فقط مصابيح نيون قديمة الطراز، من النوع الذي رآه هيس آخر مرة في المدرسة. وكانت الغرفة تذكره بمدى كرهه الطوابق السفلية، والغرف الموجودة تحت الأرض.

كان حجم ملفات القضية هائلًا جدًّا، وفقًا لبرينك، لدرجة أن القضية كانت واحدة من أولى القضايا التي حُوِّلَتْ رقميًّا عندما بدأت العملية قبل بضع سنوات: أرادوا توفير المساحة. ولذا كان على هيس أن يقرأ القضية على الحاسوب القديم الصاخب في الزاوية. عرض برينك تقديم المساعدة، وكاد يصرُّ على البقاء، لكنَّ هيس فضَّل البحث في المواد دون مقاطعة. رنَّ هاتفه عدة مرات، من بين ذلك عدة مكالمات من فرانسوا، وخمَّن أن الفرنسي أدرك أنه لم يصل إلى بوخارست قطُّ.

كان هيس يعرف ما يبحث عنه في المواد، ولكنه متشوق إلى معرفة التفاصيل. كان وصف اللقاء الأول بين الضباط والتوأم مفعمًا بالحيوية. عُثِرَ

عليهما في حالة عناق في أحد أركان الطابق السفلي. كان الصبي يلف ذراعيه حول أخته التي بدت غير مبالية، كما لو أنها في حالة من الصدمة. وقاوم الصبيُّ بشراسة الحيوانِ البرِّي عندما فُصِلَا واصطُحِبَا إلى سيارة الإسعاف. أكد الفحص الطبي للطفلين الاعتداء والعنف الذي ظهر فعلًا في الطابق السفلي. وعندما حاولوا مقابلة التوأم، تبيَّن أن هذا أمر مستحيل. كان الصبي أخرس تمامًا. رفض أن ينبس ببنت شفة. من ناحية أخرى، أجابت الفتاة دون تحفُّظ، وربما دون فهم للأسئلة. أعلن الطبيب النفسي الحاضر آنذاك أن الفتاة تعيش في نوع من أنواع العالم الموازي؛ ربما في محاولة لقمع تجاربها. أعفى أحد القضاة الأطفال من المثول قبالة المحكمة، وبحلول ذلك الوقت أُرسِلَا فعلًا إلى أُسر حاضنة في أجزاء أخرى من البلاد. قررت السلطات فصلهما أملًا أن ينسى التوأم الماضي، ويبدأ من جديد. بالنسبة إلى هيس، لم يكن هذا قرارًا حكيمًا بشكل خاص.

أول شيء دوَّنه هيس على مجموعة أوراق الملاحظات إلى جانب الحاسوب كان اسمي التوأم، توكه وأستريد بيرينج، إضافة إلى أرقام الهوية. وبخلاف ذلك، لم يكن التقرير غنيًّا بالمعلومات عن خلفيتهما. نوَّهت إحدى المذكرات من موظف اجتماعي بأنه عُثِرَ عليهما تحت سلم دَرَج في مستشفى الولادة في آرهوس في عام 1979، ولم يتجاوز عمرهما بضعة أسابيع، ومنحتهما الممرضة اسميهما. ودون الخوض في التفاصيل، أشارت المذكرة إلى أن التوأم كانا يعيشان مع أُسر حاضنة أخرى قبل نقلهما إلى مزرعة الكستناء قبل عامين من وقوع جريمة حمَّام الدم. كان هذا هو اسم مزرعة أورَم. مع كل سطر قرأه، شعر هيس كما لو أنه يقترب من تفسير ما، لكنه بعد ذلك بحث عن أرقام هوية التوأم في سجل الشرطة لمعرفة مكانهما اليوم.

- أنت رقم -ثلاثة- في قائمة الانتظار.

يُظهِر سجل الشرطة الموسَّع، الذي يُراجِع قواعد بيانات مختلفة يُحتمَل أن تكون ذات صلة بعمل الشرطة، المكان الذي عاش فيه شخص معين ومتى. ويتضمن كل إدخال قائمة مرتبة ترتيبًا زمنيًّا لمساكن الشخص وتواريخ الانتقال، بالإضافة إلى معلومات عن أكان الفرد متزوجًا، أو مطلقًا، أو متهمًا بارتكاب جريمة، أو أُدين، أو رُحِّلَ، أو شارك بأي طريقة أخرى في أنشطة تهم الشرطة.

ما كان ينبغي أن يكون بحثًا روتينيًّا، تبيَّن أنه لغز جديد.

وفقًا لقاعدة البيانات، وبعد البقاء في مؤسسة حكومية للأطفال المحرومين، أعيد توكه بيرينج البالغ من العمر اثني عشر عامًا إلى أسرة حاضنة في لانجلاند. ثم واحدة في آلس، ثم ثلاث أُسر حاضنة أخرى قبل أن تتلاشى المعلومات بعد وقت قصير من عيد ميلاده السابع عشر. ببساطة، لم تكن هناك عناوين أو أحداث أخرى مرتبطة برقم هويته.

لو أن توكه بيرينج كان متوفى، لظهر ذلك في السجل. لكنَّ النظام لم يذكر أي شيء عن هذا الأمر، فاتصل هيس بقاعدة البيانات الوطنية للحصول على تفسير. لم تكن المرأة التي أجابت على الهاتف قادرة على تقديم معلومات إضافية، وكان التخمين الأفضل هو أن توكه بيرينج غادر البلاد.

انتهز هيس الفرصة للسؤال عن الأخت، لكنها لم تستطع إثراء معلوماته بشأنها أيضًا. جرى إرسال أستريد بيرينج إلى عدة أُسر حاضنة بعد إقامتها في مزرعة الكستناء، لكن من الواضح أن المتخصصين الاجتماعيين وعلماء نفس الأطفال غيَّروا استراتيجيتهم مع الفتاة، لأنهم نقلوها من نظام الحضانة إلى دُور مختلفة للصغار المصابين بأمراض عقلية.

من سن الثامنة عشرة إلى السابعة والعشرين، كان عنوانها غير مُسجَّل، وهذا ما قد يعني أنها كانت في الخارج، لكنْ بعد ذلك تبعت دارٌ للمرضى العقليين دارًا أخرى. وقبل أقل من عام بقليل، عندما كانت في الثامنة والثلاثين من عمرها، اختفتْ. اتصل هيس بأحدث عنوان لها، لكنَّ المكان أصبح تحت إدارة جديدة منذ ذلك الحين، ولم تكن لديهم أي فكرة عن المكان الذي ربما ذهبت إليه أستريد بيرينج بعد تخريجها.

- أنت رقم -اثنان- في قائمة الانتظار.

لذلك اختار هيس الطريقة الصعبة: اتصل هاتفيًّا بجميع الأُسر الحاضنة السابقة للتوأم لمعرفة أكانوا قد سمعوا عن أي منهما خلال السنين الماضية، وعن أي معلومات بشأن مكان إقامتهما. بدأ هيس وفق التسلسل الزمني -قبل إقامتهما في مزرعة الكستناء- لكنه لم يصل إلى أي معلومات. بدت الأُسر الحاضنة متعاونة، لكنْ لم تمتلك أي معلومات عن التوأم، لذلك انتقل هيس نحو الأسرة الحاضنة رقم ثلاثة.

- مجلس أودشيرد، إدارة الأُسر، كيف يمكنني مساعدتك؟

كان خط الهاتف الأرضي القديم لأسرة بيترسن الحاضنة من أودشيرد مقطوعًا، فاتصل هيس بالمجلس. قال بأنه يبحث عن بول وكيرستن بيترسن، المقيمين في كيركيفي 35 في أودشيرد – ويأمل أن يتمكنوا من تزويده ببعض المعلومات عن توأم كانا تحت رعايتهما في عام 1987.

- هذا الأمر مستحيل، إلا إن كان لديك خط اتصال مع الآخرة. وفقًا لما هو مكتوب على الشاشة، مات بول وكيرستن بيرتسن. تُوفِّي الزوج قبل سبع سنوات، وتوفيت الزوجة بعد ذلك بعامين.
- كيف ماتا؟

استفسر بحكم العادة، لكنَّ صوت الموظفة المتعبة على الهاتف أكد بأنها لا تملك هذه المعلومات. ولمَّا كان عمر الزوجين هو الرابعة والسبعون والتاسعة والسبعون على التوالي، وتُوفِّيا بفارق بضع سنوات، إذن لا بدَّ أن الإجابة لن تكون مفيدة على أي حال.

- ماذا بشأن الأطفال؟ هل كان لديهما أي أطفال يعيشون هناك في ذلك الوقت؟

طرح هيس سؤاله لأنه رجَّح أن يكون الأشقاء أو الأشقاء بالتبني قد بقوا على اتصال، حتى لو لم يعد الوالدان حيين.

- لا، ليس حسبما أرى.
- حسنًا، شكرًا. وداعًا.
- آه انتظر، انتظر. رعيا طفلة فعلًا، ويبدو أنهما تبنَّياها. روزا بيترسن.

كان هيس على وشك إنهاء المكالمة عندما استوعب ما قالته الموظفة. ربما يكون الأمر مجرَّد مصادفة، وغرائزه تخبره أن هناك آلاف الأشخاص الذين يحملون هذا الاسم الأول. ومع ذلك:

- هل لديكِ رقم هوية روزا بيترسن؟

أعطته الموظفة الرقم، وطلب منها الانتظار قليلًا ريثما يشغل جهاز الحاسوب الخاص به. بعد لحظات، تفحَّص قاعدة البيانات، واكتشف أن روزا بيترسن تزوَّجت منذ خمسة عشر عامًا، وغيرت اسمها إلى اسم زوجها. تبدَّدت كل الشكوك الآن. روزا بيترسن هي روزا هارتونج. تململ هيس في مقعده.

- ما الذي توضِّحه المعلومات عن إقامة التوأم مع أسرة بيترسن؟

- لا شيء. كل ما يمكنني رؤيته هو أن أسرة بيترسن رعتهما لمدة ثلاثة أشهر.

- لماذا لم تكن المدة أطول؟

- الأمر غير مذكور هنا. وقد انتهى وقت عملي.

عندما أغلقت الموظفة الهاتف، كانت السماعة لا تزال على أذن هيس. أمضى التوأم ثلاثة أشهر فقط في أودشير مع أسرة بيترسن وابنتهما بالتبني روزا. وأُرسِلا بعد ذلك إلى أسرة أورَم في مون. لم يضف ذلك إلى معلومات هيس شيئًا. لكنه أصبح متأكدًا الآن من الصلة: أسرة بيترسن، والصبي في قبو مزرعة الكستناء، ودمى رجال الكستناء التي وُجِدَتْ مع الضحايا، والضحايا المشوهون ليبدوا كالدمى – قاتل يصنع لنفسه رجل كستناء من أجزاء جسم الإنسان.

ارتجفت أصابع هيس والصور تدور في رأسه، محاولًا ترتيبها. كان كل شيء مرتبطًا بــ روزا هارتونج منذ البداية. مرارًا وتكرارًا قادتهم البصمات نحوها، مع أنه لم يفهم السبب، ولكنَّ هذا ما كان يبحث عنه. دفعته هذه الفكرة إلى الوقوف على قدميه، لكنَّ الدنيا أظلمت في عينيه عندما أدرك ما سيحدث بعد ذلك.

وعلى الفور، اتصل بــ روزا هارتونج. استُبدِلتْ بنغمة الاتصال البريدَ الصوتيَّ الخاصَّ بها قبل أن يقطع الاتصال. كان على وشك المحاولة مرة أخرى، عندما تلقى مكالمة من رقم غير معروف.

- أنا برينك. أعتذر عن المقاطعة. سألتُ في المنطقة، لكنْ لا أحدَ يعرف حقًا ما حلَّ بالتوأم.

- هذا جيد يا برينك. أنا مشغول الآن.

عرض برينك مساعدة هيس على الاتصال بالمجلس، ووافق هيس لإبعاده عن الطريق، فمن المزعج أن يتلقَّى منه اتصالًا آخر.

- لا توجد الكثير من المعلومات في النظام. وخاصة عندما يتعلق الأمر بالصبي. لقد سألتُ للتوِّ أصغر فتاة لأختي التي كانت في المدرسة مع التوأم، لكنها لم تلتقِهما عندما أقيم احتفالُ لمِّ الشمل في المدرسة قبل بضع سنوات.

- أنا مشغول يا برينك!

أغلق هيس الخط، وأجرى مكالمة أخرى وهو واقف بفارغ الصبر إلى جوار الكمبيوتر. لكنَّ روزا هارتونج لم تجبه. ترك رسالة، وقرر الاتصال بزوجها، لكنه تلقَّى بعدئذٍ رسالة نصية. في البداية اعتقد أنها روزا هارتونج، لكن الرسالة كانت من برينك، ونصُّها: «هذه صورة الفصل «5 إيه» من العام 1989. لا أعرف أكانت مفيدة أو لا. تقول ابنة أخي إن الفتاة كانت مريضة في يوم التقاط الصورة، لكنَّ الصبي هو الشخص الموجود في أقصى اليسار».

سارع هيس لنقر الصورة المرفقة لاستعراضها. يوجد أقل من عشرين طالبًا في الصورة الباهتة، ربما لأنها مدرسة ريفية. يقف صف من التلاميذ، وجلس آخر على الكراسي في المقدمة. كانوا يرتدون ألوان الباستيل. كان شعر بعض الفتيات مجعَّدًا مع حشوات للكتف، في حين ارتدى الأولاد أحذية ريبوك وسترات كابا أو لاكوست. في الصف الأمامي، تجلس فتاة سمراء ترتدي أقراطًا كبيرة، وتحمل لافتة صغيرة عليها الاسم «5 إيه»؛ معظم التلاميذ كانوا مُبتسمين للكاميرا، كما لو أن شخصًا ما، وربما المصور، قال للتو شيئًا مضحكًا. لكنْ، بمجرد أن تراه، فإن الصبي الموجود في أقصى اليسار هو الذي يلفت انتباه المشاهد. لم يكن طويل القامة بالنسبة إلى عمره. لم يكن متطورًا كبقية الأولاد. وملابسه قذرة ومُهترئة. لكنَّ عينيه ثاقبتان. كان يحدق مباشرة إلى الكاميرا بوجه خالٍ من أي تعابير، كما لو أنه الوحيد الذي لم يسمع النكتة.

حدَّق إليه هيس. الشعر، وعظام الوجنتين، والأنف، والذقن، والشفتين. كل المزايا التي تتغير جذريًّا خلال مرحلة المراهقة. أحسَّ هيس أنه يعرفه، لكنه لم يكن واثقًا. وعندما قرَّب الصورة ليغطي وجه الصبي بحيث لا تظهر سوى عينيه، حينها فقط عرف من هو. يمكنه أن يراه، لكنَّ الأمر بدا أشبه بالمستحيل. وعندما اتضحت الصورة، كانت فكرته الأولى أن الأوان قد فات للمقاومة.

108

كعباها نحيفان ورقيقان، ومناسبان تمامًا لأحذيتها ذات العقب العالي التي يحبُّ مشاهدتها في لحظات كهذه، عندما يسمح لها بمغادرة غرفة الصحافة أولًا والسير أمامه في الممرّ. استدارت وقالت له شيئًا، وأومأ نيلاندر برأسه مسرورًا، وكان في الحقيقة يفكر في كيفية بدء العلاقة الغرامية التي قرر إقامتها معها فعلًا. قد يبدأ الأمر بسهولة في وقت لاحق من اليوم. ربما يدعوها إلى القهوة في أحد بارات الفنادق القريبة حول محطة القطار، ليتمكّنا من مناقشة المستقبل. سيشكرها على مجهوداتها، ويهتم بخياراتها كمستشارة اتصالات مع الشرطة. ولكنه إن أحسن التصرُّف، فلن يستغرق منه الأمر الكثير من المداعبة حتى تذهب معه إلى إحدى الغرف لمدة ساعة أو ساعتين قبل أن يُضطَرَّ إلى العودة إلى منزله، ليمزج بعض المشروبات في لقاء الجمعة المعتاد مع زوجته. قرر نيلاندر منذ مدة طويلة أنه لا يزال يحب زوجته –على الأقل، كان يحب فكرة الحياة الأسرية– لكنَّ زوجته لديها الكثير من المشاغل مع الأطفال ومجلس المدرسة والواجهة العامة، لذلك لم يرَ ضيرًا من الاستمتاع ببعض الحرية السرية. واليوم، على وجه الخصوص، لا يمكنه التخلص من الشعور بأنه يستحق مكافأة بعد الأسبوع الذي قضاه.

انتهى المؤتمر الصحفي الأخير، وقد انتهوا أخيرًا من عرض القضية على الجمهور– وكانت النتيجة التي أرادها نيلاندر. قلة من الناس يفهمون مدى جودة العمل المتوازن في وسائل الإعلام، لكنَّ نيلاندر أدرك منذ مدة طويلة كيف يمكن استخدام بيان عام جيد الحكم لتمهيد الطريق للأجندات الأخرى. سواء في مركز الشرطة، أو مكتب المدعي العام، أو وزارة العدل. وأحسَّ بأن وضعه الداخلي قد نما مع كل دقيقة يظهر فيها على الشاشات ومنصات الوسائط المتعددة. أخرس جميع منتقديه، ولن يهتم كثيرًا إذا اعتقد الناس أنه دفع نفسه بعيدًا في دائرة الضوء. شخصيًّا، كان يعتقد أنه كان كريمًا بمديحه

فريقَه، وخاصة تيم يانسن، مع أنه لم يكن من الضروري لفت الانتباه إلى هيس أو تولين. وجدت تولين الأطراف المبتورة طبعًا، لكنها من ناحية أخرى تحدَّته بالذهاب لرؤية لينوس بيكر. وفي هذا الصباح بالذات، كان يفكر أنه سيكون من الجيد إبعادها عنه. حتى لو إلى المركز الوطني لمكافحة الجرائم الإلكترونية. سرعان ما ستمتلئ دائرته بالكوادر الجديدة، وقد يحظى بكثيرات من أمثالها، مع أن هذه المرأة الصغيرة والغريبة لديها شيء مميز وخاص بها.

من ناحية أخرى، لم تكن لديه أي ذكرى طيبة مع هيس. لقد أشاد به طبعًا في حديثه مع بعض الرؤساء في اليوروبول، لكنْ فقط للتخلص منه. لم يظهر هيس في مركز الشرطة ولو مرة واحدة منذ أن حُلَّتِ القضية. وكان على نيلاندر أن يطلب من تولين والآخرين كتابة تقارير كانت أصلًا من مسؤولية هيس. لذا، من الجيد أن الرجل في طريقه الآن خارج البلاد. ولكنه تفاجأ باتصال هيس على هاتفه المحمول.

فكَّر في البداية في رفض المكالمة، لكنه أدرك بعد ذلك سبب اتصال هيس، ووجد نفسه يتطلع إلى المحادثة. قبل بضع دقائق، أخبره أحد الزملاء أن رجلًا فرنسيًّا من اليوروبول اتصل وسأل أكان أي شخص يعرف سبب عدم ظهور هيس حسب الاتفاق، لكنَّ نيلاندر كان بالكاد يستمع. لم يهتم. أما الآن، فهو يتخيل أن هيس سيشرح كيف فاتته رحلته إلى بوخارست، ويتوسل لنيلاندر للاتصال بـ لاهاي مع بعض الأعذار لحفظ ماء الوجه. لكنَّ هيس يستحق الطرد. وبينما كان نيلاندر يلتقط الهاتف، تساءل كيف يمكنه التأكد من أن الرجل لن يعود إلى ملعبه.

بعد ثلاث دقائق وثمانٍ وثلاثين ثانية، انتهى الحديث. ظهرت هذه المدة على الشاشة، وحدق إليها نيلاندر بلا مبالاة. فتح الاتصال هوَّة سحيقة تحت قدمي نيلاندر. لا يزال دماغه يحتجُّ على ما أخبره به هيس قبل إغلاق الهاتف، لكنه يعلم في أعماقه أنه قد يكون مصيبًا. أدرك أن مستشارة الاتصالات ذات الفم الصغير واللطيف ما زالت تتحدث إليه، لكنه بدأ بالهرولة. وفور وصوله إلى قسم الشرطة، اتجه إلى أقرب محقق وطلب منه جمع فريق العمل، والاتصال بـ روزا هارتونج حالًا!

109

كان ستين هارتونج غارقًا في الثلج الذي بدأ يتساقط مرة أخرى في الضواحي التي كان يبحث فيها. كانت المشروبات الكحولية في الزجاجات الصغيرة وحدها ما تمنحه الدفء، لكنها بدأت النفاد. وذكَّر نفسه بضرورة التوقف عند محطة الوقود في بيرنستورفسفيج. مشى فوق مسار حديقة آخر مليء بالثلوج، متجاوزًا موكبًا آخر من قرع الهالوين المغطَّى بالثلوج، وقرع جرس باب آخر. وبينما كان ينتظر، ألقى نظرة سريعة من فوق كتفه على آثار أقدامه في الثلج. وعلى الندف البيضاء الثقيلة التي تدور حول الحي كما لو أنها في كرة زجاجية ثلجية. بعض الأبواب تفتح، وبعضها الآخر لا. ووفقًا لمدة الانتظار، فسيكون هذا الباب مغلقًا في وجهه. ومع ذلك، وبينما استدار وبدأ نزول الدرج، سمع الباب خلفه مفتوحًا. كانت العيون التي التقاها مألوفة. مع أنه شخص غريب، لكنَّ ستين شعر بأنه يعرف الرجل. لكنه متعب، وقد مشى لساعات دون نتيجة، وجعله الإرهاق يشك في نفسه. في مكان ما بالداخل، أدرك أن الغرض الوحيد من بحثه هو تخفيف الألم الذي يشعر به. تفحَّص الخرائط، وقرع الأبواب، وأدرك في قلبه أن كل ما يفعله لن يوصله إلى شيء.

وبينما راح ينظر إلى عيني الرجل، بدأ يتلعثم في سبب مجيئه. أولًا، شرح الموقف، ثم تكلم عن أمله أن يكون الرجل قادرًا على تذكر أي شيء، أي شيء على الإطلاق، بخصوص وقت ما بعد ظهر يوم 18 أكتوبر من العام الماضي. وأن ابنته، ربما، زارت الحيَّ الواقع في هذا الشارع بالضبط. رافق ستين كلماته مع صورة لابنته التي أصبح وجهها الآن رطبًا برقائق الثلج، وألوانها تتدفق مثل الماسكارا الملطخة. ومع ذلك، وقبل أن ينتهي ستين، هز الرجل عند الباب رأسه. تردد ستين لحظة وحاول مرة أخرى، لكنَّ الرجل هز رأسه مجددًا ليغلق الباب. وفجأة، فقد ستين السيطرة على نفسه.

- أتذكر أنني رأيتكَ سلفًا. من أنت؟ أنا متأكد أنني رأيتك!

حمل صوت ستين بعضًا من الشك، كما لو أنه تعرَّف مشتبهًا فيه، ووضع قدمه أمام الباب حتى لا يتمكن الرجل من إغلاقه.

- أنا أتذكركَ أيضًا. ليس هذا غريبًا. قرعتَ جرس بابي يوم الاثنين، وطرحت عليَّ الأسئلة نفسها بالضبط.

استغرق ستين لحظة حتى أدرك أن الرجل على حق. وبصوت خائف، سمع نفسه يعتذر، وهو يبتعد عن عتبة الباب ونحو الطريق. ومن خلفه، سمع الرجل يسأل أكان على ما يرام. لكنَّ ستين لم يرد. ركض خلال العاصفة الثلجية البيضاء، ولم يتوقَّف حتى وصل إلى السيارة في نهاية الشارع حيث زلَّت قدمه، واضطُرَّ إلى الإمساك بغطاء المحرك حتى لا يسقط. جلس في المقعد الأمامي، وانفجر بالبكاء كالطفل في كآبة السيارة المغطاة. بدأ هاتفه الاهتزاز في جيبه الداخلي، لكنه تجاهل ذلك. فقط عندما خطر على باله أنه قد يكون جوستاف، أجبر يده على العثور على الهاتف، وأدرك أنه تلقَّى الكثير من المكالمات الفائتة. أحس بالخوف. رد على الاتصال، لكنه لم يكن جوستاف. كانت جليسة الأطفال. أخبرته غريزته بأن يغلق الهاتف دون أي كلمة. لكنْ كانت أليس تتحدث عن ضرورة العثور على روزا فورًا. وأنه يوجد خطب ما. لم يستوضح ما تعنيه، ولكنَّ كلمات «رجل الكستناء» و«شرطة» أخرجته من كابوس واحد في ذلك الشارع إلى كابوس آخر.

110

مرَّت ثلاث سيارات شرطة مع صفارات إنذار لإفساح الطريق. جلس نيلاندر في قافلة السيارات في الخلف. وطوال الطريق إلى خارج المدينة، كان عقله يحاول استيعاب ما أخبره به هيس. حدَّق مرارًا وتكرارًا إلى صورة الفصل الدراسي التي أرسلها هيس إليه، ومع أنه يتعرَّف الوجه الطفولي في أقصى اليسار، فإنه لا يستطيع تصديق ذلك تمامًا.

وقبل وصولهم بقليل، أُطفِئت صفارات الإنذار لتجنب تنبيه المشتبه فيه. وعندما توقَّفت سيارات الشرطة خارج مبنى قسم الطب الشرعي، توزَّع الرجال على النحو المتفق عليه. وفي غضون خمس وأربعين ثانية، أصبح المكان محاطًا بالكامل. وعندما بدأ الأشخاص الفضوليون الظهورَ من النوافذ في المبنى الذي يشبه المكعب، خاض نيلاندر خلال الثلج تجاه المدخل الرئيسي، حيث لا يظهر أي شيء خارجًا عن المألوف. صدحت موسيقى ناعمة في منطقة الاستقبال، وتبادل الناس خطط عطلة نهاية الأسبوع مع زملائهم على سلة الفاكهة على المكتب. وعندما أخبرتهم موظفة الاستقبال التي تفوح منها رائحة عطر الليمون أن جينز في اجتماع رُتِّبَ له على عجل في مختبره، بدأ نيلاندر إطلاق الشتائم في سرِّه لأنه استمع لهيس، وأثار ناقوس الخطر.

تجاهل نيلاندر ارتداء الأغطية البلاستيكية الزرقاء للأحذية بسبب المطر. وبينما حدق فنِّيُّو المختبر بجدية من منصات العمل ذات الجدران الزجاجية، سار نيلاندر وثلاثة محققين تجاه المختبر الذي لطالما زاره كلما أراد الاطمئنان على سير التحقيقات، وأن الدليل هو في الواقع حسب الوصف الوارد في التقارير أو المحادثات الهاتفية.

لكنَّ المختبر فارغ. وكذلك الحال بالنسبة إلى مكتب جينز الخاص المجاور له. ومع ذلك، فإن الحالة الطبيعية في كلتا الغرفتين مريحة؛ كل

شيء نظيف ومرتب، وكوب بلاستيكي يحتوي على بضع قطرات أخيرة من القهوة يقف بهدوء على المكتب أمام الشاشة الكبيرة.

يبدو أن موظفة الاستقبال التي تبعتهم إلى المختبر، لم تكن مدهوشة من غياب مديرها، وقالت بأنها ستعثر عليه. وبمجرد رحيلها، بدأ نيلاندر في التخطيط لكيفية جعل حياة هيس ومسيرته المهنية أكثر صعوبة انتقامًا من الحرج الذي أوقعه فيه. عندما سيصل جينز، سيشرح له الموقف. قد يضحك، وقد يقول بأنه ليس الشخص الموجود في الصورة. لأن اسمه ليس توكه بيرينج، ولم يقضِ سنوات حياته في التحضير للانتقام. وأنه طبعًا ليس القاتل المريض كما يدَّعي هيس.

ولكنه رآها بعد ذلك. خلال وقوفه في المختبر، وعيناه تمسحان الغرفة، راح يلقي نظرة على مكتب جينز والأشياء الموجودة على المكتب التي لم يلاحظها عندما دخل أول مرة. كانت بطاقة هوية جينز، ومفاتيحه، وهاتف العمل، وبطاقة الوصول، موضوعة بدقة على السطح المكشوف للمكتب كما لو تُخلِّيَ عنها، ولن تُستخدَم مرة أخرى. ومع ذلك، لم يكن هذا ما أرعبه. كانت دمية «رجل الكستناء» الصغيرة والبريئة المتوَّجة على علبة أعواد الثقاب بجانبها.

111

عندما وصل هيس إلى نيلاندر، انضم إلى آخر الرتل المتجه على الطريق السريع نحو كوبنهاجن. حاول الاتصال عدة مرات فعلًا، ولكنَّ الأحمق لم يُجِبْ على اتصالاته حتى الآن، ومن الواضح أنه لم يكن في مزاج جيِّد للثرثرة.

- ماذا تريد؟ أنا مشغول!
- هل وجدتَهم؟

كان المختبر فارغًا. لا توجد أي علامة على جينز، باستثناء التوقيع الذي تركه لتحية مطارِدِه. في البداية اعتقد فريق عمله أنه في مؤتمر جوتلاند، لكنْ عندما استفسروا عن الأمر، تبيَّن أن جينز كان متغيِّبًا.

- ماذا عن عنوان منزله؟
- نحن فيه الآن. شقة بنتهاوس كبيرة في مجمع جديد في نوردهافن. لكنها فارغة. وأعني بفارغة أننا لم نجد أثاثًا، ولا أي شيء. ولا حتى بصمة إصبع، كما أعتقد.

لا يستطيع هيس رؤية أكثر من عشرين ياردة أمامه على الطريق السريع، لكنه ضغط بقدمه بقوة أكبر دواسة الوقود.

- لكنَّ روزا هارتونج معكم، أليس كذلك؟ المسألة كلها تدور حولها، وإذا كان جينز...
- لم نجدْ أحدًا. ولا يعرف أحد مكانها، وهاتفها مغلق. لذلك لا يمكننا تتبعه. زوجها لا يعرف أي شيء أيضًا. لكنْ يبدو أن جليسة الأطفال شاهدتها تقود سيارتها بعد أن وجدت نوعًا من الزخرفة المصنوعة من دُمى رجال الكستناء على عتبة الباب الخلفي.
- أي نوع من الزخرفة؟

- لم أرَه.

- لا يمكن تتبع جينز؟ هاتفه أو سيارته...

- لا. ترك هاتفه في مكتبه. ولا توجد وحدات تعقب في سيارات الطب الشرعي. هل لديك أي اقتراحات مفيدة؟

- ماذا عن الحاسوب في معمله؟ يمكن أن تكسر تولين الشَّفرة لنتمكن من تعرُّف محتوياته.

- لدينا فريق فعلًا يحاول الوصول إليه.

- اتصل بــ تولين! يمكنها حلُّ المسألة في...

- رحلت تولين.

حملت كلمات نيلاندر تجهُّمًا واضحًا. استطاع هيس سماع صدى خطواته هو والآخرين وهم يسيرون على بعض الدرجات في سلم، وخمن أن البحث في شقة جينز الفارغة قد انتهى.

- ماذا تقصد؟

- يبدو أنها ذهبت للبحث عن جينز في قسم الطب الشرعي، والتقته في وقت سابق اليوم. قال أحد التقنيين في المرأب إنه رآهما ينزلان من السلالم الخلفية، وركبا سيارة جينز وانطلقا قبل ساعتين. هذا كل ما أعرفه.

- قبل ساعتين؟ بالتأكيد حاولتَ الاتصال بها، إذن؟

- لم تُجِبْ. أخبروني للتو أنهم عثروا على هاتفها في حاوية خارج مبنى الطب الشرعي.

ضغط هيس المكابح، واتجه نحو الطرف الجانبي من الطريق السريع الذي تكسوه الثلوج. سمع أبواق التذمُّر من عدة سيارات، وبالكاد تجنَّب شاحنة في المسار الداخلي قبل أن يصل إلى الحارة الجانبية للطريق، ويوقف السيارة.

- لن يمسَّها جينز بأذى. ربما أوصلها إلى مكان ما. وربما تكون في المنزل، أو...

- اسمع يا هيس. لقد تحقَّقنا من الأمر. تولين مفقودة. هل لديك أي شيء مفيد؟ أي فكرة عن مكانها المحتمل؟

سمع هيس السؤال على وقع أصوات حركة المرور السريعة التي تجتازه. حاول إجبار نفسه على الخروج من حالة الشلل التي يعانيها، لكنَّ الشيء الوحيد الذي يتحرك كان مَسَّاحات الزجاج الأمامي التي تنزلق ذهابًا وإيابًا.

- هيس!

- لا. لا أعلم.

سمع هيس صوت باب السيارة، وانقطع الخط. مرت بضع ثوان قبل أن ينزل الهاتف عن أذنه. كانت السيارات تسير أمامه في الثلج، وتواصل ماسحات الزجاج الأمامي الصرير ذهابًا وإيابًا. كان عليه الاتصال بها. كان عليه الاتصال بها من المطار لحظة إدراكه وجود خطب ما. لو اتصل، لكانت الآن مشغولة بصور مسرح الجريمة المفضَّلة لبيكر، ولم تكن لتذهب لرؤية جينز. لكنه لم يفعل. والشعور العالق في حلقه يخبره بوجود أسباب لذلك أكثر مما يريد أن يعترف به.

حاول هيس التمسك بسلسلة أفكار عقلانية. ربما لم يفتِ الأوان. ليست لديه أدنى فكرة عن سبب زيارة تولين لجينز. لكن إذا ركبت السيارة معه عن طيب خاطر، فيجب أن يكون ذلك لجهلها بهُويَّته الحقيقية. لا يملك جينز أي سبب يدعوه إلى إيذائها، ناهيك بأي اهتمام بقضاء الوقت معها. ما لم تكتشف تولين شيئًا ما، فسعت إلى مساعدة جينز كحليف يمكنها الحديث إليه.

كانت الفكرة مرعبة. لكنَّ تولين لا تعدو كونها حجر عثرة في طريق جينز، ولن يغير تركيزه من أجلها. الأمر كله يتعلق بـ روزا هارتونج – لطالما كان الأمر كذلك. روزا هارتونج والماضي.

وفجأة عرف هيس ماذا يفعل. كان الأمر مجرَّد تخمين، وربما يكون إحساسًا أكثر من كونه فكرة عقلانية. لكنَّ الاحتمالات الأخرى إما غير مرجحة، وإما تُحُقِّقَ منها فعلًا من نيلاندر والمحققين الآخرين في كوبنهاجن. حدَّق خلفه إلى أضواء الضباب لصفوف السيارات التي تمر من أمامه التي تمنح الثلج المتساقط لونًا أسود. وفور عثوره على الوقت المناسب، ضغط دواسة الوقود فتأرجحت السيارة عائدة إلى الطريق السريع باحثًا عن ثغرة في حاجز الاصطدام. دارت العجلات، واعتقد للحظة أن سيارته ستدور جامحة كدبُّوس بولينج عالق. لكن بعد ذلك، داست العجلات الأسفلت، ومن خلال الحاجز المركزي إلى الطريق المقابل. لم ينظر حتى إلى السيارات، وراح ببساطة ينسلُّ وينزلق بين شاحنتين، وصحَّح جلسته عندما وصل إلى الحارة البطيئة.

قاد هيس سيارته عائدًا. وبعد ثوانٍ، وصل عداد السرعة إلى 140 كيلومترًا في الساعة، وبدا أنه الوحيد على الممر الخارجي السريع.

112

- يا له من يوم جميل لقضاء رحلة في الغابة. لكن، حسبما أرى، لا توجد هنا سوى أشجار الزان العادية.

كلمات جينز جعلت تولين أكثر اهتمامًا بالزجاج الأمامي والنوافذ الجانبية، لكن يبدو أنه على حق. حتى من دون الثلج، ربما كان من الصعب تعرُّف أشجار الكستناء. وبينما اكتست مون كاملًا باللون الأبيض، أصبح الأمر أكثر استحالة.

كانا يقودان السيارة في طريق ريفي ضيق ومتعرج. وجينز، الذي يجلس خلف عجلة القيادة، يلقي نظرة على ساعته.

- كان الأمر يستحق عناء المحاولة. لكنْ دعينا نرجع إلى الجسر. سأوصلكِ إلى محطة القطار في فوردينجبورج، ثم سأقود سيارتي إلى جوتلاند. اتفقنا؟

- بالتأكيد...

أدركت تولين أن الرحلة كانت بلا جدوى، فاسترخت في مقعدها.

- أعتذر. لقد ضيّعت وقتكَ.

- لا بأس. كما قلتِ، كنتُ متجهًا في هذا الطريق على أي حال.

حاولت تولين الاستجابة لابتسامة جينز، على الرغم من إحساسها الشديد بالبرودة والتعب. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا لتعقب الخبيرة التي ساعدت قسم الطب الشرعي على تحديد نوع الكستناء.

كانت إنجريد كالكه، أستاذة علم النبات في كلية العلوم الطبيعية بجامعة كوبنهاجن، شابة بشكل استثنائي بالنسبة إلى شهادتها. ربما تبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا. ولكنّ المرأة النحيلة كانت تتحدث بنبرة سُلطوية. عند حديثها معهما من مكتبها من خلال سكايب، أكدت أن الكستناء التي طُلِبَ

منها تعرُّفها كانت من نوع مختلف عن كستناء الحصان التي توجد غالبًا في الدنمارك.

- الكستناء التي صُنِعَتْ منه هذه الدُّمى هي نوع صالح للأكل. عادة ما يكون المناخ في هذا البلد باردًا جدًّا بالنسبة إلى هذا النوع، لكن يمكن العثور على بعض الأشجار بالقرب من منطقة ليمفيورد، على سبيل المثال. على وجه الدقة، هذا مزيج من الكستناء الأوروبي والياباني، ما يُعرَف باسم «كاستانيا ساتيفا إكس كريانتا». للوهلة الأولى يبدو أنها ماريجول، وهذا في حد ذاته ليس أمرًا غريبًا. الشيء غير العادي هو أنها قد هُجِّنَتْ مع النوع «بوش دي بيتيزاك». ويعتقد معظم الخبراء أن التركيبة الدقيقة قد انقرضت في هذا البلد. وآخر ما سمعتُه عنها كان منذ عدة سنوات، أن الأشجار القليلة الماضية قتلها مرض فطري معيَّن. لكنني أخبرتكَ فعلًا بكل هذا؟

غطَّت الأستاذة الشابة هذا الموضوع مع مساعدها الذي اتصل بها. ولاحظت تولين أن جينز كان صامتًا عندما ذكَّرتهما بذلك. من الواضح أنه شعر بإحراج لأنَّ قسْمه لم يُوصِل المعلومات إلى الشرطة من قبل.

لربما كان انتهى التحقيق عند هذا الحدِّ، لو لم تطرح تولين سؤالًا آخر.

- أين شوهِدَتْ أنواع «ماريجول-بيتيزاك» آخر مرة في الدنمارك؟

أجرت إنجريد بحثًا مزدوجًا مع زميل لها، واتضح أن أحدث أشجار الكستناء المسجلة من هذا النوع كانت من مواقع في مون، لكنها كرَّرت أن الصنف قد انقرض الآن. ومع ذلك، دوَّنت تولين بعناية المواقع المختلفة في الجزيرة قبل أن تودِّع الأستاذة. ثم اضطُرَّت إلى قضاء بعض الوقت في إقناع جينز الذي لم يفهم تمامًا أهمية الاكتشاف.

أوضحت تولين أنه إذا لم تكن الكستناء التي تحمل بصمات كريستين هارتونج كستناء حصان، فلا بدَّ أن مصدرها ليس كُشك الفتاة. وهذاما سيزيد القضية غموضًا أكثر مما مضى. لم يعد من الممكن منطقيًّا شرح كيف استطاعت بينيديكت سكانز وآسجر نيرجارد الحصول عليها. وبالتأكيد، لا يمتلكان بصمات كريستين هارتونج، وهذا سيلقي بظلال من الشك على قراءة نيلاندر للقضية. من ناحية أخرى، كانت تولين سعيدة لأن المشاهدات الأخيرة لهذا الصنف يمكن إرجاعها إلى أماكن قليلة نسبيًّا في الدنمارك، على وجه التحديد، إلى عدد قليل من المواقع في مون. إذا كان هذا الصنف نادرًا كما

ادعت الخبيرة، فقد تفتح هذه المواقع مسارًا جديدًا للتحقيقات. السيناريو الأفضل، أنها قد تقدم شيئًا جديدًا عن القاتل، أو عن كريستين هارتونج.

عند هذه النقطة، أدرك جينز أن تولين تعتقد بوجود احتمال بأن جرائم القتل لم تحلَّ. وأن هيس ربما يكون على حق بشأن براءة الزوجين الشابيْن من هذه الجرائم.

- أنتِ لا تصدقين ذلك. أنتِ تمزحين؟

في البداية، ضحك جينز ورفض أن يقلَّها إلى مون للبحث عن أشجار الكستناء. حتى بعد أن حاولت إخباره أن المكان في طريقه نحو جوتلاند. نوعًا ما، على أي حال. لكنه هز رأسه، حتى أدرك أنها ستفعل ذلك مهما حدث. ثم استسلم، وكانت ممتنة. جزئيًّا لأنها لم تكن تمتلك سيارة خاصة بها في ذلك اليوم، ولأنها قد تستفيد من مساعدته في تحديد هذا الصنف من أشجار الكستناء، على افتراض أنهما سيعثران عليه فعلًا.

من سوء الحظ، لم تسر الأمور كما كانت تأمل. قضى جينز وقتًا ممتعًا في الرحلة -على الرغم من تساقط الثلوج، تمكَّنا من إنهاء المهمة في غضون ساعة ونصف- لكن بمجرد وصولهما إلى المواقع التي قدمتها لهما الخبيرة، لم يكن هناك سوى جذوع قديمة مغطاة بالثلوج، وقُطِعَتِ الأشجار الأخرى منذ مدة طويلة لإفساح المجال أمام مشاريع سكنية جديدة. وفي محاولة أخيرة، أقنعت تولين جينز للقيادة بعيدًا عن الطريق الرئيسي والعودة تجاه جسر زيلاند، وهو ما قادهما على طول طريق ريفي تحدُّه غابة من جانب، وحقول من الجانب الآخر. لكنَّ الثلج جعل التقدُّم أكثر صعوبة بشكل مطرد. وعلى الرغم من محاولات جينز، فإنه أصبح من الواضح أن عليهما التخلي عن المهمة.

تحوَّل تفكير تولين إلى ابنتها وآكسل. لا بدَّ أن حفلة المدرسة قد انتهت منذ زمن طويل، فقرَّرت الاتصال بهما وطمأنتهما بأنها في طريقها إلى المنزل.

- هل رأيتَ هاتفي؟

حاولتِ البحث جاهدة في جيوب معطفها، لكنها لم تجد شيئًا.

- لا. لكنْ لديَّ نظرية بشأن كيفية ظهور الكستناء من أشجار نادرة في مون، وانتهاء الأمر بها في منزل هارتونج. ربما قامتِ الأسرة برحلة إلى مون، وجمعت بعض الكستناء لأخذها إلى المنزل؟

- نعم، ربما.

في المرة الأخيرة التي أخرجتْ فيها تولين هاتفها، كانت تضعه على المكتب في مختبر جينز. وتملكتها الحيرة لأنها نسيته، فهي لا تفعل ذلك عادة. كانت على وشك البحث في جيوبها مرة أخرى عندما صادفت عيناها شيئًا ما على جانب الطريق. لم تكن متأكدة للحظة، لكنَّ الصورة باقية في ذهنها. وفهمت بعدئذٍ ما الذي أرسل أفكارها في اتجاه آخر.

- قفْ! توقفْ هنا! قفْ!

- لماذا؟

- توقفْ! قفْ!

داس جينز بقدمه المكابح، وانزلقت السيارة قليلًا قبل أن تتوقف. فتحت تولين الباب وخرجت إلى الصمت. كان الوقت منتصف ما بعد الظهر، لكنَّ الشمس تغرب. إلى يمينها تُوجد الحقول الواسعة المكسوة بالثلج، ممتدَّة في الأفق حيث تتحد الثلوج بالسماء، وإلى يسارها الغابة، مظلمة وثقيلة. وهناك، بعيدًا قليلًا عن حافة الطريق، وقفت شجرة ضخمة. كانت أطول من الأخريات. جذعها سميك كالبرميل، ارتفاعها عشرون، ربما خمسة وعشرون مترًا، وهيكلها الضخم من الفروع مغطًى بالثلج. لا تبدو في الواقع مثل شجرة الكستناء. وبصرف النظر عن الثلج، كانت جرداء. ومع ذلك، كانت تولين متأكدة. اقتربت من الشجرة تحت الثلج المتساقط والهواء البارد. وبينما مشت تحت الأغصان، حيث لا يكون الثلج كثيفًا، أحسَّت بثمار مكوَّرة صغيرة تحت قدميها. لم تكن ترتدي قفازات، لذا، وبيديها العاريتين، حفرت في الثلج لالتقاط الكستناء المتساقط.

- جينز!

انزعجت لأن جينز ظلَّ واقفًا إلى جانب السيارة، ولم يكن بمثل حماسها. أزالت الثلج عن الكستناء، وبدت الكرات المتجمدة ذات اللون البني الداكن في يدها اليسرى كتلك التي تحمل بصمات كريستين هارتونج. حاولت تولين تذكُّر الخواص المميزة التي ذكرتها الخبيرة.

- تعالَ وانظر إلى هذه. ربما هذه هي!

- يا تولين، حتى لو كانت الكستناء نفسها، فهذا لا يُثبِتُ شيئًا. كان من الممكن أن تنزل أسرة هارتونج لرؤية المنحدرات، وتقود على طول

هذا الطريق في أثناء العودة إلى المنزل. وربما التقطت الفتاة بعض الكستناء من هنا.

لم تُجِبْ تولين. لم تشاهدها في المرة الأولى. لكنها الآن واقفة تحتها. أدركت أن الغابة لم تكن كثيفة كما كانت تعتقد. وإلى جانب الشجرة، هناك طريق يلتف بعمق في الغابة، والثلج يبدو غير ملوث تمامًا.

- دعنا نقود السيارة، ونلقي نظرة.

- لماذا؟ لا يوجد شيء هناك.

- وما أدراك. أسوأ ما قد يحدث لنا، هو أننا نعلق.

عادت تولين بسرعة إلى السيارة، وظل جينز واقفًا إلى جانب باب السائق. كان يراقبها. وبينما مرَّت به نحو الجانب الآخر، كانت نظراته مُثبَّتة على نقطة غير مرئية بعيدًا على الطريق الضيق المؤدي إلى الغابة.

- حسنًا إذن. إذا كان هذا حقًّا ما تريدينه.

113

خريف عام 1987

يدا الصبي متسختان، وترابٌ تحت أظفاره. يحاول بشكل أخرق أن يستخدم مخرزًا لحفر ثقب في الكستناء، وكان على روزا أن تعلِّمه الطريقة الصحيحة لفعل ذلك. لا تضرب، احفر. لُفَّ المخرز حتى يثقب لبَّ الكستناء. أولًا تحفر ثقبًا للرقبة في ثمرتي كستناء، ثم تربط نصف عود ثقاب بإحكام في إحداهما، قبل لصق الثمرة الأخرى في الأعلى. ثم استخدم المخرز مجددًا لتحفر ثقوبًا للذراعين والساقين – الثقوب العميقة هي الأفضل، لأنها تمنح أعواد الثقاب الثبات المطلوب.

نجحت الفتاة في ذلك أولًا. يبدو الأمر كما لو أن أصابع الصبي خشنة للغاية وغير حساسة. ومرة تلو الأخرى، تسقط الكستناء من يديه إلى العشب المُبلَّل، لذلك يتعيَّن على روزا أن تلتقطها له حتى يتمكن من المحاولة مرة أخرى. كانت روزا والفتاة تضحكان منه. ليس من باب السخرية، ولم يعتبرها الصبي كذلك. حسنًا، ربما في البداية، في المرات القليلة الأولى، عندما ذهبوا إلى الشجيرات تحت الشجرة الطويلة لجمع الكستناء مع الأم والأب. جلسوا بعدئذٍ في الحديقة الخلفية، كما هم الآن، على درجات منزل اللعب القديم بين الأوراق الحمراء والصفراء، وضحكت روزا من ارتباكه مع الكستناء. كان يبدو خائفًا، وكذلك أخته. ولكنَّ روزا ساعدتهما، فأدركا أن ضحكها لم يكن يعني شيئًا سيئًا.

– مرحى يا رجل الكستناء. أهلًا يا رجل الكستناء. هَب لي من خيرك ثمرة...

كانت روزا تغني هذه الأغنية، وهي تعلِّم الصبي ما عليه فعله، حتى انتهى أخيرًا من دميته، ووضعها على اللوح الخشبي إلى جانب دمى رجال الكستناء التي صنعوها. أخبرت التوأم أنه كلما صنعوا عددًا أكبر من هذه الدمى، استطاعوا

جني مزيد من المال من خلال بيعها في كشك على الطريق. لم تحظَ روزا بأشقاء من قبل. ومع أنها تعلم أن التوأم لن يكونا معها إلى الأبد، ربما حتى قبل عيد الميلاد، فهي لا تريد التفكير في ذلك. من الجميل وجودهما عندما تستيقظ.

في وقت مبكر من صباح يوم الأحد أو السبت، عندما تكون المدرسة مغلقة، كانت تتسلل إلى غرفة الضيوف على الجانب الآخر من غرفة نوم والدتها وأبيها، وحتى عندما تُوقِظ التوأم، لم يكونا متفاجئين. كان النوم يجافيهما بانتظارها لتخبرهما بما سيفعلانه. كانا يستمتعان جدًا بالألعاب التي تقترحها روزا التي لم تهتم بأنهما لا يتحدثان معها كثيرًا، وليست لديهما أي اقتراحات خاصة بهما. كانت تتطلع دائمًا إلى إخبارهما بما توصلت إليه، ويبدو الأمر كما لو أن خيالها يتضخَّم بالأفكار والاختراعات الممتعة بمجرد أن يكون لديها جمهور غير الأم والأب اللذين عادة ما يقولان: «أوه» أو «حسنًا»، أو «شاهدنا هذا الشيء الآن».

- هل يمكنكِ المجيء إلى هنا دقيقة يا روزا؟
- ليس الآن، أمي. نحن نلعب.
- روزا، تعالي هنا. لن يستغرق الأمر طويلًا.

جرت روزا خلال العشب، وتجاوزت حديقة المطبخ، حيث تنغرز مجرفة والدها بين نباتات البطاطس، وشجيرات عنب الثعلب.

- ما الأمر؟

دخلتْ بتململ من باب غرفة المرافق، وطلبت والدتها منها خلع حذائها الشتوي قبل الدخول. تفاجأت روزا برؤية الأب والأم يقفان في غرفة المرافق، وكلاهما ينتظرانها بابتسامة غريبة. أدركتْ أنهما ربما كانا يراقبان ما يجري في الحديقة لمدة من الوقت.

- هل تحبين اللعب مع توكه وأستريد؟
- نعم. ما الأمر؟ نحن مشغولون.

كانت منزعجة من اضطرارها إلى الوقوف في غرفة المرافق مرتدية معطفًا واقيًا من المطر، في حين ينتظرها التوأم إلى جوار منزل اللعب. إذا أنهوا صناعة دمى الكستناء هذا الصباح، يمكنهم جلب صناديق الفاكهة من المرأب، وعمل الكشك قبل الغداء. لذلك، فإنهم لا يستطيعون إضاعة الوقت.

- قررنا الاحتفاظ بـ توكه وأستريد، وسيعيشان معنا إلى الأبد. ما رأيكِ؟

بدأت الغسالة خلف والدها تصدر صوت طنين، ونظر البالغان إليها.

«لقد مرَّا بوقت عصيب. إنهما في حاجة إلى منزل جيد، وأعتقد أنا ووالدك أنهما يجب أن يعيشا معنا هنا. إذا كنتِ ترين ذلك مناسبًا. ما رأيك؟».

كان هذا السؤال مفاجئًا لـ روزا، فهي لا تستطيع اتخاذ قرار بهذا الشأن. اعتقدت أنهما سيسألانها أكانوا في حاجة إلى بعض الوجبات الخفيفة من خبز الجودار، أو بعض الكوسا، أو القليل من بسكويت ماري. لكنَّ هذا ليس ما طلباه. لذلك قدمت الإجابة التي أرادتها الوجوه الباسمة.

- نعم. هذا جيد.

في الدقيقة التالية، اندفع الأب والأم إلى الحديقة الرطبة. كانت الأم تنتعل حذاءً مطريًا طويلًا، وكان الأب ينتعل نعلًا. كانت السعادة بادية عليهما. لم يرتديا معاطف، ولا حتى سترات دافئة، لكنهما شقًا طريقهما إلى منزل الألعاب حيث يجلس التوأم على الدرجات منشغلين بالكستناء. بقيت روزا عند باب غرفة المرافق حيث أخبراها. لم تستطع سماع الحديث، لكنَّ الأم والأب جلسا إلى جوار التوأم، ودام الحديث طويلًا. استطاعت روزا رؤية وجه التوأم. أمسكت الفتاة فجأة بالوالد واحتضنته، ثم بدأ الصبي البكاء. جلس وبكى. وضعت الأم ذراعيها حوله لتهدئته، وأدار الوالدان وجهيهما تجاه بعضهما، وابتسما بطريقة لم تتذكر روزا رؤيتها من قبل. كما لو أن أبواب السماء قد فُتِحَتْ، وبدأ المطر الهطول. وبينما كانت روزا واقفة في المدخل، تجمَّع الآخرون تحت السقف الصغير المائل، وراحوا يضحكون.

- نحن نتفهم قرارك تمامًا. أين هما؟

- في غرفة الضيوف. سأذهب وأحضرهما.

- كيف حال فتاتك؟

- لا بأس، في ظل الظروف.

كانت روزا جالسة إلى طاولة المطبخ، لكنها تستطيع سماع الأصوات بوضوح من القاعة. مشت الأم من خلال الباب المفتوح قليلًا تجاه غرفة الضيوف، في حين ظلَّ الوالد في القاعة مع الرجل والسيدة. شاهدتهما روزا للتوِّ وهما يخرجان من السيارة البيضاء في الطريق خارج نافذة المطبخ. أصبحت الأصوات في الصالة أكثر هدوءًا، وتتلاشى في همسة لا تستطيع روزا فكَّ مفرداتها. دار الكثير من الهمس خلال الأسبوع الماضي. وتريد روزا أن ينتهي الأمر سريعًا. بدأ الأمر مباشرة بعد أن أخبرتهما بالقصة. لم تكن

تعرف من أين حصلت عليها. حسنًا، ربما من روضة الأطفال، في ذلك الوقت. لا تزال تتذكر ردة فعل الكبار عندما أخبرتهم فتاة اسمها بيريت عما جرى في غرفة اللعب مع كل الوسائد. كانت تلعب مع الصبيان، حتى أراد أحدهم رؤية عورتها. حتى إنه قدَّم لها خمسين أور مقابل ذلك. فسمحت له بيريت بمشاهدتها، ثم سألت بقية الصبية إن كانوا يودون رؤيتها أيضًا. كثيرون منهم فعلوا ذلك، وكسبت بيريت الكثير من المال. يمكنهم وضع أشياء هناك أيضًا، وهذا سيكلفهم 25 أور إضافية.

كان الخوف واضحًا في قلوب البالغين. العديد من الأحاديث الهامسة دارت ذلك اليوم في غرفة الألعاب، وبين أولياء الأمور في غرفة المعاطف. ولم يمضِ وقت طويل، حتى وُضِعَتِ الكثير من القواعد الجديدة التي لم تكن ممتعة على الإطلاق. كادت روزا تنسى كل شيء، لكن في إحدى الأمسيات، وبعد أن أمضت الوالدة والأب طوال اليوم في شراء سريرين جديدين وتجميعهما، وطلاء غرفة الضيوف، وصلت القصة إليها بشكل طبيعي تمامًا.

من خلال ثقب الباب، رأت الطفلين يسيران محنيي الرأس. سمعت أقدامهما على الدرج خارج الباب الأمامي، حيث وضع الوالد الحقائب فعلًا. وفي الممر، سمعت الأم تسأل السيدة عن المكان الذي سيُرسَل التوأم إليه بعد ذلك.

- لم نعثر على مكان جديد بعد، لكن نرجو ألا يطول الأمر.

ودَّع البالغان التوأم، وذهبت روزا إلى غرفتها. لم تردْ توديع التوأم، لأن بطنها تؤلمها. كما لو كانت فيها صخرة. لكنها لا تستطيع تغيير القصة الآن، لأنها قالت ما قالته، وليس من المقبول أن تكذب بشأن هذا النوع من الأشياء. كان الأحرى بها أن تصمت، وألا تقول لأحد شيئًا أبدًا. ومع ذلك، أحسَّت بأنها على وشك الانفجار عندما رأت الهدية التي تركاها على سريرها. خمس دمى من الكستناء في حلقة، كما لو كانت تمسك بأيدي بعضها بعضًا، ومُثبَّتة بسلك فولاذي. كان اثنان من الدمى أكبر من البقية، كما لو أنهما والدان مع أطفالهما الثلاثة.

- حسنًا يا روزا. لقد ذهبا الآن...

تخطت روزا الأم والأب. سمعتهما يناديانها بدهشة وهي تجري من خلال الباب الأمامي. كانت السيارة البيضاء قد ابتعدت للتو عن الرصيف، وتتجه نحو المنعطف. جرت روزا بأقصى سرعتها مرتدية جوربيها، حتى اختفت السيارة. آخر شيء رأته كانت العينين الداكنتين للصبي وهما تحدقان إليها من النافذة الخلفية.

114

عندما انعطفت على الطريق تجاه الغابة، كان ضوء النهار قد اختفى تقريبًا. بدأ الثلج التساقط مجددًا، وكاد يحجب المسارات الباهتة للإطارات التي تستطيع روزا رؤيتها في شعاع المصابيح الأمامية لسيارتها. ضلَّت طريقها في البداية، واضطُرَّتْ إلى سؤال أحد المنازل عن الاتجاه الصحيح. لم تزرْ مون من قبل، حتى لو كانت قد فعلت ذلك، فلن يُشكِّل الأمر فرقًا. ومع اتباع التعليمات التي أعطتها إياها السيدة في المنزل، والعودة في الطريق الذي جاءت منه. تفاجأت كثيرًا من غفلتها التامة عن شجرة الكستناء الكبيرة والطريق الجانبي الذي يتحول نحو الغابة. يتسلل الطريق من خلال الأشجار القديمة العارية والتنوب الطويلة، ومنعطف ضيق بعد آخر. لكن، مع متابعة مسارات الإطارات، استطاعت الحفاظ على سرعتها والبقاء على الطريق. سيطر عليها الرعب عندما ازداد اختفاء آثار المسارات تحت عباءة الثلوج. لا توجد أي مزارع هنا. لا يوجد أشخاص. لا شيء على الإطلاق. الطريق والغابات فقط. وإذا اتخذت مسارًا خاطئًا آخر، فقد يكون الأوان قد فات.

تمامًا عندما بدأ الشك التسلل إلى نفس روزا، انفتحت الغابة أمامها، ولاحظت أن الطريق يؤدي إلى مزرعة واسعة تحيط بها أشجار ضخمة. لم يكن هذا ما تخيَّلته. وفقًا للتقرير الذي قرأته في الوزارة، كانت مباني المزرعة متداعية، وقبيحة دون اهتمام. لكنَّ الأمر لم يكن كذلك. كان المكان شاعريًّا. أوقفت روزا السيارة، وأطفأت المحرك، ونسيت إغلاق الباب وهي تخرج مسرعة نحو الجليد وتنظر حولها، وأنفاسها تتحول إلى بخار في كل اتجاه تنظر إليه.

كان منزل المزرعة مكوَّنًا من جناحين –طابقان، وأسقف من القش– للوهلة الأولى بدا كأنه منزل ريفي جُدِّدَ جيدًا. لكنَّ الواجهة البيضاء المكسوَّة بالجبس مضاءة بأضواء خارجية حديثة، ويمتد توهجها على طول الطريق

إلى الفناء حيث تقف. وفي الزوايا تحت السقف المصنوع من القش، توجد قباب زجاجية صغيرة أدركت روزا أنها كاميرات مراقبة.

ومن خلال النوافذ البيضاء، استطاعت أن ترى شيئًا دافئًا داخل الغرفة الأمامية. لم تتأكد من أنها وصلت إلى المكان الصحيح حتى قرأت النقش «مزرعة الكستناء» بحروف سوداء مرتبة فوق الباب الأمامي. لم تعد روزا قادرة على الانتظار أكثر. صرخت بأعلى صوتها. ومع صوت تنفسها، تردَّد صدى الاسم في الفناء، وانتقل بين الأشجار.

- كريستين!

رفرفت عدة غربان مبتعدة عن أشجار خلف المزرعة. غاصت بين رقاقات الثلج، وحلَّقت فوق أجنحة المنزل. ولم يكد يختفي آخرها، حتى لاحظت خيالًا لشخص ما بجوار باب الحظيرة.

كان طويلًا. طوله نحو ست أقدام وبوصة. يرتدي سترة مفتوحة من الجلد الزيتي مع دلو أزرق متين يحوي حطبًا للتدفئة في يد، وحملت يده الأخرى فأسًا. كان شابًّا لم تتعرَّفه روزا في البداية.

- عثرتِ على المكان... أهلًا بك.

حمل صوته نبرة تهنئة. كان ودودًا. وبعد نظرة قصيرة، بدأ السير من خلال الفناء تجاه الباب الأمامي، وتساقطت الثلوج تحت قدميه.

- أين هي؟!

- اعذريني لأنَّ المزرعة تبدو مختلفة عما كانت عليه في الماضي. عندما اشتريتُها، خططتُ لإعادة إنشاء المكان حتى تتمكني من رؤيتِه على حالته الأصلية، لكنَّ الفكرة كانت مُحبِطة للغاية.

- أين هي؟!

- إنها ليست هنا. تفضلي وابحثي.

كان قلب روزا يدقُّ. الأمر سريالي تمامًا، وبالكاد تلتقط أنفاسها. توقف الرجل عند الباب الأمامي، وفتحه على مصراعيه بودٍّ، ونظَّف نعليه من الثلج.

- تفضلي يا روزا. فلننتهِ من هذا الأمر.

115

صرخت روزا باسم ابنتها في أروقة المنزل المظلم والبارد. صعدت الدرج إلى الطابق الأول، وبحثت تحت جميع السقوف المائلة، دون جدوى. لم تجد شيئًا. لا أثاث، ولا ممتلكات. كل شيء كان يحمل رائحة الورنيش والخشب الجديد فقط. كان منزلًا فارغًا جُدِّدَ حديثًا، ويبدو أنه لم يكن في الداخل شيء. وفي طريقها إلى أسفل الدرج كانت تسمعه. كان يدندن أغنية ما، قافية لأطفال في الروضة، وعندما تبيَّنتها، أحسَّت بالدماء تتجمد في عروقها. عندما دخلت من خلال باب الصالة الأمامية إلى غرفة المعيشة، كان جالسًا وظهره تجاهها، ويضع قطعة حطب في الموقد. وفي الدلو الأزرق إلى جانبه، توجد فأس. وبحركة سريعة، أمسكت بالفأس. لكنه لم يتحرَّك. بقي جالسًا ينظر إليها. بدأت يداها تهتز، لكنها حاولت وضعهما على المقبض لتكون مستعدة لاستخدامه.

- أخبرني، ماذا فعلتَ...

أغلق باب الموقد، وثبَّته بمشبك.

- يا له من مكان لطيف الآن. أليس هذا ما يقوله الناس؟

- سألتكَ ماذا فعلتَ!

- هذا ما قالوه لي، على أي حال، في كل مرة أسأل فيها عن أختي. يا لها من سخرية. أولًا، تحبس التوأم في قبو، ثم يسمح للأب بفعل ما يشاء، في حين تصور الأم كل شيء. ثم تفرِّقين التوأم لسنوات دون أي وسيلة اتصال، لأنكِ تعتقدين أن هذا هو الأفضل لهما...

لم تكن روزا تعرف ما تقول، لكنها وقفت على قدميها، وشدَّدت قبضتها على الفأس.

- لكنْ، في مكان لطيف، لم يكن هذا الأمر مريحًا. أعتقد أن عدم المعرفة، هو أسوأ شيء. أليس كذلك؟

كان الرجل مجنونًا. تبدَّدت جميع الأفكار التي خطرت على بال روزا وهي في طريقها إلى هنا. لم تجد أي منطق أو استراتيجية أو خطة تستطيع استخدامها أمام تلك العينين اللتين تحدقان بهدوء. وبدلًا من ذلك، اقتربت خطوة أخرى.

- أنا لا أعرف ماذا تريد. ولا يهمني ذلك. وأنت ستقول لي ماذا فعلتَ بـ كريستين، وأين هي. هل تسمعني؟

- وإلا ماذا؟ أستستخدمين هذه عليَّ؟

أشار إلى الفأس، فبدأت دموعها تنهمر. كان على حق. فهي لن تستخدم الفأس أبدًا، لأنها لن تعرف ذلك مطلقًا. وبالرغم من كل محاولاتها، فإن دموعها لم تتوقف، وشاهدت شبح ابتسامة على وجهه.

- لماذا لا نتجاوز هذا الجزء. كلانا يعرف ما تودين معرفته، وأريد أن أخبركِ. السؤال الوحيد هو إلى أي مدى تريدين أن تعرفي.

- سأفعل أي شيء... فقط أخبرني. لماذا لا يمكنكَ أن تخبرني.

كان سريعًا، ولم يكن لديها وقت للرد قبل أن يقف قريبًا منها، ضاغطًا وجهها بشيء مبلل وناعم. كانت الرائحة الحادة والنفَّاذة تحرق أنفها. حاولت أن تتفلَّت منه، لكنه قوي جدًّا، وصوته يهمس قريبًا جدًّا من أذنها.

- ما رأيكِ الآن... تنفَّسي. سينتهي كل شيء قريبًا.

116

كان الضوء باهرًا للبصر. رمشت بعينيها، وعانت لفتحهما، فشاهدت سقفًا وجدرانًا بلون أبيض. وإلى اليسار، بعيدًا عن الحائط، شاهدت طاولة فولاذية منخفضة تسطع في الضوء، وشاشات خافتة على الحائط المقابل، فاعتقدت أنها في المستشفى. كانت مستلقية على سرير المستشفى، وكان الأمر برمَّته حلمًا. لكنْ، عندما حاولت الجلوس، أدركت أنها لا تستطيع ذلك. لم تكن مستلقية على سرير عادي، وإنما طاولة عمليات من الفولاذ. ذراعاها ورجلاها كانتا مكشوفتين، ومربوطتين بإحكام بأحزمة جلدية، ومثبتة بمسامير على الطاولة. دفعها المنظر إلى الصراخ، لكنَّ الشريط الذي يضغط رأسها، ويمتد من خلال فمها المفتوح، ترك صرخاتها مكتومة وغير مفهومة.

- مرحبًا مجددًا. هل أنتِ بخير؟

شعرت روزا بالدوار، لكنها لم تستطع رؤيته.

- سيزول التأثير بعد عشر دقائق. لا يعرف كثير من الناس هذه المعلومة، لكنَّ كستناء الحصان العادية تحتوي على مادة الإسكولين، وهي سمٌّ فعال مثل الكلوروفورم إذا صنعت الخليط المناسب.

تحركت عينا روزا جيئة وذهابًا، لكنها ما زالت تسمع صوته فقط.

- على أي حال، لدينا الكثير لنفعله. لذا، من الأفضل أن تحاولي البقاء مستيقظة من الآن فصاعدًا، اتفقنا؟

وفجأة، أصبح ضمن مجال رؤيتها وهو يرتدي معطفًا بلاستيكيًّا أبيضَ. وفي إحدى يديه، كان يحمل حقيبة مستطيلة، وضعها على منضدة فولاذية منخفضة. وبينما انحنى لفتح القفل، سمعته يقول إن قصة كريستين بدأت في اليوم الذي تعرَّف فيه فجأة روزا في الأخبار، بعد سنوات عدَّة من البحث.

- بدأتُ أفكر فعلًا أنني لن أجدكِ. لكنكِ ارتقيتِ من عضو في البرلمان، وأصبحتِ وزيرة للشؤون الاجتماعية. يا للسخرية. تخيلي. كانت وظيفتكِ هذه هي السبب في عثوري عليكِ.

استغربت روزا لدى رؤيتها المعطف الأبيض المتطابق مع تلك المعاطف التي اعتادت رؤيتها مع رجال الشرطة. كان يرتدي قناعًا أبيض على فمه وشبكة شعر زرقاء، ويفتح غطاء علبة وقد ارتدى قفازات بلاستيكية. عندما دفعت روزا رأسها بقوة إلى اليسار، استطاعت أن تتبيَّن تجويفين في الإسفنجة بداخل تلك العلبة. كان يحجب محتويات الفجوة الأولى، لكنها رأت قضيبًا معدنيًّا لامعًا، وأحد طرفيه مزودًا بكرة معدنية في حجم قبضة اليد تقريبًا، ومغطاة بأشواك صغيرة حادة. وفي الطرف الآخر يوجد المقبض. لكنْ، حيث ينتهي المقبض، يبرز المعدن ليُشكِّل مخرزًا بطول خمسة سنتيمترات أو ستة. توترت روزا وتشنجت وسط الأحزمة الجلدية، في حين سمعته يقول إنه اكتشف سبب نقله هو وأخته إلى مزرعة الكستناء عندما وقع بين يديه ملف قديم من مجلس أودشيرد.

- كنتِ مجرد فتاة صغيرة بريئة، طبعًا، تكافحين للحصول على الإطراء. لكنَّ كذبتكِ الصغيرة فلتت منكِ. وفي كل مرة كنتِ تخرجين وتبدئين في الحديث عن الأطفال المساكين، كنت أعرف من وجهك المتعجرف أنكِ نسيتِ كل شيء.

صرختْ روزا. أرادتْ أن تقول بأن هذا الكلام غير صحيح. لكنَّ الأصوات التي تخرج منها أكثر شبهًا بالحيوانات البرية. ومن زاوية عينها، أحسَّت به وهو يزيل الأداة في التجويف الأول.

- من ناحية أخرى، بدا أن موتكِ سيكون رحمة لكِ. ما كنتُ أريده حقًّا هو أن تشاهدي هول المعاناة التي سببتِها، لم أكن أعرف كيف. ليس حتى اكتشفت أن لديكِ ابنة، واحدة في عمر أختي نفسه، في الواقع، وهذا منحني الفكرة. بدأتُ بدراسة روتين حياتكِ، ولا سيَّما كريستين، طبعًا. ولما كانت غير ذكية، وتعيش حياة الطبقة العليا المدلَّلة، كان من السهل اكتشاف شخصيتها والتوصل إلى خطة. كل ما كان عليَّ فعله بعدئذٍ كان انتظار الخريف. بالمناسبة، هل أنتِ من علَّمها صناعة رجال الكستناء؟

حاولت روزا تحديد موقعها. لم تكن ثمة نوافذ أو سلالم أو أبواب ضمن مجال رؤيتها، لكنها بدأت الصراخ بمنهجية. ومع أن الحزام الجلدي على فمها يكتم معظم الصوت، فإنه يملأ الغرفة ويمنحها دفعة من الطاقة التي تحتاج إليها للتلوِّي في محاولة لتحرير نفسها. لكنْ بعد ذلك، فجأة، أصبح الصوت أقرب بكثير، وأدركت أنه يقف ويعبث بشيء بجانبها.

- كان من دواعي سروري أن أشاهد. في تلك المرحلة، لم أكن أعرف كيف يمكنني استخدامها، لكن كان لذلك وقعه الخاص، وهي تبيع دمى رجال الكستناء على جانب الطريق مع صديقتها. في الواقع، جعلني الأمر أتراجع بضعة أيام، قبل أن أتبعها من الصالة الرياضية كما فعلتُ مرات عدَّة من قبل. على بعد شوارع قليلة فقط من منزلك، أوقفتُها وطلبتُ منها إرشادي إلى رادهاسبلادسن حتى أتمكن من دفعها في الشاحنة. خدَّرتها، وتركت دراجتها وحقيبتها الرياضية في الغابة حتى يكون للشرطة شيء يلتهُون به، ثم انطلقنا. كانت حسنة التربية. مُفعَمة بالثقة والود. وبصراحة، لن تجدي مثل هذه التربية ما لم يكن الوالدان صالحين...

بكت روزا، وراح صدرها يرتفع وينخفض مع إيقاع بكائها الذي انسلَّ صوتُه نحو أعلى حلقها في محاولة للهروب. تغلَّب عليها الشعور بأنها تستحق أن تكون هنا. إنه ذنبها، وهي تستحق العقاب. بصرف النظر عمَّا حدث، لم تعتنِ بابنتها الصغيرة.

- والآن إذن. من المضحك أننا أمام أربعة فصول لهذه القصة، وكان هذا هو الأول. سنأخذ استراحة الآن، وبعد ذلك سأخبركِ بالمزيد. ما رأيكِ؟

ضجَّت ضوضاء عملية الانغراز بصوت عال، وحاولت روزا إدارة رأسها. ربما كانت الأداة المصنوعة من الفولاذ أو الألومنيوم بحجم المكواة. كانت تحتوي على مقبضين، ولوحة معدنية، ومنشار مع طبقات خشنة ملحومة يدويًّا. ولم يستغرق الأمر طويلًا حتى أدركتْ روزا أن الضوضاء تأتي من الشفرات الدوارة في مقدمة الجهاز. وفجأة، فهمت سبب تقييد ذراعيها وساقيها بحيث تبرز اليدان والقدمان على حافة الطاولة. عندما عضَّ المنشار عظام معصمها، وبدأت الصراخ مرة أخرى وفمها مكمَّم بالحزام الجلدي.

- هل أنتِ بخير؟ أيمكنك سماعي؟

وصل إليها الصوت، وومض الضوء الأبيض الباهر مرة أخرى أمام عينيها. حاولت توجيه نفسها، وتذكُّر ما حدث قبل أن تفقد وعيها. أحسَّت بشيء من الارتياح لأن شيئًا آخر لم يحدث، لكنها شعرت بعدئذ بالشلل في طرفها الأيسر. وعندما استدارت للنظر، ازداد ذعرها. شاهدت مشبكَ مختبر كبيرًا مصنوعًا من البلاستيك الأسود مثبتًا لإيقاف نزيف الدم من الجرح المفتوح حيث كانت يدها اليسرى. وفي الدلو الأزرق على الأرض، شاهدت أطراف بعض الأصابع.

- يبدأ الفصل الثاني في هذا القبو. بحلول الوقت الذي بدأتِ فيه تشعرين بوجود خطب ما، كنتُ أنا وكريستين هنا فعلًا.

سمعتْ صوتَه وهو ينتقل إلى الجانب الآخر منها بالأداة والدلو الأزرق. كانت الملابس البلاستيكية البيضاء ملطَّخة بالدماء، دمائها هي، حتى كتفه وعلى القناع.

- كنتُ أعلمُ أن اختفاءها سيقلب البلد بأكمله رأسًا على عقب. لذلك كنت مستعدًّا جيدًا. كان الطابق السفلي يبدو مختلفًا في ذلك الوقت، وكنت قد رتَّبت الأمور. حتى لو أتى شخص ما إلى هنا، واكتشف المنزل، فلن يجده. لكنَّ كريستين كانت مدهوشة نوعًا ما، طبعًا، عندما استيقظتْ هنا. ربما الخوف هو الصفة الأصحُّ. حاولتُ أن أوضح أنني كنت في حاجة فقط إلى بتر يدها الصغيرة الحساسة بسرعة لأتمكن من استخدام حمضها النووي لجذب انتباه الشرطة إلى شخص آخر، وقد تعاملَت مع الأمر بشجاعة شديدة. لكن في معظم الوقت كانتْ بمفردها يا للأسف، لأنني كنت مشغولًا في وظيفتي في كوبنهاجن. أنا متأكد من أنكِ تتساءلين كيف شعرَتْ. هل كانت حزينة وخائفة؟ والإجابة الصادقة هي نعم، كانت كذلك. توسَّلتْ وتوسَّلتْ للسماح لها بالعودة إلى المنزل. كان الأمر مؤثرًا للغاية، لكنْ لا شيء يدوم إلى الأبد. وعندما هدأت العاصفة بعد شهر، حان الوقت للوداع.

كان الكلام جارحًا جدًّا أكثر من الألم الذي تحسُّه في ذراعها. عادت روزا إلى النحيب، وبدا الأمر كما لو أن قفصها الصدري قد تمزَّق كليًّا.

- كان هذا هو الفصل الثاني. وسنأخذ الآن استراحة أخرى. حاولي ألا تفقدي وعيك لمدة طويلة هذه المرة، فليس لديَّ اليوم بطوله.

وضع الدلو الأزرق أسفل يدها اليمنى، في حين توسَّلت روزا إليه ليتوقف. لكنَّ كل ما يخرج من فمها كان ضوضاء من دون معنى. بدأت الآلة في

الصرير، ودارت شفرات المنشار، وصرخت من الألم مرة أخرى والمنشار يعضّ معصمها. توتر جسدها بشكل قوس تجاه السقف وهي تشعر بانزلاق المنشار على طول عظامها. كان الألم شديدًا لا يُحتمَل. واستمرَّ حتى بعد توقُّف الجهاز فجأة، وإيقاف تشغيله. امتزجت صرخات روزا المكتومة مع صفير الإنذار، وهذا هو الضجيج الذي جذب انتباه الرجل، وجعله يتوقف عما يفعله. استدار نحو الشاشات الموجودة على الحائط المقابل والآلة في يده. وحاولت روزا تتبع نظراته. على إحدى الشاشات، استطاعت أن تلمح شيئًا متحركًا، واتضح لها أنها تشاهد البث من كاميرات المراقبة. شيء بعيد في طريقه للظهور، ربما تكون سيارة. كانت هذه آخر فكرة تخطر على بالها قبل أن يتحول كل شيء إلى اللون الأسود.

117

كانت جهود تولين تدفع الدم إلى النزيف من جرح رأسها، لينساب على وجهها. واضطرَّت إلى أخذ أنفاس عميقة وطويلة حتى لا يُغمَى عليها. ثمة شريط لاصق ملفوف حول رأسها بحيث لم تستطع التنفس إلا من خلال فتحة أنف واحدة، ويداها مقيدتان، لذا لم تستطع تمزيق الشريط اللاصق. كانت مستلقية على جانبها في صندوق أمتعة السيارة. وبمجرد استنشاقها كمية كافية من الأكسجين، راحت تضرب بركبتها مرة أخرى على البقعة المظلمة حيث تعتقد أنه مكان القفل. جميع عضلاتها مُتشنِّجة، رقبتها وأعلى ظهرها ملتصقان بالجدار الخلفي. واصلت الضرب على القفل مرارًا وتكرارًا، في حين تدفق المخاط والدم من خلال فتحة أنفها. لكنَّ الغطاء لم يُفتَح. وبدلًا من ذلك، شعرت ببرغي يجرحها أسفل ركبتها. وعندما أرهقها نقص الأكسجين، استسلمت وانهارت، وراحت تلهث بشكل محموم بحثًا عن الهواء.

لا تعرف تولين كم من الوقت مرَّ عليها وهي مستلقية في صندوق الأمتعة. كانت الدقائق تمرُّ عليها دهرًا، لأنَّ كل ما استطاعت سماعه هو أنينٌ بعيد لآلة ممزوج بصراخ امرأة. ومع أن الصرخات مكتومة، كما لو أن فم المرأة مكمم وأن الصوت يأتي من فتحة التهوية، فإن تولين لم تسمع مثل هذا الصوت الذي ينفطر له القلب. كانت ستغطِّي أذنيْها لو استطاعت -يمكنها أن تتخيل بوضوح ما الذي يسبب تلك الصرخات- لكنَّ يديها وقدميها مقيَّدتان، ويديها مخدَّرتان.

وبعد أن استفاقت، لم تكن متأكدة في البداية من مكانها. كان السواد حالكًا. وبعد أن تلمَّست على طول الجوانب والسطح المعدني البارد فوقها، أدركت أنها بالتأكيد في صندوق السيارة. ربما السيارة نفسها التي جاءت بها مع جينز. عندما انفتحت الغابة فجأة، وقادا السيارة إلى الفناء، كان كل اهتمامها يتركز على بيت المزرعة. خرجت إلى الثلج الذي لم يمسسه أحد، وهي

تراقب أشجار الكستناء الطويلة والقديمة التي تحيط بالفناء. وعندما شاهدت النقش فوق الباب الأمامي، أخرجت مسدسها. كان بيت المزرعة المسقوف بالقش مظلمًا وغير مضياف للنظر إليه. وعندما اقتربت من الأضواء الخارجية لاحظت كاميرات المراقبة. كان الباب مُقفلًا، ولم يكن هناك أي شخص أو أي شيء يمكن رؤيته بالداخل. لكنها كانت تعلم أنها جاءت إلى المكان الصحيح.

بدأت تولين تتجول في بيت المزرعة بحثًا عن طريقة أخرى للدخول. وعندما قررت كسر نافذة في الطابق الأرضي والزحف إلى الداخل، ظهر جينز خلفها وقال إنه عثر على مفتاح تحت حصيرة الباب الأمامي. لم تتفاجأ. في الواقع، اعتقدت أنها أغفلت هذا الاحتمال. ودخلا المنزل معًا. دخلت أولًا، وقابلتها رائحة الورنيش والخشب الطري في الردهة. كما لو أنه كان منزلًا جديدًا تمامًا. منزل لم يُستخدَم من قبل. لكن بمجرد أن وصلت إلى الموقد في زاوية غرفة المعيشة الذي لم يكن مرئيًا من الفناء، أصبح من الواضح أن المكان كان مشغولًا. وقد تُرِكَ جهازا حاسوب محمول على مكتب أبيض، بالإضافة إلى معدات إلكترونية، وهواتف محمولة، وأوعية من الكستناء، ومخططات أرضية، وقوارير مستديرة القاع، ومعدات معملية، مع بعض البراميل. وعلى الحائط، شاهدت صورًا معلَّقة لـ لورا كيار، وآن سيير لاسين وجيسي كفيوم. كانت صورة روزا هارتونج معلقة في الأعلى، وثمة صور أخرى شبيهة بتلك التي يلتقطها الباباراتزي لها ولـ هيس.

تسبب لها المشهد بقشعريرة في عمودها الفقري. وبعد أن حرَّرت أمان سلاحها، كانت مستعدة لتفتيش بقية المنزل. ولأن هاتفها لم يكن معها، طلبت من جينز إبلاغ نيلاندر على الفور بما عثرا عليه.

- أخشى أنني لا أستطيع فعل ذلك يا تولين.

- ماذا تقصد؟

- أنتظر ضيفًا، وأحتاج إلى العمل بسلام.

كان جينز يقف داخل مدخل غرفة المعيشة. كانت الأضواء في الفناء خلفه لا تزال مضاءة، لذلك لم تستطع رؤية وجهه، فقط ملامح جسده، فتذكَّرت للحظة خيال الشخص الذي رأته خلف القماش المشمع على السقالة المقابلة لشقتها.

- ماذا تقول؟ اتصل به الآن!

وفجأة، أدركت أن جينز كان يمسك بفأس. كانت متدلية كما لو أنها امتداد لذراعه.

- كان استخدام الكستناء من المزرعة مخاطرة. ربما ستحظين لاحقًا بفرصة لفهم أسباب اختيارها.

نظرت إليه للحظة، ثم فهمت ما قاله، ومدى كارثة طلب المساعدة منه. رفعت ذراعها لتوجيه سلاحها نحوه، لكنْ في اللحظة نفسها أرجح الفأس، والمقبض أولًا. أزاحت رأسها إلى الخلف، لكنْ لم يكن بالقدر الكافي على ما يبدو. وعندما استيقظت، كانت مصابة بصداع مدوٍّ في ظلام صندوق السيارة. أثارها صوت الأصوات- صوت جينز، وصوت أنثوي محموم بدا مثل صوت روزا هارتونج. جاء الصوت من الفناء، لكنه اختفى بعد ذلك. ثم سمعت صرخات مكتومة.

حبست تولين أنفاسها واستمعت. توقفت الآلة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الصراخ. ولم تكن تعرف ما لو أن هذا يعني أن دورها سيحين قريبًا للخضوع إلى التعذيب نفسه. فكرت في لو والجدّ، وحزنت لأنها قد لا ترى ابنتها الصغيرة مرة أخرى.

ومن عمق الصمت، جاء هدير محرِّك سيارة تقترب. لم تكن واثقة في البداية، لكنها اعتقدت أن سيارة ما تسير في الفناء. وعندما توقف المحرك، أصبحت متأكدة أكثر.

- تولين!

تعرَّفت صوتَه. قالت لنفسها إن هذا الأمر مستحيل، وأنه لا يمكن أن يكون هو. لا يفترض به أن يكون هنا – يفترض به الوجود في مكان ما بعيد. لكنَّ حقيقة وجوده هنا ملأتها بالأمل مجددًا. عادت تولين للصراخ بصوت عالٍ قدر استطاعتها. كان الصوت الخارج ضئيلًا. لا يستطيع سماعها، على الأقل ليس من مكانه في الفناء، ولذلك بدأت في الركل بيأس في الظلام. وعندما ركلت أحد الجوانب، سمعت صوتًا أجوف، فاستمرت بركل المكان نفسه مرارًا وتكرارًا.

- تولين!

لا يزال يصرخ. وعندما تلاشى الصوت، أدركت أنه لا بدَّ قد دخل المنزل. لا بدَّ أن جينز علم بوصوله، وإلا ما كانت الآلة لتتوقف.

ومع هذا اليقين، واصلت تولين الركل في الظلام.

118

كان الباب الأمامي مفتوحًا، ولم يمضِ وقت طويل حتى عرف هيس أن الطابقين الأرضي والأول فارغان. أشهر مسدسه، وعاد بسرعة إلى أسفل الدرج من الطابق الأول ومن خلال المنزل المظلم. لكنه لم يرَ أي دلائل على الحياة باستثناء آثار أقدامه المبتلَّة على ألواح الأرضية العريضة. وعندما وصل إلى غرفة المعيشة ومنطقة العمل إلى جوار الموقد، حيث توجد صور على الحائط للضحايا الثلاث بالإضافة إلى روزا هارتونج وتولين ونفسه، توقف هيس، واستمع. لم يسمع شيئًا سوى أنفاسه. لكنَّ الموقد دافئ، وأحسَّ بوجود جينز في جميع أركان المنزل.

أذهله مظهر المزرعة. لم تكن متداعية كما قرأ عنها في التقرير القديم للشرطة. وقد أربكته المفاجأة. استطاع تمييز سيارة روزا هارتونج في الفناء، مع أنها كانت مغطاة بالثلوج تقريبًا. وخمَّن أنها موجودة هنا منذ ساعة على الأقل. لم يستطع رؤية السيارة التي قادها جينز مع تولين، لذلك لا بدَّ أنها مخفية أو في مكان آخر تمامًا. أمل هيس أن يكون هذا هو الخيار الأول. لاحظ كاميرات المراقبة عندما وصل، والعديد منها مثبَّت بالقرب من أعلى الواجهة. لذلك إذا كان جينز هنا، فهو يعرف بوصوله. لهذا السبب، لم يتردد في الصراخ، نادى باسم تولين أولًا، ثم روزا هارتونج. إذا كانا في مكان قريب -وإذا كانا حيين- فهناك احتمال أن يسمعاه. لكنْ لم يسمع جوابًا. فقط الصمت المشؤوم. كان يتنفس بصعوبة.

مع أنه كان بالداخل فعلًا، فإنه أسرع بالعودة إلى المطبخ، محاولًا استرجاع الصورة القديمة من أرشيف مسرح الجريمة. كان المراهقان يجلسان على جانبي طاولة فوضوية، لكنْ لم يكن هذا ما أثار اهتمامه. إنه الباب الذي يتذكره من الصورة. افترض أنه لا بدَّ من وجود باب إلى الطابق السفلي حيث عُثِرَ على ماريوس لارسن والتوأم. لكنِ الآن، ها هو ذا يقف في

المطبخ الذي جُدِّدَ، والذي يبدو كما لو أنه معرض لشركة «أيكيا»، ولم يتمكن من العثور عليه. تغيَّرت الجدران والزوايا. وفي الوسط، توجد طاولة مطبخ كبيرة غير مستخدمة، وعليها ستة مواقد غاز وغطاء من الكروم، محاطة بثلاجة على الطراز الأمريكي، وخزانتان مزدوجتان بلون أبيض، وحوض غسيل من الخزف، وغسالة أطباق، وفرن كبير لا يزال مغطى بغشاء بلاستيكي. لا يوجد باب، وبالتأكيد، لا يوجد باب يؤدي إلى الطابق السفلي، فقط الممر المؤدي إلى غرفة المرافق.

بالعودة إلى القاعة الأمامية، ألقى هيس نظرة على الدرج وتحته أملًا في اكتشاف باب القبو أو فتحة الأرضية. لكنَّ ذلك لم يحصل. تساءل لحظةً أكان هناك قبو أصلًا. سواء أكان جينز، أو أيًّا كان اسمه، قد سدَّه منذ مدة طويلة بالخرسانة، بحيث لا يذكِّره ذلك بما جرى عندما كان يعيش هو وتوأمه في المنزل.

سمع صوت حركة بعيدًا. تجمَّد، لكنه لم يستطع إدراك ماهية الصوت، ولا مصدره. لا شيء يتحرك في الأفق، فقط ندف الثلج المتساقطة في ضوء المصباح خارجًا. أسرع إلى المطبخ، وهذه المرة بفكرة الاستمرار في الدخول إلى غرفة المرافق، ومن خلال الباب الخلفي إلى الجانب الآخر من المبنى للتحقق من وجود أي نوافذ أو أعمدة، أو أي شيء قد يجيب عن تساؤلاته بشأن الطابق السفلي. لكنْ، بينما مر بطاولة المطبخ، توقف. خطرت له فكرة مبتذلة. مشى إلى أول خزانة بيضاء، حيث يتذكر تقريبًا وجود دَرَج الطابق السفلي في الصورة القديمة. فتح البابين، لكنه لم يجد سوى الرفوف الفارغة. بعد ذلك، فتح الخزانة المجاورة، ولاحظ على الفور المقبض الأبيض. أُزيلت الأرفف والجدار الخلفي للخزانة. وبدلًا من ذلك، رأى بابًا فولاذيًّا أبيض مُدَمجًا مباشرةً في جدار المطبخ. خطَا داخل الخزانة الفارغة، وضغط المقبض الأبيض، ففتح الباب الثقيل للخارج ليكشف عن دَرَج.

أنار الضوء الأبيض الباهر على الأرض أسفل الدرجات الخرسانية، على بعد ثلاثة أمتار تقريبًا. تفاجأ بمدى كراهيته الأقبية. الطابق السفلي تحت حديقة أودين، ومرأب لورا كيار، أوربان بلان ومركز شرطة فوردينجبورج، والآن هذا أيضًا. حرَّر أمان سلاحه، ونزل الدرج خطوة بخطوة، وركَّز انتباهه على الأرض في الأسفل. عندما نزل خمس درجات، رأى شيئًا أوقفه. على الدرجة التالية شيء ما، شيء مصنوع من البلاستيك، مجعَّد ولزج. وعندما

حرَّكه بسلاحه، أدرك أنه زوجان من الأغطية البلاستيكية الزرقاء للأحذية التي يرتديها هو وزملاؤه في مسرح الجريمة. ولكنها كانت ملطَّخة بالدماء. وعند النظر إلى الدرجات السفلى، لاحظ آثار أقدام دامية متجهة نحو الأعلى وصولًا إلى الدرجة التي عليها أغطية البلاستيك. ازداد توتره، واستدار نحو الأعلى ليجد خيالًا لشخص واقف في المدخل. مثل البندول، اندفع الفأس سريعًا تجاهه، وعادت ذكرى ماريوس لارسن، الشرطي القتيل، إلى ذهن هيس قبل أن تضرب الفأس جبينه.

119

كان القبو تحت منزل جدته متعفِّنًا وملطَّخًا بالرطوبة. كانت الأرضية الحجرية غير مُستوية، والجدران خشنة، مضاءة بشكل كئيب بمصابيح عارية معلقة من السقف في تجاويف قديمة من البورسلين الأسود مع أسلاك مهترئة مغطاة بالقماش. عالم متشابك من الفوضى، من غرف وممرات غريبة. عالم مختلف تمامًا عن ذلك الموجود على الجانب الآخر من الباب الذي يفصل بين الطابقين.

في الطابق الأرضي كان كل شيء مصفرًّا. أثاث ثقيل، وورق حائط زهري، وأسقف مغطاة بالجص، وستائر، ورائحة نبتة جدته. تراكم الرماد مثل أهرام رائعة في وعاء كرينيت بجانب كرسي القش المبطن في غرفة الجلوس، حيث جلست حتى يوم حملها واقتيادها إلى دار لرعاية المسنين. كان هيس يكره الوجود هناك، لكن ما دونه كان أسوأ. لا نوافذ، ولا هواء، ولا مخرج سوى الدرج غير المستقر الذي كان يتعرَّج عليه دائمًا، والظلام في عقبيه، كلما نزل لإحضار زجاجة أخرى لطاولة الكونسول الصغيرة إلى جانب كرسي حديقة الجدة.

ومع الشعور نفسه بالغثيان والذعر في مرحلة الطفولة، استيقظ هيس في الطابق السفلي لمزرعة الكستناء. ثمة شخص ما يضربه بشدة على وجهه، وشعر بالدم يسيل على إحدى عينيه.

- من يعلم بوجودك هنا؟ أجبني!

جُرَّ هيس على الأرض، ونصفه مُسند إلى الحائط. راح جينز يلطمه براحة يده. كان يرتدي معطفًا بلاستيكيًّا أبيض، ولم تظهر سوى عينيه من خلال الفجوة بين القناع الملطَّخ بالدماء على فمه، وشبكة الشعر الزرقاء. حاول هيس صده، لكنَّ هذا مستحيل، فيداه وقدماه مقيَّدتان بما يشبه الأسلاك.

- لا أحد.

- أعطني إصبعك وإلا سأقطعها. هيا!

دفعه جينز إلى الأرض، وانحنى فوقه ضاغطًا خده على الأرض، وعينا هيس تمسحان الغرفة بحثًا عن سلاحه الذي وجده ملقى على الأرض على بعد أمتار قليلة. أحس أن جينز يضغط بإبهامه زرَّ معرف اللمس في الهاتف. وعندما وقف جينز وحدق إلى الشاشة، أدرك هيس أنه هاتفه. حاول أن يستعد لثورة الغضب التي يتوقعها، لكنَّ الركلة على جانب رأسه عنيفة لدرجة أنه كاد يفقد وعيه مرة أخرى.

- لقد اتصلتَ بنيلاندر منذ تسع دقائق. ربما قبل أن تنزل من السيارة في الفناء.

- صحيح، أجل. نسيت ذلك.

تلقَّى هيس ركلة أخرى على الجانب نفسه من وجهه. واضطرَّ في هذه المرة إلى بصق الدم من فمه حتى لا يختنق. وعد نفسه بالتوقف عن السخرية، لكنَّ المعلومات مفيدة. ما دامت مرت تسع دقائق على وصوله إلى الفناء، وتعرُّفه سيارة روزا هارتونج واتصاله بنيلاندر، فلن يمر وقت طويل قبل وصول برينك ومجموعة من سيارات الشرطة من فوردينجبورج. إذا لم يمنعهم الثلج.

بصق هيس مرة أخرى، وأدرك حينها أن بركة الدم الموجودة عند قدميه قد لا تكون له. تتبَّع مصدر الدماء على الأرض بعينيه، فوجد نفسه يحدق إلى الجرح المفتوح في نهاية ذراع روزا هارتونج التي كانت مستلقية كجثة هامدة على طاولة فولاذية كما لو أنها في غرفة عمليات. كان معصمها مربوطًا في مشبك بلاستيكي حيث كانت يدها اليسرى. نُشِرَ معصمها الأيمن أيضًا. إلى منتصفه فقط. وعلى الأرض دلو أزرق. لمح هيس محتويات الدلو، وازداد شعوره بالغثيان.

- ما الذي فعلتَه بـ تولين؟

لكنَّ جينز لم يعد في أفق رؤيته. قبل ذلك بلحظة، رمى الهاتف في حجر هيس، وسار إلى أقصى طرف في الغرفة، حيث سمع صوت قعقعة، في حين حاول الوقوف على قدميه.

- استسلمْ يا جينز. إنهم يعرفون بشأنك، وسيجدونك. أين هي؟

- لن يجدوا شيئًا. هل نسيت من هو جينز؟

رائحة البنزين لا لبس فيها. وظهر جينز مع صفيحة وقود، وبدأ سكب السائل على الجدران. وعندما وصل إلى روزا، رش السائل على جميع أنحاء جسدها الضعيف قبل المتابعة في جميع أنحاء الغرفة.

- يمتلك جينز بعض الخبرة في الطب الشرعي. لن يتبقى منه شيء عندما يصلون إلى هنا. اختُرِع جينز لغرض واحد. وبحلول الوقت الذي يكتشفون فيه ذلك، سيكون الوقت قد فات.

- اسمعني يا جينز.

- لا، فلنتخطَّ هذا الجزء. من الواضح أنك محظوظ لاكتشاف ما وقع هنا في ذلك الوقت. لكنْ لا تتكبدْ عناء إخباري بأنك تشعر بالأسف من أجلي، وأنني سأحصل على عقوبة أخف إذا سلّمتُ نفسي، وكل هذا الهراء.

- أنا لا أشعر بالأسف من أجلك. ربما كنتَ مختلًّا عقليًّا منذ ولادتك. أنا آسف لأنكَ خرجت من هذا القبو.

نظر إليه جينز. رسم ابتسامة خفيفة. ولم يمتلك هيس الوقت الكافي للاستعداد للركلة الثالثة على وجهه.

- كان يجب أن أقتلكَ منذ زمن بعيد. بالتأكيد بحلول الوقت الذي كنتَ تقف فيه وظهرك إليّ، وأنت تحدق إلى العاهرة كفيوم في الحديقة.

بصق هيس مزيدًا من الدم، وتحسَّس جوف فمه بلسانه. أحسَّ بطعم الحديد، وكانت بضعة أسنان في فكه العلوي رخوة. كان هو القاتل في الحديقة، ولم يخطر ذلك على بال هيس.

- بصراحة، كنت أظنك غبيًّا. قالوا إنك كنت فاشلًا ومغرورًا طُرِدَ من اليوروبول. لكنكَ ظهرتَ بعدئذٍ لتقطع أوصال الخنازير، أو الحديث عن لينوس بيكر، وأدركتُ أن تولين ليست الوحيدة التي ينبغي لي مراقبتُها. بالمناسبة، رأيتكم تلعبون مسرحية الأسرة السعيدة قبل رحلتكَ القصيرة إلى أوربان بلان. أراهن أنكَ وقعت في غرام تلك الفاسقة الصغيرة، أليس كذلك؟

- أين هي؟

- حسنًا، أنت بالتأكيد لستَ الأول. لقد شاهدتُ عددًا لا بأس به من زوار شقتها، وأخشى أنكَ لست من نوعها المفضل. لكنْ لا تقلق- سأخبرها بأنك تلقي التحية عليها قبل أن أذبحها.

شعر هيس بالبنزين ينسكب فوقه، في حين أفرغ جينز الصفيحة. وخز السائل عينيه والجروح القديمة والحديثة في رأسه، فحبس أنفاسه حتى توقف عن السكب. هز رأسه لإبعاد القطرات، وعندما فتح عينيه، كان جينز قد خلع معطفه وطرح القناع وشبكة الشعر على الأرض. وقف قبالة باب حديدي أبيض في نهاية الغرفة، ربما هو الباب الذي يؤدي إلى الدرج الخرساني والمطبخ. وفي يده رجل كستناء. وعندما نظر إلى هيس، ضرب رأس ساق الدمية بعلبة أعواد ثقاب. فاشتعلت. وبمجرد أن أصبح اللهب كبيرًا بدرجة كافية، رمى الدمية في السائل على الأرض، وأغلق الباب خلفه.

120

صدر صوت قرقعة قوي من ظهر المقعد، وتحرك إلى الأمام، وهذا ما خلق فجوة داخل السيارة. وبعد طول انتظار، استطاعت تولين رؤية الضوء. رقدت لحظة، متعرقة ومرهقة، جسدها في صندوق السيارة، ورأسها في الفجوة. أدارت وجهها. وفي الأعلى إلى اليمين، استطاعت الرؤية من خلال النافذة الجانبية الخلفية: شريط عمودي ضيق من ضوء المصابيح في الفناء أخبرها أن السيارة متوقفة داخل الحظيرة.

تبيَّن لها استحالة فتح القفل. وبدلًا من ذلك، لاحظت أن الجدار الخلفي بدأ في الظهور عندما دفعت بركبتيها، واستمرت باستخدام الجزء العلوي من ظهرها كمكبس. استعدَّت الآن مرة أخرى، هذه المرة لدفع نفسها أكثر إلى المقعد الخلفي. إذا تمكنت من العثور على شيء ما لقص الشريط اللاصق حول يديها وقدميها، فلم يفت الأوان بعد. كان الصمت من المنزل لا يطاق. لكنْ إذا تمكنت فقط من الدخول، وربما حتى العثور على سلاحها، فسيكون اثنان ضدَّ واحد. وهيس ليس غبيًّا. إذا نجح في الوصول إلى المزرعة، فلا بدَّ أنه اكتشف أن جينز هو القاتل، ولا بدَّ أنه حذر. كانت هذه آخر فكرة راودتها قبل أن تسمع صوت ألسنة اللهب تشتعل بسرعة. مثل هبوب رياح مُفاجِئة تُضخِّم الشراع حتى نقطة الانهيار. لم يكن الصوت بعيدًا عن تولين. ربما في مكان ما داخل المنزل؛ ربما من المكان نفسه الذي أتت منه الصرخات، مع أنها سكتت منذ مدة طويلة.

حبست تولين أنفاسها واستمعت. نعم، إنه صوت النار. وبدأت تشم رائحة الدخان. وبينما كانت تتلوى مُحاوِلةً وضع جسدها بالكامل على المقعد الخلفي، حاولت التفكير لمعرفة معنى النار. فجأة تذكرت صفائح الوقود على المنضدة في الغرفة الأمامية. شاهدتها سريعًا عندما دخلت الغرفة قبل أن يتحول انتباهها نحو الحائط، وجينز. لكن، إذا كان الحريق جزءًا من

السيناريو الذي خطط له جينز، فإنه ينذر بكارثة لـ هيس. دفعت جذعها إلى المقعد الخلفي، ورفعت الجزء السفلي من جسدها حتى تستلقي على جانبها. وباستخدام مرفقيها، تمكنت من الجلوس، وكانت على وشك الوصول إلى مقبض الباب بيديها المقيتدين. في عقلها، وجدت فعلًا أداة لتحرير نفسها حتى تتمكن من الركض إلى المنزل، لكنها بعد ذلك رصدته من خلال الفتحة بين أبواب الحظيرة.

إنه يخرج من الباب الأمامي وفي يده إحدى صفائح البنزين، ولا يتوقف عن سكب السائل حتى وصل إلى أسفل الدرج. رمى الصفيحة من خلال الباب، وأشعل عود ثقاب وألقاه قبل أن يستدير على الفور لمواجهة الحظيرة. اتجه مباشرة إليها. وخلفه، شعرت بالنيران تنتشر في أرجاء المنزل بسرعة لا ترحم. وبحلول الوقت الذي وصل فيه إلى الأبواب، كانت ألسنة اللهب في النوافذ قد وصلت فعلًا إلى السقف، وكان مرئيًا فقط كخيال.

قذفت تولين نفسها خلف مقعد السائق في اللحظة نفسها التي فَتَح فيها بابي الحظيرة جانبًا. تدفق التوهج البري الخافت إلى الداخل، وكوَّمت نفسها قدر الإمكان. فتح جينز الباب الأمامي. ومن خلال المقعد، شعرت بثقله على خدها وهو يصعد إلى الداخل. أدخل المفتاح، وشغل المحرِّك. وعندما تحركت السيارة، خلال الساحة الثلجية، سمعت تولين النوافذ الأولى تنفجر بفعل الحرارة.

121

لم يُعِرْ هيس بالًا للموت قطُّ. ليس لكرهه الحياة، وإنما للألم الذي رافقه في الحياة. لم يطلب المساعدة، ولم يقصد أصدقاءه القلائل. لم يأخذ بالنصيحة التي أُعطِيت له. وبدلًا من ذلك هرب. كان يركض بأسرع ما يمكن، والظلام يلاحقه، وقد نجح في الفرار أحيانًا. ملاذات صغيرة في أركان أجنبية من أوروبا، حيث يستسلم عقله لانطباعات جديدة، وتحديات جديدة. لكنَّ الظلام كان يعود دومًا. وتراكمت الذكريات والوجوه الميتة تدريجيًّا. لم يكن لديه أحد، ولم يكن أحدا، والديون التي كان يدين بها لم تكن للأحياء. فإذا جاء الموت، يا مرحبًا!

هذا ما شعر به، لكنَّ الأمر مختلف عما انتابه في القبو.

عندما انغلق الباب خلف جينز وبدأت النار تنتشر، زحف فورًا إلى الآلة الملطَّخة بالدماء التي رآها ملقاة على الأرض خلف روزا هارتونج. كان من السهل تخمين عملها، ومع أسنانها ونصلها الماسي، لم يستغرق الأمر سوى لحظة واحدة لقطع الكابلات في معصميه. ثم إنه استخدم النصل على الأربطة عند قدميه. وبحلول الوقت الذي وصلت فيه النار إلى منتصف الطريق في الغرفة –التي تتجه الآن نحو روزا– أمسك هاتفه المحمول وسلاحه، وترنح على قدميه. كانت سحب الدخان الأسود تتصاعد فعلًا تحت السقف. وبينما كان يشاهد ألسنة اللهب، فك الأحزمة الجلدية واحدًا تلو الآخر بأسرع ما يمكن. تمامًا عندما قفزت النار من الأرض إلى المنضدة الفولاذية، تمكن من رفع جسد روزا المبتور جانبًا، وحملها إلى الزاوية حيث لم يسكب جينز البنزين.

لكنها مدة راحة قصيرة. ألقت النار ألسنتها على الألواح الليفية في الجدران، وسرعان ما تلطَّخ هو وهارتونج بالبنزين. لن يستغرق الأمر أكثر من ثوانٍ قبل أن تصل النيران إلى ركنهما، أو قبل أن ترتفع درجة الحرارة في الغرفة لدرجة اشتعالهما تلقائيًّا. المخرَج الوحيد هو الباب الذي اختفى من

خلاله جينز، لكنْ من المستحيل فتحه. المقبض ساخن جدًّا لدرجة أن السترة التي خلعها هيس اشتعلت فيها النيران عندما حاول استخدامها لحماية بشرته. سجادة الدخان السوداء بالقرب من السقف تزداد ثخانة بشكل مطرد، لكنه لاحظ بعد ذلك دوامات الدخان الصغيرة الملتفَّة التي تنسلُّ في اتجاه محدد في الألواح الليفية على الحائط المقابل مباشرة. انتزع المنشار، وضغط بشفرات الماس واستخدمها مثل المِخَلِّ. في محاولته الأولى، تمكن من كسر زاوية اللوح بحيث استطاع تدوير أصابعه، ثم شد اللوح حتى أزاله.

وجد هيس نفسه يحدق إلى نافذة في الطابق السفلي مع قضيبين من الحديد في الداخل. وفي الظلام خارجًا، شاهد الأضواء الخلفية للسيارة تجتاز الفناء. كان يرتجف وعيناه تدمعان بلا أمل وهو يحاول نزع القضبان. وعندما اختفت السيارة، خطر على بال هيس أن وقت منيَّته قد حان. استدار نحو اللهب وروزا هارتونج، التي ترقد عند قدميه، والمشبك في نهاية ذراعها أعطاه فكرة. أمسك بالمنشار، واستدار مجددًا نحو النافذة. من حسن الحظ، لا تبدو القضبان أكثر سمكًا من عظام روزا التي قُطِعَتْ. قطعتِ الشفراتُ القضيبَ الأول بسهولة شديدة، وبعد ثلاث محاولات أخرى اختفت القضبان، وفتح هيس النافذة.

ومع إحساسه بالحرق على ظهره، رفع هيس هارتونج إلى حافة النافذة، وسحب نفسه إلى أعلى وزحف أمامها. وبينما كان يتدحرج إلى الخلف من النافذة، ويسحبها معه، شعر بالنيران تمسك رقبته وملابسه، لكنه هبط بعدئذ على ظهره في الثلج البارد خارج النافذة.

وقف على قدميه وهو يسعل، وبدأ بجرِّ روزا هارتونج من خلال الفناء. شعر بجسده كأنه يحترق، وأراد أن يقذف بنفسه في الثلج ليحسَّ بالبرودة، وهو يحاول التنفس بصعوبة. وعندما نجح في الابتعاد إلى مسافة عشرين مترًا من بيت المزرعة المحترق، أسند هارتونج إلى جدار حجري. ثم بدأ الجري.

122

كانت أفكار تولين تصرخ في وجهها للتصرف بسرعة. تكوَّرت حول نفسها في الظلام خلف مقعد السائق، وأولت اهتمامًا لسرعة السيارة وحركتها في محاولة لتذكر الطريق من خلال الغابة، وقياس الوقت الذي سيكون فيه جينز أكثر تشتتًا. لا بدَّ أن يقف الثلج والظلام إلى جانبها. لا بدَّ أن تركيز جينز منصبٌّ على الطريق – فالظلام حالك، وسماكة الثلج لا تقلُّ عن خمسة سنتيمترات أو عشرة. حاولت تخمين فرصها في التغلب عليه بينما لا يزال القيد في يديها وقدميها. لكنَّ كل ثانية لا تفعل فيها شيئًا هي مضيعة للوقت. يجب أن تعود إلى المزرعة في أسرع وقت ممكن.

مع أنها لم تجرؤ على رفع رأسها والنظر من خلال النافذة في حين كانت السيارة تغادر الحظيرة وتعبر الفناء، فإنها شعرت بضراوة الحريق.

فجأة، أحسَّت تولين أن السيارة تبطئ سرعتها. يبدو كما لو أنهما على منحنًى عريض، وكل عضلات جسدها متشنجة. أدركت أنهما وصلا إلى المنعطف الطويل تقريبًا في منتصف الطريق نحو الطريق الرئيسي. جلست فجأة، ورفعت يديها المقيدتين بعزم وقذفتهما نحو مقعد السائق مثل حبل المشنقة. رأت عينيه تلمعان بخفوت في مرآة الرؤية الخلفية. وكما لو أنه كان مستعدًّا، استجمع قواه وتصدَّى بيده بضربة قوية أجبرت ذراعيها على التراجع. وعندما حاولت مرة أخرى، ترك الدواسات وعجلة القيادة والتفت نحوها، وشعرت باللكمات تُمطَر على رأسها. أخيرًا، انزلقت السيارة إلى طريق مسدود، وأصبح المحرك في وضع خامل واستلقت على المقعد الخلفي لاهثة للحصول على الهواء من خلال فتحة أنفها.

– من حظِّكِ أنكِ كنتِ الوحيدة في فريق الجنايات التي شعرتُ حقًّا بحاجتي إلى مراقبتها. طبعًا، هذا يعني أنني أعرف كل شيء عنك.

من بين ذلك رائحتكِ عندما كنتِ تجهدين نفسك وتتعرَّقين مثل خنزير صغير. هل أنت بخير؟

لم يكن سؤاله منطقيًّا. طوال الوقت، كان يعرف أنها هناك. وعندما وضع سكينًا على الشريط اللاصق فوق فمها، فكرت للحظة أنه سيذبحها. وبدلًا من ذلك، قطع شقًا في الشريط حتى تمكنت من فكه بيديها المقيدتين واستنشاق الهواء.

- أين هما؟ ماذا فعلت بهما؟

- أنت تعرفين ذلك فعلًا.

ما زالتْ تولين مستلقية على المقعد الخلفي، وتلهث للهواء، وفي مخيلتها صور المزرعة المحترقة.

- لم يبدُ هيس حريصًا على التنفس مثلكِ، في الواقع. طلب مني أن أوصل إليك السلام، بالمناسبة، قبل أن أذبحكِ. إذا كان لهذا أي عزاء في نفسك.

أغلقتْ تولين عينيها. كان الضغط عليها شديدًا، وشعرت بأن الدموع بدأت تنهمر. بكت على هيس وروزا هارتونج. وبشكل خاص، بكت من أجل لو الموجودة في المنزل، ولم تقترف أي خطأ.

- فتاة هارتونج. هل أنتَ من فعل بها ذلك أيضًا؟

- نعم. كان الأمر ضروريًّا.

- لكنْ، لماذا؟

كان صوتها رقيقًا وهشًّا، وكرهتْ ذلك. ساد الصمت لحظةً. سمعتْ زفيرًا عميقًا، وعندما أدارت عينيها نحو خياله، بدا الأمر كما لو أنه يحدق إلى الظلام. نفض عنه حلم يقظته، واستدار نحوها.

- إنها قصة طويلة. وأنا مشغول، وأنتِ في حاجة إلى النوم.

بدأت اليد التي تمسك السكين في التحرك، فرفعت يديها أمامها.

- جيييييينز...!

شقَّت الصرخة الصمت، لكنها لم تتعرَّف الصوت الأجشَّ. جاء من مسافة، كما لو أنه من أعماق الغابة، أو من مكان ما فيها. توتر جينز، ثم استدار بسرعة البرق تجاه الصرخة. لم تستطع رؤية وجهه، لكنْ يبدو كأنه يحدق بذهول إلى شيء ما.

بذلت تولين جهدها للجلوس بما يتيح لها الرؤية من خلال الزجاج الأمامي نحو نهاية شعاع الضوء من خلال الطريق. ومن ثَمَّ فهمت السبب.

123

كان صدره يعلو وينخفض كما لو أنه سينفجر، وقلبه يضرب بأضلاعه المؤلمة مثل المطرقة. تخرج من فمه غيوم بيضاء غير منتظمة، ويداه تهتزان في البرد، وهو يحاول توجيه سلاحه نحو السيارة التي أمامه. إنه على بعد خمسة وسبعين مترًا تقريبًا. وقف هيس في منتصف الطريق قبالة شعاع المصابيح الأمامية، حيث خرج للتو من الغابة السوداء مثل الموتى الأحياء.

الامتداد الأول خلال الغابة كان مضاءً من المزرعة المحترقة خلفه. ألقت النيران ضوءًا شديدًا خلفه، وكان يركض في نفس اتجاه ظلال الأشجار الطويلة. تذكر أن الطريق من المزرعة لم يكن مستقيمًا، وأنه شكَّل قوسًا عريضًا قبل أن يلتقي الطريقَ الرئيسيَّ. كان يأمل قَطْعَ الطريق والوصول إلى هناك قبل السيارة. لكنْ بمجرد أن تعمَّق أكثر في الغابة، خفت ضوء النيران. ساعده لمعان الثلج قليلًا. ومع انغلاق الغابة حوله، كان يركض كالأعمى تقريبًا. كان الظلام في كل مكان، مع أن ملامح الشجر كانت ظلًّا أكثر سوادًا، وقرر التمسك باتجاه واحد بصرف النظر عن العقبات التي يواجهها. كان يخوض في الثلج، ولم تكن لديه في النهاية أي فكرة عن الجهة التي ينبغي له الركض نحوها. في تلك اللحظة بالذات، لمح ضوءًا ضعيفًا بعيدًا إلى يساره. كان الضوء بعيدًا أمامه، ولا يزال يتحرك. ومع ذلك، تباطأ فجأة. وبحلول الوقت الذي وصل فيه أخيرًا إلى الطريق، كانت السيارة خلفه، والمحرك في وضع الخمول، وكانت الأضواء لا تزال مضاءة.

لم يعرف هيس سبب توقف السيارة، ولم يهتم. جينز في مكان ما خلف الزجاج الأمامي، ولم يكن هيس سيتحرك الآن. وقف بإصرار في منتصف الطريق، مُصوِّبًا بندقيته إلى الأمام مباشرة، في حين تُصفِّر الريح بهدوء بين الأشجار، عندما سمع صوت رنين هاتف. كان هاتفه. حدق إلى السيارة، ولاحظ الضوء الخافت لشاشة على جانب السائق.

أخذ هاتفه من جيبه بتردد، وعيناه تراقبان السيارة. كان الصوت باردًا ومعدوم الإحساس.

- أين هارتونج؟

تمكَّن هيس من رؤية الشكل العام لشخص ما خلف عجلة القيادة. ذكَّره السؤال بأن تعذيب روزا هارتونج هو الشيء الوحيد الذي يهمُّ جينز حقًّا. وحاول السيطرة على تنفسه ليبدو هادئًا قدر الإمكان.

- إنها بخير. إنها تجلس في الفناء، وتنتظر منكَ إخبارها بما جرى مع ابنتها.

- أنت تكذب. لم تتمكن من إخراجها قطُّ.

- ذلك المنشار الذي استخدمتَه يستطيع قطع أشياء أخرى غير العظم. كان على الطبيب الشرعي الجيِّد أن يفكر في هذا قبل أن يتركه وراءه. ألا تعتقد ذلك؟

ساد الصمت في الطرف الآخر. عرف هيس أن جينز سيعيد تفاصيل ما جرى في الطابق السفلي في ذهنه، ليوازن حقيقة الكلمات. وللحظة، خشي أن يعود جينز إلى المزرعة، على الرغم من أن الشرطة في طريقها.

- أخبرها بأنني سأعود لزيارتها لاحقًا. تحرَّك، فـ تولين معي.

- لا أبالي. اخرج من السيارة، واستلقِ على الأرض، وذراعاك على جانبيك.

ساد الصمت مجددًا.

- جينز. اخرج من السيارة حالًا!

صوَّب هيس على السيارة، ونقطة التركيز الوحيدة التي يمكنه رؤيتها بداخلها. لكنَّ الشاشة المتوهجة خلف عجلة القيادة اختفت، وانقطع الخط. في البداية، لم يكن هيس متأكدًا مما يعنيه ذلك.

لكنْ بعد ذلك، سمع هدير محرك السيارة. دار المحرك بعنف، كما لو أن دواسة الوقود اصطدمت بالأرض. تأرجحت العجلات في الثلج، واندفعت أبخرة العادم في الوهج الأحمر للمصابيح الخلفية. وبعد ذلك، تلمس الإطارات الطريق، فتنطلق إلى الأمام.

قذف هيس هاتفه جانبًا، وصوَّب بندقيته. اتجهت السيارة نحوه مباشرة، وسرعتها تزداد مع كل متر. أطلق رصاصة واحدة، ثم أخرى، ثم ثالثة. كانت

الطلقات الخمس الأولى على المبرِّد، لكنْ لم يحدث شيء. كان السبب هو يداه المرتجفتان. حاول مجددًا ممسكًا القبضة بكلتا يديه، وأطلق النار مرارًا وتكرارًا، وتضاءلت ثقته بنفسه. بدا الأمر كما لو أن السيارة محمية بدرع غير مرئي. وعندما وصلت إلى بعد نحو ثلاثين مترًا، أدرك أنه يخاطر بإصابة تولين إذا كانت في الداخل. تصلَّبت إصبعه على الزناد. وبينما هو واقف على الطريق وبندقيته مرفوعة، سمع زئير المحرك، لكنَّ إصبعه لم تتحرك على الزناد. خطر على باله أن السيارة لا بدَّ ستصدمه؛ لا وقت أمامه للهروب. في اللحظة الأخيرة، لمح حركة خلف الزجاج الأمامي، فتخرج السيارة عن مسارها. شعر بدفء غطاء المحرك، في حين تقدمت السيارة متجاوزة فخذه اليمنى. وعندما استدار، شاهدها تطير من خلال الطريق. سمع صوتًا مدويًا. تكسُّر لمعادن، وتحطم الزجاج، وارتفعت ضوضاء المحرك بدرجة كبيرة، وعلا صوت بوق السيارة. في هذه اللحظة، ألقى شخصان متشابكان بنفسيهما من خلال الزجاج الأمامي وبين الأشجار كدمى لا حول لها ولا قوة. بدا أنهما ممسكان ببعضهما بإحكام، وهما يدوران في الهواء. لكنهما أفلتا من قبضة بعضهما، وواصل أحدهما شكله المقوَّس، واتجه الآخر ليضرب الأشجار، ويختفي في الظلام.

استدار هيس. كان غطاء المحرك ملتحمًا بجذع شجرة، لكنَّ المصابيح الأمامية لا تزال مضاءة، والشكل الموجود في الشجرة الكبيرة هو أول ما يراه. ثمة فرع سميك ومعوجٌ يخترق صدره، وأرجله ترتجف في الهواء الفارغ تحته. عندما رأى هيس، تركَّزت تعابيره.

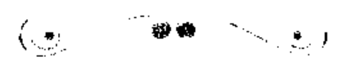
- ساعد... ني...

- أين كريستين هارتونج؟

كانت العينان الواسعتان مثبتتان على هيس.

- أجبني يا جينز.

فارق الحياة. كان معلقًا بالقرب من الجذع، ملتحمًا تقريبًا بالشجرة، ورأسه متهدل، وذراعاه على جانبيه مثل واحدة من دماه. وبينما كان هيس يلقي نظرة يائسة حوله، نادى باسم تولين. أحسَّ بثمار الكستناء وهي تتكسَّر في الثلج تحت قدميه.



الثلاثاء 3 نوفمبر



124

سارت القافلة الصغيرة المكوَّنة من ثلاث سيارات على المنحدر، وغادرت محطة العبَّارات مع بدء شروق الشمس. كان الجو في روستوك باردًا وعاصفًا. انطلقت القافلة نحو وجهتها على بعد ساعات قليلة. جلس هيس خلف عجلة القيادة في آخر سيارة، ومع أنه لا يستطيع توقع نتيجة الرحلة، فإن الابتعاد أمر جيد بحد ذاته. خلال الأيام القليلة الماضية، كان المزاج السائد في مركز الشرطة وإداراته المختلفة مزعجًا، إذ سارع الناس إلى التنصُّل من مسؤولياتهم. وعلى الطريق السريع، كانت شمس نوفمبر المشرقة، وشُغِّلَ الراديو بأمان دون التعرض لضغوطات التشويش وتصيُّد أكباش الفداء.

كان وقع الكشف عن أن جينز هو رجل الكستناء صادمًا للجميع. بصفته رئيسًا لقسم الطب الشرعي، كان بمنزلة القدوة لزملائه في العمل. وما زال بعض التلاميذ في المبنى غير مصدِّقين حقيقة عمله دون أن تثقل أي من الجرائم التي اقترفها ضميره. وفي الطرف الآخر، جادل منتقدوه بأن جينز كان يتمتع بسلطة كبيرة. لكنَّ النقد والبحث لم يتوقفا عند هذا الحد. بالتأكيد ليس في وسائل الإعلام. قسم الجرائم الكبرى -الذي استفاد من جينز ومهاراته في حين لم تكن لديه شكوك واضحة عنه- تعرض لنيران كثيفة. وكذلك الحال مع كبار الضباط، طبعًا، الذين كانوا مسؤولين عن ترقيته في المقام الأول. وحتى الآن، حجب وزير العدل المحاصَر أي عواقب لهذه الأخطاء، على الأقل حتى الحصول على تفسيرات واضحة لتصرفات جينز.

ومع ضجيج وسائل الإعلام، ركَّز هيس والمحققون الآخرون على إنهاء القضايا العالقة. ما أذهل هيس هو الدرجة التي تمكن فيها جينز من توجيه التحقيق: كيف أنه، ومنذ البداية، وجَّه تولين وهيس نحو رجل الكستناء الصغير وبصمة الإصبع، حتى أُعيدَت روزا هارتونج إلى القضية. وكيف دفع تولين وهيس إلى متابعة الطرد الذي يحتوي على هاتف لورا كيار المحمول وصولًا

إلى إيريك سيير لاسين، في حين كان جينز نفسه يهاجم زوجة سيير لاسين في منزله في كلامبينبورج؛ وكيف اقتحم قاعدة البيانات في قسم طب الأطفال في ريجز ووجد أسبابًا لدراسة أطفال لورا كيار وآن سيير لاسين وجيسي كفيوم -اتضح أن أوليفيا كفيوم دخلت المستشفى أيضًا بعد تعرُّضها لحادث في المنزل- قبل توجيه الرسائل المجهولة إلى المجلس، بحيث تجري مواجهة الشرطة والسلطات الأخرى مع عدم كفاءة النظام؛ كم كان متيقظًا للفخ الذي وُضِعَ للقاتل في أوربان بلان؛ وكيف شعر بالضغط بسبب زيارة تولين وهيس إلى لينوس بيكر، ولهذا السبب زرع الأطراف المقطوعة في ممتلكات سكانز ونيرجارد عندما ذهب لفحص مسرح الجريمة بصفته الرسمية. وأخيرًا وليس آخرًا، كيف تابع جينز الزوجين الشابين في الغابة باستخدام وحدة التعقُّب في الشاحنة المستأجرة، وكيف قتل المشتبه فيهما قبل أن يتصل بنيلاندر، ويخبره بمكان العثور عليهما. كانت جميعها اكتشافات غير سارة، وربما توجد اكتشافات أخرى، ولا سيَّما أنهم لم ينتهوا من التحقيق في الدور الذي أداه جينز في اختفاء كريستين هارتونج في العام السابق.

وفيما يخصُّ السجل الشخصي لـ جينز، فُحِصَتْ ووُسِّعَتِ المعلومات التي وجدها هيس في قاعدة البيانات. فُصِلَ التوأم اليتيم بعد إقامتهما في مزرعة أورَم، وعندما نفدت السلطات من الأسر الحاضنة لـ توكه بيرينج الذي كان يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، أرسلوه إلى مدرسة داخلية في غرب زيلاند. من الواضح أن الحظ قد ابتسم له. لقد تبناه رجلُ أعمالٍ مسنٌّ بلا أطفال كان قد أنشأ في السابق مؤسسة لإفادة أطفال المدرسة الأكثر حرمانًا. منحه الرجل الذي كان اسمه الأخير جينز، الفرصة ليبدأ من جديد في مدرسة ثانوية راقية في سورو تحت اسم التبنِّي الجديد سيمون جينز، حيث تميز الصبي بسرعة مذهلة. لكنْ على السطح فقط كانت التجربة الاجتماعية للرجل ناجحة: في الحادية والعشرين من عمره، وفي أثناء دراسة اقتصاديات الأعمال وتكنولوجيا المعلومات في جامعة آرهوس، يبدو أن جينز كان على اتصال بمساعد المختبر من قضية ريسكوف. وعند الفحص الدقيق لملفات القضية من شرطة آرهوس، تبيَّن أن سيمون جينز، الطالب الذي يعيش في قاعات السكن المقابل، قوبل بشأن إمكانية رؤية صديق الضحية السابق في يوم الجريمة. بعبارة أخرى، عاش جينز أمام الضحية، وعرض مساعدته في حل جريمة قتل كان من شبه المؤكد أن يرتكبها بنفسه.

وعندما تُوفِّي راعيه بسبب نوبة قلبية بعد ذلك بوقت قصير، ورث جينز مبلغًا كبيرًا من المال، واستخدم حريته المكتشَفة حديثًا للانتقال إلى العاصمة، وإلى أكاديمية الشرطة بهدف متواضع هو أن يصبح من فنيي الطب الشرعي. وسرعان ما لوحِظَتْ موهبته وتفانيه في هذا الموضوع. لكن من الواضح أن أحد أول الأشياء التي تعلَّمها هو كيفية اختراق قاعدة البيانات الوطنية لأرقام الهوية، وتغيير بياناته حتى لا يتمكن أحد من الربط بينه وبين توكه بيرينج. أدى ارتقاؤه اللاحق في السلم الوظيفي إلى قراءة مثيرة للإعجاب ومروِّعة، بالنظر إلى أنه كان لا بدَّ من إعادة فتح جريمتيْ قتل أخريين لم يُحلَّا بعد بين عامي 2007 و2011 لأن دمى رجال الكستناء لوحِظَ وجودها في صور مسرح الجريمة.

من عام 2014 فصاعدًا، كان خبيرًا ذائعَ الصيت حينها، وعمل مع الشرطة الفيدرالية الألمانية ومع شرطة سكوتلاند يارد. لكنه ترك المنصبين عندما عُرِضَ عليه منصب رئيس قسم الطب الشرعي في كوبنهاجن قبل عامين تقريبًا. كان السبب الحقيقي وراء طلبه هو استغلال الدور في خططه لروزا هارتونج التي أصبحت للتوِّ مشهورة على الصعيد الوطني بتسلمها منصبَ وزيرة الشؤون الاجتماعية. وعلى الفور، اشترى جينز مزرعة الكستناء، وجدَّدها بالمال المتبقي من ميراثه. وبمجرد أن بدأت الأوراق تتساقط من الأشجارِ الخريفَ الماضيَ، كان مستعدًّا لوضع الجزء الأول من استراتيجيته قيد التنفيذ، والانتقام لنفسه من روزا هارتونج. وبصفته رئيس قسم الطب الشرعي، كان من السهل عليه التحكُّم في مختلف أدلة التحقيق: أولًا، الدليل الذي وضع اختطاف كريستين في المسار الخاطئ، ثم جاء الدليل الذي أدان لينوس بيكر. ومن خلال فحص جهاز كمبيوتر جينز في المختبر خلال عطلة نهاية الأسبوع، اكتشفتْ تولين أنه كان على دراية بـ لينوس بيكر ووصوله إلى أرشيف مسرح الجريمة قبل مدة طويلة من علم الشرطة بذلك. لا يعني أنه ذكر ذلك لأي شخص. لا بدَّ أن جينز اعتبر لينوس بيكر كبش الفداء الذي يحتاج إليه، وكان من السهل عليه زراعة المنجل الملطخ بالدماء في مرأب مبنى بيكر قبل إبلاغ الشرطة من مجهول. كان قرار بيكر فيما بعد بالاعتراف بالجريمة بمنزلة مكافأة مسلِّية لجينز، ولو أنها لم تكن ضرورية، بعد كل شيء، كانت توجد فعلًا أدلة كافية.

بالنسبة إلى هيس، كانت المشكلة في أنه لم يجد في مقتنيات جينز القليلة جدًّا أيَ أثر لما وقع فعلًا لـ كريستين هارتونج. يبدو أنها حُذِفَتْ بالكامل، أو أُتلِفَتْ، أو حُرِقَتْ، كما يشهد الحريق الهائل في مزرعة الكستناء. في البداية، كان يُعلِّق آماله على الهاتفين المحمولين اللذين عُثِرَ عليهما في السيارة المحطمة في الغابة. لكن، تبين أن كليهما جديد تمامًا، ولم يُستخدَما إلا في اليوم الذي عُثِرَ فيه عليهما. من ناحية أخرى، كشف سجل نظام تحديد المواقع للسيارة عن عدد من الزيارات إلى منطقة معينة جنوب شرق روستوك في شمال ألمانيا. لم يبدُ الأمر مهمًّا في البداية، نظرًا إلى عمل جينز السابق مع الشرطة الاتحادية الألمانية، لكن عندما اتصل هيس بالمحطات حيث رست العبَّارات الدنماركية من فالستر ولولاند بعد ظهر اليوم السابق، بدأ مسار روستوك يبدو مثيرًا للاهتمام. كانت السيارة المستأجرة ذات اللون الأخضر الداكن لا تزال تنتظر أن تُتَسلَّم من محطة العبَّارات في روستوك، وكانت موجودة منذ يوم الجمعة- وهو اليوم الذي مات فيه جينز، وعُلِّقَ على شجرة كستناء.

بعد الاتصال بشركة التأجير الألمانية، علم هيس أن السيارة مُستأجَرة باسم امرأة.

قال الصوت على الطرف الآخر من الاتصال، وبلغة ألمانية: «اسم المرأة هو أستريد بيرينج».

عاد التحقيق إلى مسار سريع مرة أخرى. سارع هيس إلى استخدام علاقاته في الشرطة الألمانية. وبعد بضعة أساليب التفافية، تبين أن أخت جينز التوأم تعيش الآن في ألمانيا. وضُيِّقَتْ مساحة البحث إلى منطقة خارج قرية صغيرة اسمها «بوجيفيتز»، نحو ساعتين بالسيارة من روستوك، وليست بعيدةً عن الحدود البولندية. ومن قاعدة البيانات، تذكَّر هيس أن كل أثر للأخت التوأم قد اختفى عندما خرجت من مؤسسة للأمراض النفسية قبل أقل من عام بقليل. لكن، إذا كانت هي وجينز على اتصال في المدة الفاصلة -كما يبيِّن نظام تحديد المواقع في سيارة جينز- فربما تكون الأخت هي الشخص الوحيد الذي يعرف أي شيء عن مصير كريستين هارتونج.

- استيقظي يا تولين.

بدأ الهاتف يرن في الجيب الموجود على المقعد المجاور له، وأخرجت تولين رأسها المجهد من السترة المبطنة التي ارتدتها.

- ربما يكون الألمان. ما دمتُ مَن يقود السيارة، طلبت منهم الاتصال بكِ عند التوصل إلى أي شيء جديد، مرري الهاتف لي.
- أنا بخير، وأتحدث الألمانية بشكل ممتاز.

ابتسم هيس، في حين أخرجت تولين الهاتف من جيب السترة وهي غاضبة من إيقاظها في الصباح الباكر. كانت ذراعها اليسرى مكسورة في مكانين، ومربوطة بحبال. ومع وجهها المصاب بالكدمات، بدت كما لو أنها تعرَّضت لحادث. لم يكن هيس أفضل حالًا منها بكثير. كانا أشبه بزوجين جميلين على بوفيه الإفطار على متن العبَّارة قبل نصف ساعة. وبمجرد عودتهما إلى السيارة، طلبت منه الإذن في أخذ قيلولة، ولم يعترض. تعرَّضا لظروف صعبة جدًّا منذ يوم السبت. منحهما رؤساؤهما بضعة أيام لإنهاء القضية والتعافي. وخمَّن هيس أن تولين لم تحظَ بقدر وافر من النوم. ثم إنه لا يزال ممتنًّا للغاية، لأنه لو لم تركل جينز في تلك السيارة، لكان دعسه وقتله. كانت تولين فاقدة الوعي في الثلج على بعد مسافة ما من الشجرة حيث عُلِّقَتْ جثة جينز. ولم يكن قادرًا على معرفة أكانت إصاباتها خطيرة. وعند أول صوت لاقتراب صفارات الإنذار، حملها إلى الطريق المؤدي إلى سيارات الطوارئ، وأرسلها إلى أقرب مستشفى في أول سيارة توقفت.

- نعم... فهمت... شكرًا.

أغلقت تولين الهاتف مع وميض في عينيها.

- ماذا أخبروكِ؟
- فريق العمل ينتظرنا في موقف للسيارات على بعد خمسة كيلومترات من العنوان. قال أحد السكان المحليين إن هناك بالتأكيد امرأة تعيش في المنزل، والوصف يناسب شخصًا من عمر أستريد بيرينج.
- لكنْ؟

من وجه تولين، استطاع هيس أن يعرف بوجود المزيد، لكنه لم يستطع معرفة أكان هذا جيدًا أم سيئًا.

- تعيش المرأة وحيدة. وشُوهِدَتْ عدة مرات تمشي في الغابة مع طفل في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من العمر. طفل يفترض به أنه ابنها.

125

تشعُّ الشمس من وراء الزجاج المكسوِّ بالجليد. بعض الحقائب موضوعة على حصير جوز الهند عند قدميها، وتنتظر أستريد بقلق في الردهة حتى تبتعد الأسرة على الدراجات قليلًا عن المنزل حتى لا يرونها عندما تفتح الباب، وتخرج. خمس عشرة خطوة تقريبًا فقط تفصلها عن المرأب والمقعد الصغير المكسور، لكنها تحرَّكت بسرعة: كل ما تريده هو العودة إلى المنزل لاصطحاب موليه قبل أن يأتي شخص آخر على دراجة أو في سيارة.

لم تحظَ أستريد بالكثير من النوم. كانت مستيقظةً معظم الليل، وأمواج الأفكار تتلاطم في عقلها عمَّا يمكن أن يحدث. وفي نحو السادسة والربع من صباح ذلك اليوم، قررت مخالفة أوامر أخيها، والخروج من هناك. فتحت خزانة المؤن، وهزَّت موليه برفق لتستيقظ، وطلبت منها ارتداء ملابسها لتناول الإفطار. اقتصرت وجبة اليوم على بضع قطع من الخبز المحمَّص مع المربَّى، وتفاحة واحدة لموليه؛ لم تجرؤ على المجازفة برحلة إلى المتجر منذ الأسبوع الماضي. كانت الحقائب مُجهَّزة منذ مساء يوم الجمعة، عندما أخبرها شقيقها بضرورة الاستعداد للمغادرة فور وصوله. لكنه لم يفعل. كانت أستريد تنتظر وتنتظر. ومن مكانها بجوار نافذة المطبخ فوق المغسلة، كانت تحدق إلى الطريق الريفي وهي تتنفس بانقباض، وتحدق إلى المصابيح الأمامية التي تظهر أحيانًا في الظلام. وفي كل مرة، كانت تلك المصابيح تمرُّ من خلال منزل منعزل محاط بالحقول والغابات. شعرت بالخوف والارتياح، لكنها لم تجرؤ على فعل أي شيء سوى الانتظار يومًا آخر. ثم آخر وآخر. في العادة، كان يتصل هاتفيًّا في مواعيد ثابتة، في الصباح والمساء، للتأكد من أن الأمور تسير على ما يرام. ولكنها لم تتلقَّ منه أي اتصال منذ صباح الجمعة، ولم تتمكن من الاتصال به لأنها لم تكن تعرف رقمه. وقد يُسبب له اتصالُها خطورةً كبيرة، كما قال لها منذ وقت طويل، وانصاعت لأوامره. لطالما انصاعت لأوامره واقتراحاته، لأنه كان الأقوى، ولأنه كان أدرى بمصلحتهما.

لولا شقيقها، لاستسلمت أستريد منذ مدة طويلة للمخدرات والكحول، وكره الذات. كان يطرق بلا كلل أبوابَ المنازل ومراكز العلاج حتى يتمكنوا من محاولة شفائها مرة أخرى، والتوصُّل إلى استراتيجيات جديدة. مرة بعد أخرى، كان يجلس ويستمع للأطباء والمعالجين وهم يشرحون الضرر الذي أصاب عقلها، ولم تكن تفهم أنهما يتشاركان المعاناة. لقد عرفت، طبعًا، ما كان قادرًا عليه، لأنها شاهدته بأم عينيها في ذلك اليوم في مزرعة أورَم، لكنها كتمت ألمها لسنوات عدّة لدرجة أنها تأخرت في ملاحظة ألمه.

منذ نحو عام، عندما كانت في مؤسسة أخرى، جاء لاصطحابها ذات يوم، وأخذها في السيارة إلى العبَّارة، واتجها إلى مكان ما جنوب روستوك، حيث يقبع كوخ صغير اشتراه باسمها. كانت في حيرة من أمرها، لكنَّ المكان وألوان الخريف كانت ساحرة في ذلك اليوم، وشعرت بالكثير من الامتنان لمحبَّته. حتى أخبرها عن سبب شرائه المنزل، والغرض من استخدامه.

وقع الأمر في الليل، إذ جلب الفتاة الصغيرة المخدرة في صندوق السيارة. أُصيبَتْ أستريد بالرعب. تعرَّفت وجه الفتاة من التلفزيون في صالة المؤسسة خلال الشهر السابق، وذكَّرها بنبرة منتصرة بهوية والدة الفتاة. عندما اعترضت أستريد على خطته، انفجر بنوبة من الغضب قائلًا إنه سيضطر إلى قتل الفتاة على الفور إذا لم تعتنِ أستريد بها. ثم وضعها في حجرة المؤن المُكيّفة وغادر، لكنْ ليس قبل أن يخبر أستريد أن المنزل مزوَّد بما يكفي من الكاميرات حتى يتمكن من مراقبة كل حركة تفعلانها. كانت تخاف منه حينها، أكثر بكثير مما كانت عليه عندما كان يقف في القبو مع الفأس فوق جثة ذلك الشرطي.

في البداية، كانت تتجنب التواصل مع الفتاة إلى حد كبير. كانت تقترب منها مرتين في اليوم فقط، عندما تفتح باب غرفة المؤن لإعطائها الطعام. لكنَّ صوت البكاء كان لا يُطاق، وضيق الفتاة ذكَّرها بسجنها. وسرعان ما سمحت لها أستريد بالخروج وتناول الطعام معها في المطبخ. أو السماح لها بمشاهدة برامج الأطفال على التلفاز في غرفة المعيشة على إحدى القنوات الألمانية. شعرت أستريد أنهما سجينتان تحت سقف واحد، ولم يمر الوقت ببطء شديد عندما كانتا معًا. لكنْ، عندما حاولت الفتاة الركض تجاه الباب، كان على أستريد أن تسد طريقها، وتعيدها إلى سجنها في المخزن. لم يكن حولهما أي جيران، لذلك لم يكن للضجيج أهمية، ومع ذلك كان لا يزال مزعجًا. شعرت أستريد بالأسف على الفتاة. لذلك، وبعد عيد الميلاد ورأس السنة

الجديدة مباشرة التي لم تكن لديها الطاقة للاحتفال بهما، قررت طرح روتين ثابت لتتمكنا من استغلال الوقت بطريقة مفيدة.

يبدأ اليوم بوجبة الإفطار، ثم العمل المدرسي. في رحلة إلى واحدة من أكبر المدن المجاورة، اشترت أستريد مقلمة وردية اللون، وكتب رياضيات وكتبًا مدرسيَّة باللغة الإنجليزية، وبذلت قصارى جهدها لتدريس الفتاة على طاولة المطبخ. استخدمت أستريد موقعًا إلكترونيًّا عثرت عليه من خلال الإنترنت لتعليمها الأدب الدنماركي، واغتنمت الفتاة الفرصة بامتنان. قُسِّمَ الصباح إلى ثلاثة دروس، تليها وجبة غداء تتساعدان معًا في إعدادها، ثم درس آخر في الرياضة في غرفة المعيشة. وهنا، تشاركتا الضحك أول مرة، لأنهما كانتا تبدوان سخيفتين جدًّا في أثناء محاولتهما الجري في المكان ورفع قدميهما. كان ذلك في نهاية شهر مارس، وشعرت أستريد بسعادة أكبر مما كانت عليه منذ سنوات عدَّة. بدأت بمخاطبة الفتاة باسم موليه، لأنه كان أجمل اسم خطر على بالها.

عندما جاء شقيقها لزيارتها، وهو ما كان يفعله مرة واحدة على الأقل في الأسبوع، تغيَّر الجو. كانت أستريد وموليه تجلسان بخجل وصمت، كما لو أن الجلاد دخل الغرفة. شعر شقيقها بالرابطة التي نشأت بينهما، وهدَّد أستريد عدة مرات، من بين ذلك من خلال الهاتف، عندما أفشت كاميرات المراقبة بمقدار الحرية الذي سمحت به للفتاة. عندما كان الثلاثة يأكلون معًا، وهو ما يحدث في صمت عادةً، كثيرًا ما كان يجلس ويراقب موليه بتعابير كئيبة وهي تنظف الأطباق وتغسل الملابس. وكانت أستريد متيقظة لتحركاته. لكنْ لم يحدث شيء على الإطلاق. فقط بعد محاولة هروب أخرى خلال الصيف، ضرب موليه، ولطمها براحة يده.

قبل تلك الحادثة، كانت حرارة الجو تجعل الجلوس في المنزل أمرًا لا يطاق، فنقلتا الدروس إلى الفناء خلف المنزل، من بينها دروس الرياضة. وذات يوم، طلبت موليه الإذن في الخروج في نزهة في الغابة. لم تتوقع أستريد أي خطر في ذلك. كانت الغابة شاسعة، ونادرًا ما تصادف فيها أي شخص. على أي حال، كانتا بعيدتين عن الدنمارك، وبدت موليه مختلفة عما كانت عليه عند وصولها: قصة الشعر القصيرة، والملابس الصبيانية. لكن، في إحدى الممرات، وبعد أن حصلت على الإذن من شقيقها، اندفعت بسرعة. وكعادتهما عندما تشاهدان أشخاصًا آخرين في الغابة، عادتا إلى المنزل، لكن موليه اندفعت مسرعة في محاولة للحاق بزوجين مسنَّين. اضطرَّت أستريد إلى جرِّ الفتاة

الهستيرية طوال طريقها إلى المنزل، وكان من الواضح على الكاميرات أن شيئًا ما قد حدث. بعد ساعات قليلة، وصل شقيقها، وكانت عقوبتها الحجْر لمدة شهر: طوال ثلاثين يومًا، لم يُسمَح للفتاة بالخروج إلا من المخزن للذهاب إلى المرحاض. بمجرد انتهاء العقوبة، أخذتها أستريد إلى الفناء، وأعطتها أكبر آيس كريم تمكنت من شرائه. شرحت مدى خيبة أملها فيها، واعتذرت موليه، واحتضنت أستريد جسدها الضعيف. بعد أن سارت الأمور على ما يرام، التزمتا الدروسَ وروتينَ التمارين، وتمنَّت أستريد أن يستمر ذلك إلى الأبد. لكنْ بعد ذلك جاء الخريف- ومعه أخوها يحمل الكستناء.

- ابقي هنا يا موليه. سأعود بعد دقيقة.

اختفت أسرةُ راكبي الدراجات، وفتحت أستريد الباب الأمامي وخرجت إلى الهواء البارد والنقي وهي تحمل حقيبة في كل يد. أسرعت من خلال المرأب متسائلة إلى أي مدى يمكنهما الوصول اليوم إذا قادت سيارتها بسرعة. لم يكن لديها الوقت لوضع خطة. عادة ما يكون شقيقها هو الذي يعتني بمثل هذه الأشياء، لكنها الآن مُضطرَّة إلى اتخاذ القرار. ومع ذلك، وما دامت موليه موجودة هناك، فلن يقع أي شيء سيئ. أدركت أنهما تنتميان إلى بعضهما، وتوقفت منذ مدة طويلة عن التفكير في أن الفتاة لديها أي منزل بخلاف هذا المنزل. ربما يكون هذا أمرًا جيدًا في الواقع لعدم وجود شقيقها. وفي أعماقها، كانت أستريد خائفة من أن يفعل شيئًا للفتاة بمجرد الانتهاء من كل شيء.

كانت هذه هي آخر فكرة خطرت على بالها قبل أن تتجه إلى المرأب، لتتفاجأ بيد ترتدي قفازًا وهي تغلق فمها، وبصوت يحادثها باللغة الألمانية.

- كم عدد الأشخاص الموجودين في المنزل؟!

- هل الفتاة موجودة هنا، أين هي؟

- أجيبي!

انتُزِعَتِ الحقائب من يديها. كانت أستريد مصدومة لدرجة منعتها من الرد. فقط عندما تحدَّث إليها رجل طويل ومصاب بكدمات، وعيناه مختلفتا الألوان باللغة الدنماركية، بدأت في التلعثم بأنها لن تسمح لهما بأخذ ابنتها. شعرت بغصَّة في حلقها، وبدأت الدموع تتدفق، لأنه لم يكن يصغي إليها.

- أين هي؟

عندما أدركتْ أنهما على وشك اقتحام المنزل بالبنادق والأقنعة المشؤومة، أخبرته بما يودُّ سماعه، ثم انهارت على البلاط تحت قدميه.

126

كان المطبخ فارغًا بطريقة تُوضِّح نيَّة عدم العودة مجددًا. جلست في معطفها على الكرسي الصغير إلى جوار المنضدة، وانتظرت والدتها حتى تأتي وتصطحبها، لأنه لا يُسمَح لها بالخروج بمفردها.

لم تكن أمها الحقيقية، ولكنها اعتادت مناداتها بـ «أمي» بدلًا من أستريد. لا سيَّما عندما تكونان خارج المنزل. لا تزال تتذكر والدتها الحقيقية، ووالدها وأخاها الصغير. وتحلم برؤيتهم كل يوم. لكنَّ الحلم مؤلم، وقد علَّمت نفسها أن تنفذ الأوامر حتى اليوم الذي يمكنها فيه الجري لتحقيق ذلك. حاولت الفرار مرات عدَّة، في الواقع وفي خيالها، لكنها لم تنجح قطُّ. ومع ذلك، نشأ الآن أمل غريب بداخلها وهي تجلس وتنظر من النافذة بقلق نحو المرأب.

ربما بدأ الأمر قبل أيام قليلة، عندما لم يحضر الرجل. جهَّزت الأم كل الأمتعة، وطلبت منها الجلوس على الكرسي الصغير حيث هي الآن. لكنه لم يأتِ. ولا بعد ذلك اليوم، ولا اليوم الذي تلاه. انقطعت الاتصالات الهاتفية أيضًا. وبدت الأم أكثر توترًا وحيرة مما كانت عليه في العادة. وعندما أيقظتها هذا الصباح، أدركتْ على الفور أنها اتخذتْ قرارًا.

قد يكون الهروب شيئًا جيدًا. بعيدًا عن المنزل الذي كرهته، عن الرجل وكاميراته التي تلاحقها دائمًا. لكنْ إلى أين وإلى ماذا، ربما إلى شيء أسوأ؟ لم تجرؤ على متابعة هذه الأفكار حتى النهاية. لم يكن هذا منبع الأمل؛ كان نابعًا من ضوء النهار الذي انسلَّ من خلال الباب الأمامي المفتوح، وحقيقة أن الأم لم تعدْ بعد.

وضعت قدميها على الأرض، وأبقت عينيها مثبتتين على المساحة الفارغة خارج المرأب. ربما تكون هذه هي فرصتها الأخيرة. يومض الضوء الأحمر للكاميرا في زاوية السقف، وحرَّكت قدمًا مترددة أمام الأخرى.

127

لم يكن نيلاندر مرتاحًا لحقيقة وقوفه عند طرف الغابة مع فرقة من الشرطة الألمانية، في انتظار معرفة أكانت كريستين هارتونج موجودة داخل المنزل الخشبي الصغير، أم لا. خرجت الأمور عن سيطرته تدريجيًّا منذ يوم الجمعة الماضي، في الواقع، عندما سُحِبَ البساط من تحت قدميه. وفوق كل ذلك، بُثَّ الذل الذي يعيشه على الهواء مباشرة بتحريض من مستشارة العلاقات العامة نفسها التي فكَّر في إغوائها في غرفة فندقية. ضغط عليه رؤساؤه للاعتراف بأنه أساء الحكم على القضية. وطبعًا، اضطراره إلى الاعتراف بفضل حلِّها لـ هيس وتولين.

من وجهة نظر نيلاندر، جرَّداه من رموز رجولته، وشهَّرا بإخفاقه أمام الجميع في مركز الشرطة. لكنه انصاع للأوامر، ووقف يشاهد رجاله وفي حوزتهم مقتنيات جينز القليلة أملًا في العثور على أدلة عن الفتاة هارتونج التي أعلن نيلاندر انتهاء التحقيق في قضيتها أمام الكاميرات قبل أيام قليلة فقط.

بعبارة أخرى، أحسَّ بأنه غارق حتى أذنيه في المشكلات، ومع ذلك، لا يزال موجودًا هنا مع القافلة المكوَّنة من ثلاث سيارات التي غادرت مركز شرطة كوبنهاجن عند بزوغ فجر ذلك الصباح. لن يمر وقت طويل قبل أن يتضح كل شيء، وسيعرف أكان قد تلقى الضربة القاضية. إذا لم تكن كريستين هارتونج في المنزل، فعندئذٍ يمكنه معالجة الضرر، وستبقى قضيتها على الأرجح لغزًا يمكنه التحدث عن ذلك إلى الصحافة. إذا كانت كريستين هارتونج في المنزل، فسينهار كل شيء فوقه كالجحيم. ما لم ينجح، طبعًا، في التنصُّل من المسؤولية بقوله إن الخطأ الذي وقع فيه أمر مفهوم، وإلقاء اللوم على شخص ما -غيره- الذي سمح لمختل عقلي مثل جينز بالوصول إلى هذا المنصب المهم.

حاصرت قوة الشرطة الألمانية المنزل، وبدأ الرجال في التقدم نحوه في مجموعات من اثنين. ثم، فجأة، توقفوا. انفتح الباب الأمامي، وانطلق الجسد النحيف نحو الخارج بسرعة كبيرة. تتبعها نيلاندر بعينيه. وعندما وصلت إلى منتصف العشب الطويل الرطب في الحديقة، توقفت وحدَّقت إليهم.

تجمَّد الجميع. كانت ملامحها مختلفة. لقد كبرت، وعيناها جامحتان ومظلمتان. لكنَّ نيلاندر شاهد صورتها مائة مرة، وتعرَّفها في الحال.

128

استغرق الأمر وقتًا طويلًا، وخيَّم التشاؤم على أفكار روزا. لا يمكنهم رؤية الكوخ من الطريق الرئيسي حيث يقفون، لكن قيل لهم إنه على بعد خمسمائة متر فقط، على الجانب الآخر من الحقل والبرية مع الأشجار العالية والشجيرات. كانت الشمس مشرقة، لكنَّ الرياح شديدة البرودة، على الرغم من أنهم محميون خلف شاحنتين كبيرتين للشرطة الألمانية.

عندما قيل لهم في الليلة السابقة إن الشرطة تُحقِّق بشأن دليل في ألمانيا، أصرَّت روزا وستين على الحضور. يبدو أن أخت القاتل كانت تعيش في منزل ريفي بالقرب من الحدود البولندية، وتوجد دلائل على أنه كان في طريقه لرؤيتها قبل مقتله على طريق غابة ليس بعيدًا عن مزرعة الكستناء. توجد فرصة حقيقية، على ما يبدو، أن تكون الأخت متواطئة وقد تعرف شيئًا عن كريستين. ولعدم وجود خيوط أخرى تعلق عليها آمالها، فقد أصرَّت مع ستين على الانضمام إلى القافلة. لا سيَّما أن القاتل لم يعد حيًّا ليبوح بمكانها.

كان هذا أول سؤال لروزا عندما استيقظت في المستشفى بعد العمليات الجراحية. نظرت إلى وجه ستين المبلَّل بالدموع. وعندما أدركت مكانها -في مستشفى مناسب وليس في كابوسها في الطابق السفلي الأبيض- سألت أكان الرجل قد قال أي شيء. هز ستين رأسه، ورأت أن الأمر لم يكن مهمًّا في تلك اللحظة. بالنسبة إليه، كان من المريح أن روزا لا تزال حية، وقد رأت الارتياح نفسه في عينيْ جوستاف أيضًا. ثم إنهم أصيبوا بالحزن بسبب طريقة تعذيبها وتشويهها. ساعد المشبك الموجود في نهاية ذراعها اليسرى على إنقاذ حياتها، ومنعها من خسارة الكثير من الدم. لكنَّ اليد المقطوعة التهمتها النيران. أخبرها الأطباء أن الألم سيخف. في مرحلة ما، ستحظى بطرف صناعي مصنوع خصيصى لها، وستعتاده، ولن تتفاجأ دائمًا كلما نسيت الألم لمدة وجيزة ولمحت صورة انعكاسها مع الأطراف المبتورة.

من المثير للاستغراب أن هذا الأمر لم يكن مزعجًا لـ روزا. لم يحطِّمها ما جرى لها. وبدلًا من ذلك، اعتبرت أن ما جرى تضحية تافهة. يمكنها التضحية بكل شيء. بيدها اليمنى أيضًا، تلك التي خُيِّطَتْ مكانها، وبقدميها وبحياتها، لو يتسنى لها إعادة الزمن وإنقاذ كريستين. غمرها الشعور بالذنب في سريرها في المستشفى، وبكت تعاتب نفسها على الخطيئة التي اقترفتها منذ مدة طويلة، عندما كانت طفلة صغيرة. كان خطأها منذ البداية. ومع أنها قضت معظم حياتها الراشدة في إصلاح الأمور، فإن ذلك لم يساعد. وبدلًا من ذلك، تحمَّلت كريستين وزر كونها ابنتها، لتعاني الألم. كانت تلك المعرفة مرعبة. حاول ستين تهدئة روعها، لكنَّ كريستين اختفت، وكذلك الرجل الذي قال إنه أخذها. لم تمرَّ لحظة لم تتمنَّ فيها روزا أن تكون هي المخطوفة بدلًا من ابنتها.

ووسط الحزن وجلد الذات، تلقوا مكالمة من قيادة الشرطة في الليلة السابقة، وحصلوا على مكان لهم في قافلة السيارات التي غادرت ألمانيا قبل شروق الشمس. وبعد بضع ساعات، عند وصوله إلى موقف السيارات حيث كانت شاحنات الشرطة الألمانية تنتظر، استخلص ستين من تبادل المعلومات بين الضباط الدنماركيين والألمان أن المرأة التي كانت تعيش في هذا العنوان شُوهِدَتْ خلال الصيف وهي تمشي مع طفل في عمر كريستين تقريبًا. لم يؤكد الضباط الدنماركيون أي شيء، وتُرِكَتْ روزا وستين مع ضابطين ألمانين في السيارات بمجرد بدء العملية.

فجأة، لم تجرؤ روزا على تصديق بقاء كريستين حية حتى الآن، وهذا صدمها. عادت إلى بناء الآمال والأحلام، وقصور الهواء التي قد تتحطم في أي لحظة. وفي تلك الليلة، عندما نهضت لارتداء ملابس الرحلة، وجدت نفسها تختار الملابس التي ستتعرَّفها كريستين. الجينز الأزرق الداكن، والبلوزة الخضراء، وسترة الخريف القديمة، والحذاء الصغير المبطَّن بالفراء. لطالما أطلقت كريستين عليه اسم «حذاء الدب». اختلقت الأعذار، وأخبرت نفسها أنها يجب أن ترتدي شيئًا ما، لكنها اختارت تلك الملابس لسبب واحد فقط، لأنها بدأت تأمل أن يكون اليوم هو اليوم الذي سترى فيه طفلتها مجددًا، وهو اليوم الذي ستركض فيه نحو كريستين وتحتضنها وتغمرها بكل الحب.

– ستين، أريد العودة إلى المنزل. أعتقد أننا يجب أن نعود الآن.

– ماذا؟

- افتح باب السيارة. هي ليست هناك.
- لم يعودوا بعد.
- لا ينبغي أن نتغيَّب وقتًا طويلًا. أريد العودة إلى جوستاف.
- سنبقى هنا يا روزا.
- افتح الباب! هل تسمعني؟ افتح الباب!

هزَّت المقبض، لكنَّ ستين لم يسمح لها. شاهد شيئًا خلف ظهرها، واستدارت لتنظر إلى الاتجاه نفسه.

شخصان يتقدمان نحوهما من بين الأشجار والشجيرات. اقتربا من خلال الحقل، واتجها إلى الطريق وعربات الشرطة. كانا يرفعان قدميهما إلى أعلى، ربما لأن الطين يتشبَّث بأحذيتهما. كانت الأولى هي الشرطية تولين. والشخص الآخر الذي يمسك بيد تولين، يبدو للوهلة الأولى أنه صبي في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره. كان قصير الشعر، ومتسخًا. تتدلى ثيابه على جسده مثل الفزَّاعة، وثبَّت عينيه على الأرض من صعوبة الخوض في الوحل. لكن، عندما نظر الصبي إلى أعلى وحدق بإمعان نحو السيارات، حيث تقف روزا مع ستين، اتضح كل شيء. شعرت بغصة عميقة في معدتها. وعندما نظرت إلى ستين للتحقق أكان يرى ما تراه، كان وجهه متأثرًا فعلًا، والدموع تنهمر على خديه. بدأت روزا في الجري. تجاوزت السيارات نحو الحقل. تركت كريستين يد الشرطية، واندفعت تركض تجاههما. عندها فقط، أدركت روزا أنها لا تحلم.



الأربعاء 4 نوفمبر



129

لم يكن للسجائر طعمها المعتاد، ولم يكن هيس في عجلة من أمره لدخول الأجواء الدولية، رغم أنه مُولَع بها في العادة. كان يقف في المطار عند مدخل المبنى رقم 3. وبالرغم من الأمطار الغزيرة، كان في انتظار حضور تولين.

ما زال متأثرًا بشعور الأمس. حتى لو نسيه للحظة، سيتذكره مجددًا مع الأخبار التي تستعرضها شاشات الهواتف المحمولة وأجهزة الآي باد. حلَّ لمُّ شمل أسرة هارتونج بابنتهم محلَّ المقالات عن سايمون جينز، وكان هذا هو الخبر الرئيسي اليوم، ولم يتجاوزها في الأهمية سوى التكهُّنات باندلاع حرب جديدة في الشرق الأوسط. حاول هيس جاهدًا كبح دموعه عندما رأى الوالديْن يقفان هناك في مهب الريح، يعانقان الفتاة في الحقل. وعندما انهار في سريره في أودين في وقت متأخر من الليلة الماضية، غطَّ في نوم عميق ومتواصل طيلة عشر ساعات، هي الأولى له منذ سنوات.

بشعور منسي بالسلام الداخلي، نهض وقاد السيارة مع تولين وابنتها اللتين كانتا في إجازة خريفية متأخرة، إلى المؤسسة التي اصطُحِبَ إليها ماجنوس كيار. عُثِرَ على زوج أم ماجنوس، هانز هنريك هاوج، واعتُقِلَ في نهاية هذا الأسبوع من ضباط المرور في استراحة في جوتلاند. لكنَّ هذا لم يكن سبب رغبة هيس في زيارة ماجنوس. سرعان ما تآلف الطفلان، لو وماجنوس، لاهتمامهما المشترك بلعبة «صراع الأساطير»، في حين أخبر رئيس القسم تولين وهيس أنهم وجدوا أسرة حاضنة للصبي. كانت الأسرة من جيليليه، ولديها خبرة من عشر سنوات، فضلًا عن وجود ابن متبنًّى أصغر قليلًا من ماجنوس، ويمكنه التعامل مع أخ أو أخت. يبدو أن الاجتماع بين ماجنوس والأسرة سار جيدًا، مع أن ماجنوس قال بعد ذلك إنه لو خُيِّر، فسيفضِّل العيش مع «الشرطي صاحب العينين الملونتين». لم يكن الأمر منطقيًّا طبعًا، لكنْ بينما ذهبت تولين في نزهة مع لو، كان هيس وماجنوس

قد لعبا معًا مدةً من الوقت. كانت الغنيمة برجًا قد احتُلَّ، والقضاء على رتل من جنود الـ «مينيونز» وبطل واحد قبل أن يعطي هيس ماجنوس قصاصة ورق عليها رقم هاتفه، ثم غادر. طمأن نفسه للمرة الأخيرة مع رئيس القسم أن الأسرة الحاضنة جيدة بما فيه الكفاية، ثم خرج في النهاية.

في متحف العلوم، كان يتناول طبق سمك طازج مع تولين، وكانت لو منشغلة بالعودة إلى متاهة النور، وظلا جالسين في المقهى بين جميع الأُسر وأطفالها، وسط الصراخ والبكاء. كان كلاهما يعلم أنه سيغادر إلى بوخارست، لكنَّ العلاقة الحميمة والطبيعية التي جمعتهما في الأيام القليلة الماضية فسَحت المجال فجأة لمحادثة محرجة. تاه هيس في عمق عينيها، وحاول أن يقول شيئًا. وبعد ذلك، عادت ابنتها مسرعة لتسحبهما إلى عرين الأسد، حيث يمكن للمرء قياس قوة زئيره من خلال غرز رأسه في فتحة بصندوق، والصراخ بأعلى صوت ممكن. ثم حان الوقت لتذهب تولين. قالت إنها ستذهب إلى المطار لتوديعه. مع هذه الفكرة المبهجة، سارع إلى أودين بارك، حيث كان من المفترض أن يجتمع مع المشرف على المبنى ووكيل العقارات.

كان الوكيل العقاري رجلًا مهزومًا. انسحب المشتري بعد أن وجد عرضًا آخر «أكثر أمانًا» في أوستيربرو. بدا هذا الأمر مزعجًا للمشرف الباكستاني على البناء أكثر من هيس. شكره هيس، وأخذ المفاتيح. وفي طريقه إلى المطار، شعر بحيوية شديدة لدرجة أنه طلب من سيارة الأجرة التوقف عند مقبرة فيستر.

كانت هذه أول مرة يزور فيها هيس المقبرة. لم يكن يعرف مكانها بالضبط، لكنْ في مكتب دفن الموتى، وجهوه إلى أسفل الممرات المؤدية إلى غابة صغيرة. بدا القبر حزينًا كما كان يخشى. حجر تكسوه الطحالب، مع بعض المساحات الخضراء والحصى؛ جعله هذا يحس بالذنب. وضع هيس زهرة من الغابة على الحصى، ثم خلع خاتم زواجه ودفنه تحت القبر. كانت تريده أن يفعل ذلك منذ زمن بعيد، لكنْ حتى الآن كان الأمر صعبًا. مع وقوفه عند القبر، لأول مرة منذ مدة طويلة، ترك العنان لتدفق ذكرياته. وبينما كان يسير عائدًا نحو المخرج، شعر بأنه ألقى عن كاهله ثقلًا كبيرًا.

اندفعت سيارة أجرة أخرى متجاوزة المبنى رقم 3، وأطفأ هيس سيجارته، وأدار ظهره للمطر. لن تأتي تولين، وربما يكون هذا هو الأفضل. من الأفضل أن يعيش كمشرَّد، دون أي شيء في حياته. أدخل يده في جيبه، وأخرج هاتفه المحمول ليجد بطاقة صعوده إلى الطائرة. وفي طريقه نحو السلم المتحرك إلى الأمن، أدرك أنه تلقى رسالة نصية.

«أتمنى لك رحلة سعيدة». كان هذا هو نص الرسالة. ولمعرفة مرسلها، نقر على الصورة المرفقة.

لم يستطع في البداية أن يعرف ماهيتها. رسم طفولي غريب لشجرة كبيرة ذات فروع، وصور ملصقة له، ولببغاء، ولحيوان هامستر. ضحك هيس. ضحك من كل قلبه. وبحلول الوقت الذي وصل فيه إلى الأمن، نظر إلى الصورة عدة مرات دون أن يتوقف عن الضحك.

- هل أرسلتِها؟ هل رآها؟

راقبت لو والدتها تولين وهي تضع الهاتف جانبًا، وبحثت عن درج في المطبخ حيث يمكنها وضع الملصق.

- نعم، أرسلتُها. اذهبي الآن وافتحي الباب لجدكِ.

- متى سيعود؟

- لا أعرف. اذهبي الآن وافتحي الباب!

خرجت لو إلى الرواق تجاه جرس الباب الذي يرن. بالنسبة إلى تولين، كان إرسال الصورة تتويجًا ليوم غريب. كانت زيارة الصبي كيار مع هيس ولو مفعمة بالشعور. ولم تتحسن الأمور كثيرًا عندما أقنعتهما لو بالخروج إلى جحيم الأسرة في متحف العلوم. ووسط المقهى، وصراخ الصغار، وعلب الغداء، شعرت فجأة بخطر العيش في الحالة نفسها التي تعيشها الأُسر من حولهم. كانت تعلم أن هيس لم يكن كذلك، لكنْ بعد ذلك نظر إليها كما لو أنه يريد إخبارها بشيء ما. ولم تستطع إلا التفكير في منازل منفصلة، ومعاشات تقاعدية، وكذبة كاملة عن حياة الأسرة. وبعد ثوانٍ، عرفت أنه سيذهب إلى المطار، ليبتعد ويعود إلى منزله الآمن.

وفي المنزل، أصرَّت لو على طباعة إحدى الصور التي التقطتها بهاتفها لـ هيس في عرين الأسد. إضافة إلى ذلك، أرادت لصق صورة هيس على ملصق المدرسة لشجرة أسرتها. كانت تولين مترددة جدًّا. لكنْ، بمجرد لصق الصورة، بدا هيس طبيعيًا تقريبًا كبقية الحيوانات التي أحاطت به. كانت هذه هي صورة شجرة الأسرة التي أصرَّت لو على إرسالها.

تردَّدت تولين إلى جانب درج المطبخ، ولم تستطع سوى الابتسام. عندما سمعت لو وهي تدعو جدها للدخول في الردهة، قررت أنها ستسمح بتثبيت الملصق على جدار المطبخ. لن تضعها في مكان بارز. ربما إلى جوار شفاط الطبَّاخ. ولمدة يوم أو اثنين، على أي حال.

130

تنفَّس لينوس بيكر هواء الحريَّة النقي، لكنَّ الغيوم تدلَّت فوقه قاتمة وثقيلة. كانت المنصة في مركز سلاجيلس مهجورة، وحقيبة الظهر الصغيرة مع المقتنيات التي كان يريد إحضارها من الوحدة الآمنة موجودة عند قدميه. أُطلِقَ سراحه للتوِّ، ويجب أن يكون سعيدًا ومرتاحًا، لكنه لم يكن كذلك. إنها الحرية، لكنْ ماذا الآن؟

فكر لينوس بيكر في اقتراح محاميه بشأن المطالبة بتعويض عن الألم والمعاناة. لقد خضع لعقوبة تجاوزت الجريمة التي اقترفها فعلًا: اختراق الأرشيف. المال شيء جيد، لكنه شعر أن المال لن يغير مدى خيبة أمله. لم تصل قضية رجل الكستناء إلى النتيجة التي كان يرجوها. منذ أن أدرك خلال مقابلة العام الماضي أنه كان ترسًا مهمًّا في الآلة، كان سعيدًا. في البداية، لم تكن لديه أدنى فكرة عمَّن يمكنه وضع المنجل في مرأبه، لكنْ عندما حاول المحققون للمرة المليون إجباره على الاعتراف بمواجهته بصورة السلاح الحاد على الرف، لاحظ دمية صغيرة من الكستناء في الخلفية. أجرى لينوس حساباته الخاصة، فاعترف بالجريمة. ومع مرور كل يوم في العنبر الآمن، كان يتطلع إلى قدوم الخريف، عندما يكشف رجل الكستناء عن خطوته التالية. كان الأمر يستحق الانتظار، وتوالت أخبار جرائم القتل. ولكنَّ الاحتفال انتهى، واتضح أن رجل الكستناء كان مجرَّد شخص هاوٍ لا يستحق العناء.

أطلق القطار صفارته، وحمل لينوس بيكر حقيبة ظهره وصعد إلى القطار. وبينما جلس على مقعد إلى جوار النافذة، كان ملل الحياة لا يزال يلقي بظلاله الثقيلة – حتى إنه لم يلاحظ الأم العازبة الجالسة بشكل قُطري أمامه مع ابنتها الصغيرة. كانت الأم تبتسم وتومئ برأسها بأدب، فبادلها بيكر اللطف، وابتسم.

انطلق القطار بعيدًا، وانتشرت الغيوم الداكنة، واعتقد بيكر أنه قد يجد طريقة لتمرير الوقت بعد كل شيء.

جزيل الشكر:

أودُّ توجيه الشكر الجزيل إلى لارس جراروب الذي شجعني لأول مرة على كتابة رواية عن الجريمة قبل خمس سنوات أو ست، عندما كان محررًا رقميًّا أول في «بوليتيكن» (Politiken) ولم يعد مديرًا لقسم الإعلام في هيئة الإذاعة الدنماركية، حيث تعرفته.

***

شكرًا لـ ليني جول، رئيس «بوليتيكن فورلاج» (Politikens Forlag)، الذي قدم لي كلمات التشجيع مع لارس جراروب. وعندما قبلت التحدي أخيرًا، تعثَّرتُ في منتصف الطريق، لكنَّ ليني واصل الإيمان بقدراتي، ومنحني الوقت والمساحة التي أحتاج إليها.

***

شكرًا لـ إيميلي ليبيش كاي، المنتجة والعاشقة للأدب، لدعمها الرائع وتفاؤلها عندما كنت في أمسِّ الحاجة إلى كليهما.

***

شكرًا لصديقيَّ رولاند جارلجارد، وأوليه ساس ثراني، لقراءة المسودة الأولى، وإلهامي لمواصلة الكتابة. شكر خاص لأوليه، لأنه أسهم أيضًا بمعرفته المذهلة بتكنولوجيا المعلومات.

***

شكرًا لكاتب السيناريو مايكل دبليو هورستن، لإصغائه إليَّ منذ بداياتي الأولى. وشكرًا لـ نينا كويست وإيستر نيسن، لمساعدتي في البحث. وشكرًا

لـ ميتا لويز فولداجر، وآدم برايس، لصبرهما معي يوميًا في مساحتنا المشتركة.

***

شكرًا لأختي ترين لدعمها الرائع وثقتها بي.

***

شكرًا لوكيل أعمالي لارس رينجوف، لخبرته الكبيرة وفطنته، وكل ما قدَّمه لي من نصائح مفيدة.

***

شكرًا لـ آن كريستين آندرسن، المحرِّرة في «بوليتيكنز فورلاج»، على حدَّة ذكائها، ودقَّتها وروعتها.

***

شكرًا لـ سوزان أورتمان ريث، لإشرافها وروح الدعابة والمرح.

***

أتوجه بالشكر الجزيل لزوجتي كريستينا، على حبِّها، وعدم توقفها عن الإيمان برواية «رجل الكستناء».



رجل الكستناء

THE CHESTNUT MAN

«إذا كنت تتوق للاستمتاع بجرعة قوية من روايات الجريمة البوليسية التي أبدعها جو نيسبو، فإن رجل الكستناء هي الرواية الأمثل».

- The Times

«رواية ناجحة من سطورها الأولى».

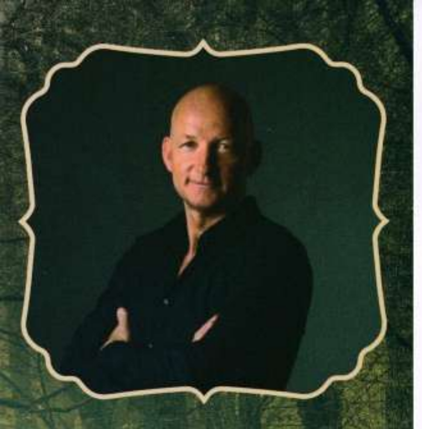
- Daily Express

«مفعمة بالرعب، والذكاء والتشويق».

- The Sun

«من الظلم مقارنة سفيستروب بستيج لارسون. إنه ببساطة يخطّ مساره الخاص في عالم روايات الجريمة».

- Metro



سورين سفيستروب

مؤلف وكاتب سيناريو دنماركي معروف حول العالم. درس سفيستروب التاريخ والأدب ونال شهادة الماجستير في هذا المجال من جامعة كوبنهاجن، وتابع دراسته في مجال التأليف في كلية الدنمارك الوطنية للسينما عام 1997. مِن أبرز أعماله مسلسل "ذا كيلينج" (The Killing) الذي فاز بالعديد من الجوائز المرموقة من بينها جائزة "روبرت" لأفضل مسلسل تلفزيوني دنماركي، ومسلسل "نيكولاي وجولي" (Nikolaj og Julie) الذي فاز بجائزة Emmy. كما نشر أول رواياته "رجل الكستناء" (The Chestnut Man) في عام 2019، التي تُرجمت إلى 28 لغةً، ونُشرت في 50 دولةً حول العالم، وتحوّلت إلى عمل تلفزيوني حمل الاسم نفسه في عام 2021.

رجل الكستناء
THE CHESTNUT MAN

عندما تسقط الأوراق، سيأتي من أجلك...

في صباح أحد أيام أكتوبر في ضاحية هادئة، تتوصل الشرطة إلى اكتشاف مروّع.

مريض نفسي ينشر الرعب في المدينة.

عُثِر على شابة مقتولة بوحشيَّة، وقد بُترت إحدى يديها.

يترك وراءه دليلًا محيِّرًا.

فوقها، تتدلى دُمية صغيرة مصنوعة من الكستناء.

لكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد.

عند فحص الدُمية، يُصدَم قسم الطب الشرعي من العثور على بصمة إصبع ترجع لفتاة صغيرة اختطفت وقُتلت قبل عام.

هل يمكن لقاتل جديد أن يعيد فتح التحقيق في جريمة قتل قديمة؟

محققان يضطرَّان إلى ترك اختلافاتهما جانبًا، والتعاون معًا لفكِّ اللغز الذي يخفيه رجل الكستناء.

هل سينتهي تعطشه للدماء عندما يحلُّ الشتاء - أم إنه لم يبدأ بعد؟

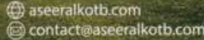


غلاف: عبد الرحمن الصواف


9 789779 922799






aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb